الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار

البربر بين المعارضة والموالاة على عهد الإمارة الأموية بالأندلس

138- 316هـ/756-928م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير على التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب:
حميد زيدور

تحت إشراف الأستاذ :
الدكتور عبد القادر بوباية

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د محمد بن معمر	رئيسا
أ.د جهيدة بوجمعة	مناقشا.
أ.د عبد القادر بوباية	مشرفا ومقررا.
د عبيد بوداود	مناقشا.

السنة الجامعية:
1429-1430هـ/2008-2009م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار

البربر بين المعارضة والموالاة على عهد الإمارة الأموية بالأندلس

138- 316هـ/756-928م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

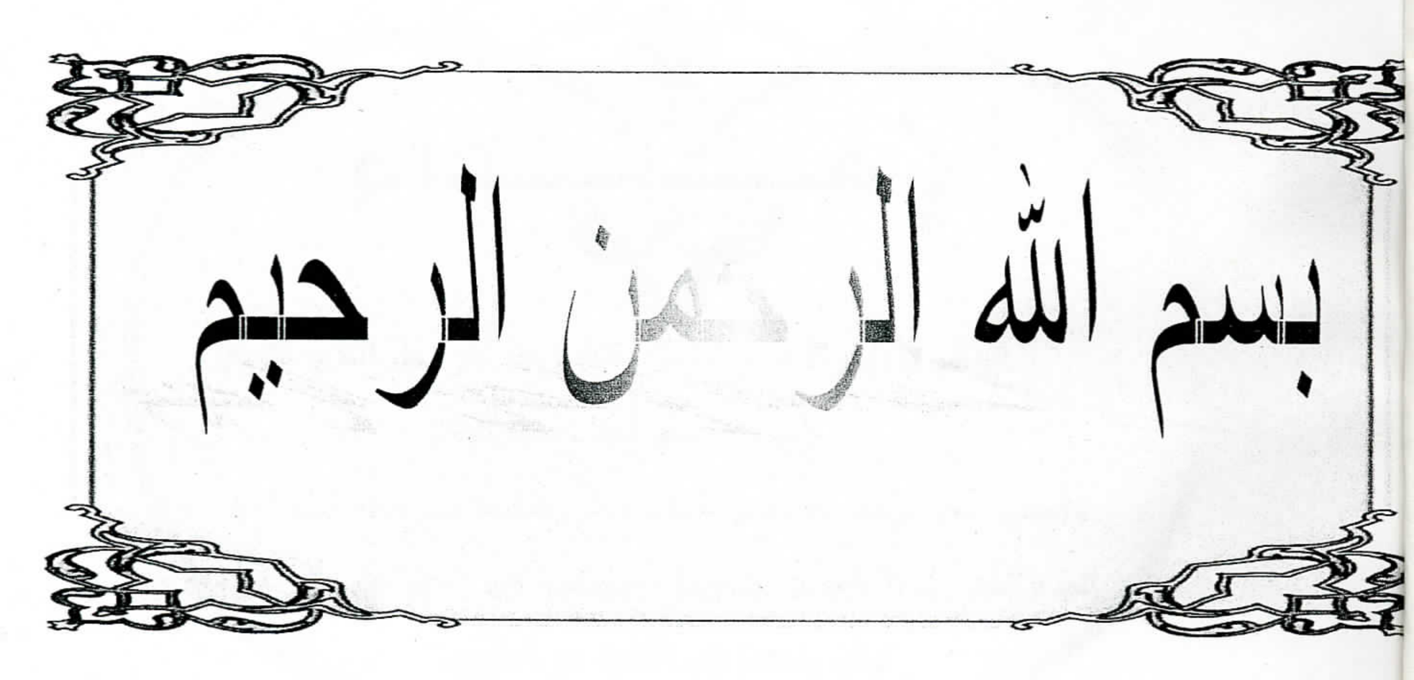
إعداد الطالب:
حميد زيدور

تحت إشراف الأستاذ
الدكتور عبد القادر بوباية

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د محمد بن معمر	رئيسا
أ.د جهيدة بوجمعة	مناقشا.
أ.د عبد القادر بوباية	مشرفا ومقررا.
د عبيد بوداود	مناقشا.

السنة الجامعية:
1429-1430هـ/2008-2009م


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهــــــداء

الشكر للأول والآخر والظاهر والباطن لله عزّ وجلّ الذي منحني الصبر والعقل لإتمام هذا العمل.

وأهدي كل حرف كتبته بل وكل نقطة وضعتها في هذه الدراسة إلى والدَيّ، سائلا المولى جل وعلا أن يجمعنا في الدنيا في خير مقام وأن يجمعنا في الآخرة مع العليّين.

كلمة شكر وتقدير

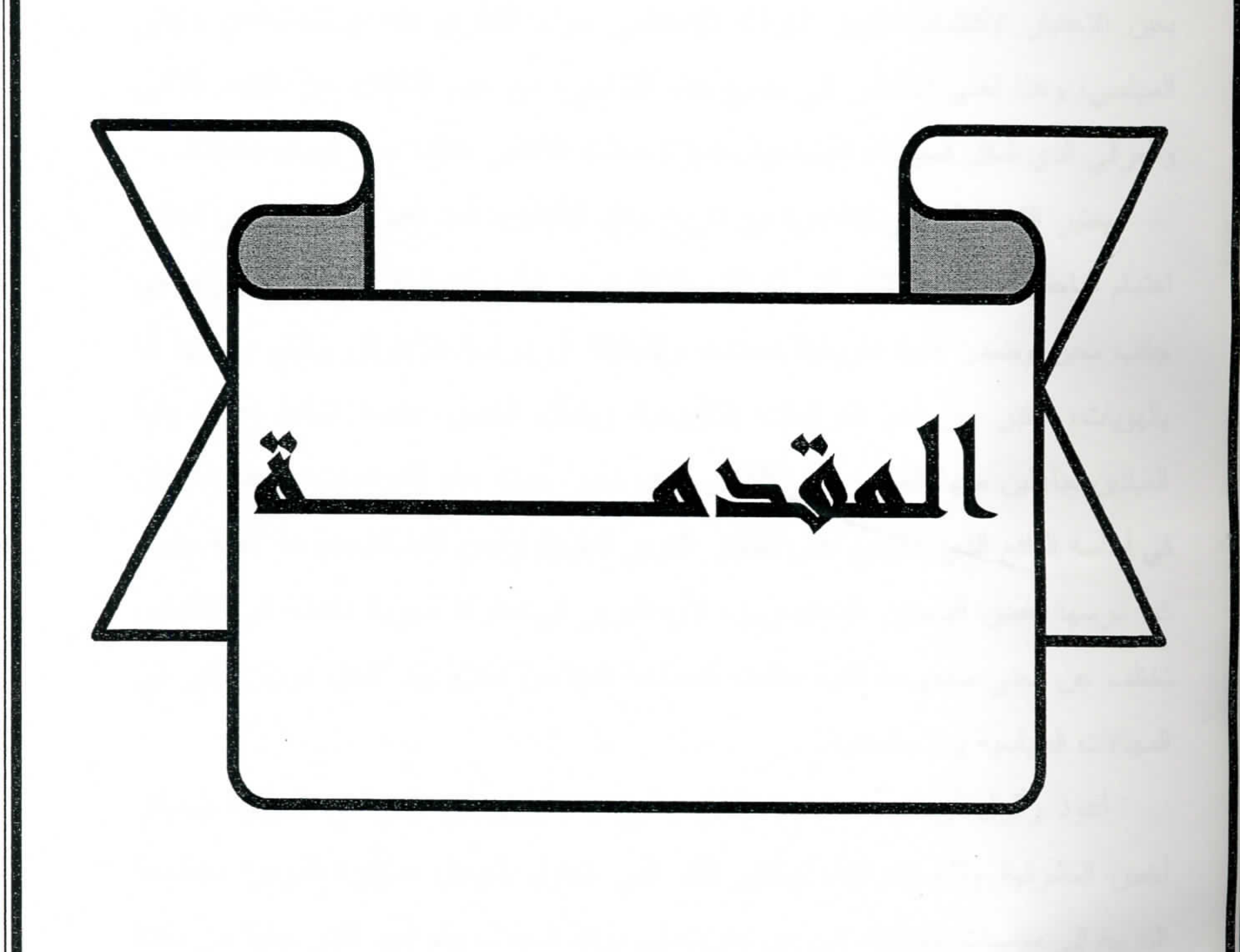
أتقدم من خلال هذه الكلمة بالشكر الجزيل وبكل تعابير التقدير والعرفان إلى السيد المشرف الأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية، الذي كان معي أستاذا في سنوات التدرج ثم ما بعد التدرج، لأقول في الأخير أن الرحلة العلمية التي جمعتنا قد استفدت منها حتى ما قبل الإشراف على هذه الدراسة.

كما أنني أقدم هذه الكلمة بخصوص إشرافه علي والذي فتح لي من خلاله قلبه ومكتبته، وتفرغ لي في الكثير من المرات من أجل خروج هذه الدراسة إلى النور ناصحا وموجها ومرشدا، لأسأل الله سبحانه وتعالى من خلال عطائه هذا، أن يجازيه عني خير الجزاء.

وأخيرا وتقديرا مني لعمل الأستاذ المشرف الدؤوب والمتقن معي، كان لزاما علي أن لا أنسى تحقيقه لكتابي مفاخر البربر وتاريخ الأندلس لمؤلفين مجهولين، واللذين كانا من أهم المصادر التي فتحت لي باب هذا البحث، مع استفادتي المهمة لمادتهما.

وقبل أن أنهي هذه الكلمة، أتقدم بالشكر الجزيل لكل من درّسني بقسم التاريخ بداية من سنوات التدرج، وبشكل أخص لمن درسوني فيما بعد التدرج بدون استثناء، وهذا لما قدموه لي من نصائح وتوجيهات وإرشادات تمكنت من استغلالها في هذه الدراسة.




المقدمـــــة

مقدمة: لا شك أن الأندلس كانت ولا زالت أحد أهم النماذج التاريخية التي أخذت بعين الاعتبار لاكتشاف كنوز التراث الإسلامي سواء الفكري منه والاجتماعي وحتى السياسي، وهذا لغنى الأندلس في جميع هذه النواحي، مع عدم التغافل عن التعدد الإثني والعرقي الذي شكل فسيفساء اجتماعية متميزة جعلت الأندلس خالدة عبر أجيال متعددة.

يعتبر التعدد العرقي كظاهرة في تاريخ بلاد الأندلس، أحد أهم الميادين التي تجذب اهتمام الباحثين وبخاصة تلك التي لم تلقى الاهتمام من قبل، كدراسة العنصر البربري في جانب معين وضمن فترة تاريخية محددة، والحقيقة أن دراسة الأعراق والتي سميتها أنا بالهويات، تعتبر من أهم الدراسات التاريخية وبشكل أخص عندما تسقط عليها بقية الميادين جاعلين منها المحور أو الأساس الذي تدور حوله هذه الدراسات، وهذا ما كان في أساسه الدافع الذي حفزني على اختيار البربر كهوية، وليس فقط كمجموعة إثنية جامدة كما درسها بعض الباحثين المعاصرين، لأن البربر في نظرنا كهوية نشطة في الأندلس تختلف عن معنى مجموعة اثنية عاشت كجماعة تحيا من خلال رد الفعل دون التأثير في المجالات السياسية والإجتماعية.

أعود وأقول أن الوجه الباهت الذي يظهر به البربر في المراجع العربية وبشكل أخص المشرقية والإستشراقية، وحتى تلك التي تحاول تجميل صورة البربر مخضعة التاريخ إلى مقاسات أبحاثها، هي من وفرت لي نوافذ البحث، ولم أجد أكثر جذبا من نافذة التاريخ السياسي، لأن النشاط السياسي الكثيف عبر مختلف محطات الدولة الأموية أفرز مادة غزيرة سلط عليها الضوء أكثر ولكن بتقصير كبير مع ترك العديد من الأسئلة الجوهرية عالقة بدون أدنى تعليق.

وملاحظتي حول كتابات التاريخ الأندلسي من خلال البحث الأكاديمي، جرتني هي كذلك إلى إختيار البربر ودورهم السياسي، وبخاصة حينما نعلم أن مجمل الدراسات المعاصرة وبخاصة المشرقية منها، تطرقت إلى الثورات والتمردات البربرية فحسب وكأنها تريد تقديم صورة عن سوسيولوجيا العنف عند العنصر البربري من دون تقديم الوجه الآخر وهو المساهمات في الإدارة والقضاء والمناصب العسكرية الرفيعة التي

شغلها البربر داخل السلطة الأموية، ليكون في الأخير عنوان دراستي: البربر بين المعارضة والموالاة في عهد الإمارة الأموية بالأندلس-138-316هـ/756-928م.

لم أجد في الدراسات المعاصرة التي تمكنّت من التعرف عليها وقراءتها، من تطرق إلى الموضوع الذي إخترته، وإنما جاء، أي موضوع بحثي، ضمن دراسات تاريخ الأندلس ككل وبالتالي فإن ما احتله البربر من حيز لم يكن سوى صفحات ضمن فصول مختلفة، وبالمناسبة، هناك دراستين اثنتين سلطتا الضوء على البربر، تتمثل الأولى في دراسة محمد حقي الموسومة بـ: البربر في الأندلس[1]، والتي تناولت البربر سياسيا وإجتماعيا وثقافيا، مع ذكر الفقهاء والأعلام، أي جاءت كدراسة عامة شاملة لتاريخ- كما ذكر صاحبها- مجموعة إثنية من الفتح إلى السقوط.

أما الدراسة الثانية فهي التي أنجزها عبد القادر بوباية والمعنونة بـ: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي)[2]، وقد برز موضوع بحثي ضمن المراحل التمهيدية لهذه الدراسة التي حاول فيها صاحبها كهدف لدراسته، الكشف عن الأسباب والعوامل التي أدت إلى ماسمته المصادر بالفتنة البربرية، مع العلم أن الباحث عبد القادر بوباية في دراسته قد تطرق إلى العديد من النقط التي أفادتنا، كنقط إرتكاز البربر وتجمعهم، إضافة إلى أن دراسته اشتملت على الأعلام والفقهاء وهذا إلى غاية فتنة القرن الخامس الهجري.

إضافة إلى الدراستين السابقتين، هناك دراسة منشورة واحدة أستثنيها وهي لحمدي عبد المنعم محمد حسين في كتابه الموسوم بـ: ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية[3]، والتي أعتبرها وبدون أدنى تحفظ دراسة خالية من أي معنى أو هدف،

---

[1]- محمد حقي، البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع-المدارس- الدار البيضاء، ط1، 1422هـ/ 2001م.

[2]-عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي)-300-422هـ/ 912- 1031م، دكتوراة دولة - غير منشورة- في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة وهران، 1423هـ/ 2002م.

[3]-حمدي عبد المنعم محمد حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، د.ت

كما أنها دراسة لخصت ما من واجب الباحث أن يفصل فيه ويغوص في أعماقه متحريا الغث من السمين، إضافة إلى أن الباحث لم يتطرق إلى ذكر الأسباب أو الدوافع التي أدت إلى ثورات وتمردات البربر والأهداف المتوخاة منها، لأقول في الأخير أن هذه الدراسة كانت أحد أكبر الأسباب التي دفعتني إلى اختيار موضوع دراستي وهدفي كان تصويب الكثير من المغالطات التي تضمنتها.

أخذت على عاتقي في دراستي هذه، محاولة الكشف عن حقيقة أو على الأقل التقرب من حقيقة العلاقة بين البربر والسلطة الأموية في عهد الإمارة، ولهذا قمت بمحاولة غربلة الكتابات الاستشراقية وكذا العربية المشرقية التي لم تحاول الكشف – وهذا في نظري منعدم تقريبا في الكثير من الكتابات المعاصرة – عن المجتمع البربري كمجتمع متميز يملك خصائص أنتروبولوجية وتاريخية واجتماعية ساهمت في بنائها تلك السلطات أو الدول المتعاقبة عليه ببلاد المغرب، مع تغافلها التام عن دراسة بسيكولوجيا تاريخ الفرد البربري من خلال علاقاته سواء مع السلطة أو حتى مع الأطراف التي تقاسمه المصير التاريخي والحيز الجغرافي بالأندلس، مع دراستها للبربر كجماعة حيادية أو سلبية، وهذا كله من أفسد بالجملة صورة تاريخ التفاعل البربري في الأندلس وبخاصة منه السياسي.

من جانب آخر وجدت نفسي أمام حتمية وجب التعامل معها وهي دراسة البربر كعنصر فاعل ومتفاعل سياسيا موازاة مع دراسة العناصر الأخرى، مع التركيز على أساليب السلطة ونظمها السياسية وسياستها اتجاه رعيتها، لأن سياسة السلطة تكشف عن ردود أفعال الجماعات وأسباب تصرفاتهم اتجاه هذه الأخيرة، كما أن أسس السياسة الأموية والتي بنت عليها أساليبها ونظمها رأيت أنه من الواجب علي عند دراستها، عدم التغافل عن مدى تأثرها بأحداث المغرب، بل وحتى بالمشرق وتأثير ذلك كله على بلاد الأندلس.

ومع تحفظي الشديد على ما سمي بوحدة الظاهرة في العالم الإسلامي والتي بيّنت بطلانها في بعض الظوهر السياسية والاجتماعية بالأندلس، مقارنة ببلاد المشرق، كظاهرة الموالي بالأندلس الذين تختلف منازلهم ورتبهم السياسية والاجتماعية عن أمثالهم ببلاد المشرق العربي، فإنني اتخذت من العدوة المغربية والمشرق مرايا أستطيع من خلالها

الكشف عن تميز الأندلس الاجتماعي والسياسي، وبخاصة بتأثرها الكبير والواضح بما كان يحدث بهاتين المنطقتين، كوجود الدويلات الإسلامية ببلاد المغرب والتي وقفت في وجه المد العباسي أو من خلال ظهور الخلافة الفاطمية وما أفرزه هذا الظهور من ردود أفعال الأمويين، وللتأكيد أكثر على ما أقول علينا أن لا ننسى أن ضعف الخلافة العباسية بالمشرق كان أحد العوامل التي حفزت عبد الرحمن الناصر على إعلان الخلافة الأموية بالأندلس.

ومن خلال هذه الصورة العامة التي توضح كيفية تناولي للموضوع كان البربر، دائما المحور الأساس والمركز الذي دارت حوله الدراسة، وهذا بإسقاط معادلة المعارضة والموالاة لتوضيح شكل العلاقة السياسية التي جمعت البربر بالسلطة الأموية والتي كانت تتأرجح بين شطري هذه المعادلة مع كل محطة تاريخية جديدة بالأندلس أو تطور سياسي وإجتماعي بها.

وبالتالي فإن ما حملته الدراسة كإشكالية وحاولت توضيحه وتفسيره حتى لا أقول الإجابة عنه، هو تبيان العلاقة السياسية بين السلطة الأموية والبربر، ومن ثم كان تساؤلي حول مدى التفاعل السياسي لهذا العنصر مع إمارة تحمّل هو نفسه الكثير كطرف شارك في تأسيسها؟ ثم إذا كان البربر عنصرا نشطا فهل كان الخروج عن السلطة والتمرد على قراراتها ونظم، حكمها العنوان الوحيد لهذا النشاط؟ أم كانت هناك أوجه أخرى عكست هذا النشاط وتمثلت فيما اصطلحت عليه بالموالاة والتي أعني بها مشاركة البربر في كل ميادين نظم السلطة؟ إضافة إلى هذا، حاولت في هذه الدراسة الكشف عن أسباب المعارضة أو الموالاة البربريتين اتجاه السلطة الأموية، مع البحث عن تاريخ الفكر السياسي للبربر.

ليس من السهل ولا من اليسير تفسير الظواهرالاجتماعية وبخاصة إذا ما اعتمدنا فكرة أن الحدث التاريخي كما أشار إليه ابن خلدون ما هو إلا واقعة تاريخية، وليس من الأيسر كذلك تفسير المعنى الحقيقي للحدث السياسي إذا لم يكن للجانب الإجتماعي كدراسة توظف في التاريخ حيزا ومكانا في هذا التفسير، ولهذا فقد أنتجت دراستي هذه بإخضاعها لمناهج متعددة، أولها المنهج التحليلي الذي يعتمد على القراءة المتأنية والحذرة للنصوص

مع تمحيصها ثم إخضاعها للنقد، ولقد أفادني هذا المنهج في ترتيب الكثير من الأحداث زمنيا وحتى تقريبها من الواقع التاريخي الذي توخيت الكثير من الحيطة عند عرضه وهذا بدون أن أنسى نقد أصحاب المصادر أنفسهم التي كثيرا ما كانت ميولاتهم السياسية وحتى الفكرية الباعث على كتاباتهم واختيار نصوصهم.

ومع طبيعة منهج الكتابة التحليلية والنقدية في آن واحد كان لابد من استخدام منهج المقارنة الذي يجعل من النصوص لبنات ترص الواحدة بجنب الأخرى لصنع النص التاريخي الكاملة أطرافه، ثم إن مقارنة النصوص تسمح بتغطية النص الناقص أو المختزل في مصادر ما لتعوض من خلال نصوص مفصلة لذلك الحدث نفسه في مصادر أخرى، كما أن المبهم من النصوص لا تستوضح رؤيته في نص آخر سوى من خلال استخدام منهج المقارنة، أما أكبر منهج اعتمدت عليه في هذه الدراسة فهو المنهج الحفري الذي كنت أعود من خلال استعماله إلى المحطات التاريخية السابقة لأي حدث أنوي دراسته، وكان الهدف الحقيقي من استعمالي لهذا المنهج هو معرفة الأسباب الكامنة وراء التمردات والثورات التي كانت تقوم بها العناصر الأندلسية، كما أنه سمح لي بتتبع التطور التاريخي السياسي والاجتماعي للعناصر الأندلسية.

تناولت في دراستي هذه بعض الأطر التي رأيت أنها مناسبة والتي شكلتها ضمن إطار عام، يبدأ بمقدمة اشتملت على عرض موضوع الدراسة وما تحمله من إشكاليات والمناهج التي استخدمتها، إضافة إلى عرض أهم المصادر التي بنيت على نصوصها هذه الدراسة، ثم سطرت في مرتبة ثانية تمهيدا أراه ضروريا لفهم الكثير من الظاهرات السياسية والاجتماعية التي واكبت الفتح ومرحلة التمهيد لتأسيس الإمارة فيما بعد، والتي شكلت مع مرور الزمن سنن أو قوانين تعايش من خلالها البربر في الأندلس.

جاءت الدراسة في ثلاثة فصول، اشتمل كل واحد منها على قسمين اثنين، القسم الأول تناولت فيه المعارضة البربرية، أما القسم الثاني فتناولت فيه الموالاة، وبهذا الترتيب أطلقت على الفترة الأولى تسمية فترة تأسيس الإمارة وهي الفترة التي تمسح فترات كل من الأمير عبد الرحمن الداخل 138-172هـ/756- 788م، وابنه هشام 172-180هـ/788م-796 م، وحفيده الحكم الربضي 180- 206هـ/796- 822م، وما قمت

بتناوله ومناقشته في هذه المدة هي مشاركات البربر في ثورات الخارجين عن السلطة، مع الاهتمام أكثر بثورات البربر الخالصة ومحاولة تحليل كل ذلك متتبعا آثار التطور الاجتماعي والسياسي على أحداث هذه الفترة، أما القسم الثاني فقد تمحور حول موالاة البربر وأهم المناصب التي اعتلوها في هذه الفترة وهذا بذكر المساهمة البربرية في الجانب العسكري، ثم ذكرها في العمل القضائي والإداري.

أما الفصل الثاني فقد عنونت فترته التي مسحت فترة الأمير عبد الرحمن الأوسط 206- 238هـ/ 822- 852م، ثم ابنه الأمير محمد 238- 273هـ/852- 886م، بفترة الازدهار، وتسمية هذه الفترة بفترة الإزدهار ستوضح مدى اختلافي مع الكثير من المراجع إن لم أبالغ وأقول مجملها، لأن هذه الأخيرة عند تقسيمها في كتاباتها لمراحل ومحطات الدولة الأموية، جعلت فترة الأمير محمد بمجملها ضمن فترة الأميرين المنذر وعبد الله مطلقة على هذه الفترة كلها فترة الفتنة، وهذا في نظري يحمل مغالطة كبيرة تحتاج إلى الكثير من التصويب، والمتتبع لدراستي سيكتشف أن بداية الخروج العنيف للعناصر الأندلسية وبداية عهد الفتنة إنما كان في السنوات الأخيرة من فترة الأمير محمد ولم تشمل كل عهده، بل بالعكس فإن ما عاشته الأندلس في الخمس والعشرين سنة الأولى من عهدة الأمير محمد كان مثل فترة الأمير عبد الرحمن أو أحسن، وقد تمحور القسم الأول في هذا الفصل حول المعارضة البربرية في هذه الفترة، وهذا بذكر التمردات والأحداث التي شارك فيها البربر، ثم أرفقته بقسم ثان حمل بعض صور الموالاة البربرية في عصر الإزدهار.

يعتبر الفصل الثالث الفصل الذي وقفت فيه كثيرا، إذ وظفت كل طاقاتي لإظهار حقيقة إختلافي مع الكثير من الدراسات التي ناقشت خروج البربر في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الأندلس، والتي نسخت بدون تمحيص ولا تحقيق ما ذكرته بعض المصادر وبخاصة الأندلسية منها، حيث جعلت من البربر ثوارا ومتمردين على السلطة، بل ومن الذين والوا عمر بن حفصون المولدي، والمتتبع مناقشتي لهذا الموضوع سيكتشف العكس من ذلك، إذ لم يكن فيه خروج للبربر عن السلطة سوى ما كان من الخروج المؤقت لبني الخليع مع عمر بن حفصون وهذا لأسباب تاريخية تسببت فيها السلطة.

واضافة إلى هذا، فقد قمت بتوضيح ونقد فكرة رائجة في المراجع، مفادها أن المولدين خرجوا عن السلطة الأموية وتبعا لهذا تفاقمت الأحداث التي أنتجت الفتنة السياسية والتمزق الاجتماعي فيما بعد، لأقول في الأخير أن الصراع الحقيقي كان بين عرب الكور المجندة ونقصد بهم الشاميين من جهة، والمولدين من جهة أخرى، ومن ثم فإن الصراع كان صراعا اجتماعيا حمل طابعا سياسيا، أي أنه ترجم من خلال أعمال سياسية كان أبرزها المجابهة العسكرية، وبالتالي لم تكن السلطة سوى طرفا مجرورا في هذه الفتنة، مثلها تقريبا مثل البربر الذين كانت مواقعهم السياسية تنتقل من جهة إلى أخرى على حسب الأحداث واختلاف موازين القوى، أما القسم الثاني فقد ركزت فيه على إبراز ظاهرة البيوتات البربرية الأندلسية التي توارثت المناصب الرفيعة والرتب العالية داخل السلطة الأموية

وأخيرا أنهيت دراستي التاريخية هذه بخاتمة أظهرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، مرفقا في أخر الدراسة قائمة المصادر والمراجع التي إستخدمتها وإستعنت بها.

عرض ونقد المصادر: جاءت المصادر التي إعتمدت عليها في موضوع دراستي متنوعة، حيث إستعملت بعد كتب التاريخ، كتب الطبقات والتراجم وكتب الأدب مع الإهتمام أكثر بكتب الجغرافية، مع العلم أن المصادر شملت الأندلسية والمغربية وكذلك المشرقية، وبهذا الخصوص جاء ترتب المصادر ليس على حسب ميادينها، بل اعتمادا على أصولها، أي تقسيمها جغرافيا، لأنه عند دراستي هذه اكتشفت أن البربر كهوية، اختلفت نظرات المؤرخين والإخباريين الأندلسيين وبخاصة الذين عايشوا أحداث سقوط الدولة الأموية وفترة ملوك الطوائف لهم عن المؤرخين المغاربة، لتختلف بعض الشيء نظرات المصادر المشرقية التي كانت بعيدة عن أحياء البربر سواء ببلاد العدوة المغربية أو الأندلسية، لأوضح في الختام أن الأحكام التي أتت بها المصادر اختلفت على حسب القرب والبعد الجغرافيين والزمنيين وعلى حسب المعاينة والمشاهدة لأهل الأندلس.

المصادر الأندلسية:

أ- **المصادر التاريخية:** إعتمدت في هذا العمل على المصادر المعروفة والمعتمد عليها تقريبا في كل الدراسات الأندلسية، حيث يعتبر كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** لابن القوطية المتوفى سنة 367هـ، من أهم المصادر التي أفادتني في الفصل الأول وأنا أتناول أحداث فترة عبد الرحمن الداخل، ناهيك عما توصلت إليه من خلال هذا المصدر من نتائج حول علاقة البربر بفتح الأندلس وتداعياته، وبالرغم من هذا فإن نقدا مهما لابد من إبرازه وهو أن ابن القوطية إعتمد في تاريخه على الكثير من الروايات غير المعقولة كوجود الحاجب سفيان بن عبد ربه الأندلسي بسبب قرعة ضربت بين رجالات السلطة، بالرغم من أن هذا الأخير كان بدون شك على علم بخطورة المنصب والشروط الواجب توفرها لتولي مثل هذا المنصب.

أما المصدر الأكثر استخداما فهو كتاب **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** بمختلف أجزائه لابن حيان القرطبي المتوفى سنة 469هـ، مع أخذي للحذر الشديد لما آخذه عليه من حبه وتفانيه في خدمة الدولة الأموية وإطراء أمرائها، وكانت استفادتي من كتاب المقتبس عند تناولي لجميع فترات الإمارة بإستثناء فترة الأمير عبد الرحمن الداخل والتي أخذت عنه نقلا عن المصادر الأخرى، ولهذا فإن المقتبس يعتبر بالنسبة لدراستي أهم مصدر أندلسي على الإطلاق، وبخاصة عند تناوله لشخصيات بربرية عملت في السلطة مما يعني أن حاجتي إليه كانت جد ماسة في كل من قسمي المعارضة والموالاة البربريتين.

إضافة إلى ما ذكرته حول إبن حيان، فإن ملاحظات جد هامة إرتأيت إدراجها، تتعلق حول كتابة إبن حيان التاريخية ونوعية إختياره لمجموعة إقتباساته، إذ أن وجهة نظره اتجاه البربر كانت شديدة، مع العلم أنني لا أستطيع تبرئته حتى وهو يختفي تحت ثوب الإقتباس والنقل عن الآخر، أو تحت سبب معايشتة لمراحل سقوط الدولة الأموية الموالي لها، كما أنه وكملاحظة ثانية أن كتابته كانت تمثل بشكل أو بآخر تعبيرا عن النظرة السياسية للسلطة الأموية، وأخيرا ندرج ملاحظة تتمحور حول مفهوم الطاعة عند إبن حيان، والذي يكاد يختلف تمام الاختلاف عن مفهومها عند ابن عذاري وبالأخص عند ابن

خلدون، وبالتالي فمفهوم الطاعة وهو الذي يمس بشكل رئيس ومباشر موضوع دراستنا، كان بالنسبة لابن حيان شديد الحساسية، وهو المتسبب في اختلال الكثير من الدراسات التي نقلت عنه بدون بحثها للمفاهيم إن – صح التعبير الإيديولوجية- عند أصحاب المصادر.

كان كتاب **تاريخ الأندلس لمؤلف مجهول** (كان بقيد الحياة في نهاية القرن التاسع الهجري)، الذي أعيد تحقيقه[1]، أحد الكتب المهمة في دراستي من خلال الأحداث التاريخية الكثيرة التي جاء بها، بالرغم من إختصاره لتفاصيلها مع إضافة ما كتبه لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة776هـ، وما جاء به في كتابه **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام** من معلومات تاريخية ، حيث كانت استفادتي منه عند ترجمتي لأمراء بني أمية، وتعود كتابة إبن الخطيب المقتضبة إلى منهجه في الكتابة المبني على نتيجة وجوده في السلطة وزيرا وكاتبا.

كتب التراجم: أخذت كتب التراجم الأندلسية كذلك حصتها من هذه الدراسة وهذا من خلال مصدرين اثنين رئيسين وهما **الحلة السيراء** لإبن الأبار المتوفى سنة 658هـ، **وتاريخ علماء الأندلس** لابن الفرضي المتوفى سنة 403هـ، مع عدم التغافل عن **جذوة المقتبس** للحميدي المتوفى سنة488هـ وصلته **بغية الملتمس** للضبي المتوفى سنة 599هـ، وما أفادتني به هذه المصادر كان عظيما خاصة بالنسبة لرجالات البربر من خلال ترجمة سيرهم ومواقفهم سواء منهم أهل السياسة والحرب أو العلم والفقه، مع إشكالية واضحة وجدناها عند إبن الأبار وهي تغافله عن الكثير من رجالات الأدب والسياسة البربر وبخاصة منهم مؤسسي البيوتات الكبيرة، كبني الزجالي وبني عباس بن ناصح، إذ نجده لم يفرد سوى ترجمة لسليمان بن وانسوس الوزير، مع العلم أن ذكره لحامد الزجالي الكاتب في إعتاب الكتاب، لم يكن سوى لخدمة هدف كتابه وهو ترضية السلطان الحفصي الذي كان عاتبا عليه.

---

[1]- مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ-2007م.

المصادر الجغرافية: بالنسبة للمصادر الجغرافية الأندلسية فإنني إستفدت من كل ما وقع منها بين يدي، بدءا بكتاب **فرحة الأنفس** لابن غالب(من أهل القرن السادس) **والروض المعطار** في خبر الأقطار للحميري المتوفى سنة727هـ، وحتى **تاريخ الأندلس** لمؤلف مجهول المذكور ضمن المصادر التاريخية، لأنه يبدأ بتمهيد جغرافي طويل قبل تناوله لتأريخ الأحداث، بدون أن أنسى **نزهة المشتاق** للإدريسي المتوفى سنة 560هـ، الذي لم يكن باستطاعتي الإستغناء عنه، وأخيرا فقد استفدت مما أتحفنا به العذري المتوفى سنة 478هـ من معلومات تاريخية وجغرلفية في **ترصيع الأخبار وتنويع الأثار**، وبالأخص تلك التي تناولت الثوار والمتمردين بربطهم بمناطق تمردهم وثورتهم، حيث جئنا بها في الكثير من المرات كتدخلات ضمن منهج المقارنة بين النصوص الذي إرتكزنا عليها، وبالتالي كان العذري أحد من اعتمدنا عليه في حل بعض الإشكاليات التاريخية التي لم تتفق حولها المصادر، بدون أن ننسى كتاب المسالك والممالك للبكري المتوفى سنة والذي استفدت منه في الفصل الأخير عند تناولي لمناطق التوتر في فترة الفتنة.

المصادر الأدبية: يعتبر **المغرب في حلي المغرب** لابن سعيد المغربي المتوفى سنة 685هـ، المصدر الأدبي الوحيد الذي تعاطيت مع مادته، بحكم المعطيات الجغرافية والسير والتراجم الموجودة به، حيث جاءت استفادتنا من هذا الكتاب من وجهين، الوجه الأول الإستفادة الجغرافية والثاني الإستفادة من تراجم رجالات الأندلس وسيرهم.

ب- المصادر المغربية:

المصادر التاريخية: إضافة إلى المصادر الأندلسية، كان اعتمادي على المصادر المغربية كبيرا، وكان أهمها **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لإبن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ)، وبالرغم من الإختصار الذي عرف به هذا الأخير، فقد كان اختصارا مفيدا، مع العلم أن استفادتي بشكل خاص كانت من الجزء الثاني الذي تناول فيه إبن عذاري تاريخ الأندلس من الفتح إلى غاية فترة الدولة العامرية، كما أن استعمالي للبيان المغرب جاء لتعديل الكثير من التواريخ غير المضبوطة في المصادر

الأخرى، مع ملاحظة أراها ضرورية وهي أن إبن عذاري تغافل عن ذكر أهم بيت بربري أندلسي وهو بيت بني ذي النون الهواريين في الجزء الثاني من كتاب البيان المغرب، وهذا في ذاته ما جعلته أساسا عند تصريحي بعدم خروج هؤلاء عن السلطة وإلا لكان إبن عذاري قد ذكرهم ضمن الخارجين عنها، مع تذكيري دائما أن مفهوم الطاعة عند ابن عذاري يختلف عن مفهومها عند الآخرين.

لا يختلف إثنان على أن عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 808هـ، يعد صاحب أكبر عمل تاريخي عن البربر ببلاد المغرب مع ذكر أصولهم وشعوبهم، إلا أن ما ذكره في تاريخه الموسوم بـ: "**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" حول تاريخ الأندلس، فلم أستفد منه مقارنة حتى ببعض المصادر المشرقية كالكامل في التاريخ مثلا، حيث جاءت كتابات ابن خلدون مختصرة بل وفيها بعض المعطيات المضطربة وبخاصة عند ذكر أسماء الأعلام وسنوات الأحداث، وقد يعود هذا إلى أن إبن خلدون كان يهدف في بداية أمره إلى كتابة تاريخ بلاد المغرب فقط، لذا فما جاء فيما بعد ما كان إلا ليأتي مختصرا، مع ملاحظة أن ابن خلدون يتقاسم مع ابن حيان في ذكره لمصطلح أهل الخلاف وأهل الطاعة، مع عدم التغافل أنني استفدت منه كثيرا في تغطيتة لأصول البربر وأنسابهم.

جاء تحقيق كتاب **مفاخر البربر** لؤلف مجهول (كان بقيد الحياة سنة 712) في وقته، لأن إعادة تحقيقه ونشره[1] أثرى كثيرا موضوع دراستي، وقد يكون هذا المصدر في نظري الكتاب الوحيد الذي يحمل توازنا فكريا وموضوعيا قلّ نظيره في المصادر الإسلامية، إذ نجده مقابل ذكره لأعلام البربر ورجالاتهم من الفقهاء والعلماء والمتصوفة، يذكر الخارجين عن السلطة سواء بالمغرب أو الأندلس، ويسميهم بالثوار، وكانت المعطيات المتوفرة في الكتاب من الأهمية بمكان، وبخاصة التي تتعلق منها بموضوع البحث، حيث أدرجت بعض البراهين والحجج التي أردت إبرازها في الدراسة من هذا المصدر بعد مقارنتها مع المصادر الأخرى.

---

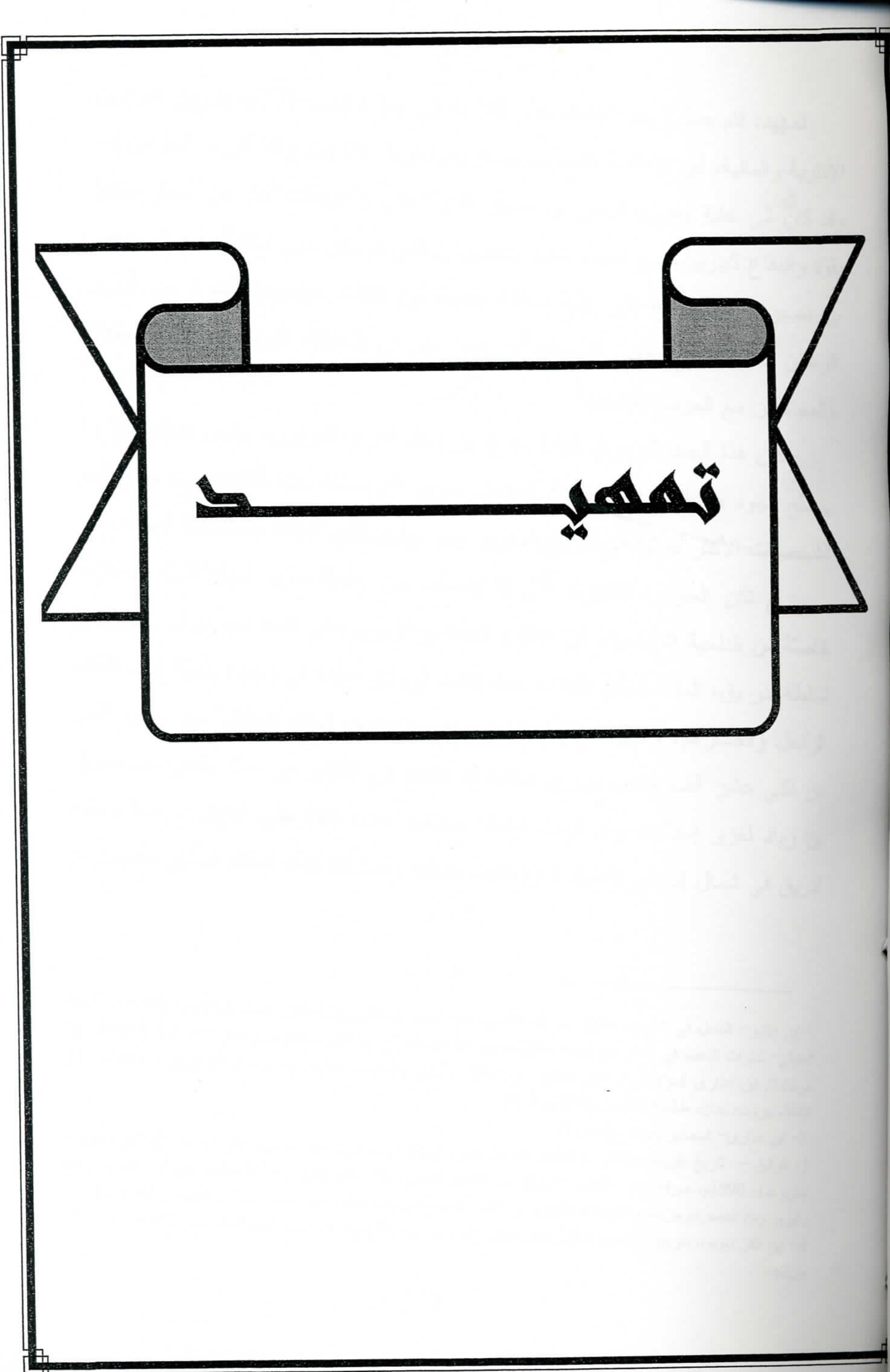
[1]- مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الرباط ط1، 2005م.

المصادر الأدبية: لا يعدو أن يكون **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** لأبي العباس المقري المتوفى سنة1041هـ، الكتاب الأكثر شهرة، لما يحمله من أصناف الأدب والتاريخ والجغرافية والتراجم، إضافة إلى تنوع الفترات والمراحل التاريخية التي تناولها، وكان استغلالي لمادة النفح عند تطرقي لفترة عبد الرحمن الداخل وما قبلها أي في فترة الولاة، مع اعتمادي عليه في ترجمة أمراء الدولة الأموية، ناهيك على أنه كان المصدر الرئيس الذي كنت أقارن من خلاله المصادر الأخرى أو أضيف ما فيه إلى ما أجده في هذه المصادر، وتمثل هذا بالأخص في ذكري لتراجم وسير رجالات الأندلس، بدون أن أنسى تناوله لبني الزجالي وبني عباس بن ناصح وغيرهم.

المصادر المشرقية:

المصادر التاريخية: لم تكن المصادر المشرقية غائبة عن هذه الدراسة، ويعود هذا للمادة المتوفرة عند كل من **نهاية الأرب** للنويري المتوفى سنة 732هـ، و**الكامل في التاريخ** لابن الأثير المتوفى سنة 630هـ، ويعتبر الكتاب الأخير من أهم ما استعملته حتى أنه كان لي المصدر الرئيس للكثير من الأحداث السياسية مقارنة حتى مع المصادر الأندلسية، وكان ذلك على سبيل المثال مع ثورة محمود بن عبد الجبار المصمودي التي فصل في أحداثها، أما عن الأخطاء التي وقع فيها ابن الأثير فإنني ذكرت ما يبررها في حينه، ولم تنعدم هذه الدراسة كذلك من المصادر المشرقية التي فصّلت في تاريخ دول بني أمية بالمشرق ثم العباسيين وخلافتهم من بعدهم، ككتاب **التنبيه والإشراف** للمسعودي المتوفى سنة 346هـ، و**تاريخ الخلفاء** للسيوطي المتوفى سنة 911هـ.

المصادر الجغرافية: لم يمنعني توفر المادة في المصادر الجغرافية الأندلسية من الأخذ من المصادر الجغرافية المشرقية وبالتحديد من معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ، والذي صاحبني طيلة الدراسة، وبالرغم من أن استفادتي التي لم تكن سوى للتعريف بالمدن، فقد جاءت هذه الاستفادة بمكان، حتى أن هناك بعض الحصون والقرى التي لم أجدها سوى في هذا المصدر.


تمهيـــــــــــد

تمهيد: قام حسّان بعد القضاء على الكاهنة في سنة 82هـ-701م، بتدوين الدواوين الإدارية والمالية، أي الإهتمام بالمغرب عسكريا وإداريا وهذا بمشاركة البربر الموالين له، وقد كان إلى غاية مجيء موسى بن نصير الذي إعتنى بالفتوحات أكثر من حسّان ولكن بقوّة واندفاع كبيرين، مع اهتمام شديد بالسبي، " الذي لم يكن سبي مثله"[1]. وصل موسى بن نصير في فتوحاته إلى غاية منطقة طنجة أين تكتّلت مجموعة كبيرة من البربر الرهائن كما تسميهم بعض المصادر[2]، والذين هم في الحقيقة، البربر الموالين للسّلطة والمجاهدين مع العرب الفاتحين[3].

كان هذا الجند البربري بقيادة طارق بن زياد النفزي البربري، وليس هناك سببا ما يوضّح وجود هذا الجند بهذا المكان الساحلي سوى لأن منطقة سبتة كانت تحت جناح أحد الشخصيات الأكثر جدلية في تاريخ المغرب وهو يوليان الذي احتفظ باستقلالية أرضه.

لم تكن الجزيرة الإبيرية التي لا يفصلها عن طنجة سوى أميال قليلة مستقرّة، خاصّة من الناحية السياسية، أين اختلف المجتمع الإبيري على نفسه بين موال ومعارض لسلطة لذريق، الملك الجديد للبلاد، حيث قامت ثورات عديدة في وجهه بمعيّة أبناء الملك الرّاحل وأنصارهم، ولعلّ اتصّال يوليان ومناصرته لبيت الملك السابق[4] مع وجود أكثر من اثني عشر ألف جندي بربري بجانبه قد دفعاه إلى التفكير في حثّ وتحريض طارق بن زياد لغزو إسبانيا، وكم كانت الخطّة محكمة حينما اتفقا على انتهاز فرصة وجود لذريق في شمال إسبانيا لإخماد ثورة قامت ضدّه، ومساعدة أبناء الملك السابق وأنصارهم

1-إبن الأثير- الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1415هـ/1995/ إبن العماد الحنبلي- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تحقيق محمود الأرناؤوط، دار إبن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406/1986م، ج1 ص342/ ابن عذارى المرّاكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج، س، كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/1980م، ص40.

2- ابن عذارى- المصدر نفسه، ج2 ص 5.

3- الرّقيق - تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، وعزالدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص34/ ابن خلدون- تاريخ إبن خلدون المسمى: كتاب العبروديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/ 2003م، ج6 ص129.

4- إبن الكر دبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية المجلد13، مدريد، 1965، ص42.

لهما[1]، وما عسى أن يفعله طارق أمام هكذا إغراء وأمام هكذا فرصة لن تعوّض أبدا وهو الذي يملك جيشا كلّه قوّة وحماس للفتح والجهاد؟ أينتهز الفرصة، وحينها سيعتبر معارضا للقيروان ولدمشق؟ أم ينتظر الإشارة وحينها ستفوته الفرصة؟ وهنا نقف مع ابن عذارى لنشاركه سؤاله" هل سار طارق إلى الأندلس عن أمر موسى أم سار إليها لأمر دهمه لم يمكنه إلاّ نفاذه"؟[2]، مع العلم أن هذا الأخير قد أجاب أن الأول هو المتفق عليه.

الحقيقة أنّ إجابة طارق كانت سريعة في تخطيطها وتنفيذها، ولأنها إجابة لا تستحق التريّث ولا الإنتظار، فقد أقدم على الفتح وتنفيذه من دون إستشارة أحد،[3] لا من القيروان ولا من دمشق، ولهذا فسيعتبر القيام بهذا المشروع العسكري الضخم والخطير وتنفيذه من طرف طارق لوحده ومن دون إذن أحد، معارضة قد تستحقّ اللّوم والعتاب، حتىّ وإن كانت معارضة- إن صحّ التعبير- تحمل طابعا إيجابيا، وذات هدف نبيل، وهو الجهاد والفتح.

وفي سبيل الاقتناع أكثر بما نقول من دخول طارق إلى الأندلس كشكل من أشكال المعارضة- خاصّة معارضة موسى قائده ومولاه الذي لم يستأذنه في فتحه للأندلس- وأن فتح الأندلس كان فتحا بربريا صرفا، نطرح الأسئلة التالية، لتكون في ذاتها أجوبة وأدلة على ما نقول، ولعل السؤال الرئيس، هو لماذا عنف وضرب موسى طارق بالسوط، حتى أن بعض المصادر تشير إلى أن موسى حبس طارق وأراد قتله؟ والذي لا يمكن بطبيعة

1- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، ط1، ج1، ص208/ إبن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص3/ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410/1989، ص30/ الرقيق، المصدر السابق، ص41/42.

2- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص5.

3- المقري، المصدر نفسه ج1، ص213/ الذّهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العربي، بيروت، ط2، 1414هـ/1993، م2، ص255، الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاّة الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ص13/ الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997، ص16/ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1428هـ/2007م، ص155/ الرقيق، المصدر السابق، ص44/عبد الواحد المرّاكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006/1426، ص17.

الحال، أن يكون بسبب الغيرة والحسد،[1] بل فقط لأن موسى لم يكن يدري ما فعله طارق، بل كان آخر من سمع بالفتح[2]، ثم إن إجابة طارق لموسى عند غضب هذا الأخير عليه وهما يلتقيان بطليطلة قائلا له: "إنما أنا مولاك وهذا الفتح لك"[3]، دليل آخر على ما نقول، وهي- أي إجابة طارق- تحمل في طياتها أن الفتح كان من جانب واحد، ثم لماذا يتخلى موسى بن نصير عن هكذا فتح وهو الذي عرف بطموحه واندفاعه نحو الفتوحات؟ ويترك مجد ذلك الفتح لمولى من مواليه، بل كيف يغيب عن ذلك الفتح وهو القائد العام ووالي القيروان؟ هذا من جانب، ومن جانب آخر، كيف نفسر اشتراك اثني عشرة ألفا من البربر" ليس فيهم من العرب إلا نفر يسير"[4]، حتى أن المقري يشير إلى مشاركة اثني عشر عربي فقط[5]، لماذا إذن هذه المشاركة الضئيلة من جانب العرب؟ خاصّة إذا علمنا أن موسى بن نصير سيدخل الأندلس لاحقا بثمانية عشر ألف عربي، أليس هذا لإقامة نوع من التوازن العرقي والعسكري، وحتى يتولد بالأندلس لاحقا نوع من التوازن السياسي، ولا يحتكر البربر السلطة لوحدهم؟

إضافة إلى هذا ألا نستطيع اعتبار نقل الجند البربري على متن سفن تجارية لليان، بالرغم من توفر سفن الحرب كتلك التي جهزها موسى لابنه عبد الله الذي فتح بها جزيرتي منورقة[6] وميورقة[1] سنة89هـ-707م[2]، دليلا آخر يثبت ما قلناه؟ ثمّ إن

1- الرقيق، المصدر السابق، ص44.

2- المقري، المصدر السابق، ج1 ص213/ البلاذري، المصدر السابق، ص323/ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ/1995م، ص235/ الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص255/ الحميدي، المصدر السابق، ص13/ الضبي، المصدر السابق، ص16/ تاريخ الأندلس، ص155/ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الإبياري، الكتاب المصري، القاهرة- الكتب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/1989م، ص27/ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1994 ص25/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص43/ عبدالواحد المرّاكشي، المصدر السابق، ص17.

3- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص235/ الذهبي، المصدر السابق، ص255/ الحميدي، المصدر السابق، ص13/ فتح الأندلس، ص25/ عبد الواحد المرّاكشي، المصدر السابق، ص17.

4- ابن الشبّاط، وصف الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965، ص8/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 267/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2 ص 6/ تاريخ الأندلس، ص 153.

5- المقري- المصدر السابق، ج1 ص188.

6- منورقة: جزيرة عامرة في شرقي الأندلس قرب ميورقة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5 ص216/ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص582/ أبو الفداء، تقويم البلدان، مكتبة المثنى ببغداد والخانجي بمصر، تحقيق- ماك كوكين ديسلان، الطباعة السلطانية، باريس، 1930، ص190.

اعتبارنا الفتح الأندلسي كان معارضة بربرية، يؤكده مرة أخرى استمرار الخلاف بين موسى وطارق بالأندلس[3]، والذي يمكن أنه تطور الى خلاف حاد بين العرب والبربر، وإلا لماذا استدعيا إلى دمشق؟

ختاما ومن خلال هذه الأدلة، لا يسعنا سوى القول أن فتح الأندلس سنة 92هـ-711م[4]، كان فتحا بربريا بدون مشاركة العرب الذين سيتمون الفتح عاما بعد ذلك، بقيادة موسى بن نصير.

باغتيال عبد العزيز بن موسى بن نصير- الذي خلف أباه في شؤون الأندلس وولايتها- بإيعاز من الخلافة، خوفا من تمرده جراء ما فعلته السلطة بأبيه، يبدأ عصر الولاة بالأندلس الذي سيتصف بالصراع بين العرب والبربر وزيادة التوتر بينهما، مع العلم أن هذه الفترة تميزت بسياسة وحدة مركزية القرار بالقيروان، وأن أية صيحة ببلاد المغرب سيكون لها صداها و من يتلقفها ببلاد الأندلس.

وهذا ما كان بالفعل عندما ثار بربر المغرب على يزيد بن أبى مسلم[5]، وقتلوه، حينما أراد تخميسهم وكتابة كلمة حرسي على أيدي حراسه حتى يعرفوا من غيرهم، ليوازيه تمرّد آخر بالأندلس يقوده منوسة- الذي تسكت عنه المصادر العربية، والكثير من المراجع المعاصرة- الذي دخل مع جيش طارق وعارض سلطة الولاة بالأندلس.

تستمر معارضة منوسة الذي أصبح حاكم شرطانية بشمال الأندلس إلى غاية ولاية عبد الرحمن الغافقي[6]، الذي لم يستطع الصبر أكثر أمامها، وبخاصة عندما تطورت لتصل

1- ميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس، كانت قاعدة ملك مجاهد العامري، ياقوت الحموي المصدر نفسه، ج5 ص246/ الإدريسي- المصدر نفسه، ج2 ص582/ أبي الفداء- المصدر نفسه، ص191/190.

2- الذهبي- العبر في خبر من غبر، تحقيقمحمد السعيد بن سيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص77.

3- ابن القوطية، المصدر السابق، ص36.

4- كلّ المصادر الرئيسة تثبت أنّ الفتح كان سنة 92هـ وتختلف فقط في الشهور والأيام.

5- يزيد بن أبي مسلم: تقلد للحجاج ديوان الرسائل وكان غالبا عليه، أثيرا عنده، ويقال إنه أخاه من الرضاعة، ولاه يزيد بن عبد الملك في سنة إحدى ومائة افريقية، إبن الابّار،إعتاب الكتّاب، تحقيق صالح الاشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1961/1380/ الرقيق- المصدر السابق، ص 65/64/ ابن الابّار، الحلة السيراء، ج2، ص336/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص48.

6- عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي: أمير الأندلس، وليها في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب افريقية، الحميدي، المصدر السابق، ص243/242/ الضبي، المصدر السابق، ص319/318 ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997/1417، ص 210.

إلى حد محالفة منوسة لأودو، حاكم أكيتانية، ومصاهرته-كما تشير المصادر اللاتينية[1]- مما يعني التصدي وعرقلة الفتوحات الإسلامية باتجاه ما وراء البرتات[2]، وهذا في حقيقته لا يخدم سياسة عبد الرحمن الغافقي التوسعية داخل أوربا مما استدعاه إلى معالجة الموقف بإرسال جيش قضى على منوسة ومعارضته[3].

إستطاع عبد الرحمن الغافقي أن يقضي على منوسة، ولكنه لم يستطع أن يكبح جماح البربر الذين ازداد صراعهم مع العرب ومعارضتهم للسلطة،[4] ومحاولة منه لمعالجة الموقف، قام بحملة عظيمة للفتح والإستقرار في بلاد الغال، ليقود جيشا هاما، أكثره من البربر الذين حملوا معهم أسرهم وأمتعتهم، وبخاصة أولئك القاطنين على أبواب البرتات وأشتوريس بشمال إسبانيا.[5]

حملة عبد الرحمن الغافقي في حقيقتها لم تكن تشبه تلك التي قام بها أسلافه من الولاة، أي من أجل الفتح ثم العودة إلى الأندلس، بل أن هدفها من خلال عدد الجيش وعدته كان من المحتمل هو تهجير البربر وإسكانهم بلاد الفرنج وهذا لخلق نوع من التوازن بينهم وبين العرب، مع ضرب معارضتهم السياسية- التي كانت تزداد حدتها- بتشتيتهم وتمزيق تجمعهم.

كان مصير حملة عبد الرحمن الغافقي الفشل بل الهزيمة الساحقة، ولم تكن هزيمة الجيش ووقوف الحملة في بواتييه من السهل على الأندلس تقبله، بل كان قاسيا وصعبا جدا، ولكن الأقسى والأصعب هو حينما نعلم أن أحد أهم أسباب الهزيمة هي تلك الحزازات واللاإنسجام الذي كان بين العرب والبربر[6]، و الأكثر من ذلك أن هذه الهزيمة ستزيد من الطين بلّة، خاصة مع مواصلة الولاة للسياسة نفسها اتجاه البربر، ومعارضة هؤلاء لها.

1- ذنون طه- دراسات أندلسية- المدار الإسلامي- بيروت- ط1- 2004م- ص 56.

2- حسين مؤنس- المرجع السابق، ص 264.

3- عبد الواحد ذنون- المرجع نفسه، ص60/ حسين مؤنس، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- حسين مؤنس- المرجع نفسه، 264.

5- نفسه، ص315.

6- حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص264/265.

"وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله"،[1] هكذا وصف ابن القاسم الرقيق تصرفات عمر بن عبيد الله المرادي- عامل طنجة من طرف عبيد الله بن الحبحاب[2]، الذي أساء السيرة، وتعدّى في الصدقات والقسم، وأراد أن يخمس البربر،[3] فهذه السيرة وهذه السياسة قد عجلتا انفجار الوضع وقيام البربر بثورة عمت سائر بلاد المغرب سنة 122هـ-739م، منتقمين من ولاة وعمال السلطة التي أساءت معاملتهم، حيث انتصروا عليها في معركتين فاصلتين، الأشراف في واد شلف، التي ذهب فيها حماة العرب وأشرافهم، ثم هزيمة الجيش الشامي الذي بعثه هشام بن عبد الملك[4] للإنتصار للعرب والإنتقام من البربر في بقدورة على وادي سبو[5].

كانت هزيمة الشاميين عند بقدورة سنة 123هـ-740م[6]، شديدة جدا، إلى حد جعلت البربر يفرضون على الفارين منهم في طنجة حصارا خانقا حتمت على هؤلاء طلب النجدة والمساعدة من عبد الملك بن قطن[7] والي الأندلس حين ذاك، الذّي رفض تلبية طلبهم وطمع في موتهم سواء قتلا على يد البربر، أو الموت جوعا جراء الحصار الخانق المضروب عليهم بطنجة.

1- الرقيق- المصدر السابق، ص73.

2- عبيد الله بن الحبحاب، كان واليا على مصر لهشام بن عبد الملك، فكتب إليه يأمره بالمسير إلى إفريقية، وذلك في ربيع الأول، سنة ست عشرة ومائة، إبن الابّار- الحلة السيراء، ج2، ص336/ الرقيق، نفسه، ص71/ الناصري- كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر النّاصري ومحمد النّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1478هـ/1997م، ج1، ص162.

3- إبن الأثير، المصدر السابق، ص416/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص52/ الرقيق، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- بويع له في خمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، القضاعي، المصدر نفسه، ص236/ السيوطي، المصدر السابق، ص 199/197.

5- سبو: "بضم أوّله وثانيه: نهر بالمغرب قرب طنجة من أرض البربر"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص186/ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص248/ إبن القوطية، المصدر السابق، ص43.

6- ابن خلدون- المصدر السابق، ج6، ص، 130/ أخبار مجموعة، ص39/ ابن عذارى، نفسه، ص59/53/ إبن الأثير، المصدر المصدر السابق، ج4، ص416/417/ محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص68/74.

7- عبد الملك بن قطن: أمير الأندلس، وليها سنة خمس عشرة ومائة بعد عبد الرحمن ألعكي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي القيسي الأمير بافريقية، وقتل بالأندلس سنة خمس وعشرين ومائة، الحميدي، المصدر السابق، ص 254/ الضبي، المصدر السابق، ص 232/ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 220/ ابن حزم، المصدر السابق، ص179.

الدولة الأموية بعد هزيمة مروان بن محمد في معركة الزاب سنة 132هـ-749م[1]، ثم قتله بعد ملاحقته في بوصير،[2] بمصر.

بعد هزيمة الأمويين، تربع أبو العباس السفّاح[3] على عرش الدولة العباسية، ولم يستطع أن يبدأ حياته السياسية، إلا بعد أن شفى غليله من بني أمية، الأموات منهم بإنتشالهم من قبورهم وصلب عظامهم، والأحياء بملاحقتهم ومحاولة إبادتهم ابادة جماعية[4]، ولكن هيهات، فقد تمكن البعض منهم- أي من بني أمية- من النجاة بأنفسهم والإفلات من القتل، وبخاصة أولئك الذين اتجهوا صوب بلاد المغرب.[5]

كان من بين الفارين من بني أمية اتجاه بلاد المغرب إسم سيكون له مستقبل عظيم وشأن أعظم، إنه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، أول الداخلين إلى الأندلس من بني أمية بعد محنتهم، ومؤسس دولتهم بها، ومجمل قصة فراره، أن بعد ملاحقة العباسيين لبنى أمية، تمكن هو من الهرب، بعد أن كان في فلسطين وبالذات في نهر أبي فطرس[6].

لم يكن عبد الرحمن يوم فرّ من أبي فطرس وحيدا، بل كان في جماعة كبيرة من بني أميّة ومواليهم، وقد ذكرت أسماء عديدة قتلت في هذا اليوم العصيب، ومنهم إبراهيم بن مسلمة بن عبد الملك وسعيد بن عبد الملك[7] وآخرين، وبعد هذه المذبحة المروّعة مكث مكث عبد الرحمن مختبئا عند القاضي ابن داود في قنّسرين[8]، مدة أربعة أشهر[9]، وفي هذه

1- الطبري، المصدر السابق، ج4، ص352/ الذهبي، المصدر السابق، ج3 ص 335 / المسعودي، المصدر السابق، ص283.

2- بوصير: بكسر الصاد، وياء ساكنة، وراء: إسم لأربع قرى بمصر، بوصير قوريدس بها قتل مروان بن محمد،، ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج1 ص509.

3- بويع لأبي العباس السقاح بالخلافة في رجب سنة132هـ / الدينوري، المصدر السابق، ص388/ السيوطي، المصدر السابق، ص205/ القضاعي، المصدر نفسه، ص255.

4- أخبار مجموعة، ص 52/49.

5- نفسه، ص52.

6- نهر أبي فطرس: بضم الفاء، وسكون الطاء، وضم الراء، وسين مهملة: موضع قرب الرملة من أرض فلسطين، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص315/ أخبار مجموعة، ص 55.

7- إبن حزم، المصدر السابق، ص 103، ينظر كذلك إلى صفحة 91/90.

8- قنسرين: بكسر أوله، وفتح ثانيه وتشديده وقد كسره قوم، ثم سين مهملة، كانت بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 403/ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص 648.

9- إبن حزم، المصدر نفسه، ص 104.

هذه الفترة بالذات قرر عبد الرحمن التوجه إلى بلاد المغرب وبالتحديد إلى القيروان، ولا يعود هذا إلى أن بني أمية كانوا يرون أن مستراحهم بالمغرب[1] وأن أم عبد الرحمن بن معاوية بربرية من نفزة[2]، وإنما يعود إلى سبب رئيس وأساسي، وهو بقاء القيروان موالية لبني أمية وهذا ببقاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري موال لها، وهذا ما يعني أكثر أن هؤلاء الفارين أحسنوا الظن في هذا الرجل واعتقدوا أنه سيحسن مجاورتهم.[3]

كان عبد الرحمن بن حبيب[4] رجل حرب وسياسة، وصاحب شخصية قوية وطموحة، ومن بين ما كان يطمح إليه الاستقلال ببلاد المغرب وتكوين إمارة عربية بها، ومنذ مقتل الوليد بن يزيد سنة 126هـ-743م وبداية تذبذب الخلافة الأموية بالمشرق والمغرب، عرف عبد الرحمن بن حبيب كيف يلعب بأوتار الأوضاع التي تمر بها هذه الأخيرة، ولذلك بايع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[5] وتريّث طويلا قبل أن يخلعه، وفي هذه المدة- أي هذه المرحلة الانتقالية- تدفقت على القيروان جماعة كبيرة من بني أمية، رؤسائها ومواليها، حتى أن عبد الرحمن بن حبيب وجماعة من الفهريين تزوجوا منهم وصاهروهم[6].

بفرار بني أمية ومن بينهم أبناء الخلائف بدأ عبد الرحمن بن حبيب يستشعر الخوف ويعيش القلق، خوفا على مستقبله، وطموحه السياسي، خاصة وأن وجوه بني أمية ورؤسائها ومواليها يستطيعون قلب الوضع، لذا قام بقتل كل من شك في أنه سيقف حاجزا

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص45/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 41/ أخبار مجموعة، ص52.

2- النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص57/ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 261/ ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص 41 / تاريخ الأندلس، ص162.

3- النويري - المصدر السابق، ص59.

4- خلاصة حياة عبد الرحمن بن حبيب السياسية أنه بعد أن جاز إلى الأندلس مع بلج بن بشر بن عياض القشيري ومن كان معه من وجوه أهل الشام في المحرم من سنة 123هـ-740م، حاول التغلب عليها ولكن وصول أبي الخطّار الحسام بن ضرار وال على الأندلس في 125هـ-742م، من قبل حنظلة بن صفوان تعذر عليه ذلك وبمقتل الوليد بن يزيد في سنة126هـ-743م، جمع لقتال حنظلة بن صفوان وأخرجه من إفريقية، للمزيد من معرفة حياته ينظر: الضبي، المصدر السابق، ص 315/الحميدي، المصدر السابق، ص240/ابن الابار- الحلة السيراء، ج2، ص341/ ابن خلدون- المصدر السابق، ج6، ص 131/ الرقيق، المصدر السابق، ص 86 وما بعدها/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص501.

5- الرقيق، المصدر السابق، ص 92 /تاريخ الأندلس، ص 161/ النويري، نفسه، ص59.

6- أخبار مجموعة، ص52/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص61/ النويري، نفسه، ص59/ فتح الأندلس، ص 69/ الرقيق، الرقيق، نفسه، ص 93/ الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص145.

أمام تحقيق طموحه ومطاردة الآخرين الذين تشتّتوا في بلاد المغرب ومنهم عبد الرحمن بن معاوية الذي وفي هذه المرحلة بالذات، بدأ في التنقل مختفيا وسط القبائل البربرية خوفا من ملاحقة عبد الرحمن بن حبيب ورجاله له[1]، وليعطي هذا الأخير للأمور شرعيتها- أي شرعية قتله لبني أمية- قام بمبايعة العباسيين وموالاتهم[2] إلى حين انقضاء مآربه وأغراضه.

كان على عبد الرحمن بن معاوية أن يحسن اختيار مخبئه، لذا ومنذ الوهلة الأولى اختار الاختباء عند موالي بني أميّة وأنصارهم من البربر، وكان أولهم أبا قرة بن وانسوس البربري، وهو من موالي عبد العزيز بن مروان[3]، وبعد إكتشاف أمره إلتجأ إلى قبيلة نفزة عند أخواله ليمضي بعدها إلى زناتة في قرية من سواحلها تسمّى مغيلة[4]، أين أحسن أهلها استقباله وأكرموا مثواه.[5]

في هذه الفترة تغيرت الكثير من الأوضاع بالأندلس حيث ما إن دخلت سنة 136هـ-753م حتى عمت الأندلس مجاعة رهيبة أدت بالكثير من الأندلسيين وخاصة البربر للهجرة إلى المغرب[6]، ومن خلال هؤلاء المهاجرين استطاع عبد الرحمن بن معاوية الذي كان موجودا بساحل المغرب أن يتعرف على الكثير من تفاصيل الحياة في الأندلس، وما تمر به من إضطرابات سياسية وإجتماعية، خاصة تلك الصراعات المستمرة والمتجددة بين اليمنية والمضرية من جهة وبين العرب والبربر من جهة أخرى.

هكذا وبداية من سنة 136هـ-753م، إستطاع موالي بني أمية بالمغرب أن يتواصلوا ويتراسلوا مع أمثالهم من موالي الأندلس وهذا على لسان عبد الرحمن بن

1- الرقيق، المصدر السابق، ص94/95/ أخبار مجموعة، ص56/ المقري، المصدر السابق، ج3 ص307/ فتح الأندلس، ص 70 / إبن عذارى، نفسه، ص41/ إبن الأثير، المصدر السابق، ج4 ص501.

2- إبن الأثير، المصدرالسابق، ج4 ص501/ إبن عذارى، نفسه، ج1، ص67 /الرقيق، نفسه، ص95/ النويري، المصدر السابق، ص59.

3- إبن القوطية، المصدر السابق، ص 44/ فتح الأندلس، ص 161/162.

4- أمّا ابن خلدون فيقول: "..على قوم من زناتة فأحسنوا قبوله واطمأن فيهم ثم لحق بمليلة "، المصدر السابق، ج4، ص145.

5- المقري، المصدر نفسه، ج3، ص307/ إبن خلدون، المصدر نفسه، الصفحةنفسها/ النويري، المصدر نفسه، ص59/ تاريخ الأندلس، ص161/ فتح الأندلس، ص71.

6- أخبار مجموعة، ص62.

معاوية الذي سيمثلهم ويتحدث باسمهم ويؤكد ذلك بدر حيث يقول[1]:" فجمعت لنا الأموية مالا أصلحنا به حالنا، ثم أتينا مغيلة وفيها قبيلة من الزناتيين فهنالك أخذنا في الكتب إلى الأندلس والتدبير"[2]، ومن خلال هذا نستشف أن الترتيبات اللازمة لدخول عبد الرحمن الأندلس سيقوم بها موالي بني أمية هناك ولكن بدون أن ننسى دور موالي بني أمية بالمغرب، خاصة البربر، الذين كان لهم الدور الفعال في حماية عبد الرحمن وتشجيعه على المضي قدما نحو الأندلس، خاصة إذا ما علمنا أن موالي بني أمية بالأندلس كانوا ذوي أصول بربرية وإفريقية وبيزنطية وبما أنهم كانوا على اتصال وثيق بالبيت الأموي فقد عرفوا كذلك بموالي بني أمية،[3] وسنجد أن هذه القرابة بين موالي بني أمية بالمغرب والأندلس والأصول المشتركة ستفرز نتائج أكبر في العلاقة بين العدوتين المغربية والأندلسية على المديين القريب والبعيد.

من الصعب أن نؤكد على فرضية أن عبد الرحمن بن معاوية كان يطلب ملكا أو سلطانا بالأندلس على الأقل في بداية مراسلاته لأن الأوضاع بالأندلس وبالأخص السياسية كانت بيد الفهريين[4] وحلفائهم من القيسية والبربر، والذين إزدادت قبضتهم على الأندلس بعد موقعة شقندة[5] سنة 128هـ-745م، التي كانت بين الصميل بن حاتم[6] وأبي الخطار الحسام بن ضرار[7] الذي دخل الأندلس واليا عليها من قبل حنظلة بن صفوان[1] سنة

1- بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية: يكنى أبا نصر، رومي الأصل، إبن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424/2003، م2، ص246/247.

2- فتح الأندلس، ص71.

3- عبد الواحد ذنون طه، الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، ص359.

4- ابن خلدون- المصدر السابق، ص144/ يذكر ابن حزم قائلا: " وبالأندلس من فهر عدد عظيم"، المصر السابق، ص178.

5- للمزيد من التفاصيل حول موقعة شقندة، يراجع إبن القوطية، المصدر السابق، ص 44/ فتح الأندلس، ص 67/68.

6- الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجو شن الكلابي: دخل الأندلس في طاعة بلج بن بشر فل أصحاب كلثوم وكانت له في قلب قلب الدول وتدبير الحروب أخبار مشهورة، توفي سنة 142هـ-759م، إبن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص67/68/ إبن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص264/ إبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص144/ ابن حزم، المصدر السابق، ص287.

7- هو الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي، ولي إمارة الأندلس في سنة125هـ- 742م، من قبل حنظلة بن صفوان الكلبي والي افريقية، إبن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص61/ الحميدي، المصدر السابق، ص177/178/ الضبي،المصدر السابق، ص237238/ فتح الأندلس، ص58 / إبن حزم، نفسه، ص457.

125هـ-742م، لإصلاح ما كان بين اليمنية والقيسية، بدون أن ننسى قوة الفهريين بالمغرب واتصالهم الوثيق ببني عمومتهم بالأندلس، حتى أن ابن خلدون يشير إلى أن عبد الرحمن بن حبيب هو من أقام ثوابة بن سلامة العاملي واليا على الأندلس[2]، من خلال هذا نستنتج أن ما لاقاه عبد الرحمن بن معاوية بالمغرب كان بالتأكيد سيلقاه بالأندلس و كيف لا ووالي الأندلس يومئذ والمتغلب عليها هو يوسف بن عبد الرحمن الفهري أحد أقرباء عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية[3].

ولنستدل أكثر على ما نقول من أن عبد الرحمن بن معاوية لم يكن سوى طالبا للأمان والحماية، هو توجه أنصاره ومواليه إلى الصميل بن حاتم،- اليد اليمنى ليوسف والمتحكم فيه- لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يحمي صقر قريش من بطش يوسف الفهري والفهريين بصفة عامّة، الذين يخشون على نفوذهم واستقلالهم بالأندلس[4]، ولعل رسالة عبد الرحمن إلى مواليه بالأندلس والتي نقلوها بدورهم إلى الصميل لتعبر على ما نقول أحسن تعبير حيث قالوا له بصريح العبارة:"إن عبد الرحمن بن معاوية نجا إلى بلاد البربر وهو مقيم فيه خائف على نفسه وأتتنا وصيته يسأل الأمان في نفسه ويتوسل إليك بما قد علمته وأنت ذاكر له ذلك"، فقال حينها: "نعم وكرامة"[5].

1- حنظلة بن صفوان، كان عاملا على مصر، ولاه عليها هشام بن عبد الملك سنة119هـ-737م، فأقام عليها حتى وجهه إلى إفريقية سنة 124هـ-741م في شهر ربيع الآخر منها، الرقيق، المصدر السابق، ص79/النويري، المصدر السابق، ص216/ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص130.

2 - ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص144/يذكر صاحب فتح الأندلس، أن ولاية ثوابة بن سلامة كانت في رجب من سنة 127هـ، وهو تاريخ جد مستبعد، ص 63.

3- يذكر صاحب فتح الأندلس، أن بعض الروايات تشير إلى أن عبد الرحمن بن حبيب هو والد يوسف بن عبد الرحمن، ص65/ ينظر ابن حزم، المصدر نفسه، ص278/ ابن الخطيب، المصدر السابق ج4، ص296/ ابن القوطية- المصدر السابق، ص44، مع العلم أن ابن حيان ينفي هذه القرابة، ينظر ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص.347.

4- ينظر قول خالد بن زيد ليوسف بن عبد الرحمن الفهري بعد قتله لخصومه:" فمن ذا يعارضك بعدهم؟ هي والله لك ولولدك إلى الدجال"، ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص346/ أخبار مجموعة، ص73/ إلا أن صاحب أخبار مجموعة يذكر أن صاحب هذا القول هوالصميل بن حاتم.

5- ابن القوطية، المصدر السابق، ص46/هناك نص آخر يؤكد ما قلناه، ينظر أخبار مجموعة، ص66.

خرج يوسف بن عبد الرحمن والصميل بن حاتم سنة 137هـ-754م لمحاربة عامر بن عمرو القرشي العبدرى[1] والحباب بن رواحة الزهري اللذان احتفظا بسرقسطة بعد محاصرتهما لها وخروج الصميل منها منهزما، وكان لا بد لموالي بني أمية أن يشاركوا في هذه الحملة، وبخاصة وأنهم أصبحوا منذ اندثار الدولة الأموية في صف يوسف والصميل، ولكن هذه المرة وقبل أن يخطوا أية خطوة عادوا إلى الصميل وذكروه برسالة عبد الرحمن بن معاوية لتكون إجابته هذه المرة عكس ما كانوا يتوقعونه تماما حيث قال لهم:" هذا رجل قد حكمنا عليه...وأنا أعلمكما أن أول سيف يسل عليه فسيفي...فان أحب غير السلطان فله عندي أن يواسيه يوسف ويزوجه ويحبوه.[2]

ليس من الغرابة أن يكون رد فعل الصميل هذه المرة بهذه القوة والصرامة، لأنه من خلال فطنته وتجربته السياسية أدرك أن دخول ابن معاوية إلى الأندلس سيسبّب العديد من المتاعب له وليوسف، وأنه سيطلب الملك عاجلا أم آجلا لأن الأطراف المناوئة للقيسية وتلك الباحثة لها عن مكان اجتماعي وسياسي راق هي من ستحركه وتحضه على طلب هذا الملك مستغلة إياه في تحقيق مآربها والوصول إلى أطماعها، وليس من المجازفة القول أن تخوفات الصميل كانت على جانب كبير من الصحة، خاصة وأن إصرار موالي بني أمية على إدخال عبد الرحمن بن معاوية يدعو إلى هذه التخوفات وإلى الكثير من الشكوك، وممّا لم تذكره المصادر والمراجع- التي بين أيدينا- وتغافلت عنه، أن موالي بني أمية أصروا على استقدام إبن معاوية لأنهم يعلمون جيدا أن بقاء الأندلس على هذه الأوضاع سيجعلها تحن إلى أحضان الخلافة العباسية وفي حال عودتها اليها فإنهم يعلمون كذلك أن مصيرهم سيكون كمصير الآخرين أمثالهم من موالي بني أمية بالمشرق والمغرب وهو فقدان كل الإمتيازات التي يملكونها بما فيها مكانتهم الإجتماعية والسياسية، والحقيقة أن هؤلاء الموالي كانوا على صواب لأن الأندلس نراها وبداية من هذه الفترة

1- هو عامر بن عمرو بن وهب بن مصعب، كان أحد رجالات قريش بالأندلس، وكان يلي المغازي والصوائف قبل يوسف بن عبد الرحمن الفهري، راسل أبا جعفر المنصور يخطب إليه ولاية الأندلس، فرّ عن قرطبة وصار بناحية سرقسطة حيث الصّميل يبغي الفساد عليه"، إبن الأبّار، المصدر السابق، ج2، ص344/345/ أخبار مجموعة، ص 63/ فتح الأندلس، ص 71.

2- أخبار مجموعة، ص 71/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص46/ فتح الأندلس، ص75.

وعبر التاريخ اللاحق لها، كلما عاشت محنة إلا ورفع أحد أبنائها المعارضين، شعار الدعوة العباسية ونادى بالانتماء إليها وحارب بإسمها[1].

بعد خروج الصميل ويوسف إلى سرقسطة[2] أسرع موالي بني أمية إلى استقدام عبد الرحمن بن معاوية واستغلال فرصة فراغ جنوب الأندلس من القيسية ومن أنصار يوسف الفهري، ليتوجه أحد عشر رجلا من ممثلي موالي بني أمية، إلى مغيلة، ويعودوا أدراجهم إلى الأندلس بصحبة صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية[3] الذي سيلقب بعبد الرحمن الداخل، كونه أول من دخل من بني أمية إلى الأندلس، لتفتح بذلك صفحة جديدة من صفحات تاريخ الأندلس.

كان وصول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس في شهر ربيع الأول من سنة 138هـ-755م[4]، حيث نزل أول الأمر بالمنكب[5] أين التقاه رؤساء الموالي، وهما أبو عثمان عبيد اللّه بن عثمان، وعبيد الله بن خالد[6] اللذان كانا قد قطعا شوطا كبيرا في تحضيرهما لهذا الحدث[7] ولم يكن من السهل على عبد الرحمن أن يتحرك بسهولة في مدة

1- عاشت الأندلس هذه الظاهرة حتى وقت متأخر من تاريخها وعلى سبيل المثال ما فعله محمد بن يوسف بن هود الجذامي(ت 635هـ) حين دعا إلى الخليفة المستنصر بالله العبّاسي(ت649هـ)، ينظر ابن الخطيب- المصدر السابق، ج2 ص75/ ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومجموعة من الأساتذة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ص277/ إبن خلدون، المصدر السابق، ج4 ص203.

2- سرقسطة تتصل بأحواز تطيلة، وهي شرق من قرطبة، أطيب البلدان بقعة وأكثرها عدة، إبن غالب، فرحة الأنفس، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، م1، ج2، القاهرة، ربيع الأول، نوفمبر1955، ص287/ أبو الفداء- تقويم البلدان، تحقيق ماك كوكين ديسلان، م- رينود، الطباعة السلطانية، باريس، 1830، ص181/ يضيف شمس الدين الدمشقي: وتسمى المدينة البيضاء لأن سورها مبني بالرخام الأبيض- نخبة الدّهر في عجائب البرّ والبحر، تحقيق: أ- ميران، 1923، ص246/ وللمزيد من التفاصيل، يراجع، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص212.

3- صقر قريش لقب أطلقه أبو جعفر المنصور على عبد الرحمن الدّاخل، ينظر: إبن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، آذار، 1956، ص 9/ إبن الأبّار، المصدر السابق، ج1، ص35/ إبن شاكر الكتبي، وفاة الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، ص 302.

4- النويري، المصدر السابق، ص60/ إبن خلدون، المصدر السابق، ج4 ص145/ المقري، المصدر السابق، ج1، ص261/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2 ص44/ فتح الأندلس، ص163/ يذكر صاحب أخبار مجموعة أن ذلك كان في شهر ربيع الآخر من سنة138، ص72.

5- المنكب: بالضم ثم الفتح، وتشديد الكاف وفتحها، وباء موحدة، وهو بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال إلبيرة، بينه وبين غرناطة أربعون ميلا، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص216/ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص564/ Levi- provençal- la description de l'Espagne d'Ahmed Al razi-p.68.

6- عبيد الله بن عثمان وعبيدالله بن خالد: من موالي عثمان بن عفان (ض)، كانا يتوليان لواء بني أمية مع رئاسة جند الشام النازلين بكورة إلبيرة، المقري، المصدر نفسه، ص307.

7- فتح الأندلس، ص85/ إبن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص 46.

الستة أشهر الأولى من دخوله الأندلس، لأن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كان يملك من الحلفاء والأنصار والموالي والمكانة في الأندلس، أكثر بكثير مما كان يملكه عبد الرحمن الداخل في هذه الفترة، وبخاصة وأن الصميل وقومه من القيسية كانوا ومواليهم من البربر، في صف يوسف، حيث إستفادوا بالكثير من المزايا من جاه وثروة في عهده.

أجبرت قوة يوسف السياسية ومكانته الإجتماعية موالي بني أمية على إخفاء عبد الرحمن الداخل في الجبال[1]، خوفا عليه من الإغتيال والمؤامرة، مع تحركهم باستمرار من أجل الاستفادة من الأطراف المناوئة لسلطة يوسف والصميل، خاصة اليمنيين الذين كانوا حاملين لغل شديد وحقد دفين على القيسية[2] الذين استحوذوا على كل الإمتيازات دونهم وبالأخص بعد موقعة شقندة، وهذا بدون أن ننسى البربر الذين هم كذلك كانوا يبحثون عن أجواء أخرى يحققون من خلالها أغراضهم وبشكل أكبر السياسية بعد أن نفذت ذخيرتهم في ثورتهم بماردة وتغلب ثعلبة بن سلامة عليهم وأسره على الأقل لألف منهم، وبيعهم في الاسواق بيع الرقيق[3].

في هذه المدة وإضافة إلى عدد الموالي الأمويين الذين كان يبلغ مابين 400 الى 500 فرد[4]، استطاع عبد الرحمن أن يستقطب أنصارا جدد من أولئك المعارضين للصميل للصميل ويوسف لسبب أو لآخر[5]، ليبدأ في تحركاته متنقلا بين أنصاره، مظهرا الآن حقيقة أخرى وهو أنه رجل يطلب السلطة، وأنه يستطيع بمن معه من الأمويين واليمنية والبربر أن يفرض نفسه، وبالرغم من إجابة اليمنيين وزعيمهم أبى الصباح اليحصبي لموالي عبد الرحمن بمناصرة هذا الأخير والأخذ بيده، فإن الدور الكبير في تهيئة بيت عبد الرحمن وترتيبه يعود في الواقع إلى البربر الذين ساندوه بقوة، ولكن بحذر شديد، حيث لم

1- نفسه، ص83/ إبن عذارى، المصدر نفسه، ج2 ص44.

2- المقري، المصدر السابق، ج3، ص308/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص44/ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص23.

3- فتح الأندلس، ص58/ يذكر صاحب أخبار مجموعة أن هذه الثورة كانت بين البلديين العرب والبربر ضد الشاميين، ويضيف، يضيف، أن هؤلاء المعارضين كان جلهم البربر، ويوافقه في هذا إبن القوطية، ونحن نرجح رواية صاحب فتح الأندلس لأنها أقرب إلى الواقع الذي كان يجمع بين العرب البلديين والبربر من جهة وبين هؤلاء والشاميين من جهة أخرى، ينظر، أخبار مجموعة، ص 48/47/ إبن القوطية، المصدر السابق، ص43/42.

4- المقري، المصدر السابق، ج3، ص307.

5- إبن الكر دبوس، المصدر السابق، ص56/ أخبار مجموعة، ص 74.

تأت هذه المساندة إلا بعد مبايعة عبد الرحمن الداخل من طرف سكان رية وجند الأردن بالإمارة في عيد الفطر من السنة نفسها[1]، وهذا يعني أن البربر قد إستفادوا من تجاربهم السابقة، وأصبحوا يملكون نضجا سياسيا مقارنة مع ما كانوا عليه فيما قبل.

بعد المبايعة أمده بنو الخليع لوحدهم ب: 400 فارس[2]، حيث بايعه عبد الأعلى بن عوسجة زعيمهم وكبيرهم بتاكرنا[3]، وعندما تقدم إلى شذونة[4]، تلقاه جد بني إلياس في عدد كثير[5] وبايعه هو وقومه، ناهيك عن بربر رية الذين بايعوه مع زعيمهم إبراهيم بن شجرة[6].

حينما علم يوسف بما يخطط له عبد الرحمن، وما يقوم به من إستعدادات للحرب توجه إلى إشبيلية، ليقوم عبد الرحمن بإعمال الحيلة والمكر فيتوجه إلى قرطبة[7]، محاولا إمتلاكها لولا فطنة يوسف والصميل اللذان لحقاه وتسابقا معه قبل دخوله إليها، ويعود سبب خروج عبد الرحمن إلى قرطبة لسببين اثنين، أولهما أن عامة من فيها من موالي الأمويين، وبالتالي فهم يستطيعون حماية عبد الرحمن في حالة انهزامه أو حتى محاصرته من طرف يوسف، أما ثانيهما فقد كان جيش عبد الرحمن بحاجة إلى المساعدة وبالأخص الغذائية فأرادوا تقوية أنفسهم بدخولها والانتصار بأهلها[8]، ومع هذا فقد تحقق بعض ما أراده عبد الرحمن حيث التحق به عندما بلغ المصارة" كل من قوّته نفسه على ذلك من اليمنية وبني أمية من أهل قرطبة"[9].

1- فتح الأندلس، ص86/ إبن القوطية، المصدر السابق، ص47.

2- إبن القوطية، المصدر نفسه، ص48.

3- تاكرونة: بالواو الساكنة، ناحية من أعمال شدونة بالأندلس متصلة بإقليم مغيلة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7/ إبن غالب، المصدر السابق، ص295/ تاريخ الأندلس، ص124.

4- شذونة: مدينة أزلية كانت من قواعد الأندلس، ذات خصب كثير جدا ومرافق عظيمة المنافع في البرّ والبحر، بلد زرع وضرع وزيتون وخيرات، تاريخ الأندلس، ص 115و للمزيد من التفاصيل ينظر: إبن غالب، المصدر السابق، ص 294/ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص537/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص329.

5 إبن القوطية، المصدر السابق، ص48.

6- النويري، المصدر السابق، ص60.

7- أخبار مجموعة، ص 80.

8- أخبار محموعة، ص80.

9- نفسه، ص80.

في موقع المصارة القريب من قرطبة توقف الجيشان متقابلان يفصل بينهما نهر قرطبة الذي كان منسوب مياهه أعلى بكثير إلى غاية يوم الخميس لتسع ليال مضين من ذي الحجّة أي يوم عرفة[1]، وفي يوم الغد هاجم عبد الرحمن الداخل جيش يوسف الذي تدعي المصادر أنه كان متغافلا لأن صلحا ما كان سينعقد بين الطرفين[2] وافق عليه عبد الرحمن كشكل من أشكال الخديعة التي انطلت على يوسف وجيشه، وأسفرت عن هزيمته شر هزيمة[3].

والحقيقة أننا لا نستطيع تأكيد ما تداولته المصادر بشأن الصلح، كما أن إيماننا بخديعة عبد الرحمن ليوسف والصميل إيمان ضعيف جدا، ويعود هذا من وجهة نظرنا إلى أنه من المستبعد جدا أن يكون يوسف هو من يطلب الصلح خاصة وأن عدد جنوده أضعاف عدد جند عبد الرحمن الذي لم يتجاوز الثلاثة ألاف[4]، وهذا ما أعلمه- أي عبد الرحمن الداخل- الداخل- به مواليه فيما قبل خروجه إلى قرطبة، وذكروه بأن" جماعة الناس مع يوسف"، إضافة إلى وضعية جيشه المزرية حتى من ناحية الأمن الغذائي حيث كانوا في ضيق من المعاش، إلى حد أنهم ما كانوا يتقوتون إلا بالفول الأخضر"[5]، فهذا الواقع الذي عاشه عبد الرحمن وجيشه، مع التباين العددي فيما بين الجيشين لا يتيح لنا فرصة الإرتياح لهذه المسألة، وما نعتقده أن المصادر- وبشكل أخص الأموية منها - كانت تريد دائما إضفاء صبغة البطل الذي لا يقهر على عبد الرحمن الداخل ووضعه في صف الأقوى والمهاجم، لا في صف المنكسر والمدافع، هذا من جانب، أما من الجانب الآخر أي مباغتة عبد الرحمن وجيشه للطرف المقابل المتاغفل وغير المستعد بدعوى إيمانه بالصلح المزيف فهذا من غير الممكن أن يكون في حالة كهذه، فالجيشان متقابلان لا يفصل بينهما سوى نهر انحسر ماؤه بشكل كبير، كما أن قادة هذا الطرف كيوسف الفهري الذي كان يحارب

1-نفســه/ تاريخ الأندلس، ص164/ فتح الأندلس، ص87/ إبن عذارى، المصدر السابق، ص46.

2- أخبار مجموعة، ص81/ فتح الأندلس، ص88/ تاريخ الأندلس، الصفحة نفسها/ النويري، المصدر السابق، ص60/ إبن عذارى، المصدر نفسه، ص47/ إبن الخطيب، الإحاطة، ج4 ص297.

3- إبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص146/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص47/النويري، المصدر السابق، ص60/ فتح الأندلس، ص89/ تاريخ الأندلس، ص164/ أخبار مجموعة، ص82/ إبن القوطية، المصدر السابق، ص50.

4- فتح الأندلس، ص86/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص46

5- فتح الأندلس، ص80.

في الثغور، والصميل بن حاتم وما عرف عنه من دهاء وحنكة سياسية لا يستطيعان الإغترار بخدعة كهذه من عبد الرحمن الداخل ويتغافلان عنه وعن حركات جيشه ويأتمنانه على أنفسهما.

ومحاولة منا لحل هذه العقدة وإدراك أسباب هزيمة يوسف والصميل، وبعد القراءة المتأنية للمصادر، نجد أن صاحب أخبار مجموعة يذكر أن خالد بن سودى البربري الذي وضعه يوسف كقائد على خيل غلمانه وصنائعه البربر إنهزم بميمنة الجيش حيث يقول بصريح العبارة "وطار خالد بن سودى ومن معه"[1]، فهذه العبارة مع عملية إستقراء كامل لحياة عبد الرحمن الداخل وأساليبه العسكرية والسياسية نستطيع الإحتمال وبنسبة كبيرة أن سبب هزيمة يوسف الفهري وحليفه الصميل كان من خلال تواطؤ البربرالذين في جيشهما تحت قيادة خالد بن سودى مع بربر وموالي عبد الرحمن، والذي يجعلنا نرجح هذا الرأي هو إعادة هذا الفعل مرة أخرى وفي مناسبة لاحقة كصورة طبق الأصل عندما ثار عبد الغفار اليحصبي اليمني، وفي جيشه العديد من البربر ضد عبد الرحمن الداخل ليطلب هذا الأخير من مواليه مخاطبة بني عمومتهم والتواطؤ معهم، وفعلا كان ما يريده الداخل، حيث انهزم أولئك البربر فارين من المعركة محدثين بذلك بلبلة في صفوف جيش عبد الغفار اليحصبي الذي فقد بذلك أكثر من ثلاثين ألف قتيل من جنوده[2].

وهكذا انتهت المعركة بإنتصار عبد الرحمن الداخل على خصومه يوسف وحلفائه من القيسية جراء هذا الدور الذي قام به البربر، ليدخل عبد الرحمن قرطبة في اليوم ذاته أي يوم الجمعة، وبعد أن ألقى خطبته، بويع له فيه كأمير للمؤمنين، فاتحا بذلك عهدا جديدا ومؤسسا لمحطة أخرى من محطات تاريخ الأندلس.

1- أخبار مجموعة، ص82.

2- سنتناول هذه الثورة بالتفصيل عند معالجتنا لثورات اليمنية ضد عبد الرحمن الداخل.



المعارضة البربرية في فترة تأسيس الامارة الأموية.

الموالاة البربرية في فترة تأسيس الامارة الأموية

الأطر السياسية لعبد الرحمن الداخل: ليس من المعقول أن يكون هناك تباين بين شخصية الحاكم وبين أساليبه السياسية والعسكرية، لأن شخصية هذا الأخير بما تحمله من تركيبة نفسية وفكرية هي التي تتحكم في إعطاء نوع الأساليب وأنواع التسيير، وهذا ما نجده عند الأمير عبد الرحمن الداخل، فنفسية هذا الأخير التي تعاطت الخوف والتشرد[1]، جعلته لا يرتاح إلى أي أحد، فهو"شديد الحذر، قليل الطمأنينة"[2]، وهذه الصفة جعلته قاسيا شديد الحقد[3]، إلى حد أن انتصاره على العلاء بن مغيث، جعلته يعلق بطاقة على أذن كل شخص مقتول بعد أن يقطع رأسه، ويرسل الرؤوس إلى القيروان ورأس العلاء إلى مكة[4]، مكة[4]، ومما يلفت نظر المتتبع لحياة عبد الرحمن السياسية التي قضاها في إخماد الثورات المتعاقبة في وجهه يجده حقيقة" سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة"[5]، كما أن مبدأ الشك الذي كان يستعمله في كل مناسبة جعله يقضي تقريبا تقريبا على كل من أعانه في تأسيس الإمارة كأبي الصباح يحيى اليحصبي، وبدر مولاه[6] وأبي عثمان "الذي عندما توطدت دولة الداخل إستغنى عنه وعن أمثاله"[7] بل وعلى الكثير من أقربائه ومنهم ابن أخيه عبد الله بن أبان بن معاوية وابن عمه عبد السليم بن يزيد، الذان قتلهما سنة 165هـ-781م، وبعد ثلاث سنوات قتل ابن أخيه المغيرة بن الوليد، وغرّب أبا هذا الأخير إلى العدوة المغربية[8].

إذا كانت المصادر بدون استثناء تشير إلى فصاحة عبد الرحمن الداخل وإلى شعره فلا مناص من الإدلاء أنه كان وقبل كل شيء شخصية عسكرية قيادية، فهو لم يكن يهدأ إلا ليضرب، وهذا ما جعله يحافظ على إمارته لمدة ثلاث وثلاثين سنة، وما يدل أكثر على هذه الشخصية هو إستعماله للجند، خاصة وأن الإمارة الأموية لم تقم على عصبية قبلية

1- إبن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 7.

2- إبن الخطيب، الإحاطة، ص365/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص313.

3- المقري ، المصدر نفسه، ج1، ص 288/ يراجع كذلك المصدر نفسه-عن ابن حيان- ص260.

4- سنتناول هذه الثورة بالتفصيل عند معالجتنا لثورات اليمنية ضد عبد الرحمن الدّاخل.

5- إبن الخطيب، الإحاطة، الصفحة نفسها/ المقري، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6- المقري، نفسه، ج3 ص319/ ابن الخطيب، المصدرنفسه، ج1، ص247.

7- المقري، المصدر السابق، ص319.

8- فتح الأندلس، ص107/106/أخبار مجموعة، ص105/100.

بقدر ما قامت على عصبية الجند وهذا ما ذكره الخليفة العباسي حينما وصف عبد الرحمن الداخل قائلا: "فاقتحم جزيرة شاسعة المحل، نائية المطمع، عصبية الجند، ضرب بجندها بخصوصيته، وقمع بعضهم ببعض، بقوّة حيلته"[1].

يلاحظ في سياسة الداخل اعتماده على مركزية السلطة ووحدتها ولهذا فهو لم يحاول أن يضرب اليمنية بالقيسية، أي يضرب على الوتر الحساس وهي العصبية القبلية، بل نجده قد ضرب كلاهما الواحد تلوى الآخر بجنده، وبالتالي فقد استفاد من أخطاء أسلافه بالمشرق، بعد أن علم أن أحد أهم أسباب سقوط هذه الدولة هي استغلالها للعصبيات القبلية، وفي الحقيقة لم يكن من السهل محو أو فصل هذه العصبية القبلية التي أضحت كعقيدة في الحياة السياسية أو الاجتماعية بالنسبة للأندلسيين، بعد أن عايشوها لسنوات طوال في عصر الولاة، بدون أن نتغافل على أن هذه العصبية كانت تتسبب في خطر كبير على مبدأ مركزية السلطة الذي تبناه عبد الرحمن الداخل الذي كان عليه إيجاد حلول لهذه الإشكالية.

لم يكن من السهل مقاومة عقيدة الولاء للقبيلة كفكرة وواقع- كما ذكرنا - لأن الحروب التي قادها ضد الفهريين والقيسيين ثم اليمنيين جعلته يؤمن بإستحالة زوال هذه الفكرة، على الأقل في تلك الفترة، لذا إلتجأ إلى جلب البربر من العدوة المغربية[2]، بعد أن حفزهم وشجعهم بإمتيازات ومغريات مادية ومعنوية، جاعلا منهم الجيش الذي يعود فقط بولائه إلى سلطة الإمارة بدون أي ولاء آخر، والمتتبع للتاريخ الأندلسي يجد أن تأسيس جيش يوالي السلطة وحدها كانت فكرة جد مبكرة عن فترة المنصور بن أبي عامر[3]، ومبتكرها هو عبد الرحمن الداخل مع اختلاف في التصور والتجربة- ومع إختلاف في الظروف كذلك- فالمنصور بن أبي عامر هو الآخر استجلب من رؤساء البربر وحماتها

1- المقري، المصدر السابق، ج1 ص261.

2-نفسه، نفسه، ج3، ص313/ فتح الأندلس، ص 104.

3- هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، حاجب الأندلس الأندلس في دولة المؤيّد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله، والغالب عليه، دانت له أقطار الأندلس كلها، وأمنت به، ولم يضطرب عليه منها شيء أيام حياته، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص268/269/ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص57/ ابن خاقان، مطمح الأنفس، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 1422/2001/الحميدي، المصدر السابق، ص69/ الضبي، المصدر السابق، ص99.

وأنجادها من بلغه فروسيته وشدته، إضافة إلى هذا فإن المنصور بن أبى عامر شكل جيشا من مختلف القبائل وكل وحدة أو فرقة عسكرية تضم أفرادا من مختلف هذه القبائل والعشائر،[1] وهذا فقط لتكوين جيش ثابت من جانب، وضرب العصبيات العربية من جانب آخر كما أراد عبد الرحمن الداخل فعله تماما.

إضافة إلى هذا اتبع عبد الرحمن سياسة تقليم أظافر رؤساء القبائل والعصبيات حتى أولئك الذين ساعدوه في تمهيد وتأسيس الإمارة وبخاصة اليمنيين منهم، والحقيقة أن من يرى هذه الأفعال من زاوية ما فإنه حتما سيرسم صورة مشينة وبشعة لعبد الرحمن الداخل، ولكن من زاوية أخرى نرى أن عبد الرحمن الداخل لم يستعمل هذه الطريقة من أجل فترة حكمه هو فقط، بل من أجل الفترات اللاحقة، بمعنى أنه كان يحضر ويرتب توريث الحكم لأبنائه وتنقية كل من يعكر جو هذا الحكم.

بمثل هذا الطموح، بيّن عبد الرحمن الداخل لكل الأندلسيين أن عهد الولاة قد انقضى ولن يعود، وستدخل الأندلس عهدا جديدا يقوم على أساس توريث الحكم في سلالة بني أمية، وما على رموز الأندلس من رؤساء القبائل العرب والفئات الأندلسية الأخرى سوى أن تطمس حتى لا تثير الغبار في وجه الأمراء اللاحقين خاصة والكل يعلم أن هذه الرموز ما رضيت بعبد الرحمن أميرا إلا لحاجة في نفس يعقوب.

أمّا بالنسبة للبربر فقد اختلفت سياسة الداخل معهم حيث وزنهم بمكيالين، فالبنسبة للموالين له إستخدمهم في جيشه، حيث رغبهم واستعملهم في حكمه، أما المعارضين والموالين للأطراف الأخرى أو من قاموا بثورات ضده، كشقيا بن عبد الواحد المكناسي أو إبراهيم بن شجرة وآخرين فقد استعمل معهم الكثير من الأساليب السياسية المعتمدة على الدهاء والمكر، كسياسة" فرّق تسد"، والاغتيالات من خلال شراء الذمم، وإعطاء أصحابها المناصب، كما أن عبد الرحمن الداخل ما كان يضرب أعدائه جملة واحدة بل منفردين بعد أن يفرقهم بدهائه ومكره، وبما أن البربر كانت تتحكم فيهم نزعة الموالاة أو

1- عبد الله بن بلكين- كتاب التبيان، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م ص31.

المعارضة، أي ليس هناك مجال للحياد، وجب على الأمير عبد الرحمن مسايرة هذه النزعة واستغلالها لمصلحته.

ومن بين الأمور التي تلاحظ على البربر هي تحكم العشيرة لا القبيلة بكاملها، وما نقصده أن الوحدة القبلية كانت قد تفككت في هذه الفترة، بين بلديين ومهاجرين جدد، وبين موالاة ومعارضة، كموالاة بربر زناتة للأمويين منذ عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه، الذي أسلم على يديه زعيمهم وزمار بن صولات في المدينة[1]، ومنذ تلك الفترة إختص صولات وسائر الأحياء من مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بني أمية وكانوا خاصة لهم دون قريش، وظاهروا دعوة المروانية بالأندلس رعيا لهذا الولاء"[2]

من بين الإشكاليات التي يصادفها الباحث وهو يتناول الخصائص السياسية لعبد الرحمن الداخل دعاؤه في السنوات الأولى من حكمه لأبي جعفر المنصور، فابن حزم مثلا يذكر أن "عبد الرحمن بن معاوية خطب لأبي جعفر المنصور أعواما"[3]، وأمام ما تطرحه هذه المصادر نقف عاجزين عن فهم دعاء عبد الرحمن لأولئك الذين شردوه وقومه، وأرادوا قتله، أهي فكرة سياسية أراد من خلالها تمويه معارضيه حتى لا يضربوه من زاوية أنه يريد الاستقلال عن الخلافة العباسية؟- وبخاصة وأن هناك من يذكر أن يوسف الفهري كان يدعو لأبي جعفر المنصور[4]- أم تعود هذه التبعية ولو كانت صورية إلى مسألة دينية وهي أن عبد الرحمن الداخل لم يكن ليتخلى عن هذه الخلافة لأن الإسلام يمنع الخروج والإنشقاق عنها؟.

ما نعتقده هو أن عبد الرحمن الداخل في أول حكمه ما دعا لأبي جعفر المنصور إلا للأسباب التالية:

1- إبن خلدون،المصدر السابق، ج6، ص122.

2- نفسه،ج7، ص30/ مفاخر البربر، ص 95، مع العلم أن صاحب مفاخر البربر يطلق على وزمار بن صولات إسم : صولات بن وزمار، ينظر الصفحة نفسها.

3- ابن حزم، نقط العروس في تاريخ الخلفاء، نشر cristian federico seybold in Revisita del centro de estudios historicos de Granada y su Reino1911 , p18/ إبن خلدون،المصدر السابق، ج4، ص146/ فتح الأندلس، ص 94/ يذكر ابن الأثير أن عبد الرحمن الداخل خطب لأبي جعفر المنصور عشرة أشهر، أما صاحب تاريخ الأندلس فيقول:" وخطب لأبي جعفر المنصور إمام الجمعة سنتين ثم قطع الدعاء له"، ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص209/ تاريخ الأندلس، ص165/ أما ابن عذارى فيذكر مباشرة بعد عقد الصلح بين الطرفين، أملا بلعن المسودة وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور، ج2، ص48.

4- فتح الأندلس ص94.

أولا لأن عبد الرحمن الداخل في أشهره الأولى كان الوحيد من بني أمية وما سمي بالداخل إلا لأنه أول من دخل الأندلس منهم[1]، وبالتالي فإنه كان ينتظر دخول أقربائه وعشيرته ليتقوى بهم، وهذا ما كان بالفعل، حيث ما خطب لنفسه إلا بعد أن وفد عليه بنو أمية من الشام ومصر وإفريقية[2]، الذين أغدق عليهم المناصب الكبيرة، حيث يقول إبن الخطيب:" فلحق به عدد منهم تجددت بهم الدولة"[3].

ثانيا: كان عبد الرحمن الداخل يجس نبض العدوة المغربية من خلال ما كان يحدث فيها من أحداث، ولما علم بتطور المد الخارجي من جهة، ومحاولات الفهريين في الاستقلال بالمغرب من جهة أخرى أدرك أن هذه الأحداث ستكون السد المنيع في وجه الدعوات العباسية خاصة وأن قوة البربر ببلاد المغرب التي كان من الممكن أن تشكل خطرا عليه كانت ضدّ العبّاسيين، والذي يتتبع الدفاتر السياسية اللاحقة لعبد الرحمن الداخل سيلاحظ تلك العلاقات السياسية بينه وبين الدولة الرستمية، لأنه يعلم أن كلاهما عدوا للعباسيين، وأن الدولة الرستمية ستمنع عنه كل خطر عباسي.

أما ثالثا، فهو نزع أو استحواذ عبد الرحمن الداخل لكل إمتيازات يوسف الفهري والصميل بن حاتم اللذان حقيقة كانا يشكلان خطرا على إمارة عبد الرحمن الداخل.

خلاصة القول أن دعاء عبد الرحمن الداخل لأبي جعفر المنصور ما كان سوى تدبيرا سياسيا يتجنب من خلاله الكثير من المتاعب في بداية حكمه، مع العلم أنه ما لقّب نفسه إلا بلقب الأمير، وربما يعود هذا لاحترامه لمفهوم الخلافة.[4]

دور البربر في معارضة الفهريين: من خلال ما ذكرناه نجد أن البربر كانت لهم دائما مواقف وأحداث وشمت إسمهم في ذاكرة الأندلس، ومن بين الأحداث التي ساهموا في صناعتها وكان لهم دور بارز فيها تلك التي شاركوا فيها الفهريين معارضتهم لسلطة

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص146/ إبن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص356.

2- تاريخ الأندلس، ص165/ يقول صاحب فتح الأندلس :"قدم رجال من بني أمية قاصدين الأندلس فولاهم الكور وأجزل صلاتهم" ، ص95.

3- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص8.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص147.

عبد الرحمن الداخل، بدون أن ننسى قوة الفهريين وتاريخهم الكبير في المغرب والأندلس وموالاة الكثير من البربر لهم.

نجد أن كلا من المغرب والأندلس قد عرفا أحد أكبر الظاهرات الإجتماعية في التاريخ، وهي ظاهرة البيوتات الكبيرة، التي تتوارث الحكم، والوزارة، وقيادة الجيوش، وحتى المناصب العلمية، وكانت عائلة الفهريين أحد هذه العائلات العربية[1] التي توارثت الحكم والسلطة في العدوتين المغربية والأندلسية.

تنتمي هذه العائلة إلى الفاتح العظيم عقبة بن نافع الفهري، الذي وبعد موته شارك أبناؤه في الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب مع موسى بن نصير[2]، وعندما خرج هذا الأخير من الأندلس متوجها إلى دمشق، خلف مع إبنه عبد العزيز شخصية فهرية قوية كان لها شأن في تاريخ المغرب والأندلس فيما بعد وهو حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، الذي سيتولى قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير نفسه[3]، ولن يتوقف دور هذا الرجل هنا، بل سيتعداه لاحقا، حيث نجده يقود جيش عبيد الله بن الحبحاب إلى صقلية مع ابنه عبد الرحمن[4]، ثم يعود إلى إفريقية أين عقد له ابن الحبحاب على إمارة الجيش- الذي سيكون قادته من الفهريين- ليلحق بفهري آخر سبقه إلى ميدان المعركة وهو خالد بن أبي حبيب الفهري[5]، الذي سيقتل وهو يحارب البربر الثائرين على السلطة بقيادة ميسرة المطغري.

لم يقتصر دور الفهريين في هذه المعركة فقط، بل تعداه إلى المعركة الثانية ببقدورة أين كان لهم دور رئيس، بدون أن ننسى ما كان لعبد الرحمن بن حبيب من مواقف وأعمال مع استقلاله بالمغرب لمدة عشر سنوات وبضعة أشهر، مع عدم التغافل عن إمارة أخيه التي دامت سنة وستة أشهر وإمارة ابنه حبيب ثلاث سنين[6]، ولو أن هذه

1- إبن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص178 وما بعدها.

2- الرقيق، المصدر السابق، ص44.

3-نفسه، المصدر نفسه، ص60/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص24/ إبن حزم، المصدر السابق، ص178.

4- إبن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص416.

5- الرقيق، المصدر نفسه، ص74/إبن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص131.

6- إبن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص503.

الأسرة حافظت على بيتها واجتنبت الحزازات والصراعات الداخلية لكان لها بالمغرب والأندلس شأنا آخر.

من خلال توجه الداخل نحو مركزية السلطة ووحدتها، والخضوع لها وحدها، وبين إرادة الفهريين في المحافظة على إمتيازاتهم السياسية ومكانتهم الإجتماعية تكمن إشكالية العلاقة وجدليتها بين هذين الطرفين خاصة بعد موقعة المصارة وإبرام الصلح بينهما في ربيع الأول من سنة 139هـ-756م[1] حيث أخذت العلاقة طابعا تصادميا، فالفهريون يعلمون جيدا أن زعامتهم ومكانتهم السياسية لن تدوم مع نظام سياسي يعتمد على مفهوم الطاعة للسلطة المركزية، أي الخضوع للأمير وحده، كما أن الأمير عبد الرحمن الداخل بطموحه اللامتناهي، وتفكيره العميق ليس في فترته هو فقط بل حتى في الفترات اللاحقة، كان يوجب عليه قصم ظهر هؤلاء حتى لا يجعلوا الأندلس في عهد الإمارة كما كانت في عهد الولاة.

لقد أفرزت لنا هذه المجابهة، معارضة الفهريين، التي تبلورت في شكل ثورات وتمردات طوال عهد عبد الرحمن الداخل، مع العلم أن مشاركة البربر في هذه الثورات كانت قوية جدا وذات تأثير خطير على مسارها، خاصة وأن المصلحة أصبحت هي المحور الذي تدور حوله هذه المشاركة، فكلما كانت المصلحة أقوى إلا ومالت جهة البربر نحوها، مما أنتج انقساما في صفوف البربر من خلال ظاهرة المعارضة والموالاة التي هي نتيجة هذه المصلحة.

كان للفهريين موالي من البربر، وبشكل أكبر البربر البلديين الذين تعايشوا مع الفهريين منذ الفتوحات الأولى للأندلس، كبني قاسم الكتاميين[2] الذّين كانوا ينتمون إلى الفهريين بالحلف، كما كان للأمويين كذلك موالى من هؤلاء البربر كبني الخليع الذين أعانوا عبد الرحمن في حربه ضد يوسف والصميل، وهم من موالي يزيد بن عبد الملك[3]

1- ابن الخطيب، الإحاطة، م3، ص357/المقري، المصدر السابق، ج3، ص311/ فتح الأندلس، ص93/ يذكر صاحب أخبار مجموعة أن الصلح كان في سنة 140هـ-757م، ص86.

2- ابن حزم، المصدر السابق، ص501.

3- ابن القوطية، المصدر السابق، ص48.

أوبني الليث وهم من موالي الوليد بن عبد الملك[1]، لنجد أن ظاهرة الموالاة قد قسمت البربر إلى قسمين، قسم موال لطرف، وبالتالي سيكون معارضا للآخر كما أن القسم الثاني سيسير على المنهج نفسه، وهذا ما حدث في أول معارضة فهرية، والتي تمثلت في ثورة يوسف بن عبد الرحمن الفهري، الحاكم السابق للأندلس.

1- دور البربر في ثورة يوسف بن عبد الرّحمن الفهري: أقام يوسف بن عبد الرحمن الفهري بعد معاهدة الصلح التي أقامها مع عبد الرحمن الداخل في قرطبة، وكما هي حالة كل مهزوم، فان الكثيرين ممن قصر الفهري سابقا في حقّهم أو كانت بينهما عداوة أو قضية ما، رفعوا دعاوى في وجهه بحق، أو بغير وجه حق وضيقوا عليه، أما عبد الرحمن الداخل فلم يحرك ساكنا حتى أن بعض المصادر تتهمه بالتواطؤ مع هؤلاء، بل ودس بعضهم وتشجيعهم في التضييق على الفهري،[2] وهذا بهدف تجريده من مكانته وزعامته، وحتى من هيبته كحاكم سابق ورئيس عصبية لها تاريخ تشهد له الأندلس.

فطن يوسف الفهري لمراد عبد الرحمن وفهم ما كان يضمره هذا الأخير من إقصاء الزعامات وتهميشها، وضرب العصبيات القبلية والاعتماد على عصبية الجند وحدها، وهذا ما سيثير حفيظته ليرفع لواء الثورة سنة 141هـ-758م[3]، بالرغم من عدم موافقة الصميل والقيسية على الخروج مع يوسف الفهري، حيث قالوا له:" لا والله لا نخرج إلى الحرب بعد السلم"[4]، وهنا نتساءل إذا كان يوسف قد علم أن حلفاءه قد رفضوا الخروج معه في ثورته فعلى من كان اعتماده؟ ما نعتقده أن يوسف الفهري ما خرج على عبد الرحمن الداخل حتى كان قد ضمن موافقة البربر، حيث تذكر المصادر أن عدد من خرج معه من البربر وبعض أخلاط الناس ما قارب العشرين ألفا، وما يجعلنا نثق أكثر

1- ابن حزم، المصدر نفسه، ص499.

2- النويري، المصدر السابق، ص 61/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص311/ أخبار مجموعة، ص87.

3- فتح الأندلس، ص97/ إبن عذارى، المصدر السابق، ص49/ المقري، المصدر نفسه، ج3، ص311/ النويري، المصدر نفسه، ص 61/إبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص146.

4- أخبار مجموعة، ص 88.

في ما تذكره هذه المصادر حول عدد البربر هو توجه يوسف الفهري إلى المدن الآهلة بهؤلاء وهي ماردة وطليطلة اللتان كانتا" من أعظم مدن الأندلس وأشدها منعة"[1].

لابد وأن البربر ما ساندوا ثورة الفهري وخروجه على عبد الرحمن الداخل إلا لأسباب عديدة، منها موالاة الكثير من العشائر البربرية للفهريين وبخاصة البربر البلديين منهم وهذا منذ عصر الولاة، كما أن الكثير من البربر كانوا يرون أن مصالحهم مهددة بالزوال في ظل العهد الجديد وبالتالي فهم يحاولون العودة بالفهري إلى السلطة للمحافظة على مكتسباتهم وامتيازاتهم، زيادة على هذا نستطيع إضافة عامل آخر وهو أن الكثير من البربر الذين اكتووا بظلم ولاة بني أمية، واحترقوا بنار الحروب معهم كانت لا تزال أحقادهم متأججة في قلوبهم مما يجعلهم يحاولون دائما الثأر من الأمويين ومواليهم، هذا وبدون أن ننسى مصالح موالى بني هاشم وقبائل قريش وبني فهر الذين" كانوا يختلفون إلى يوسف ويندّمونه على ما كان"[2].

باءت ثورة يوسف الفهري بالفشل الذريع بالرغم من عدد جيشه الضخم، ويعود السبب الرئيس في انهزامه إلى تردده في اتخاذ القرار المناسب واحتقاره لخصمه، حيث أن يوسف الفهري بعد خروجه من ماردة توجه إلى لقنت[3] ثم إلى إشبيلية، وقد أدى احتقار يوسف الفهري لعبد الملك بن عمر المرواني[4]، وجيشه إلى ارتكاب خطأ عسكري فادح، حيث فك الحصار عن اشبيلية وتوجه مباشرة إلى قرطبة لملاقاة عبد الرحمن الداخل، وفي مسيره هذا، وصل عبد الله بن عبد الملك المرواني عامل مورور[5]، الذي استنجد به أباه لفك الحصار الذي ضربه عليه يوسف، ثم لاحق الجيش المرواني يوسف الفهري.

1- ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1938، ص111.

2- أخبار مجموعة، ص 87.

3- " لقنت مدينة صغيرة عامرة، يتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر، وهي أيضا مع صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق "، الإدريسي- المصدر السابق، ج2، ص558/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص21.

4- عبد الملك بن عمر المرواني: " قدم من مصر على عبد الرحمن الداخل في سنة أربعين ومائة، فولاه إشبيلية وولي إبنه عبد الله مورور، وأغنى في حرب يوسف بن عبد الرحمن الفهري"، إبن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص56 / إبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص146/ فتح الأندلس، ص 95.

5- كورة مورور:" تتصل بأحواز مدينة قرمونة، وهي من مدن قرطبة بين الغرب والقبلة، إشتملت على وجوه الفوائد"، إبن غالب- المصدر السابق، ص 293/ تاريخ الأندلس، ص 115/ يذكرها ياقوت الحموي بموزور، المصدر السابق، ج5، ص222.

علم هذا الأخير بمقصد هؤلاء، وأنه قد وضع نفسه في كمّاشة خاصة وأن عبد الرحمن الداخل لم يكن بالبعيد عن جيشه، مما جعله يعود من جديد إلى مقابلة عبد الملك المرواني وابنه حيث كانت الهزيمة تنتظره، ومع هذا لم تكن هذه الهزيمة باليسيرة أو السهلة بالنسبة لجيش المرواني بل كانت بالعكس من ذلك تماما، إذ لولا تردد يوسف الفهري في اتخاذ قراراته وإحتقاره لعدوه ما كان لينهزم، حتى أن صاحب فتح الأندلس وصف شدة المعركة قائلا: "إن الإمام إبن معاوية قد اشتد خوفه، وهمّ بالإعتصام بمورور لما رأى، لأنه كان على مقربة"[1]، بل إن بعض الروايات تشير إلى انهزام عبد الله بن عبد الملك المرواني الذي قتله أبوه عند عودته إليه منهزما[2].

كان دور البربر في هذه الثورة كبيرا جدا، وبخاصة من حيث عددهم الضخم في صفوف يوسف الذي قارب أو تجاوز العشرين ألفا، وبخاصة منهم موالى فهر الذين شاركوا وبقوة في المعركة ضد عبد الملك بن عمر المرواني وفي الصفوف الأولى[3]، وبالرغم من أن المصادر لا تسعفنا بمعطيات نستفيد منها في معرفة تكوين عناصر الجيش، إلا أننا نستطيع التأكيد على مشاركة البربر في صفوف جيش عبد الملك المرواني وابنه، ويتم هذا التأكيد بالعودة إلى تكوين جيش عبد الرحمن الداخل الذي كان عموده الفقري هم البربر .

لم يمكث يوسف بن عبد الرحمن الفهري مكتوف الأيدي بل بقي مترددا بين ماردة وطليطلة أين اغتاله بإحدى نواحيها بعض أصحابه سنة 142هـ-759م[4]، ومن المفيد جدا أن لا ننسى شخصية عبد الرحمن الداخل وبعض أساليبه في القضاء على بعض

1- فتح الأندلس، ص96.

2- نفسه، الصفحة نفسها/ ابن الأبار،المصدر السابق، ج1، ص57/ يضيف المقري، قائلا: "وإنكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم"، ج3، ص312.

3- أخبار مجموعة، ص90.

4- النويري، المصدر السابق، ص61/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص146/ فتح الأندلس، ص97/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص49، حول مقتل يوسف بن عبد الرحمن الفهري، ينفرد ابن الأبار برواية، وهي أن مقتل هذا الأخير كان بيد ميمون بن سعيد البربري الذي ولاه عبد الرحمن مدينة طليطلة، التكملة لكتاب الصلة، ضبط نصه وعلق عليه: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ-2008م، ج1، ص216.

خصومه ومنها الإغتيال وشراء الذمم وهذا ما لا تخفيه المصادر التي أفصحت أن هذا لم يكن بعيدا عن وحيه[1].

المساهمة السياسية والعسكرية للبربر في ثورة محمد بن يوسف الفهري: لم تكن ثورة محمد بن يوسف الفهري من الثورات التي احتاجت إلى أشهر عديدة أو سنوات لتحضيرها والإستعداد لها، بل نجدنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا أن الأمور كلها كانت مرتبة ولا تحتاج إلا إلى التخطيط ومن ثم التنفيذ، والأكثر أهمية، إنتظار صاحب هذا التنفيذ، وكم كان الوقت مناسبا لهذا الفهري حتى لكأن هذه الثورة كانت تنتظره ليحمل لواءها بعد أن فر من سجنه الذي مكث فيه منذ خروج أبيه وثورته على عبد الرحمن الداخل.

ثار محمد بن يوسف الفهري على سلطة قرطبة سنة 168هـ-784م، وكان مكان إنطلاق ثورته من طليطلة، أين اجتمع عنده الكثير من الأنصار والأتباع، وتمكن محمد بن يوسف من لقاء عبد الرحمن الداخل بالوادي الأحمر بقسطلونة،[2] حيث انتهت المواجهة بانهزام الثائر وقتل أربعة آلاف من أصحابه سوى من تردى في الوادي[3].

لم يتمكن عبد الرحمن الداخل من هزيمة محمد بن يوسف إلا بصعوبة بالغة، حتى أن المجابهة كادت من شدة وطأتها أن تطيح بكرسي الإمارة ويؤكد ذلك إبن عذارى حين يقول وهو يتحدث عن عبد الرحمن الداخل" إنه إنهزم نحو الميل"[4]، مع العلم أن هذه الثورة كان عمادها وأساس قيامها البربر الذين حشدهم أبو الأسود" بالشرق كله"[5].

إذا ما نحن قسمنا هذه الثورة إلى مرحلتين، نجد أن هذه المرحلة توقفنا عند نقطتين اثنتين، النقطة الأولى أن هذه الثورة كانت وبدون مجازفة ثورة بربرية صرفة، فإضافة إلى ما قاله ابن عذارى حول الحشد الكبير من البربر الذي جمعه محمد بن يوسف، نجد

1- إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص49/ فتح الأندلس، ص 97/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص312/ النويري، المصدر السابق، ص61/ إبن خلدون،المصدر السابق، ج4، ص146.

2- لوادي الأحمر:" ناحية بالأندلس، ثم من عمل سرقسطة"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص117.

3- النويري، المصدر السابق، ص69/ إبن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص257.

4- إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص50.

5- نفسه، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أن خريطة هذه الثورة من بدايتها إلى نهايتها كانت كلها بأرض البربر، وقبل أن نذكر المرحلة الثانية نحبذ أن نجيب على سؤال قد يتبادر إلى الذهن وهو لماذا وجود البربر بهذه الكثافة في هذه الثورة خاصة وأن البربر قد شاركوا في جميع الثورات السابقة؟ الحقيقة أن الراغب في إيجاد الإجابة عليه أن يقتفي أثر الأحداث السابقة لهذه الفترة أين سيدرك قيمة تلك الصدامات العسكرية والسياسية بين سلطة قرطبة والبربر على الأقل بداية بثورة سفيان بن عبد الواحد المكناسي وثورته الكبيرة التي دامت عشر سنوات، (151هـ-160هـ/768م-776م) إلى حبس هلال المديوني بقرطبة وهو الذي يعود إليه الفضل في إفشال ثورة سفيان بن عبد الواحد، ثم قتل إبراهيم بن شجرة سنة 162هـ-778م[1]، الذي أعان كثيرا عبد الرحمن الداخل في بدايات حكمه الأولى، لنصل أخيرا إلى إذلال هذا الأخير لبربر قورية[2] وغيرها وبخاصة أولئك الذين تعاونوا مع سفيان بن عبد الواحد المكناسي، ولعل ما ذكره ابن عذارى ليعبر أحسن تعبير عما نريد قوله حيث يقول: "فدوخ بلد البربر، وقتل منهم خلقا كثيرا وأذلهم"، ويضيف قائلا: "وأخذ أبا مزكانة المصمودي وهو عباس بن قلعوش"[3] الذي قد يكون أحد زعماء البربر الذين شك عبد الرحمن الداخل فيهم وفي موالاتهم.

وبالتالي فهذه الأحداث ولدت بارودا من الحقد وحب الثأر الذي انفجر دفعة واحدة في ثورة محمد بن يوسف الفهري، إضافة إلى هذا فكل العناصر البربرية التي مس ظهرها سوط عبد الرحمن الداخل قد شاركت في هذه الثورة مغتنمة إياها كفرصة لن تعوض، ومن خلال هذا كله، فإن زبدة القول أن البربر كانوا ينتظرون فرصة يحررون فيها مكبوتاتهم ضد سلطة الإمارة الأموية وقد وجدوها في هذه الثورة.

على كل نستطيع أن نطلق على أحداث هذه الفترة التي دامت من سنة 168هـ-784م إلى غاية سنة 169هـ-785م أي عاما كاملا، بالمرحلة الأولى من الثورة والتي

1- النويري، المصدر السابق، ص68/ إبن الأثير، ج4، ص243/ أخبار مجموعة، ص101.

2- قورية:" بالضم ثم بالسكون، والراء المكسورة، وياء خفيفة، مدينة من نواحي ماردة بالأندلس وهي النصف بينها وبين مدينة سمورة مدينة الإفرنج"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص412.

3- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص55.

كانت غاية ما تسمت به هي هزيمة محمد بن يوسف الفهري ولو بعد حين، لأن قوة البربر وشدة شكيمتهم وعددهم الهائل التي كادت أن تؤدي إلى هزيمة عبد الرحمن الداخل، كانت من العوامل شجعت محمد بن يوسف الفهري على العودة إلى المواجهة العسكرية من جديد، والتي من خلالها سنلج المرحلة الثانية من أحداث هذه الثورة.

إمتدت هذه الثورة كذلك سنة كاملة أخرى، وهذا من 169هـ-785م إلى 170هـ-786م، والقوة التي ظهر بها محمد بن يوسف الفهري في المرحلة الأولى جعلته يثق أكثر في قدرة جيشه البربري الكامل العدة والعدد، ولما لا العودة بإنتصار حاسم يعيد الفهريين ومواليهم إلى ما كانوا عليه وأكثر، ولكن عبد الرحمن في هذه المرة كان أكثر احتياطا وأشد حذرا من ذي قبل، حيث وكعادته أمام الشدائد والصعاب لا يستعمل سوى المراوغة والحيلة والمكر، وماذا عساه أن يفعل أمام جيش بربري يحمل كل الحقد والضغينة لهذه السلطة التي قابلته بالسطو والغلبة، وقد لا نستطيع أن نعبر أكثر مما عبر عنه إبن الأبار حول خطة عبد الرحمن والتي يقول فيها: "مكر عبد الرحمن فيها بأبي الأسود، فراسل صاحب ميمنته وأوطأه على جر الهزيمة من جهته، ففعل، وانهزم أبو الأسود وقتل عامة رجاله"[1]، والمتتبع لسياسة عبد الرحمن الداخل وتاريخ أحداث فترته يجد أن هذه الحيلة العسكرية كانت قد تكررت في ثورة يوسف الفهري، أمام عبد الغافر اليماني حين خاطب بنو وانسوس وبنو الخليع إخوانهم من بني ميمون لينهزموا في المعركة، وينهزم الجيش كله ويقتل منه 30 ألفا.

وكعملية إسقاط تاريخي للأحداث السابقة على اللاحقة وبدون مجازفة، نستطيع أن نتساءل هل هذه الحيلة كانت بمعية البربر خاصة وأنهم كانوا وراء تنفيذ هذه العمليات في الأحداث السابقة؟، أي هل شارك البربر هذه المرة كذلك ومارسوا هذه الحيلة كعادتهم؟ في الواقع لا نستطيع أن نؤكد أو نجزم أن البربر هم من قام بتنفيذ هذه الحيلة، لأن المصادر لا تذكر من هو صاحب ميمنة محمد بن يوسف الفهري إلا أنه وبنوع من الإستقراء للأحداث التي كانت للبربر بها علاقة، إضافة إلى العدد الكبير لهؤلاء في جيش

1- ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص352.

أبي الأسود محمد بن يوسف الفهري واعتماد هذا الأخير عليهم ربما يجرنا إلى الإيمان بمشاركة البربر في هذه العملية، بدون أن ننسى مكان الثورة الذي كان كله فوق مناطق نفوذ البربر كقسطلونة وقورية[1].

لقد قام البربر بدور كبير في هذه الثورة وتغافل المصادر عن ذكر ذلك لا يعني غياب هذا الدور على أرض الواقع، وكيف يكون ذلك وهذه المصادر تشير إلى ضخامة وشدة هذه الثورة التي شارك فيها الداخل مع أبنائه والتي لم يكن من المستطاع وصفها بالعظيمة، بل من "أعظم فتوحات الأمير عبد الرحمن"[2]لو لم يكن هؤلاء البربر أصحابها.

إن هذه الأحداث السياسية والعسكرية التي قام بها الفهريون قد انعكست على باقي العناصر الأندلسية وبالأخص منهم البربر الذين كانت مشاركتهم في هذه الأحداث على وجهين، وجه الموالاة للسلطة بمحاربة الفهريين وآخر معارض لها بموالاة هؤلاء الخارجين.

دور البربر في ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري: تعد ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي وخروجه عن عبد الرحمن الداخل أحد أكبر الثورات التي حملت طابعا جدليا لتعقد وتشابك أحداثها وتعدد أطرافها، وخلاصة هذه الثورة أن عبد الرحمن الصقلبي توجه من إفريقية إلى تدمير[3]بالأندلس، ومع اختلاف المصادر حول سنة دخوله فنحن نرجح سنة 161هـ-777م،[4] خاصة وأن هذا الأخير ما تحرك لمحاربة الداخل إلا بعد استقراء ما كان يجري في تلك الأيام، وبالتالي فهو لم يقم بثورته التي كان عمادها وأساسها البربر إلا بعد عام من وجوده بالأندلس، وبالرغم من أن هذه الثورة لم تأخذ بعدا زمنيا طويلا إلا أن حيثياتها تحتم على الباحث إعمال ذهنه وفكره

1- قورية: "مدينة أزلية البناء واسعة الفناء من أحصن المعاقل وأحسن المنازل"، الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص548/ ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج4، ص412.

2- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج4، ص198، ينظر ما قاله الشاعر عاصم بن زيد بن يحي من شعر حول هذه الموقعة، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

3- كورة تدمير و"هي شرق من قرطبة، وتتناهى في كرم البقعة وطيب الثمر، وأرضها سقيا وسقياها بالنهر كسقيا أرض مصر بالنيل، ولها المدائن الشريفة والمعاقل المنفية، منها مدينة لورقة ومنها مدينة مرسية"،ابن غالب، المصدر السابق، ص،284/285/ الإدريسي، المصدر السابق، ص، 538/559.

4- النويري، المصدر السابق، ص 68/ ابن خلدون، المصدر السابق، ص148/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص239/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص56.

خاصة وأن هناك عاملان اثنان قد طبعا هذه الثورة بطابع خاص، أولهما أن الكثير من المراجع المعاصرة تجعل من ثورة الصقلبي ثورة ضمن" مؤامرة واسعة النطاق"، شارك فيها كل من سليمان بن اليقظان الأعرابي وشارلمان الملك الكارولنجي الذي كان محالفا للخليفة العباسي المهدي(158-169هـ/774-785م)[1]، أما العامل الثاني فهو أن الصقلبي قام بهذه الثورة تحت إسم وشعار العباسيين.

قام الكثير من حاملي لواء التمرد والثورة في الأندلس بتبني شعار العباسيين والسير في ثوراتهم باسمهم، ولكن وعلى أرض الواقع لم يكن هذا سوى غطاء من أجل تحقيق طموحاتهم ومطية للوصول إلى أغراضهم، وما نستطيع به التأكيد على فرضيتنا هذه أن عبد الرحمن بن حبيب عند تواجده بالمغرب كان في صفوف أبي حاتم الخارجي ضد يزيد بن حاتم[2]، الوالي الجديد للقيروان الذي عين من طرف العباسيين[3]، بل ونستطيع أن نؤكد من خلال المصادر أن الفهريين في القيروان كانوا ضد ولاة بني العباس ومنهم عمرو بن عثمان الفهري[4]، الذي شارك هو الآخر في صفوف أبي حاتم.

إستطاع عبد الرحمن بن حبيب الفهري الفرار بعد هزيمة أبي حاتم الخارجي الذي كان في صفوفه إلى جبال كتامة أين استقر عند البربر البرانس الذين آووه، لتنعدم أخباره إلى غاية وصوله إلى الأندلس، ومن المعتقد جدا أن وصوله إلى هناك كان نتيجة فراره من يزيد بن حاتم الذي إستطاع أن يحكم المغرب بيد من حديد، ولهذا فهولم يقم بأية بادرة عند وصوله إلى الأندلس لأنه وببساطة كان لا يزال يبحث عن أرضية له هناك، حيث دام هذا البحث، مدة عام كامل وهذا الذي نعتقده قد أربك أصحاب المصادر الذين اختلط عليهم الأمر بين سنتي دخوله الأندلس وسنة خروجه على الأمير عبد الرحمن، وإن كنا نرجح سنة خروجه بين سنتي 162هـ-163هـ/778م-779م، فهذا يعود إلى الأسباب الآتية:

1- حول الخليفة العباسي" المهدي"، يراجع: السيوطي، المصدر السابق، ص217/223.

2- هو يزيد بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب، كان خاصا بأبي جعفر المنصور وكان لا يحجب عنه وتولى ولايات كثيرة قبل قدومه المغرب ومنها أرمينية والسند ومصر وأذربيجان- الرقيق، المصدر السابق، ص 113.

3- الرقيق- المصدر نفسه، ص124.

4- نفسه، المصدر نفسه، ص 107

أولا كانت المشاركة البربرية في هذه الثورة جد كثيفة حتى لأننا نجعلها ثورة بربرية صرفة تقمصت ثوبا آخر تمويها عن حقيقتها، مع العلم أن البربر كانوا قد خرجوا للتو من أحداث ثورة سفيان بن عبد الواحد المكناسي التي إنتهت باغتياله سنة 161هـ-777م، وبالتالي فإنه لم يكن بمستطاعهم الخروج في ثورة جديدة، وبخاصة وأن ثورة شقيا قد دامت عشر سنوات والكثير من هؤلاء البربر قد ساند هذا الأخير في ثورته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن هلال المديوني وأنصاره كانوا على غير ما يرام مع عبد الرحمن الداخل لأن هذا الأخير عند غزوته سرقسطة لمحاربة سليمان بن اليقظان الأعزابي وحسين بن عبادة الأنصاري كان قد غزا شنت برية،[1] وبها هلال المديوني في حصن من حصونها يسمى بشينتة، ليؤخذ هذا الأخير ومن معه إلى قرطبة، ثم إن السنة التي أخذ فيها هذا الأخير وهي سنة 165هـ-781م، تجعلنا نحتمل مشاركة مديونة ومساندتها لعبد الرحمن الصقلبي، وعلى هذا السبب أخذ هلال المديوني وحبس هو وأصحابه، وإذا أخذنا بهذه الفرضية، فإن هلال المديوني البربري لم يخرج مع الصقلبي في السنة نفسها التي قضى فيها على غريمه شقيا، وإنما بعد سنة أخرى على الأقل، مع العلم أن المصادر لا تشير إلى أسباب هذا النزاع الذي كان بين هلال المديوني وعبد الرحمن الداخل.

وخلاصة القول أن الفهري لم يقم بأي شيء إلا بعد أن تأكد من عداوة بربر بلنسية وتدمير لعبد الرحمن الداخل، وبالأخص بعد مقتل شقيا ومعارضة هلال المديوني، فحينها تحين الفرصة ولم يجعلها تفوته ليلعب بأوراق المعارضة البربرية التي نجح في إدماجها إلى جانبه جاعلا من العودة إلى الخلافة العباسية ورموزها شعارا لثورته ليس إلا.

أما الوجه الآخر لهذه الثورة التي أراقت حبر الكثير من المؤرخين سواء من المستشرقين أو من العرب،[2] فهي جعل هذه الثورة كما اصطلحوا عليها مؤامرة دولية

1- شنت بريّة: "وهي شرق قرطبة وبها حصون كثيرة"، إين غالب، المصدر السابق، ص288/ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص543/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص366.

2- ينظر ما كتبه حول هذه (المؤامرة)، كل من ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي، علي إبراهيم المنوفي، السيد عبد الظاهر عبد الله، مراجعة: صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، 200م، ص119/121/أحمد مختار

شارك فيها سليمان بن اليقظان الأعرابي وشارلمان الكارولنجي وعبد الرحمن الصقلبي للإطاحة بنظام عبد الرحمن الداخل، حيث تشير المصادر إلى مراسلة عبد الرحمن الصقلبي لسليمان بن اليقظان الأعرابي لمشاركته في ثورته،[1] وتعود هذه المراسلة إلى أن الصقلبي بعد وجوده في الأندلس ومراقبته للساحة السياسية بها مع سبره لقلوب البربر، لم يجد من يكاشفه بأمره ويشاركه ثورته سوى ابن اليقظان اليمني، والمتتبع لأحداث اليمنيين سيجد أن زعماء اليمنية لغاية هذه الفترة كانوا قد حوربوا وقتلوا من طرف الداخل، فثورة العلاء بن مغيث كانت سنة 146هـ-763م وثورة سعيد اليحصبي سنة 148هـ-765م، أما ثورة أبو الصباح اليحصبي فكانت سنة 149هـ-766م، وهكذا ما إن حلت سنة 162هـ-778م حتى لم يبق من المناوئين لعبد الرحمن الداخل من اليمنيين سوى سليمان بن اليقظان الأعرابي الذي خرج مغاضبا لليمنية وبقي ببرشلونة متحالفا مع الحسين بن يحي الأنصاري.

لم يتلقى عبد الرحمن الصقلبي ما كان يتمناه من إبن اليقظان الأعرابي[2]، وربما يعود هذا إما إلى أن عبد الرحمن الصقلبي قد دعا الأعرابي للدخول في طاعته وليس فقط مشاركته ومساندته ثورته، خاصة وأنه ادعى حمل شعار العباسيين، أو قد يعود إلى يقظة عبد الرحمن الداخل وشدة دهائه ومكره وما عرف من أساليبه في معالجة هذه الأحداث، أي من المحتمل جدا أن عبد الرحمن هو من كان وراء هدم هذا التحالف الذي كان سيغير الكثير من موازين القوى بالأندلس التي كانت ستحسب ضد عبد الرحمن الداخل، وهكذا سنجد أن الصقلبي ما كاتب الأعرابي سوى لأنه الرجل الوحيد الذي بقي من اليمنيين، والمعارض اللدود الذي يملك كل الإمكانات لمساعدته.

العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م، ص102/103/ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1389هـ-1969م، ص 168/174.

1- إبن خلدون، المصدر السابق، ص149/ النويري، المصدر السابق، ص68/ أخبار مجموعة، ص101.

2- النويري، المصدر السابق، ص68/ إبن خلدون، المصدر السابق، ص149/ أخبار مجموعة، ص101.

أما مشاركة الصقلبي فيما سمي بمؤامرة دولية واسعة النطاق[1]، فنحن نستبعده ونرى أن أصحاب هذه الفكرة ومتبنيها اعتادوا حبك المسرحيات الدرامية وعرضها تاريخيا، ولعل السؤال الذي يهدم فصول هذه المسرحية، هو إذا كنا نعلم أن السياسة فن احتكار المصلحة وجلبها، فنحن نتساءل ما مصلحة كل طرف في هذه المؤامرة، فما مصلحة شارلمان في أن يستبدل حكما إسلاميا أمويا بآخر إسلاميا مثله عباسي، خاصة وهو يعلم أن حكم العباسيين ربما سيكون أخطر من حكم الأمويين، ثم ما علاقة الخليفة العباسي المهدي بشارلمان وفي هذه الفترة المبكرة بالذات، بالرغم من أن العباسيين كان لهم خصوما آخرين سواء بالمشرق أو بالمغرب، بل إن الأمر ازداد سوءا، وبخاصة بالمغرب أين تأسست تاهرت معلنة عن ظهور الدولة الرستمية الخارجية، والخارجة عن الخلافة، ناهيك عن تمرد البربر بإفريقية في كل مراحل هذه الفترة، فكيف إذن يفكرون في الأندلس والمشاكل السياسية محيطة بهم في كل مكان؟.

وهكذا فنحن نستبعد أية علاقة بين الصقلبي والبربر الذين ساندوه، فيما جرى بين الأعرابي، وشارلمان، والخطأ الفادح الذي وقع فيه أصحاب المراجع هو أن الصقلبي قد كاتب الأعرابي وهذا الأخير بدوره كان قد إستغاث بشارلمان، فاعتقدوا أن الصقلبي كان طرفا ثالثا في هذه المؤامرة وعلى كل استطاع عبد الرحمن الداخل أن يقطع ما بين الأعرابي وشارلمان، والأكثر من هذا استفاد من تلك الحرب التي وقعت بين سليمان بن اليقظان الأعرابي وعبد الرحمن الصقلبي والتي إنتهت بهزيمة هذا الأخير[2].

بالرغم من تصنيفنا لهذه الثورة ضمن ثورات الفهريين مراعاة للمنهج الذي رسمناه في تقسيم الثورات التي قام بها البربر أو شاركوا في بعضها على عهد عبد الرحمن الداخل، فنحن نؤكد على أن جوهرها كان بربريا صرفا وأنها ما كانت سوى إمتدادا لثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي، واستمرارا لمعارضة هلال المديوني، أما إلتفاف البربر حول هذا الفهري فلا نستطيع التعبير عنه سوى أن البربر كانوا يبحثون

1- للمزيد من التفاصيل حول هذا، يراجع عبد الواحد ذنون، بمشاركة خليل إبراهيم السامرائي، وناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004، ص128.

2- النويري، المصدر السابق، ص68/ إبن خلدون، المصدر السابق، ص149/ أخبار مجموعة، ص101.

عن شرعية لخروجهم، والتي وجدوها في ادعاء عبد الرحمن الصقلبي أنه ممثل السلطة العباسية والناطق باسمها، مع ملاحظة أخرى نراها جد هامة، وهي أن البربر الذين قاموا بهذه الثورة كانوا من البرانس، وما يجعلنا نفترض ذلك هو أن عبد الرحمن الصقلبي كما تذكر بعض المصادر قد دخل الأندلس عبر ساحل تدمير قادما من إفريقية، وتضيف هذه المصادر أن عبد الرحمن الداخل قد أحرق هذه السفن بعد فرار الصقلبي إلى بلنسية[1]، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن عبد الرحمن الصقلبي وهو بالمغرب بعد فراره من يزيد بن حاتم قد فر كما يذكر الرقيق "حتى أتى كتامة فنزل بجيجل"[2]، وكتامة بطن من بطون البرانس كما يذكر إبن خلدون،[3] بل وكإعطاء دليل آخر على ما افترضناه على أن من قام بالثورة هم البرانس هو ما ذكرته المصادر حول هوية قاتل عبد الرحمن أو من اغتاله حيث يقول صاحب أخبار مجموعة "فنزع إلى الفهري رجل من البرانس من أهل أوريط[4]، يقال له شجعان"[5]، ويسميه إبن عذارى، مشكار البربري[6].

وهكذا ومن خلال تتبع الخطوات التاريخية التي سار عبرها عبد الرحمن الصقلبي بدءا من فراره إلى البربر البرانس بالمغرب ثم توجه ببعض المرتزقة منهم معه إلى الأندلس، وتكاتف إخوانهم برانس الأندلس معهم، ليتيح لنا نعت هذه الثورة بأنها ثورة بربرية برنسية تحت غطاء تمويهي، وهذا بدون أن ننسى عملية الإغتيال التي نعتبرها ذات دلالات خطيرة خاصة وأن الذي قام بها رجل بربري "ومن أصحابه"[7]، فللوهلة الأولى سيعتقد أن البربر مخادعون وأن لا عهد لهم ولا ذمة، وأن بريق بضعة دنانير من الذهب لكاف لتغيير وجهة البربري تماما إلى حد الغيلة، أو وبمعنى آخر يبقى البربري يتصرف تصرف المرتزق الذي رهن نفسه للدرهم والدينار.

1- النويري، المصدر السابق، 68/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص56.

2- الرقيق، المصدر السابق، ص125.

3- إبن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص174.

4- أوريط: "بالضم ثم بالسكون، وكسر الراء، وياء، وطاء مهملة وهي مدينة بالأندلس بين الشرق والجوف"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص279.

5- أخبار مجموعة، ص101.

6- إبن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص56.

7- إبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 149.

تميزت ثورات اليمنية بسمات بارزة، ومحاولة منا لإبراز هذه السمات وجدنا أن هذه الثورات فيما بينها تشترك في نقط معينة وتختلف في أخرى، حيث تتفق في مشاركة البربر وتأثيرهم في مجريات ونتائج هذه الثورات، كما أن هذه الأخيرة أي ثورات اليمنية، عرفت بتعدد زعمائها حيث كان يقودها شخصان أو أكثر، كثورة عبد الغافر اليماني الذي أعانه حيوة بن ملامس، وخروج سليمان بن اليقظان الأعرابي مع الحسين بن يحيى بالثغر الأعلى وغيرها، مع ملاحظة مهمة وهي أن العرب قد والوا اليمنيين مما اضطر عبد الرحمن الداخل التوجه إلى بربر العدوة، واتخاذهم موالي وعناصر في جيشه بلغت عدتهم أربعون ألفا[1] "حاربهم غالبا على أهل الأندلس من العرب"[2]

أما نقط الإختلاف فتتمثل في أسباب الخروج، فخروج أبو الصباح اليحصبي كان بسبب عزله من إشبيلية، أما الآخرين فكانت ثوراتهم ثأرا لمن قتل من اليمنيين كأبي الصباح اليحصبي الذي قتل من طرف عبد الرحمن الداخل بعد أن استدعاه إلى قصره، أو كأولئك الذين قتلوا مع العلاء بن مغيث الجذامي وغيرهم.

تختلف المصادر كثيرا حول تواريخ بداية هذه الثورات، مما جعلنا نتخذ الحيطة والحذر من الإدلاء بأي تاريخ، وهذا الحذر نفسه جعلنا نقوم بمقارنة العديد من النصوص، ليس فقط تلك التي تتناول التاريخ السياسي لبلاد الأندلس، بل حتى التاريخ السياسي لبلاد المغرب وبخاصة المرتبط منه بالخلافة العباسية، وكمثال على ذلك لا نوافق على سنة 144هـ-761م كبداية لانطلاق ثورة العلاء بن مغيث الجذامي الذي حمل لواء العباسيين،[3] لأن الكثير من الثورات كانت قد سادت العالم الإسلامي ضد الخلافة العباسية، وبخاصة بالمغرب أين تكاثفت جهود البربر الخوارج ضد سلطة العباسيين، فكيف تلتفت السلطة العباسية للأندلس وبيتها يخشى عليه من الهدم؟، وكيف يستطيع العلاء بن مغيث أن يجهز بربر إفريقية للدخول بهم إلى الأندلس، وإفريقية تغلي بالبربر المعارضين للدولة التي أراد تثبيت أسسها؟ وهكذا أخذنا بعد مقارنتنا لنصوص

1- فتح الأندلس، ص، 104.

2- المقري، المصدر السابق، ج3، ص313.

3- تاريخ الأندلس، ص165.

المصادر، بالتاريخ الذي جاء به كل من النويري وابن عذارى، وصاحب فتح الأندلس وهو سنة 146هـ-763م[1]، لأنه يوافق الواقع التاريخي الجاري خاصة بالنسبة للعدوتين المغربية والأندلسية.

سمحت لنا هذه الدراسة من خلال مقارنة النصوص، أن نرتب سنوات هذه الثورات التي جاءت في المصادر مختلفة ومتناقضة، وأول ما أدرجناه من حركات تمردات اليمنية، والتي لا نستطيع أن نسميها بثورة بل بتمرد- لغياب توفر شوط الثورة- تمرد أبي الصباح اليحصبي التي أدرجته بعض المصادر في سنة 149هـ-766م[2]، وهو تأريخ نراه بعيد الإحتمال، ولا نستطيع الإعتماد عليه وهذا للأسباب التالية:

أولا: شخصية أبي الصباح اليحصبي الذي كان زعيم العرب اليمنية قاطبة، كان مستقره قبل وصول عبد الرحمن الداخل إشبيلية أين أعان هذا الأخير في توطيد ملكه حيث كان من أول المبايعين له والمناصرين لسلطته، ولكن وبالرغم من ذلك لا نعثر له على أثر في جميع الثورات التي تبنتها اليمنية وهذا تناقض عجيب إذ كيف يمكن أن يغيب زعيمهم ولا يذكر إسمه في أية مناسبة، بل لا وجود لأي دور له، لا في المعارضة مع صفوف عصبيته، ولا في صف عبد الرحمن الداخل، وهنا نتساءل أين كان أبو الصباح اليحصبي في كل ما قامت به اليمنية قبل سنة 149هـ-766م؟ أيمكن أن تثار ثورات بهذا الحجم ولا يكون له أي ذكر أو دور وهو رجل اليمنية؟ ومن ثم كيف نبرر غياب أبي الصباح هذا؟.

للإجابة عن هذا السؤال، نعود إلى رواية كثيرا ما ذكرت في مصادر متفرقة، وهي أن أبا الصباح اليحصبي عند هزيمة يوسف بن عبد الرحمن الفهري في موقعة المصارة تحدث إلى اليمنية من قومه قائلا:" هل لكم في فتحين في يوم واحد؟ قيل له وما ذاك؟ قال قد فرغنا من يوسف والصميل فلنقتل هذا الفتى المقدامة ابن معاوية فيصير الأمر بأيدينا وتصير الأندلس قحطانية أبد الدهر"[3]، وبالرغم من عدم إجابة اليمنية لأبي

1- النويري، المصدر السابق، ص62/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص53/ فتح الأندلس، ص99.
2- فتح الأندلس، ص101/ النويري، المصدر نفسه، ص65/ إبن عذارى، المصدر نفسه، ص53.
3- نفسه، ص90/91/ المقري ج3، ص310/311/ أخبار مجموعة، ص84.

الصباح، فإن الخبر قد طار إلى عبد الرحمن الداخل من خلال أحد المقربين والمتحمسين له وهو ثعلبة بن عبيد الجذامي، ويا ليت عبد الرحمن أسرها وفقط، "بل إنه أسرها على أبي الصباح حتى أفضت به إلى القتل بعد حين من الدهر"[1]، ولم يكن ذلك الحين من الدهر سوى سنة واحدة فقط، وبمكيدة[2]، وما يجعلنا نؤمن وبشدة بما ذكره ابن القوطية، هو أن عبد الرحمن الداخل من خلال تركيبته النفسية التي تعتمد على الهجوم وعدم الإطمئنان للآخر، يجعله من المستبعد أن يطمئن لهذا الذي أراد أن يفسد عليه ملكه، حتى أن توليه ولاية إشبيلية ما كان إلا ذرا للرماد في أعين اليمنية حتى تحين الفرصة المناسبة لتسوية الحسابات، كما أن عبد الرحمن لا يستطيع أن يبقي على عدو له كوال على كورة جد مهمة مثل كورة إشبيلية لمدة تفوق العشر سنوات.

سمحت لنا معالجة سنوات بداية هذه الثورات والتدقيق فيها أن نرتب هذه الثورات كرونولوجيا، خاصة وأن مقتل أبي الصباح اليحصبي بعد سنة من إقامة الإمارة الأموية سيكون أحد الأسباب الداعية إلى طلب الثأر في شكل ثورات ذات طابع عصبي قبلي، ومن هذه الثورات اثنتين وهما ثورتا سعيد المطري وعبد الغافر اليماني اللتان كانتا قويتان جدا مقارنة بالثورات أو التمردات الأخرى.

دور البربر في ثورة سعيد اليحصبي المعروف المطري: كان خروج سعيد اليحصبي المعروف بالمطري سنة 148هـ-765م[3] بمدينة لبلة[4]، حيث اجتمعت اليمنية إليه ليقصد إشبيلية ويتغلب عليها، إلا أن عبد الرحمن الداخل بسرعة معالجته للخارجين عليه قبل تمكنهم من تقوية أنفسهم وازدياد نفوذهم، استطاع أن يحصر المطري بقلعة زعواق لأحد عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من هذه السنة، بل إنه إستطاع أن

1- فتح الأندلس، ص90.

2- إبن القوطية، المصدر السابق، ص52.

3-النويري، المصدر السابق، ص63/ إبن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص187/ يذكر ابن عذارى، أن خروج المطري كان سنة 149هـ- 766م، ص53.

4-لبلة: "بفتح أوله ثم السكون، ولام أخرى: قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونبة وهي شرق من أكشونبة وغرب من قرطبة"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص10/ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص541.

يمنع الموالين للمطري كعلقمة الليثي الذي كان بشذونة[1]، الذي "انضاف إليه جماعة من رؤساء القبائل وهم يريدون إمداد المطري في جمع كبير"[2]، مما يعني أن هذه الثورة قد أخذت أبعادا خطيرة، من حيث اتساعها أولا ومن حيث عدد مشاركيها ثانيا، وهذا ما يؤكده مرة أخرى إبن عذارى حين يقول:" فكثر عدده، وتأزر عضده وعاد عسكره مهولا"[3].

جعلتنا هذه الثورة نكتشف أسلوبا من الأساليب التي كان يستعملها عبد الرحمن الداخل في قضائه على هؤلاء المخالفين، خاصة أولئك الذين يجتمعون في ثورة واحدة، فهو يأخذ كل واحد أو طرف على حدى، وبالتالي معالجة الواحد تلوى الآخر قبل أن يتحدوا فيستحيل عليه حينها القضاء عليهم، وهذا ما إستعمله في القضاء على هذه الثورة بالذات حينما عجل بضرب علقمة اللخمي وأنصاره، ليتولى أمر المطري بعده، ثم إنتهاء بخليفة بن مروان الذي خلف المطري بعد قتله.

على كل استطاع عبد الرحمن الوصول إلى المطري، بعد أن خرج هذا الأخير من قلعة زعواق مغامرا في اختراق صفوف عدوه، ولم تنته هذه الثورة بعد قتل هذا الأخير، لأن أهل القلعة واليمنيين انتخبوا خليفة بن مروان، ليدوم الحصار مرة أخرى، ولعل صعوبة الحصار وفنون عبد الرحمن الداخل في تمزيق معارضيه- كسياسة فرق تسد- جعلت من خليفة بن مروان كبش الفداء، حيث كان الشرط المطلوب لتأمين أهالي القلعة، ليقتل في الأخير هو وأصحابه[4].

لم يرتح بال عبد الرحمن الداخل عند هذا الحد بل واصل عملياته ليضرب على أيدي كل العناصر التي شاركت من قريب أو من بعيد في هذه الثورة، وكان ممن وافق المطري في خروجه هذا، غياث الأزدي الذي إستسلم بعد أن أمنه عبد الرحمن الداخل،

1- كورة شذونة:" تتصل بأحواز كورة مورور، وهي شريفة عظيمة الخطر، ومن مدنها مدينة قادس". إبن غالب، المصدر السابق، ص 294.

2- النويري، المصدر السابق، ص63.

3- إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص53.

4- النويري، المصدر السابق، ص63/64/ إبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص147/ إبن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص187/188.

إلا أن السؤال الذي يطرح هنا، هو هل شارك البربر في هذه الثورة وكانوا طرفا فيها؟ خاصة وأن اليمنية كذلك كان لهم موالي من البربر،[1] وأنصارا عاشوا معهم، على كل قادنا هذا التساؤل إلى استقراء المصادر لنجد رواية ابن عذارى خير إجابة على تساؤلاتنا هذه حين يذكر قائلا: "حتى نزل عليه بقلعة زعواق وكان المطري قد تحصن بها، ولاذ بجانبها، فحصره بها حصرا حتى خرج متعرضا في جماعة من فرسانه الأكابر ومن اختصه من أولئك البرابر"[2]

وهكذا نجد أن مكان البربر في هذه الثورة لم يكن شاغرا أبدا، بل نجدهم قد شاركوا في صفوف المطري، بل ومع جماعة من فرسانه الأكابر، ولكن يبقى دائما البحث عن أصول أو هويات هؤلاء البربر قائما، هل هم من البلديين الذين تعايشوا مع العرب اليمنيين منذ الفتح الإسلامي للأندلس؟ أم هم من البربر البرانس الذين كانوا دائما معارضين للأمويين ومنذ السنوات الأولى للفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ونقلوا معهم هذه المعارضة إلى بلاد الأندلس؟ أم من الزناتيين الذين كانوا في أغلب الأوقات وفي أحرجها مع الأمويين؟ على كل، تبقى الكثير من مثل هذه الأسئلة معلقة لغياب المعطيات.

كان لمشاركة البربر في هذه الثورة وقيامهم مع المطري نتائج وتداعيات جد مهمة أثرت في سياسة الداخل أيما تأثير، حيث بدأ هذا الأخير في مسح العديد من المناطق وجس نبض أصحابها اتجاه سلطته، منها منطقة الثغر الأعلى التي إستقدم منها "من اطلع له على سوء سريرته"[3]، ولا بد في مثل هذه الحالات أن يكون للبربر نصيب، حيث ما إن دخلت سنة 150هـ-767م، حتى هاجت فتنة بشنت برية، ومن المحتمل جدا أن تكون هذه الفتنة أحد نتائج هذه الثورة خاصة إذا ما علمنا أن هذه السنة كانت بداية إنتفاضات البربر التي انفجرت وبصورة جلية في ثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي.

ثورة عبد الغافر اليماني: تعتبر ثورة عبد الغافر اليماني أحد أهم الثورات التي شارك فيها البربر، وأثروا على مجريات أحداثها، وقد انطلقت ثورة عبد الغافر سنة

1- محمد حقي، البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع-المدارس-، الدار البيضاء، ط1، 1422هـ/2001م، ص122/123.
2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص53.
3- نفسه، المصدر السابق، ج2، ص54.

156هـ-772م[1]، وكأحد مميزات ثورات اليمنية فقد شارك في صنع أحداثها زعماء آخرين من اليمنية وهم إضافة إلى عبد الغافر الذي ثار بلبلة فقد تمكن عمرو بن طالوت وهو إبن عم عبد الغافر من التمرد والنهضة مع كلثوم بن يحصب، الذي تحالف معهم هو الآخر بحكم عصبيته، ليحملوا كلهم شعار الثأر لأبي الصباح اليحصبي[2]، وهذا بدون أن ننسى حيوة بن ملامس الذي كان طرفا مهما في هذه الثورة والساعد الأيمن الذي يضرب به عبد الغافر.

وبالرغم من أن هذه الثورة يمنية إلا أن الأسماء المشاركة فيها تتنوع أصولها، فالعذري يذكر إضافة إلى حيوة بن ملامس وعبدا الغافر اليماني:"عبد الواحد بن سويد الكلاعي وعدي بن موسى الزناتي وشيعتهم"[3]، وهذا ما يؤكد على أمرين اثنين وهما: مشاركة البربر تحت قائد معروف، مما يعني أكثر أن هذه المشاركة كانت منضبطة وممنهجة خاصة وأنها كانت تحت قائد من العصبية نفسها، أي من المحتمل ما دام القائد زناتي أن تكون زناتة هي من شاركت في هذه الثورة، كما أن تعدد هذه الأسماء يدل على قوة هذه الثورة وضخامتها.

إنتهز زعماء هذه الثورة فرصة خروج الداخل إلى الثائر البربري شقيا بن عبد الواحد المكناسي الذي كانت ثورته ملتهبة في جهات طليطلة، ليقوموا بمحاولة دخول قرطبة بما أن الداخل كان بعيدا عنها، إلا أن يقظة عبد الرحمن الداخل حالت دون ذلك ليلتقي الجيشان بميسر خلف المدور[4]، مع العلم أن جيش عبد الرحمن الداخل كان ضمنه موالي من البربر وهم على العموم من موالي بني أمية، مثل بني وانسوس وبني الخليع وغيرهم[5]، الذين بقوا على وفائهم لعبد الرحمن الداخل وإخلاصهم له طوال فترة حكمه.

1- فتح الأندلس، ص103/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص240/ يذكر العذري أن خروج عبد الغافر اليماني كان سنة 154هـ - 770م، ص101.

2- ابن القوطية، المصدر السابق، ص53/ فتح الأندلس، ص104.

3- العذري، المصدر السابق، ص101.

4- المدور: "حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة لهم فيه عدة وقائع مشهورة "، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص77.

5- ابن القوطية، المصدر السابق، ص53.

الخليع وغيرهم[1]، الذين بقوا على وفائهم لعبد الرحمن الداخل وإخلاصهم له طوال فترة حكمه.

وكما هو معروف عن عبد الرحمن الداخل، وكعادته دائما فقد إستعمل أسلوب الخديعة والمكر، فهو عند رؤيته للبربر في صفوف اليمنيين والذين كانوا "العدد الوافر الأكبر"[2]، طلب من مواليه البربر الذين في صفوفه مخاطبة بني عمومتهم و هذا لإعمال الحيلة والإنهزام في المعركة[3]، وهذا ما كان بالفعل، حيث وفي يوم المعركة بالذات، وما وما إن انهزم البربر حتى انهزم الجيش كله، ويا لها من هزيمة، هاته التي ذهب ضحيتها أكثر من ثلاثين ألف من العرب اليمنية وأنصارهم[4].

من خلال تفاصيل وحيثيات هذه الثورة نستنتج أن البربر موالي بني أمية، قاموا بعملية جد خطيرة غيرت من مسار الثورة ونتيجتها، حيث استطاعوا اللعب على أوتار العصبية القبلية، والتأثير على بني عمومتهم بتغيير وجهة نظرهم حتى انحرفوا عما كانوا يريدونه، وإن كان هذا الإنحراف لا يعني أنهم والوا عبد الرحمن الداخل أو انتقلوا إلى صفوفه، لأن سبب التحول هذا لم يكن باهتا أو تحت سبب غاض أو لأن البربر قوم سوء لا عهد لهم ولا ذمة، بل لأن السبب يعود- وبكل بساطة- كما يذكر ابن القوطية إلى استفاقة البربر من غفلتهم عن الماضي والأمس القريب، ونعني به زمن الولاة، حينما كانوا مضطهدين ولا يملكون من الأمر شيئا، وهذا بعد أن ناداهم عبد الرحمن الداخل بدهائه ومن خلال مواليه الذين قال لهم:" خاطبوا بني عمكم وعظوهم وأعلموهم أنه إذا تغلب العرب وقطعوا دولتنا فلا بقاء لهم معهم"[5]، وبالتالي كانت مراجعة البربر لموقفهم وتفكيرهم في مستقبلهم السياسي، وخوفهم من العرب في حالة انتصارهم على عبد الرحمن الداخل هو من شكل في وعيهم الرؤية ربما الحقيقية لما سيكونون عليه، وفي

1- ابن القوطية، المصدر السابق، ص53.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص51.

3- نفسه، المصدر نفسه / ابن القوطية، المصدر نفسه، ص53/ أخبار مجموعة ص98/99 / فتح الأندلس ص103.

4- ابن عذارى، المصدر نفسه، الصفحة نفسها/ابن القوطية، المصدر نفسه، الصفحة نفسها/ فتح الأندلس، ص104، لا يذكر العذري سوى ستة آلاف قتيل، المصدر السابق، ص 101.

5- ابن القوطية، المصدر السابق، ص53.

حالة كهذه ما كان على هؤلاء البربر سوى إفساد ما كانوا يريدون صنعه، أو بمعنى آخر فإن تذكر البربر لعصر الولاة وما جرى عليهم من الإحن، كان الباعث والمحفز على هذا الإنحراف، وقد اعتبروه في مصلحتهم والحل المناسب الذي يقيهم مما يخشون الوقوع فيه، بعد أن تغافلوا عن تدبره والتفكير فيه.

أهم نتيجة إنبثقت عن هذه الثورة هي ميول عبد الرحمن الداخل إلى اقتناء البربر[1]، ويعود هذا إلى غش العرب وعدم ثقة الداخل فيهم، كما أن هذه الثورة بينت وكشفت مدى البون الشاسع بين طموح العرب اليمنيين والقيسيين وسياسة عبد الرحمن الداخل، التي اضطرت هذا الأخير إلى تحفيز بربر العدوة وإغرائهم بمحفزات ومغريات سياسية واجتماعية حتى وصل عددهم إلى أربعين ألفا.

وهكذا نجد أن السلطة الأموية منذ بداياتها الأولى كان إعتمادها عسكريا على البربر، وبالرغم من هذه المعطيات المهمة حول دور البربر السياسي، تبقى العديد من المعطيات التي يحتاجها الباحث ناقصة، ومن بينها أكان هؤلاء البربر المستقدمين من العدوة المغربية من زناتة فقط، وهم الموالين لبني أمية ومنذ زمن مبكر؟ أم من عصبيات مختلفة؟، ومن أية جهة من بلاد المغرب هم؟ وغيرها من الأسئلة التي تحتاج إلى تسليط الضوء عليها والتنقيب حولها.

دور البربر في ثورات دعاة العبّاسيين: قامت في الأندلس كما ذكرنا الكثير من الثورات باسم الدولة العباسية، حاملة لشعارها ومنادية لحكمها، ولكن أخذنا لهذه الثورات تحت هذا الشكل كان بتحفظ كبير، لأن الكثير منها لم تستعمل هذا الإسم وتحمل هذا الشعار سوى ذرا للرماد وتغطية على ميولات أصحابها السياسية وتمرداتهم العسكرية، إلا أن تفحص أوراق ثورة العلاء بن مغيث الجذامي أو اليحصبي على اختلاف المصادر، وإعادة ترتيبها، يكشف لنا عن الكثير من حيثياتها وتفاصيلها التي تختلف عن تلك المزيفة أو إن صح التعبير الوهمية.

1- إبن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص240.

من بين الأدلة التي نسوقها لنبرهن بها حقيقة على أنها ثورة تحمل في طياتها الدعوة العباسية، أولا، التوقيت المناسب، حيث اندلعت هذه الثورة سنة 146هـ-763م، أي في زمن أبي جعفر المنصور، الذي كان قد شرع في بناء مدينة بغداد سنة 140هـ-757م[1]، مما يعني أن هذا الأخير بدأ يفكر في تضخيم ملكه والرغبة في توسيعه، وهذا بعد قضائه على الكثير من المعارضين الذين كانوا يشكلون خطرا على مملكته من أمثال أبي مسلم الخراساني الذي قتله سنة 137هـ-754م[2]، والأخوين إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[3] اللذان قتلهما سنة 145هـ-762م مع متابعته لبني عمومتهم العلويين والقضاء عليهم الواحد تلوى الآخر، مما سيسمح له في الأخير من التفكير في الأندلس التي فاتته وفاتت بني العباس كلهم، وقد لا يختلف اثنان حول مدى حسرة هؤلاء وأسفهم على فقدانهم لذلك الفردوس، وقد كان أبا جعفر المنصور أحد هؤلاء المتحسّرين.

كان أبو جعفر المنصور يعلم علم اليقين أن عتبة الأندلس هي و بدون شك بلاد المغرب، وهو يعلم أن الداخلين إليها بدءا بفتحها وإنتهاء بدخول عبد الرحمن الداخل، كان من سواحلها وموانئها، لذا فقد هداه تفكيره وتخمينه إلى أن لا حيلة له في امتلاك الأندلس إلا بامتلاك بلاد المغرب، وتحت وطأة هذا الطموح مع صعوبة مناله، ما كان على أبي جعفر المنصور سوى إرسال أعظم قادته ممن لم تنجب الدولة العباسية على مر تاريخها نظراء لهم، من مثل عمر بن حفص المعروف بهزار مارد[4]، ويزيد بن حاتم وغيرهم، ولكن هؤلاء وجدوا أمامهم عقبة كؤود وسدا منيعا في وجوههم، وهم البربر الخوارج الذين هزموا عمر بن حفص سنة 151هـ-768م[5]، والذي بقي "ثلاث سنوات وأشهرا

1- السيوطي، المصدر السابق، ص 209/ يذكر الطبري أن تأسيسها، أي إستيطانها كان في سنة 145هـ-762م، المصدر السابق، ج4، ص457.

2- القضاعي، المصدر السابق، ص259/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص225.

3 -السيوطي،المصدر نفسه، الصفحة نفسها/ الطبري، المصدر نفسه، ج4، ص422 وما بعدها/ ابن خلدون، نفسه، ص240.

4- هو عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة ولي إفريقية، بعد أن عزل عن السند سنة 151هـ-768م، الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 498، للمزيد من التفاصيل يراجع الرقيق، المصدر السابق، ص 105 وما بعدها.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص132.

من ولايته حيث ثارت البربر فيها مرات عديدة"، وهذا إلى أن "قتل في النصف من ذي الحجة من سنة154هـ-770م"[1]، وهذا مما يكشف أكثر عن قوة البربر وفشل الدولة العباسية في تركيعهم.

ستكون الحكمة العربية "مصائب قوم عند قوم فوائد"، أحسن تعبير لما نريد توضيحه من أن البربر الخوارج كانوا خير من نفع وأفاد بني أمية بمقاومتهم للمد العباسي ببلاد المغرب، وبالتالي استحالة وصول هؤلاء العباسيين إلى الأندلس من خلال بربر المغرب الذين شكلوا عبر التاريخ، الجسر الوحيد الذي يوصل إلى بر العدوة المقابلة.

لعل فقدان أبي جعفر المنصور لصبره ويأسه من إيجاد منفذ للأندلس عبر بلاد المغرب جعله يغامر بتفكير جريء ومجازف، وهذا بعد أن وجد ضالته في العلاء بن مغيث الجذامي الذي كان بإفريقية[2]، ممثلا له ولدولته، وبعد الإتفاق معه، حمل العلاء رسالة التولية وشعار العباسيين، وتوجه إلى باجة[3] أين بدأ في تحضير ثورته، ومن ثم تفجيرها في وجه الأمير عبد الرحمن الداخل.

تصف المصادر هذه الثورة بالشدة والخطورة، حتى أن ابن عذارى يذكر ذلك قائلا وبنوع من التفصيل: "ودعا إلى طاعة أبي جعفر المنصور ونشر الأعلام السود، فأتبعه الأجناد، وتطلعه العباد، إلى أن كادت دولة الأمير أن تتصرم، وخلافته أن تتخرم"[4]، وهذا ابن القوطية يصرح هو الآخر في وصف أحداث هذه الثورة قائلا:" فقام العلاء، وتبعه خلق كثير، وتطلع أكثر أهل الأندلس إلى خلع عبد الرحمن"[5].

كان ارتباك عبد الرحمن الداخل من هول مفاجأته لما شاهد من تكاثر أهل الأندلس وإنضمامهم إلى صفوف العلاء بن مغيث شديدا جدا، حتى جعله يتوجه إلى قرمونة متحصنا بها مع مواليه وثقات رجاله، ليعاجله العلاء بن مغيث محاصرا إياه حصارا

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص75/76.

2- ابن حزم، المصدر السابق ص، 18.

3- النويري، المصدر السابق، ص62/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص313/ فتح الأندلس، ص99.

4- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص51.

5- ابن القوطية، المصدر السابق، ص 54.

قاسيا[1]، دام "قريبا من شهرين"[2]، وبالرغم من غياب الكثير من المعطيات حول عناصر جيش العلاء بن مغيث وأصولها إلا أنه وبعملية استقرائية للمصادر نكتشف أنه جيش مختلط، ضمّ كل من يحمل ثارات وأحقاد على عبد الرحمن الداخل وسلطته، وهذا ما يقودنا إلى احتمال وجود اللاتجانس وعدم الإنسجام بين صفوف هذا الجيش، وبخاصة مع امتداد الأيام، حيث أصبح هذا الحصار لا يعلم أحد مدى إمتداده، جاعلا من صدر الجيش ضيقا حرجا، ومع كل هذا فعلينا أن لا نتناسى ونتغافل عن دهاء عبد الرحمن الداخل وما عرف من أساليبه في تأجيج الفتن بين أطراف خصومه، وضرب بعضهم بعضا تحت نزعات العصبية، ومغريات السلطة، وبريق المال.

نتيجة الأسباب الآنفة الذكر، اختل توازن الجيش، لتترنح صفوفه وتضطرب أطرافه، سانحة فرصة لن تعوض لعبد الرحمن الداخل الذي استغلها في هجوم معاكس مع سبعمائة من خاصة أصحابه[3]، عازما على ضرب عدوه بقبضة من حديد "بعد أن نظر إلى تخلخل العسكر"[4] الذي كان ينتظره بفارغ الصبر.

أدى هجوم عبد الرحمن الداخل إلى انتصاره وهزيمة جيش العلاء بن مغيث، الذي قتل معه أكثر من ستة آلاف من أصحابه[5]، وربّما يتساءل البعض، كيف نستطيع إقحام دهاء عبد الرحمن الداخل وأساليبه في تعكير صفو أعدائه في هذه الثورة وما ألحقه من هزيمة أعدائه؟ والجواب بكل بساطة، ألم يكن بمقدور عبد الرحمن الداخل وهو الذي كان يتمتع فوق أبراج وشرفات مدينة قرمونة بمنظر الجيش الذي إنكمش عدده بانسحاب أكثر عناصره، واضطربت جوانحه جراء طول الحصار، ألا يبدي أية مبادرة، منتظرا فقط انتحار الجيش بيده، وبالتالي عدم المجازفة بحياته وحياة أصحابه؟.

1- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص9/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص51.

2- ابن القوطية، المصدر نفسه، ص55.

3-ابن القوطية، المصدر السابق، ص55/ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص9.

4- نفسه، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

5- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص53/ يذكر النويري، سبعة آلاف قتيل، المصدر السابق، ص62، أمّا صاحب فتح الأندلس فيذكر عشرة آلاف، ص 99.

وهكذا يتوضح لنا أن لعبد الرحمن الداخل يدا في فك الحصار عن نفسه، ليبقى السؤال الأشد إلحاحا، والأكثر أهمية، هل كان للبربر في هذه الثورة التي اشرأبت أعناق أهل الأندلس إليها وكادت أن تهدم أركان البيت الأموي، أدوار ومشاركات؟ أم أن صمت المصادر عن هذه المشاركة يعني التسليم بالأمر الواقع وعدم الخوض بشأنها؟

يحتم علينا اتباع المنهج الإستقرائي اقتفاء أثار خطوات الأحداث وتفاصيل الثورات بكل دقة، لأنها عملية يرجى منها استنطاق المتكتم عنه في المصادر وإستظهاره، وهذا ما أخذناه على عاتقنا في استظهار مشاركة البربر في ثورة العلاء بن مغيث هذه، كما أن الإلمام بالحيز الجغرافي لأية ثورة يعد أحد أهم المناهج التي تتيح للباحث معرفة العناصر المشاركة فيها، وبالنسبة لثورة العلاء بن مغيث سنكتشف أن حدودها الجغرافية لم تتركز في بقعة واحدة بالرغم من أن المعركة الأخيرة كانت في أحد مناطق كورة إشبيلية، ويعود هذا الإنتشار الجغرافي إلى مساندة فئات عريضة من المجتمع الاندلسي لهذه الثورة.

إنطلق العلاء بن مغيث من إفريقية أي من بلاد البربر، ولسوء الحظ لا تسعفنا المصادر هل إن ما فعله العلاء بن مغيث هو نفسه الذي قام به عبد الرحمن الصقلبي لاحقا، أي هل جهز معه جيشا من المرتزقة البربر وأدخلهم معه إلى الأندلس؟ أم أنه اكتفى بتحضير الثورة ومن ثم تفجيرها من باجة؟ ما نعتقده ومن خلال عملية مسح لمسرح عمليات هذه الثورة أن العديد من نقط تمركزها كان في مناطق آهلة بالبربر كباجة[1] وقرمونة، بل إنه "ملك بلاد شرق الأندلس كله"[2]، فباجة الموغلة في أرض الجوف تعتبر منطقة بربرية، بحكم أن ابن حيان نفسه يصرح أن أرض الجوف هي بلاد البرابر، حيث يذكر أبا القاسم أحمد بن معاوية بن هشام المعروف بابن القط، ويقول: "فصار بأرض الجوف وتجول في بلاد البرابر هناك"[3]، كما أن بلاد شرق الأندلس كانت هي

1- باجة: "مدينة عظيمة أزلية من أقدم مدن الأندلس بنيانا،وهي متصلة بأعمال ماردة، وهي غرب من قرطبة، واغلة في الجوف"، تاريخ الأندلس، ص103.

2- المصدر نفسه، ص165.

3- ابن حيان، كتاب المقتبس في تأريخ رجال الأندلس، تحقيق ملشورم.أنطو نية، بولس كيتنر الكتبي، باريس، 1937، ص139.

الأخرى آهلة بالبربر، حتى أن العذري نفسه يذكر وهو يتناول أقاليم بلنسية كلا من" إقليم زناتة وجزء مصمودة"[1].

وهذا يوضح أن البربر قد ألصقت أسماؤهم بهذه المناطق لغلبتهم وكثرة عددهم، مع العلم أن الكثير من بربر بلاد الشرق كانوا من الرافضين لسلطة بني أمية والمؤيدين لكل ثائر ضدهم[2]، وهكذا فعملية المسح هذه تجعلنا نؤكد ما افترضناه من مساهمة وتأييد البربر لثورة العلاء بن مغيث سواء بربر أرض الجوف أو بلاد شرق الأندلس، ناهيك عن البربر موالى اليمنية.

بالرغم من مشاركة البربر ضد عبد الرحمن الداخل فإن هذا الأخير كان يملك أنصارا منهم، فبعيدا عن مواليه الذين ذكرناهم آنفا كبني وانسوس وبني الخليع وغيرهم، نجد عبد الرحمن قد التجأ إلى قرمونة المليئة بالبربر، وهناك تحصن بها مع مواليه وثقات رجاله[3]، مما يبين مشاركة البربر في مناصرة عبد الرحمن الداخل والذين كان من بينهم بعض ثقاته ورجاله.

حقيقة أن المصادر لا تشير إلى الكثير من تفاصيل هذه الثورة بما فيها مشاركة البربر وأدوارهم مع كلا الجانبين، إلا أن هذه التفاصيل نفسها تتيح لنا حتمية التأكيد على مشاركة البربر التي تكاد تكون مشاركة رئيسة وذات أهمية قصوى.

ثورة البربر بقيادة سفيان بن عبد الواحد المكناسي: شارك البربر في جميع الثورات التي قامت بها كل من اليمنية والقيسية، وهذا تحت أسباب عديدة ومختلفة، تعود إما إلى الموالاة أو الحلف، بالرغم من أن المصلحة هي من كانت تلعب الدور الرئيس في تحريك هذه المشاركة، تبقى ثورة البربر بقيادة سفيان بن عبد الواحد المكناسي على حسب المصادر والمراجع الثورة البربرية الوحيدة، وهذا بجميع المقاييس التي أخذت عنها، وعلى الرغم من كوننا نختلف تمام الإختلاف مع هذه الفكرة- والتي لم يحاول

1- العذري، المصدر السابق، ص20.

2- بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة وهران، 2002م.

3- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص9/ ابن عذارى، المصدر السابق، ص51.

أصحابها سبر غور هذه الثورات- التي نراها تناقض حقائق المعارضة التي تشكلت في قالب ثورات وتمردات عسكرية، أو بمعنى آخر التي نراها فكرة سطحية تبعدنا تماما عن إيجاد المحرك الحقيقي لهذه الثورات، فقد أدرجناها- أي ثورة المكناسي- كثورة بربرية صرفة على مستواها القاعدي والقيادي.

ذكرنا آنفا أن جوهر ثورتي عبد الرحمن بن حبيب وأبي الأسود محمد بن يوسف الفهريين كان بربريا، وما كانت هذه التبعية إلا إسمية بحثا عن الشرعية تارة، أو التفافا- كانتهاز لفرصة الثورة- حول ثائر يطمح من خلاله البربر إلى تحقيق أغراضهم، وقد أوصلنا هذا البحث إلى إكتشاف ما ذكره أحد المؤرخين المعاصرين وهو يتناول موضوع بربر إشبيلية حينما صرّح قائلا حول خصوصية هؤلاء: "وربما لا نبالغ إذا ما قلنا أن هؤلاء البربر كانوا المحركين الحقيقيين للأحداث في المنطقة"[1]، ونحن بدورنا نضيف أنه ليس بربر إشبيلية فقط من كانوا وراء تلك الثورات التي وقعت بأرضهم، بل البربر بصفة عامة- بإستثناء موالي بني أمية منهم- كانوا مضرمين للثورات العديدة التي دارت رحاها في الأندلس بطريقة غير مباشرة أو بأخرى مباشرة كثورة سفيان بن عبد الواحد المكناسي.

تعتبر ثورة سفيان بن عبد الواحد المكناسي الثورة البربرية الوحيدة التي تزعمها بربري، وبالرغم من قيام بعض الإنتفاضات أو التمردات من هنا أو هناك، من مثل ما قام به إبراهيم بن شجرة الذي قتله بدر مولى عبد الرحمن الداخل سنة 162هـ-778م،[2] أو ما قام به عباس البربري الذي هو الآخر أظهر العصيان، فقتله تمام بن علقمة بعد أن فرق جموعه،[3] إضافة إلى مخالفة البربر البرانس بزعامة بحيرة البرنسي، والذي قتله بدر كذلك بعد أن مزق جماعته هو الآخر[4]- فإن هذه الإنتفاضات ونحن نحددها بمصطلح انتفاضات وتمردات ليس أكثر تبقى محدودة، وضيقة الإنتشار لحد كبير.

1- نئون عبد الواحد طه، الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، ص 263.

2- النويري، المصدر السابق، ص68/ أخبار مجموعة، ص101/ ابن الأثير، المصدر السابق، ص 243.

3-نفسه، المصدر نفسه، الصفحة نفسها / إبن الأثير، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 149.

إذا كانت ثورة سفيان بن عبد الواحد هذه، الثورة البربرية الوحيدة في فترة عبد الرحمن الداخل كلها، فإن أهوالها وشدتها مع طول مدتها، قد تضاهي جميع تلك الثورات التي قام بها العرب، حيث لم تدم ثورة يمنية أو قيسية مدة عشر سنوات، حتى أن عبد الرحمن الداخل لم يستطع القضاء على زعيمها إلا بإستعمال الحيلة والمكر، والتي تمثلت في أسلوبين اثنين: أولا في تمزيق وتشتيت القوى البربرية بإدخال هلال المديوني[1] كزعيم على بلاد الشرق حيث يذكر إبن عذارى ذلك قائلا:" و قدم عليه هلال من أبناء المديوني فكتب له عهدا على قومه، وأقره على موضعه، وكان رأس البربر في شرق الأندلس وقلده أمر الفاطمي، فكان في ذلك الراحة منه، وتفرقت بفعله ذلك كلمة البربر"[2]، وباستعمال سياسة فرق تسد هذه، التي أنتجت فريقين متقاتلين وزعيمين متنافسين، أضحى من السهل على عبد الرحمن الداخل عزل سفيان بن عبد الواحد وإقصائه، بطريقة أو بأخرى، وسمحت هذه السياسة ونجاحها لعبد الرحمن الداخل بتطبيقه لأسلوبه الثاني والمعروف عنه، وهو تصفية الخارجين عنه بطريقة الإغتيال وهذا فعلا ما كان، حيث قتل سفيان بن عبد الواحد غيلة من طرف صاحبين له.

بدأت حيثيات هذه الثورة من شرق الأندلس سنة151هـ-768م[3]، وشرق الأندلس كما هو معروف آهل بالبربر، ومن الطبيعي أن تنطلق هذه الثورة من مكان بربري، لأن المساندة ستكون أقوى وأمتن وبخاصة تحت حكم العصبية القبلية، وقبل الولوج في تفاصيل هذه الثورة لا بدّ من التعريج إلى زعيمها الذي أثار الكثير من الجدل ونقط التساؤل حول طبيعة ثورته التي تبناها وعلى أي أساس تمحورت؟ وبشكل أخص إذا ما علمنا أن هناك من أدرجها ضمن الحركات المذهبية، وأن أساس قيامها كان المذهب

1-يسميه ابن خلدون:" هلال بن أبزيا"، مع العلم أن إبن خلدون يذكر أن هلال هذا كان من الخارجين مع شقيا المكناسي بشنتمرية، ثم راجع الطاعة فتقبله وكتب له على قومه، فكان بشرق الأندلس وشنتمرية"، وهذا ما يفيدنا جيدا في فهم أسلوب عبد الرحمن الداخل مع المعارضة، المصدر نفسه، ج6، ص149.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص55.

3- النويري، المصدر السابق ص66/ إبن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص200/ يذكر إبن عذارى، أن خروج عبد الواحد المكناسي كانت سنة 152هـ-769م، ص54.

الشيعي،[1] بدون أن ننسى انتحال سفيان بن عبد الواحد لنسب علوي، حتى أن بعض المصادر أطلقت عليه لقب الفاطمي.[2]

المتأمل في ما أتتنا به المصادر العربية من قراءات وبالأخص تلك المتعلقة بالمعارضة والثورات القائمة ضد السلطة، يخرج بملاحظات عديدة منها: إعتبار هذه المصادر كل الخارجين عن السلطة، رجالا مارقين عن الدين وبالتالي فهم- كما تسميهم- العصاة والخوارج والفساق وغيرها من الألقاب المتعارف عليها في قاموسهم الفكري، وقد يعود إلى أسباب عديدة منها أن تحليلهم للأحداث التاريخية ونظرتهم اتجاه محركيها كان يعتمد على الدين، والكثير ممن كانوا يسردون التاريخ حتى لا نقول يؤرخون كانت ميولاتهم المذهبية وثقافتهم الدينية هي من تملي عليهم طريقة تفسير الأحداث والحكم على صانعيها[3]، خاصة وهم يرون الخروج عن السلطة بل وحتى معارضتها ضربا من أنواع الخروج عن الدين.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالكثير ممن كتب في التاريخ من أهل المصادر كانوا ممن يميل إلى السلطة بشكل أو بآخر فهم إما قد عملوا في مؤسساتها وترعرعوا في أحضانها كلسان الدين بن الخطيب في بلاط بني الأحمر وابن حيان القرطبي في دولة بني أمية أو كابن حزم وغيرهم، وبالتالي فهؤلاء لا يستطيعون الكتابة عن هؤلاء الخارجين بطريقة موضوعية أو على الأقل محايدة لأن كتاباتهم تأخذ دائما طابعا رسميا.

ولهذه الأسباب نعتبر ما قالته هذه المصادر الآخذة عن بعضها البعض حول انتساب إبن عبد الواحد المكناسي إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها بعيد الاحتمال، ولا نستطيع لا الأخذ ولا الإيمان به وهذا تحت براهين عديدة أوّلها أنه: لم يكن من السهل على أي فرد أو عنصر أندلسي الإنتساب إلى البيت العلوي وبخاصة في ذلك الزمن لأن البيوتات العربية الداخلة إلى الأندلس كانت على معرفة تامة ببعضها البعض، ولو أن رجلا من آل البيت دخل الأندلس مع أهله، وأنجب لكان هذا البيت من أعرق البيوت

1- محمود علي مكي، التشيع في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1424هـ- 2004م، ص10.

2- أخبار مجموعة، ص98/ فتح الأندلس، ص102.

3- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج2، دار الجيل، بيروت، ط15، 1422هـ-2001م، ج2، ص285.

بالأندلس وأشهرها، أما ثانيا، فإن إنتحال النسب العلوي من طرف رجل بربري سيكون أصعب بكثير، وأخيرا لو كان ابن عبد الواحد المكناسي قد إدعى أنه فاطمي ألم يكن من الجدير به التوجه إلى الثغر الأعلى أين يقطن الكثير من الأنصار،[1] الذين كانوا دائما موالين لعلي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ومعادين لبني أمية.

ختاما ولحل هذه العقدة كما بيناه سالفا علينا الأخذ بعين الإعتبار سنوات بداية التدوين التاريخي عند أهل الأندلس، والذي بدأ متأخرا مقارنة بالمشرق،[2] حتى أن آل الرازي الإخباريين لم يبدأوا كتاباتهم التاريخية إلا مع محمد بن موسى الرازي الذي لم يؤلف كتاب الرايات إلا بعد سنة 273هـ-886م[3]، وهذا يعني أن جل الأندلسيين الذين كتبوا في تاريخ الأندلس قد عايشوا فترة الصراع الفاطمي الأموي، كأصحاب أخبار مجموعة التي تكون قد كتبت في ما بين سنوات 299-349هـ/912-961م، أي على عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ)[4]، أو ابن القوطية المتوفى سنة367هـ-977م والتي كانت ميولاته الأموية واضحة جدا، فهؤلاء الكتاب والإخباريين، ومن أجل ضرب التشيع والشيعة الفاطميين المتصارعين مع الأمويين بالأندلس، زعموا وادعوا إنتحال سفيان بن عبد الواحد المكناسي لنسب علوي والذي هو في خلفيته، ضرب لشرعية الفاطميين في نسبهم، وأنهم هم كذلك من منتحلي النسب الفاطمي ليس إلا، وهذا ما يعني أكثر ضربهم لأهم أساس بنيت عليه شرعية حكم الفاطميين.

ولنثبت أكثر ما أردنا قوله نستند إلى ما قاله بعض كبار الكتاب الأندلسيين كابن الأبار في الحلة السيراء، وهو يتناول حياة عبد الله المهدي نقلا عن الرازي حين يقول:" إختلف الناس في نسب عبيد الله، فقال قوم: هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن البصري "ويضيف: "وأخبرنا الثقة عن أبي القاسم أحمد بن إسماعيل الرسي الحسني أنه

1- ذنون طه، المرجع السابق، ص188.

2- نفسه، أصول البحث التاريخي، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، ص77 وما بعدها.

3- أنخل جونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ص196.

4- نفسه، ص200.

قال: بالله الذي لا إله إلا هو، ما عبيد الله منا"[1]، فهذه الفقرات تصور لنا حقيقة الأراء التي كان يتبناها بنو أمية وجماعتهم ونخبتهم الفكرية والسياسية، وهذا الذي يؤكده إبن حيان الذي وصف عبيد الله المهدي قائلا:"عن ولاية الدعي عبيد الله الشيعي، المنتزي على بلد افريقية، المضلل للناس بما شرع من بدعته الغالية"[2].

عند العودة إلى تفاصيل الثورة نجد أن بداياتها الأولى لم تعرف أحداثا كثيرة وهذا يعود إلى كونها مرحلة تمهيدية أو حتى إشهاربة كانت تنتظر الدعم والمساندة اللازمتان لها، كما أن مسير عبد الرحمن الداخل إلى إبن عبد الواحد المكناسي لمجابهته باءت بالفشل، لأن حرب العصابات وعدم المواجهة العسكرية كانت السياسة أو التكتيك الذي انتهجه سفيان بن عبد الواحد المكناسي في ثورته هذه، مع العلم أن شنتبرية كانت المعقل الذي انطلقت منه هذه الثورة[3].

كان لا بدّ على عبد الرحمن الداخل أن يتصرف تصرفات عديدة ويتخذ قرارات عدة، وهذا على حسب ما تقتضيه الظروف والمستجدات، لذا ارتأى تولية حبيب بن عبد الملك ولاية طليطلة والذي بدوره ولي على شنتبرية أحد حفدة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو سليمان بن عثمان، وكان عبد الرحمن الداخل، وبهذا التصرف السياسي، يسعى إلى تمركز قواته وتوطينها في أرض العدو حتى تكون تحركات هذا الأخير تحت أنظاره تماما، ولكن هذه السياسة لم تجد نفعا لأن ابن عبد الواحد المكناسي استطاع أن يقتل سليمان بن عثمان، ليذيع صوته أكثر ويتغلب على ناحية قورية كلها.[4]

بدأت المرحلة الثانية بعودة عبد الرحمن الداخل إلى غزو ابن عبد الواحد المكناسي ومحاربته بعد أن انتشر خبره وخبر ثورته في أنحاء الأندلس كلها، إلا أن المكناسي بمهارته وحنكته العسكرية استطاع الفرار من جديد إلى مفاوز الجبال والحصون المنيعة بأرض البربر، ليتخلى عبد الرحمن الداخل عن متابعته وملاحقته له، تاركا مولاه بدر

1- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص190.
2- ابن حيان، المقتبس، الجزء الخامس، نشره: ب. شالميتا، بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع، ف. كورنيطي، وم صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد، كلية الآداب بالرباط، 1979م، ص255.
3- النويري، المصدر السابق، ص65/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص200.
4- نفسه، المصدر نفسه، ص65/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص148.

خليفة له في هذا العمل، وكل ما قام به هذا الأخير من جهد هو حصاره للمكناسي وأتباعه سنة 153هـ-770م[1]، وكانت نتيجة تولي عبد الرحمن إلى قرطبة خائبا أن إزداد المكناسي قوة ولو معنوية، كما أنها أعطت في الوقت نفسه لهذه الثورة أبعادا لاحقة أكثر خطورة.

صمّم عبد الرحمن الداخل بداية من سنة 154هـ-770م على تكثيف غزوه لمعاقل سفيان بن عبد الواحد المكناسي، لندخل من خلالها في المرحلة الثالثة لهذه الثورة، والتي تعد كذلك محطة هامة، نكتشف من خلالها المساندة البربرية القوية لثورة سفيان بن عبد الواحد، وبما أن عبد الرحمن الداخل لم يستطع القضاء على هذا الأخير مرات عديدة، فقد بعث من ينوب عنه في حربه هذه، وكان أبو عثمان عبيد الله بن عثمان أول هؤلاء، ولكن نتيجة عمله كانت واحدة، لأن سفيان خدع هذا الأموي" وأفسد عليه جنده فهرب عبيد الله وغنم شقيا عسكره"[2].

والسؤال هنا، هو من هذا الجند الذي أفسده سليمان؟ أي الجند الذي إستطاع أن يجره إليه ويستميله؟ للإجابة عن هذا السؤال، لابأس أن نعيد تصفح بعض معطيات هذه الثورة، فأولا، الثورة بربرية صرفة قلبا وقالبا، وبالتالي فإن مساندة البربر لها سيكون لا محالة أقوى وأعظم، كما أن جيوش عبد الرحمن الداخل كانت كعادتها تحمل كثافة عددية معتبرة من البربر سواء الموالي منهم أو المرتزقة، وهذا الجانب الأخير في حقيقته هو من دفعنا إلى الاستفسار عن سبب الهزيمة التي كانت بسبب خديعة أحد فئات الجند، ولنكن أكثر جرأة ونأتي في الأخير ونقول: هل البربر هم من قام بذلك؟ أي هل هم الجند الذين أفسدهم المكناسي؟ وهل يا ترى جروا الهزيمة كعادتهم على الجيش؟ أم كانت هناك خطة أخرى قام بها هؤلاء بمعية سفيان المكناسي تسببت في هذه الهزيمة؟.

قبل أن نجازف بالإجابة عن هذه التساؤلات، لا بدّ من ذكر ما قام به المكناسي لاحقا- أي بعد هزيمته لعبيد الله بن عثمان- حيث "سار إلى حصن الهواريين، وبه عامل

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص54.

2- النويري، المصدر السابق، ص66.

لعبد الرحمن فمكر به شقيا حتى خرج إليه فقتله"[1]، وحصن الهواريين هذا ربما يكون ما سمته المصادر بحصن شبطران[2]، الذي تحصن فيه المكناسي فيما بعد، وهذا ما يأخذنا إلى الإيمان أكثر بمدى تضامن البربر الذين احتضنوا هذه الثورة في مناطقهم وآووا زعيمها في حصونهم.

بربط الأسئلة التي طرحناها مع معرفتنا لوضعية البربر السياسية بموالاة البعض منهم للسلطة ومعارضة الآخرين لها، سنكتشف حتما دور البربر في عملية انهزام الجيش وأن العنصر الذي أفسد الجيش هو العنصر البربري لا محالة، وأحكامنا هذه ليست اعتباطية أو تعسفية بل ترتكز على دلائل استقرائية، وما التجاء البربر إلى حصن الهواريين إلا دليلا قاطعا على ميل البربر الموالين للسلطة إلى صفوف ابن عبد الواحد المكناسي.

بعد سنة 154هـ-770م، وإنتصار سفيان بن عبد الواحد المكناسي على كل خطط عبد الرحمن الداخل، واستمراره في ثورته وعصيانه، لم يبق في إمكان الداخل سوى متابعته ومثابرته في غزو هذا الثائر البربري، وكأحد أهم وسائل القضاء على هذه الثورة وزعيمها، إلتجأ إلى سياسة الشدة مع المساندين لها والملتفين حولها من البربر، ليقوم في سنة158هـ-774م بغزو مدينة قورية- التي كان قد تغلب عليها المكناسي منذ سنة152هـ-769م-[3]، وتتبع البربر الذين أسلموا عامله إلى سفيان بن عبد الواحد، بالقتل والتشريد،[4] ومن المحتمل جدا أن يكون أبو زعبل الصدفوري، عامل عبد الرحمن الداخل على مدلين،[5] هو من قتله سفيان بن عبد الواحد المكناسي[6].

1-نفسه، المصدر السابق، ص66.

2- شبطران: " بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء ثم راء، وآخره نون: حصن من أعمال طليطلة "، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص321.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص148.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص227/ النويري، المصدر السابق، ص67.

5- مدلين:" بفتح أوله وثانيه، وكسر اللام، وياء مثناة من تحت، ونون: حصن من أعمال ماردة بالأندلس"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص77.

6- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص54/ أخبار مجموعة، ص 98.

لعل ما قام به عبد الرحمن الداخل من التضييق والتشديد على برير قورية الذين أعانوا ابن عبد الواحد المكناسي لم تكن سوى غزاة الدور التي ذكرها أصحاب أخبار مجموعة، والتي جاء فيها إضافة إلى هذا، أن عبد الرحمن" دوخ البلد ووطئه وأنزل بكل من شايعه أو دخل في شيء من النكال وهو يخرب ويحرق وينسف حتى قدم عليه كتاب من قرطبة من عند بدر مولاه، يذكر أن حيوة بن ملامس ثار في اشبيلية"[1].

يعتبر قيام اليمنيين بثورتهم تحت زعامة عبد الغافر اليماني وحيوة بن ملامس في هذا الوقت بالذات نقطة حساسة[2] نظرا لذلك الدور الفعال الذي قام به البربر في هذه الثورة، ومشاركتهم مع الطرفين المتنازعين، وتطرح مشاركة البربر في هذه الثورة تساؤلات عديدة، أبرزها كيف أمكن للعنصر البربري أن ينقسم على نفسه بمثل هذا الإنقسام: قسم موال للسلطة وآخر مع اليمنيين متحالفا معهم ليرتد على أعقابه فيما بعد، وقسم ثالث لابين هؤلاء ولا هؤلاء، ونقصد به ذاك الذي اختار ثورة ابن عبد الواحد المكناسي؟ ثم إذا كان هذا التوقيت يخدم اليمنيين وكان اختيارهم له مقصودا فهل إستفاد البربر وزعيمهم من هذه الثورة ومن هذا الوقت بالذات؟

لا زلنا نعتبر أن المعارضة والموالاة كانت– بالرغم من عدم إعطائها حقها في المراجع– ولحد كبير أهم عامل سير البربر وقادهم نحو النتائج التي وصلوا إليها، وهذا العامل قد يشبه في قوته وأهميته، قوة وأهمية العصبية القبلية التي نظّر إليها عبد الرحمن بن خلدون، وإذا كانت العصبية القبلية هي من تنشئ الدول والسبب الأول في تكوينها[3]؛ فإن ثنائية الموالاة والمعارضة بالنسبة للبربر هي من كانت الدافع في توجهاتهم السياسية والفكرية نحو السلطة، وحتى نحو الطرف المعارض لها، مع العلم أن هناك أسباب تابعة، حتى لا نقول ثانوية كانت تخدم هذه الثنائية، أولها طبيعة العصبية عند البربر والتي لم تكن قبلية أو عنصرية، بل إن صح التعبير عشائرية، حيث كانت العشيرة هي من تقود

1- أخبار مجموعة، ص98/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص148.

2- فتح الأندلس، ص103.

3- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1– المقدمة– ص163 وما بعدها.

الفرد البربري وليست القبيلة، وهذا بدوره يعود إلى انقسام القبيلة البربرية بالأندلس، جراء التطور السياسي لهذه البلاد.

كما أن هناك ملاحظة رئيسة تدخل دائما في إطار ثنائية الموالاة والمعارضة وعلاقة البربر بالأطراف والعناصر الأندلسية الأخرى بما فيها السلطة، وهي مسألة البربر المرتزقة الذين جلبوا من العدوة المغربية، والذين كانت موالاتهم للسلطة فوق أي اعتبار، لأن هدف السلطة من جلبهم هو تغيير عصبيتهم من عصبية قبلية أو عشائرية إلى عصبية الجند، وبالتالي فهؤلاء المرتزقة قد لعبوا دورا في الانقسام السياسي للبيت البربري، وكرّسوا أكثر فكرة الموالاة والمعارضة، هذا إضافة إلى طابع المصلحة الذي كان الإهتمام الأول بالنسبة للفرد والعشيرة البربرية، وأخير أتت المشاركة البربرية في هاتين الثورتين بهذا الشكل، لأن اتباع الفرد البربري لطرف ما لم يكن في حقيقته سوى اتباعا لما تمليه عليه مصلحته.

بعد أن أتى عبد الرحمن على كل ما في جعبته من خطط وإجراءات سياسية وعسكرية، لم يبق أمامه سوى اللعب بالورقة الأخيرة، لأن مهارة المكناسي وتقنياته الحربية والتفاف البربر حوله، كلها عوامل ساعدته في التغلب على جيوش عبد الرحمن الداخل وجيوش نوابه، حتى أن أبا عثمان عبيد الله بن عثمان وتمام بن علقمة لم يستطيعا في سنة 162هـ-778م سوى الإنسحاب من حصن شبطران أين حاصرا ابن عبد الواحد المكناسي لشهور عديدة[1]، مما يعني أكثر أن عبد الرحمن الداخل قد فشل عسكريا في القضاء على غريمه.

والأدهى والأمر أن رجالاته أصبحوا ممن يأخذ المكناسي بألبابهم لدرجة أن رسوله وجيه الغساني وهو ابن أخت أبي عثمان كان ممن إستجاب لأمر الفاطمي بعد أن دعاه[2]، وبالرغم من أن صاحب المصدر لم يشر إلى فحوى الدعوة، وتحت أي إيمان

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص237.

2- أخبار مجموعة، ص101.

وقناعات استجاب هذا الرسول للمكناسي، فإن هذه الاستجابة نفسها تكفي دليلا على نباهة ودهاء هذا الزعيم البربري، وحنكته السياسية.

لم تكن تلك الورقة التي استعملها عبد الرحمن الداخل بالخافية، لأنه كان قد وضعها على طاولة اللعب سابقا وفي أحايين كثيرة، كهذه الظروف التي ينعدم فيها الحل المباشر، لذا فقد استعمل الغيلة بشراء الذمم، وبجميع الوسائل التي تبررها غايته، حيث تجمع جل المصادر على أن اغتيال إبن عبد الواحد المكناسي كان من طرف صاحبين له، حتى أن بعضها تذكر اسميهما، وهما أبو معن وأبو نذير[1]، وتضيف أخرى، أبو معن داود بن هلال وكنانة بن سعيد الأسود[2]، ولكن لنعود ونتساءل، ما مصلحة هذان الرجلان في اغتيال صاحبهما؟ وإذا كانا صاحباه حقيقة فما السبب أو الدافع إلى ذلك؟

لا أحد يستطيع الإجابة عما يفيدهما به الإغتيال، أو ما يجنيه هؤلاء جراء هذه الفعلة ما لم يربطها بعبد الرحمن الداخل ووسائله في معالجة الأمور المسدودة، حيث تذكر بعض المصادر أن هذان الرجلان بعد تنفيذهما لهذه العملية "لحقا بعبد الرحمن"[3]، ويضيف ابن خلدون وبنوع من التفصيل: "وجاءا برأسه إلى عبد الرحمن"[4]، ولعل هاتين العبارتين تكفيان للبرهنة على أن هناك يد لعبد الرحمن الداخل في هذا الإغتيال، كما تبرهن أكثر على قوة هذه الثورة وحنكة صاحبها الذي لم يتمكن منه حاكم قرطبة إلا بالمخادعة والحيلة.

ختاما تعتبر تفاصيل أحداث هذه الثورة، أضواء تنير لنا حقيقة المعارضة البربرية، ومدى قوتها وشدتها، مع صعوبة التحكم فيها من طرف السلطة الأموية، كما تتيح لنا فرصة فهم الإنقسام السياسي الحاصل لدى البربر والعوامل المتحكمة فيه.

1- النويري، المصدر السابق، ص67/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص237.

2- أخبار مجموعة، ص101.

3- النويري، المصدر نفسه، ص66/ ابن الأثير، نفسه، ص237.

4- ابن خلدون، المصدر السابق ج4، ص148.

المعارضة البربرية في زمن هشام بن عبد الرحمن الداخل:

النسق السياسية لهشام بن عبد الرحمن الداخل: ترك عبد الرحمن الداخل بعد موته في ربيع الآخر من سنة 172هـ-788م[1]، سلطة أمامها الكثير من العراقيل حتى تستقر وتنعم بالهدوء، وكان لا بدّ كأحد الأولويات لضمان هذا الهدوء والإستقرار، أن قام عبد الرحمن الداخل بخطوة مهمة وجريئة، وهي إختياره وليا للعهد قبل موته، ولم يكن سوى هشام ابنه الثاني الذي ولد بالأندلس،[2] والذي كان "يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الأمر"[3]، حتى أن المصادر تذكر أن هذا الأخير قبل عهده لهشام كان كثيرا ما يسأل يسأل عن ابنيه سليمان وهشام[4]، وهذا خوفا على عاقبة دولته وتمكينا لها فيما بعد موته.

من بين سياسات هشام بن عبد الرحمن الداخل التي عرف بها، تقريبه المبالغ للفقهاء، والعمل على مشاورتهم حتى أنهم أخذوا مكانة بارزة في السلطة، جعلت منهم نخبة سياسية لها دور في توجيه سياسة هشام وقراراته، ولا بدّ لها في هذه الحالة أن تلعب دور الوسيط بين السلطة والمجتمع الأندلسي، وهذا ما أنشأ نوعا من الهدوء في هذه الفترة، جعلت من إبن حزم يذكرها قائلا:" وكانت أيام هشام خير أيام عافية وهدوء"[5]، كما كما أن "حبّه لأهل الخير والصلاح"[6]، جعل من المصادر تمدحه أيما مدح، وبعيدا في حكمنا على مبالغة هذه المصادر في حكمها على هذا الأمير الأموي، نضيف بعض ما نستشهد به، كالمقري الذي يقول: "ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس، قال: أسأل الله تعالى أن يزين موسمنا بمثل هذا"[7]، وهناك من تضيف:" وكان يشبه في سيرته سيرته بعمر بن عبد العزيز"[8]، وعلى كل حال فإن استقراء هذه العبارات يدفعنا إلى

1- إبن الخطيب، أعمال الأعمال، ص11/ إبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص146/ فتح الأندلس، ص108/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص58/ الحميدي، المصدر السابق، ص15/ الضبي، المصدر السابق، ص18.

2- النويري، المصدر السابق، ص، 71/ إبن خلدون، نفسه، ص149/ المقري، المصدر نفسه، ص263.

3- نفسه، المصدر نفسه، ص73.

4- المقري، المصدر نفسه، ص265.

5- إبن الخطيب، المصدر نفسه، ص 14.

6- نفسه، المصدر نفسه، ص77.

7- المقري، نفسه، ص265.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، ص308/ تاريخ الأندلس، ص171.

الإستدلال أكثر بمدى علاقة هشام بالفقهاء، وما مدح زياد بن عبد الرحمن- مع أخذنا لهذا بتحفظ شديد- هشاما أمام أنس بن مالك إلا أحد هذه الأدلة.

تسببت الثورات العديدة التي قام بها العرب ضد عبد الرحمن الداخل، في هدوئهم ولو إلى حين، وبخاصة بعد أن تلقّوا من هذا الأخير ضربات موجعة ومتتالية، وهذه الحالة كعامل آخر هي من كرست تمديد فترة الهدوء التي عاشتها عهدة هشام، لتبقى علاقة البربر مع السلطة، وبخاصة من جانب المعارضة، هي من طبعت هذه الفترة، مع العلم أن جل المصادر وحتى المراجع لا تركز في هذه الفترة وبنسبة كبيرة سوى على ثورة أخوي هشام، سليمان وعبد الله البلنسي، متغافلة عن وقود هذه الثورة ومشعل نيرانها، وهم البربر الذين ما ساندوا سليمان بن عبد الرحمن الداخل، وأخاه عبد الله البلنسي إلا لمعارضتهم لسلطة بني أمية، أو لنقل إلا ببقاء هذه المعارضة متأججة في صدور البربر، منذ فترة عبد الرحمن الداخل، والتي كان عليهم ترجمتها على أرض الواقع ولو في ثوب آخر، ولم يكن ذلك إلا بالتفافهم حول معارضة البيت الأموي، التي ترعمها سليمان بن عبد الرحمن، ناهيك عن ثورة تاكرنا التي استنفذت الكثير من قوى هشام.

أما بالنسبة للمجال الخارجي فقد تطور العمل العسكري باتجاه بلاد الإفرنج، حيث فتحت جرندة وأربونة سنة 177هـ-793م[1]، وإنهزمت الجيوش النصرانية في الكثير من المرّات أمام جيوش هشام بن عبد الرحمن، كغزوة يوسف بن بخت سنة 176هـ-792م، إلى جليقية أين التقى ببرمود الكبير، والتي كانت نتيجتها عشرة ألاف قتيل في صفوف الجلالقة[2].

ختاما كانت ولاية هشام على ماردة في فترة أبيه عبد الرحمن الداخل[3]، أحد المنابع المنابع التي ارتوى من تجاربها، وغرف من أحداثها، لتتضح سياسته وتقطف ثمارها في فترة إمارته، ناهيك عن وزارته لأبيه ومدى أهميتها في نضجه السياسي هذا.

1- النويري، المصدر السّابق، ص76/ ابن خلدون، المصدر السّابق، ج4، ص150/ المقري، المصدر السّابق، ص265.
2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص63.
3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص149/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 61.

دور البربر في ثورة سليمان وعبد الله البلنسي: كان سليمان بن عبد الرحمن الداخل بطليطلة واليا عليها عندما وصله خبر وفاة أبيه، وبالرغم من أن سليمان كان-كاحتمال أكيد -على علم بهذه الولاية، فإنه عارضها، ويبدو أنه أجل تلك المعارضة إلى ما بعد وفاة أبيه عبد الرحمن، ويا ليت هذه المعارضة وقفت عند سوء تفاهم، أو إستعمال الحياد، بل تعدت ذلك إلى معارضة عسكرية وسياسية شديدة، بدأها سليمان الشامي- لأن سليمان ولد بالشام- بأخذ البيعة لنفسه بطليطلة وما جاورها،[1] مع تجنيد الجيوش وحشدها.

بدأ خروج سليمان الشامي وعبد الله البلنسي على أخيهما هشام سنة 173هـ-789م[2]، وبالتحديد من طليطلة، أين تمكن هذا الأخير من محاصرتهما، والتضييق عليهما، إلا أن سليمان الشامي استطاع بطريقة أو بأخرى الفرار من الحصار والتسلل اتجاه قرطبة، بهدف امتلاكها والإستيلاء عليها، إلا أن أهالي قرطبة كانوا له بالمرصاد حيث خرجوا مدافعين له[3].

ليس بمقدورنا في ظل غياب المعطيات في المصادر فهم طبيعة الدفاع الذي قام به أهالي قرطبة، كما لا نعلم إذا ما كانت هناك حامية عسكرية خلفها هشام وراءه لحراسة قرطبة، أم بقيت بدون جند ولهذا قام الأهالي بالدفاع عن أنفسهم؟ إلا أن ما نصل إليه كنتيجة لما قام به أهالي قرطبة يوضح إنقسام المجتمع الأندلسي على نفسه بين موال ومعارض لسلطة هشام، بالرغم من أن مخالفيه من البيت نفسه.

كما أن هذا الانقسام يسمح لنا من خلال اتباعنا للتطور التاريخي لبلاد الأندلس إكتشاف أن نقطة الإنعطاف في مفهوم الهوية لدى الأندلسيين قد بدأت في هذه الفترة، ليأخذ هذا المفهوم مسارا آخر، ولو ببطىء شديد، حيث سيتطور من الإنتماء القبلي إلى العشائري ثم الانتماء إلى المدينة، وهذا ما توضحه مساندة أهالي طليطلة للمعارضة، ومساندة أهالي قرطبة للسلطة.

1- نفسه، المصدر السابق ج2، ص62.

2- النويري، المصدر السابق، ص 74/ إبن الأثير، المصدر السابق، ص 284/ إبن عذارى، المصدر نفسه، ص63.

3- إبن عذارى، نفسه، ص63/ إبن الأثير، المصدرنفسه، ص 285/ النويري، المصدرنفسه، ص73.

بعد فشل سليمان بن عبد الرحمن في دخول قرطبة كرّ راجعا إلى مدينة ماردة، وبخاصة حين سماعه بقدوم جيش هشام[1]، وهنا كذلك يضطرنا هذا المجال من الأحداث في طرح سؤال ملح، وهو لماذا ماردة؟ أي لما لم يختر سليمان وجيشه مدينة أو منطقة أخرى غير ماردة وهي المعروفة بكثافتها البربرية؟ قبل الإجابة على هذا السؤال لابأس من تتبع تطور الأمور، والتي إنتهت في الأخير بدون أن يقوم سليمان الشامي بأية حركة ذات تأثير على سلطة هشام، لتدخل الثورة في مرحلتها الثانية.

تبدأ المرحلة الثانية من هذه الثورة مع استسلام عبد الله البلنسي سنة 174هـ-790م، وفي هذه السنة سير هشام بن عبد الرحمن الداخل ابنه معاوية إلى تدمير[2] وبها سليمان، الذي فر ملتجئا إلى بربر بلنسية[3]، ولم يستطع أن يثور من جديد لعدم سماح الظروف بذلك، ولعل المسكة الحديدية لهشام على رقبة مخالفيه، هي من جعلتهم يستسلمون، وهذا ما دفع بسليمان الشامي، بطلب السلم والأمان من أخيه هشام الذي اشترط عليه مغادرة الأندلس، والإستقرار بالعدوة المغربية، وإن كان إبن خلدون يذكر، أن سليمان هو من طلب ذلك العبور.[4]

من خلال حيثيات هذه الثورة وتتبع تفاصيلها نجد أن البربر كانوا الركن الذي أوت إليه، والأساس الذي اعتمدت عليه، حيث بدأ موقف البربر المتضامن مع سليمان بن عبد الرحمن الشامي من طليطلة أين يتواجد الكثير من هؤلاء البربر، وبالأخص منهم البرانس[5]، الذين كانوا نواة جيوش هذه الثورة، وحتى نستدل أكثر على الإعتماد الكلي لسليمان الشامي في معارضته هذه على البربر، نتتبع المراكز والمعاقل التي جند منها جيوشه، أو تلك التي إلتجأ إليها فارا في كل مرة، فبعد فشله في الإستحواذ على قرطبة، كر فارا إلى ماردة، الواقعة على ضفاف وادي آنة والتي كانت من أكثر المناطق الآهلة

1- النويري، المصدر السابق، ص74/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص63/ تاريخ الأندلس، ص170.

2- تدمير: تقع في شرق جيان، وغرب قرطبة، وهي منطقة غنية" Levi Provençal-opcit- p70/ يراجع حول تدمير: إبن غالب، المصدر السابق، ص284/285، العذري، المصدر السابق، ص1 وما بعدها، الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص538.

3- النويري، المصدر نفسه، ص74/ إبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص150/ إبن الأثير، المصدر السابق، ص285.

4- إبن خلدون، المصدر السابق، ص150.

5- ذنون طه، الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ص296.

بالسكان البربر، المنتمي معظمهم إلى مصمودة ومكناسة وهوارة وكتامة[1]، كما استقر بنو وانسوس المكناسيين موالي عبد الرحمن في هذه المدينة[2] .

إلتجاء سليمان إلى مدينة ماردة، يعتبر في حد ذاته أحد عوامل البرهنة على استناد هذا الأخير على البربر، وهنا نفتح قوسا آخر لفهم نطاق هذا الإستناد، فهل توجه سليمان إلى بربر ماردة كان بفعل وجود بربر موالين له أو لبني أمية بها؟ أم أن البربر المتواجدين في جيشه هم من قادوه إلى هذه المدينة بهدف إيجاد الدعم البربري اللازم من إخوانهم هناك؟ أم أن هذا يعني أن بربر غرب الأندلس هم من كانوا قاعدة هذه الثورة.

إستمرارا منا في البرهنة على المشاركة البربرية القوية في هذه الثورة، ومن خلال تتبعنا للمجال الجغرافي لها وعلاقة ذلك بالبربر، نكتشف مدى انتشار هذه الثورة في الوسط البربري، والذي لم يقتصر على بربر الغرب فحسب، بل تعداه إلى الجهات الشرقية من الأندلس، حيث كان توجه سليمان الشامي في المرحلة الثانية من ثورته، من تدمير إلى بلنسية، أين كانت بها كذلك كثافة سكانية معتبرة من البربر، وبخاصة منهم البرانس الذين كان معظمهم من صنهاجة وأوربة وكتامة وهوارة ومصمودة، ناهيك عن تواجد البربر البتر كقبيلتي نفزة وزناتة[3]، لحد أن العذري يصرح بوجود إقليم بكامله في بلنسية، يسمى إقليم زناتة[4].

مع العلم أن بعض المصادر تؤكد على الطبيعة السياسية لأهالي هذه الناحية من البربر، حيث يذكر اليعقوبي حين يتناول بلنسية وأهاليها قائلا:" وهو بلد واسع جليل نزله قبائل البربر، ولم يعطوا بني أمية الطاعة"[5]، فهذا التصريح يوضح تماما– وكأنه يجيب عن تساؤلاتنا – لماذا التجأ سليمان الشامي إلى بلنسية ذات الكثافة البربرية الواسعة، والتي لم تكن سوى لأن البربر هم من تولى زمام هذه الثورة، والتي لا بدّ لها من المكوث بمناطق تواجدهم، أين يستطيعون اللعب على كافة الأصعدة.

1- نفسه، ص272.

2- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص499.

3- ذنون طه، المرجع السابق، ص276/275.

4- العذري، المصدر السابق، ص20.

5- اليعقوبي، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ– 1988م ص111.

وللكشف أكثر عن دور البربر السياسي ومدى جدواه ببلاد الأندلس، لابأس أن نستذكر مغادرة سليمان الشامي إلى العدوة المغربية، ولعلنا ننتقد ما ذكره إبن خلدون حول طلب سليمان نفسه لمغادرة الأندلس، والتوجه إلى الطرف الآخر[1]، إذ يتبادر إلى الذهن، كيف يمكن لرجل متعطش إلى السلطة ويسعى إليها جاهدا، وبكل الوسائل، أن يطلب ترك الأندلس ومغادرتها؟ ألم يكن من الحصافة، المكوث في بعض أرجائها حتى يحين الوقت المناسب للعودة إلى المعارضة والثورة؟ بدون أن ننسى موقف عبد الله البلنسي الذي طلب السلم والأمان، مع بقائه في الأندلس.

لقد كان سليمان بن عبد الرحمن ذكيا في طلبه ذاك، لأنه وبكل بساطة يعلم، أن تواجده بأرض العدوة سيكون أكثر تلاؤما مع طموحه السياسي، فهو أولا آمنا من بطش أخيه هشام الذي ربما لم يكن ليستغني عن خطط أبيه في تصفية خصومه، ولو كانوا من البيت الأموي نفسه[2]، كما أنه يستطيع تجنيد بربر العدوة، بطريقة أو بأخرى كما فعل أخوه عبد الرحمن من قبل، على الأقل عن طريق الشراء أو الإرتزاق، كما أنه من المفيد جدا تذكر العلاقات بين بربر العدوة وإخوانهم بالأندلس، أين كانوا يجتمعون على مناصرة بعضهم بعضا.

أما ما نستطيع إضافته حول دوافع سليمان الشامي في إستقراره بأرض المغرب، هو وجود دولة الرستميين الإباضية بتاهرت، والتي كانت لها علاقات جيدة مع إمارة بني أمية، في فترة عبد الرحمن الداخل، وهذا ما يجعلنا نحتمل إقامة سليمان بن عبد الرحمن الداخل على أرض الرستميين، الذين ربما أتاحوا له جميع الظروف ووفروا له كل الإمكانات للتفكير أكثر فيما كان يطمح إليه، وما يطمحون إليه هم كذلك، بدون أن ننسى التقاء الرستميين مع الأندلسيين في عداوتهم للعباسيين، ومصالحهم الإقتصادية المشتركة.

1- إبن خلدون، المصدر السبق، ج4، ص150.

2- في سنة 163هـ- 779م، قتل عبد الرحمن الداخل عبد السلام بن يزيد بن هشام، وقتل معه من الوافدين عليه، عبيد الله بن أبان بن معاوية المعروف باليزيدي، وكان فيمن وفد عليه بن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى في طلب الأمر لنفسه فقتله سنة 167هـ- 783م، ونفى أخاه الوليد بن معاوية بماله وولده وأهله، المقري، المصدر السابق، ج3، ص321/ فتح الأندلس، ص107/ إبن حزم، المصدر السابق، ص21.

ثورة البربر بتاكرنا: بقي البربر في الكثير من المناطق ببلاد الأندلس يتحينون فرص التمرد والعصيان لما أصابهم في مرحلة عبد الرحمن الداخل من المحن والأزمات، لهذا ما إن دخلت سنة 178هـ-794م[1] حتى هاجت فتنة بربر تاكرنا[2]، ولا تبينا المصادر عن سبب أو أسباب هذه الفتنة- كما سموها- سوى أن البربر خلعوا الطاعة و"أظهروا الفساد وقطعوا الطريق"[3]، وهذه العبارات القاسية التي تحمل تهم الفساد والغي، لا نستطيع الإيمان بها إلا بتحفظ كبير، وهذا تحت أسباب عديدة، الرئيس منها، هو تناقض المصادر حيث تدعي أن هذه الثورة قام بها الأهالي، فهل يجوز في هذه الحالة أن يكون أهالي تاكرنا كلهم قطاع طرق ومن المفسدين في الأرض، هذا من جانب، أما من جانب آخر، لو أن الفتنة كانت محصورة في فساد الأرض وقطع للطريق فهل كان الحل إرسال جيش بكامل عدده وعدته إلى المدينة.

تشير المصادر إلى أن عبد القادر بن أبان بن عبد الله مولى معاوية الذي أرسله هشام قائدا على الجيش، قد استعمل سياسة العنف والقسوة، والتي يبدو أنها كانت جد شديدة وإلى حد بعيد، حيث أباد البربر وخرب بلادهم، بل الأدهى والأمر من ذلك أن الإقليم الذي تنتمي إليه تاكرنا وهو إقليم رندة، وجراء سياسة الشدة والتعسف التي استعملت، بقي خاليا قفرا مدة سبع سنوات، بعد أن فر الأهالي إلى طلبيرة[4] وترجيلة[5]، وهذا يعني أن إقليما بكامله كان ضحية سياسة مسطرة ومنتهجة، وبالتالي فمن المستحيل أن يكون هذا مجرد ضرب لفتنة وتحت سبب غامض بل ويكاد يكون تافها وهو قطع الطريق والإفساد في الأرض.

---

1 - النويري، المصدر السابق، ص77/ إبن عذارى، المصر السابق، ص64/ إبن الأثير، المصدر السبق، ص304/ يذكر إبن خلدون، أن هذه الفتنة كانت، سنة 176هـ-792م.

2- تاكرنا:" كثيرة الجبال والعيون، وبها حصون منيعة، ومن مدنها رندة، وهي مدينة خصيبة أزلية، تاريخ الأندلس، ص124.

3- إبن خلدون، المصدر نفسه، ص304/ إبن عذارى، المصدر نفسه، ص64/ النويري، المصرنفسه، ص77.

4- طلبيرة:" وهي في أقصى ثغور المسلمين وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين"، البكري، المسالك والمسالك، حققه ووضع فهارسه: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م، ج2، ص395/ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص551.

5- ترجيلة: "بالضم ثم بالسكون، وكسر الجيم، وياء ساكنة، ولام:" مدينة بالأندلس، من أعمال ماردة، بينها وبين قرطبة ستة أيام غربا، وبينها وبين سمورة من بلاد الفرنج ستة أيام"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص22.

عند إستقراء أحداث هذه الفتنة وبنوع من الحذر الشديد علينا أن نؤمن أن بربر تاكرنا قاموا بتمرد أو بعصيان عنيف ربما تسبب في الكثير من الأزمات لسلطة قرطبة، واصطلاحنا لهذه الفتنة بالتمرد، يعود إلى عدم إشارة المصادر، لا من قريب ولا من بعيد إلى أية مواجهة أو مجابهة عسكرية بين الطرفين، بل من المحتمل أن هذا الإحتكاك كان على شكل حصار شمل الإقليم كله، وكانت نتيجته الترحال أو الهجرة الإضطرارية لبربر هذه المنطقة.

ختاما لا بدّ أن نشير إلى نقطتين اثنتين، وهما جد هامتان أولهما أن هذا التمرد يثمن ما أسلفنا ذكره، وهو أن البربر قد بقوا في صف المعارضة منذ سنة 150هـ-767م، وأنهم بقوا على ذلك، بمشاركتهم في جميع الثورات إلى غاية فترة هشام بن عبد الرحمن الداخل، أما النقطة الثانية، فهي ملاحظتنا للمصادر التي نراها تغافلت- ومن المحتمل بشكل مقصود- عن كل ما هو بعيد عن المواجهات العسكرية بين السلطة والمعارضة من جهة، وعن كل ما قامت به السلطة من تجاوزات اتجاه الأهالي، بل نراها تعمل عمل المدافع عن أعمال وإجراءات هذه السلطة، وتجهد نفسها في تبرير ما تقوم به، بل أحيانا نراها تغض الطرف كله عن هذه الأعمال، لتأتي الأحداث مختزلة وجد مختصرة، وهذا العمل في حقيقته هو من يقلص وجود المعطيات أو المادة التاريخية، وينقص من قيمتها.

المعارضة البربرية على عهد الحكم بن هشام:

الصورة السياسية لحكم الحكم الربضي وفترته: قد لا نغال ولا نبالغ إذا ما صرحنا، بأن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الملقب بالحكم الربضي، هو المؤسس والباني الحقيقي للإمارة الأموية بالأندلس، والذي وطأ لعقبه الملك بها،[1] وهذا من خلال الأعمال السياسية والإدارية وحتى العسكرية التي قام بها، والتي كانت جد متميزة، وذات سمات تتفق في مجملها بالصرامة والقوة، حتى أنها تشبه ولحد بعيد، ما كانت عليه سياسة عبد الرحمن الداخل.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ص466.

ولي الحكم الربضي الإمارة وهو ابن ست وعشرون سنة، حيث كانت البيعة له، لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة 180هـ-796م[1]، ومقارنة مع ما ذكرته المصادر حول أيام الهدوء والعافية في فترة أبيه هشام بن عبد الرحمن ، وما وصف به هذا الأخير من صفات الإحسان والعدل، وقبوله عند العلماء الأفذاذ، نراها هذه المرة تندب حظ هذه الفترة، واصفة الحكم الربضي بكل صفات القسوة والتجبر والطغيان فهو "عندما اشتد سلطانه، عتى وتجبر واعتسف رعيته"[2]، ويدرجه ابن حزم ضمن الأمراء الأمويين الذين يصفهم: "بالمجاهرين بالمعاصي، والمنهمكين في اللذات"[3]، وتعود هذه العبارات في الواقع إلى ناحيتين اثنتين، أولهما أعمال الحكم الربضي وما قام به اتجاه أهالي ربض قرطبة وقتله للعلماء والفقهاء في الأولى[4]، ونفيه للآلاف من الأهالي خارج الأندلس في حادثة الربض الثانية، وما قام به كذلك في طليطلة ومذبحة الحفرة وغيرها، أما من الناحية الثانية، فتعود إلى طبيعة أصحاب المصادر التي كان أغلبهم من الفقهاء وأهل الحديث، كابن حزم وغيرهم ممن أنكروا فعل الحكم الربضي بالفقهاء والعلماء وقتله لهم، وهذا الفعل في حد ذاته هو ما ألهب حماستهم في وصفه بهذه الأوصاف، حتى أنها تعدت إلى ما هو أقبح وأشنع.[5]

لم يكن في الأندلس من هو أكثر خوفا على مستقبله السياسي في فترة الحكم الربضي من شريحة الفقهاء، الذين تمتعوا بكل المزايا على عهد هشام بن عبد الرحمن، لذا قاموا بمعارضة عنيفة اتجاه سلطته، ولم يكن من الممكن ضرب هذه السلطة، إلا باستعمال العامة، التي كانت طوع أمر الفقهاء، وهذا بتقبيح أفعال الحكم الربضي بإشاعة شربه للخمر وتعاطيه المنكرات والمعاصي في صفوفها، وهنا نتساءل، لو أن الحكم

1- إبن حيان، السفر الثاني من كتاب المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، د. ت- ص186/ إبن عبد ربه الأندلسي، المصدر السابق، ص 232/ إبن الأثير،المصدر نفسه، ص466.

2- إبن حيان، نفسه، ص 119.

3- إبن حزم، نقط العروس، ص177.

4- على سبيل المثال، قتله الفقيه أبا زكريا يحي بن مضر القيسي وكان "قدوة في الدين والورع، سمع من سفيان و مالك" المقري، المصدر السابق، ص270، للمزيد من التفاصيل حول إبن مضر يراجع، إبن الفرضي، المصدر السابق، ص429.

5- يذكر إبن حيان، أن الحكم بن هشام، كان مع جبروته يخصى من إشتهر بالجمال من أبناء رعيته ليدخلهم إلى قصره" المصدر السابق، ص233/ ينظر كذلك جمهرة أنساب العرب، ص96.

الربضي بقي محافظا على مكانة الفقهاء وعلى امتيازاتهم التي تحصلوا عليها في زمن سلفه، هل كانوا يثورون، مستغلين مكانة الدين وسط أهالي قرطبة؟.

ربما تبدو هذه التغطية لا فائدة منها؟، لكنها في الحقيقة تغطية تحمل الكثير من المعاني، وأبرزها مكانة الفقهاء بين السلطة والمجتمع، ومدى قيمة هذه المكانة وبالأخص في الزمن الأول من فترة الإمارة، كما أنها تتيح لنا فهم بعض مناحي التطور السياسي لبلاد الأندلس في هذه الفترة.

إذا كان للفقهاء في المجتمع الإسلامي ككل مشاركات سياسية عديدة سواء على مستوى المعارضة أو الموالاة، فإن الأندلس في هذه الفترة لم تعرف هذا الشكل من المشاركة، وبالرغم من أن بعض الباحثين يجعلون من علاقة الفقهاء بالسلطة ثنائية المسار أي من الفقهاء بإتجاه السلطة ومن السلطة باتجاه الفقهاء،[1] فنحن لا نعتقد بوجود ذلك في بلاد الأندلس، إلى غاية فترة الحكم الربضي، لأن النظم الإدارية والسياسية لم تكن لا ثابتة ولا محددة، ولا حتى متطورة، وبالتالي ففاعلية الفقيه لم تكن ضمن نطاق السلطة، كما أن الفترات السابقة، لم تكن لتسمح بتكوين نخبة سياسية من ضمنها الفقهاء، لأن السلطة وبكل بساطة كانت دائمة البحث عن الإستقرار بإستعمال القوة والحرب، باحثة عن موالاة رجال الحرب، وزعماء القبائل وأمراء الثغور، لا عن الفقهاء والمحدثين.

وحتى لا يعتقد أننا وضعنا أنفسنا في تناقض، أي بين ذكرنا بإيجاد الفقهاء لأنفسهم مكانة سياسية بارزة، وبين قولنا أن فاعلية الفقيه لم تكن ضمن السلطة نجد أنه من الملائم جدا، تتبع جذور علاقة الفقهاء بالسلطة والتي كادت تكون معدومة في فترة عبد الرحمن الداخل للأهوال التي قاساها هذا الأخير في مواجهة الخارجين عليه، أما ما ذكرناه من تلك المكانة في عهد هشام، فقد كانت في بداياتها الأولى فقط، وحتى نكون منصفين، فإن الصفقة التي أراد هشام عقدها- وهي عملية مقصودة منه- مع الفقهاء بتقريبهم والتودد إليهم، أي لكسبهم إلى صفه، كانت ما تزال ثمارها لم تنضج بعد، وبخاصة ونحن نعلم أن

1- الخنيطي سعد خلف، الفقيه والسلطان، دار البيارق، عمان، ط1، 1420هـ-1999م، ص9.

فترة هشام لم تدم أكثر من ثمان سنوات، ولهذا جاء خوف الفقهاء من تفويت هذه الفرصة.

كان الحكم الربضي "ذا صولة تتقى"[1]، وهذا لأعماله وحيله التي جسدها على أرض الواقع، والتي ما كانت إلا بعد أن أعد لها عدتها، فقد كان يرابط في أحد جوانب قصره ألف فرس[2]، ناهيك عن تجنيده للجنود المرتزقة، حيث، "إستكثر من الحشم والحواشي، وإتخذ المماليك وجعلهم في المرتزقة، حتى بلغت عدتهم خمسة ألاف"[3].

وبالرغم من أن الحكم الربضي كان تحت يده جيشا قويا، إلا أن برشلونة سقطت في يد الفرنجة سنة 185هـ-801م[4]، وهذا بسبب الإضطرابات الداخلية، إضافة إلى ما عرفه البيت الأموي الحاكم من نزاع حول أحقية السلطة.

أدت الحرب التي وقعت بين الحكم الربضي وعميه سليمان الشامي وعبد الله البلنسي، إلى أخذ الحيطة والحذر من تكرار ذلك في المستقبل، أي إشعال حرب أخرى بين أفراد البيت الواحد، لذا أخذ البيعة لولده عبد الرحمن، وهي أول بيعة لولي عهد في تاريخ الإمارة الأموية[5].

دور البربر في تمرّدات طليطلة: كانت طليطلة دائما وأبدا شوكة في حلق الإمارة الأموية، فهي دائمة التمرد والثورة، وملجأ المتمردين والخارجين وهذا منذ عهد عبد الرحمن الداخل، إلا أن هذه التمردات ازدادت في عهد الحكم بداية من سنة 180هـ-796م، ولا ريب أن البربر شاركوا في الكثير من هذة التمردات، حتى وإن تغافلت المصادر عن الكثير منها، فهم قد ذكروا في خروج أهل طليطلة سنة 180هـ-796م، وسنة181هـ-797م، وهذا عند التعديلات الإدارية التي قام بها الحكم بن هشام الربضي في مدينة طليطلة، حيث عزل سنة، أبا مضر محمد بن عبد الله بن مزين عن ولايتها سنة

1- إبن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص269.

2- إبن الخطيب، أعمال الأعلام، ص18/ إبن عذارى، المصدر السابق، ج2 ص79/ إبن عبد ربه الأندلسي، المصدر السابق، ج4، ص233.

3- النويري، المصدر السابق، ص93/ إبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص153/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص268.

4- إبن حيان، المصدر السابق، ص116.

5- نفسه، ص183.

180هـ-796م، وولى مكانه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، الذي أراد هو الآخر التحكم في زمام هذه المدينة، إلا أن رجالات هذه الأخيرة وأهلها رفضوا إجراءات الوالي الجديد، وثاروا عليه، شاكين للأمير الحكم الربضي ما حصل لهم، وفي هذه الآونة بالذات "قدم مساور على البربر بتولية عبد رب بن زريق على طليطلة وعزل عبد الكريم"، الذي لحق بأخيه عبد الملك بسرقسطة غاضبا[1].

والعبارة اللافتة للنظر والتي تهم بحثنا، "قدم مساور على البربر بتولية عبد رب بن زريق"، وهنا نتساءل لماذا البربر؟ أو بأكثر دقة لماذا جاء مساور هذا وبالتحديد إلى البربر؟ أهم من ثار على عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، غضبا على عزل محمد بن عبد الله بن مزين[2]، وإذا ما ثاروا من أجل ابن مزين، فهل يعود هذا إلى كونه بربري؟ من الجرأة في الحقيقة أن نجيب على هذه الأسئلة، فباستثناء وجود البربر وبشكل واضح للعيان في نص إبن حيان، لم نعرف بالتحديد ما هو الدور الذي تكفل به البربر في هذا العصيان، أو ما هو الدور الذي قاموا به، حتى يأتي مساور هذا بخبر تولية عبد رب بن زريق إلى البربر، ولكن وبنوع من الاستقراء نستطيع القول أن البربر هم من كان وراء هذا التمرد، ووراء عزل عبد الكريم بن عبد الواحد، بل ومن الممكن جدا أن يكونوا هم من طلبوا تولية عبد رب بن زريق ذاته مقابل الهدوء والإستقرار، وبخاصة أن ابن حيان يؤكد مرة أخرى قائلا: "وغضب له أهل طليطلة، فوثبوا به مع عبد رب بن زريق في جماعتهم، وأخذوا عليه الحصن أياما"[3]، مما يدل على أن عملية العصيان كانت في بدايتها، وفي طور المساومة، ولم يكن حينها من السلطة سوى الرضوخ للأمر الواقع وتلبية مطالب البربر، ولو على حساب أقرب الناس إخلاصا لها.

لم تنته مشاكل طليطلة بعد تولية عبد رب بن زريق، وهذا ما كان منتظرا، لأن توليته ما كانت سوى تحت ضغط أهالي طليطلة، ولم تكن أمام السلطة سوى مسألة وقت

1- إبن حيان، المصدر السابق، ص103.

2- بنو مزين، أسرة معروفة في الأندلس، وهم من بيوت موالي بني أمية، أنجبت الكثير من رجالات السياسة والعلم، للمزيد من التفاصيل يراجع، إبن الأبار، ج1، ص88/ إبن الفرضي، ص 432/ الحميدي، ص139.

3- إبن حيان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لتغييره، وبطبيعة الحال نهضت طليطلة عن بكرة أبيها، وثارت بزعامة عبيد الله بن خمير جراء هذا العزل، مما دفع بالأمير الحكم الربضي إلى تنصيب أحد ثقاته والمقربين إليه وهو عمروس بن يوسف صاحب طلبيرة، وكان هذا سنة181هـ-797م[1].

أفادت أمراء بني أمية عبر تاريخهم السياسي الكثير من الشخصيات الطموحة سياسيا، والتواقة إلى المشاركة السياسية ولو على حساب سمعتها، وكانت هذه الشخصيات تقوم بكل ما يطلب منها وتشارك في صنعه، ويعتبر عمروس بن يوسف المعروف بالمولد،[2] أحد هذه النماذج التي إرتبط اسمها بفترة الحكم الربضي وأعماله، حيث كان يتمتع بدهاء سياسي عال ومهارات سياسية متميزة، وهذه الميزات هي من حفزت الأمير الحكم الربضي على استعماله، وتوظيفه في أحداث طليطلة، أين قام هذا الأخير وإضافة إلى الحرب والغارة على المتمردين بإستعمال المكر والخديعة، حيث كاتب بني مخشي[3]، الذين كانوا من المتقدمين وأصحاب الجاه في طليطلة "يستميلهم إلى السلطان ويعدهم الولاية"[4]، ومن المحتمل جدا أن يكون هؤلاء ممن كان لهم في السابق تطلع وطموح إلى السلطة استغله عمروس بن يوسف في القضاء على متمردي طليطلة، بل إن تتبع تفاصيل هذه الإنتفاضة، وبخاصة كما يرويها ابن حيان تدفعنا إلى التأكيد على مشاركة بني مخشي مع أهل طليطلة في معارضتهم للسلطة، حيث يذكر قائلا: "فغدروا ابن خمير وقتلوه"[5]، مما يعني أكثر أن الوالي استطاع أن يحول معارضة بني مخشي للسلطة إلى موالاة لها.

قدم بنو مخشي برأس زعيم المعارضة إلى عمروس بن يوسف الذي كان بطلبيرة، والأمر إلى غاية الآن طبيعي جدا، ومن الطبيعي جدا كذلك، أن يكون هؤلاء قد نزلوا عند صاحبهم في غاية الإكرام وحسن الضيافة ولو إلى حين، وكم كانت ضيافة عمروس لضيوفه كبيرة، حتى أنها لتعبر حقيقة عما كان قد دبره وأحبك خيوطه قبل مجيئهم، إذ أن

1- يذكر النويري في صفحة 81/80 سنة184هـ-800م، وأن صاحب هذه الإنتفاضة هو عبيد بن حميد. وهذا ما يكرره إبن خلدون، ج4 ص70/69.

2- إبن الأثير، المصدر السابق، ج5 ص315.

3- لم أجد في جمهرة أنساب العرب لإبن حزم تاريخ نسبهم أو إنتمائهم.

4- إبن حيان، المصدر السابق، ص105.

5- نفسه، المصدر السابق، ص105.

بني مخشي ما طلعت شمس الغد حتى كانت رؤوسهم برفقة رأس عبيد الله في طريقها إلى قرطبة، إثر هجوم بربر طلبيرة عليهم[1]، وهم إن صح التعبير في ضيافة عمروس، ونحن هنا نفتح مجالا آخر حتى نستطيع تغطية هذه العملية، حيث أنه وبعد تساؤلات عديدة وربطها بأحداث العملية وبنوع من الإستقراء لشخصية كل من الحكم الربضي وعمروس بن يوسف، وما قاما به من الأحداث اللاحقة، كحادثة وقعة الحفرة المعروفة بطليطلة، لا نستطيع سوى أن نؤكد أن العملية كانت مفتعلة ومسبقة، ولعمروس بن يوسف يد فيها، وحتى يكون لتأكيدنا ما يبرره نقف على ما قاله المؤرخون بما فيهم ابن حيان الذي يقول: "فاعتد عمروس ذلك فتحا إلى الفتح، وبعث برؤوسهم مع رأس ابن خمير قتيلهم إلى الأمير الحكم"[2]، وهنا نقول لماذا اعتبر عمروس هذا الفعل فتحا، ثم والأكثر من ذلك لماذا أرسل برؤوسهم- أي برؤوس بني مخشي- إلى الحكم الربضي، خاصة ونحن ندرك أنه من كانت ترسل رؤوسهم إلى العاصمة قرطبة هم العصاة والمتمردين وأهل الثورة وأصحابها، وهكذا لا نستطيع سوى التأكيد على ضلوع عمروس في هذا الحدث تدبيرا وتطبيقا وربما حتى مشاركا، إذ يضيف ابن خلدون قائلا:" فقتلهم البربر بطلبيرة بثأر كان لهم، وقتل عمروس الباقين واستقامت تلك الناحية"[3].

تبقى المسألة الرئيسة والتي علينا معالجتها هي لماذا قام البربر بهذا الفعل مع بني مخشي؟ مع العلم أن المصادر تشير إلى ثأر كان بين الطرفين، ونحن لا نستطيع التسليم بهذا الأمر لأنه لو كان كذلك، لما التجأ بنو مخشي إلى طلبيرة أين يقطن أعداءهم البربر وهم أكثر منهم قوة وعددا، ولكن الأمر كله يعود إلى تخطيط محكم من جانب عمروس بن يوسف، الذي كان يدرك تماما أن بني مخشي سيفرون إليه لا محالة بعد غدرهم بأهالي طليطلة، مما جعله يضرب موعدا مع بربر طلبيرة في تنفيذ هذه العملية، أي أنه وبمعنى آخر استطاع أن يقضي على أطراف هذه الفتنة على طريقة عبد الرحمن الداخل،

1- ابن حيان، المصدر السابق، الصفحة 105.

2- نفسه، ينظر كذلك، ابن عذارى، ج2، ص69/ النويري، ص80/81.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ص151.

أي الواحد بعد الآخر، مع استعمال سياسة فرق تسد، كما استطاع أن يلقي بتبعية قتل بني مخشي على بربر طلبيرة بدون المساس بشرف السلطة وسمعتها.

وهكذا لا نستطيع الإعتماد على ما ذكرته المصادر حول مسالة الثأر التي كانت بين الطرفين، ولكن حول ظاهرتين اثنتين أولهما ظاهرة الموالاة والمعارضة، حيث تمكن عمروس من استمالة بربر طلبيرة إلى صفوف السلطة، أما الظاهرة الثانية، فهي التطور الاجتماعي للبربر، حيث نجد المصادر تصفهم ببربر طلبيرة أي انتقلت من الإنتماء القبلي أو العشائري إلى الإنتماء المكاني أو الجغرافي، وبأكثر دقة الإنتماء إلى المدينة، وهذا التطور الإجتماعي هو ما سيغير من نمط العلاقة السياسية للبربر مع السلطة، بل هو ما سيوجه جميع العلاقات الأخرى للبربر مع بقية العناصر الأندلسية، مع العلم أن هذا التطور لم يشمل فقط العنصر البربري، بل شمل جميع العناصر الأندلسية الأخرى.

البربر وموقعة الحفرة: كانت هذه الموقعة من أكبر الأحداث السياسية المعروفة والتي أخذت صيتا، وبعدا في الأندلس أثناء فترة الحكم الربضي، وتتلخص أحداثها في أن هذا الأخير، وتحت وطأة خلافات أهل طليطلة المستمرة والمتكررة، إهتدى إلى إستعمال حيلة ماكرة، بمعية يده اليمنى في طليطلة الداهية عمروس بن يوسف المولد، حيث أمره أن يقوم بعملية يكون هو بطلها، فبعد أن يدعي الحكم الربضي خروج ابنه عبد الرحمن لمقاتلة الفرنجة، والتوغل في أراضيهم، يقوم هذا الأخير عند قربه من طليطلة، بعملية الرجوع أو العودة إلى قرطبة، زاعما عدم تمكنه من إلتقاء العدو،[1] وفي هذه المرحلة يقوم عمروس بن يوسف، بتشجيع أهالي طليطلة على استضافة عبد الرحمن بن الحكم الربضي في مدينتهم، أين كان قد بنى قصبة في وسطها كملجأ للجنود والحراس[2]، وفي مكان ما من أركان هذه القصبة بنى بيتا كبيرا تتوسطه هو الآخر حفرة عميقة، سيكون على جوانبها وحافاتها بعضا من الجنود شاهرين سيوفهم، مرحبين بضيوف عبد الرحمن بن الحكم الربضي وواليه عمروس بن يوسف.

1- إبن حيان، المصدر السابق، ص110/ إبن القوطية، المصدر السابق، ص66.

2- إبن حيان،المصدر السابق، ص109/ إبن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص345/ إبن القوطية، المصدر السابق، ص65.

انطلت حيلة عمروس بن يوسف على أهالي طليطلة، حيث مكث عبد الرحمن بن الحكم الربضي وكأنه ينتظرهم للترحيب به، ولما لا إلقاء شكاويهم وطلباتهم في ذلك البيت الذي خصصت مقاييسه في الحقيقة لقتلهم ورميهم في الحفرة التي ابتلعت منهم الآلاف،[1] مع العلم أن جل من قتل في هذه الوقعة كان من وجوه طليطلة ورجالاتها، وبالرغم من أن الرقم الذي تتناقله المصادر حول عدد قتلى طليطلة المقدر بخمسة آلاف فيه مبالغة، إلا أنه يقودنا إلى التكهن بحجم هذه المجزرة الرهيبة، وإن كان الذي يهمنا هو هل ذهب ضحية هذه المجزرة رجالات البربر ورؤسائها؟.

كانت وقعة الحفرة سنة 190هـ-805م[2]، وما نعرفه أن طليطلة كانت دائما ملجأ للخارجين والمتمردين، فيوسف بن عبد الرحمن وابنه أبا الأسود كانا قد التجآ إليها، وبالأخص إلى بربرها، حيث كونا جيشيهما، كما أن الأحداث اللاحقة كحادثة الربض مثلا بينت كذلك أن الفارين من قرطبة التجأوا إليها واحتموا بأهلها المخالفين دوما على السلطة، ومنهم يحيي بن يحيى المصمودي كبير فقهاء الأندلس، والذي لا بدّ إنه آوى إلى بني عمومته البربر الذين حموه ونصروه ضد الحكم الربضي الذي طلبه، وأراد جلبه إلى قرطبة جزاء مشاركته في حادثة الربض.

ما كانت عملية المسح السياسي الذي قمنا به لهذا الحدث اعتباطا، وإنما كانت تحت نية اكتشاف العديد من المعطيات بعد استقراءها، إضافة للتمهيد للأحداث اللاحقة، ولهذا فإجابتنا على السؤال لا بدّ وأن تكون بالإيجاب، لأنه وكما قلنا، جميع الأحداث السابقة واللاحقة تثبت الوجود السياسي للبربر بطليطلة، وهذا لكثافة عددهم بها من جهة والتجاء الخارجين إليها بإيجادهم الحماية من جهة أخرى.

البربر وحادثة الربض: "أما قرطبة فهي قاعدة الأندلس وقطبها، وقطرها الأعظم، وأم مدائنها ومسكنها، ومستقر الخلفاء ودار المملكة في النصرانية والإسلام، ومدينة العلم

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص114، يذكر النويري، 5آلاف قتيل، ص63، ويؤكد ذلك ابن القوطية، ص67/ أما صاحب تاريخ الأندلس فيذكر 700 قتيل، ص181.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص108/ يذكر صاحب تاريخ الأندلس سنة 191هـ-806م، ص181، وهذا ما يؤكده النويري، ص63 وكذلك ابن الأثير، ص344.

ومقر السنة والجماعة"،[1] لم نجد أحسن من هذا الوصف لصاحب تاريخ الأندلس الذي نستطيع من خلاله الولوج إلى عالم قرطبة السياسي، وما يهمنا أكثر في هذه الفقرة، هو وصف قرطبة بأنها دار المملكة أي العاصمة، وبأنها مقر السنة والجماعة، مما يعني أكثر تزاوج أهل السياسة بأهل الدين، واختلاط الإثنين وتأثيرهما على شؤون السلطة والمجتمع معا، وهذا ما سيؤدي في النهاية إلى، إما إلى نوع من التعايش بينهما أو إلى التصادم والذي سيكون للعامة ولا بد مشاركة فيه، بفعل تأثير الفقهاء الشديد عليهم.

كان ربض[2] قرطبة منطقة مليئة بالحرفيين وأهالي الصناعة، إضافة إلى الفقهاء والعلماء، ولم يكن يفصل بين قرطبة وهذا الربض سوى جسر، وكما هو معلوم فإن سكان قرطبة كانوا من المتدينين فهي كانت "قرارة أهل الفضل والتقى"[3] مع ملاحظة جليلة وهي أن عامتها كانوا طوع أمر الفقهاء وأهل العلم والدين، الذين نالوا مكانة رفيعة في عهد هشام بن عبد الرحمن الذي قربهم وإستشارهم في كل كبيرة وصغيرة، أما بقاؤهم في أعلى هياكل الدولة الآن فكان مرهونا بشخصية الحكم الربضي الذاتية والسياسية، وترجمة ما بداخلها على أرض الواقع.

إعتمد الحكم الربضي على الصرامة والنهضة والحركة السريعة مع أعدائه، ولم يكن هينا كذلك مع مواليه أو المقربين إليه[4]، مع ميول فيه، مفرط نحو الترف والبذخ كما تزعم المصادر، ولعل هذه الشخصية الكاريزماتية- حسب المصطلح المعاصر- التي كان يتمتع بها هذا الأخير هي من جعلته يعتمد على الإنفراد بالقرار السياسي، وبخاصة بعد الصلح الذي أجراه مع عمه عبد الله البلنسي،[5] كما أن بحثنا حول شخصية الحكم الربضي السياسية وتحليلنا لها، حتى من خلال ما قام به قبل توليه السلطة، يجعلنا نصنفه ضمن الأمراء العسكريين، أو ذوي النزعة العسكرية، كجده عبد الرحمن الداخل والأميرين عبد

1- تاريخ الأندلس، ص72.

2- الربض: "الربض فيما قال بعضهم أساس المدينة والبناء، والربض ما حوله من خارج، الأول مضموم والثاني بالتحريك، وقال بعضهم: هما لغتان، الأرابض كثيرة جدا وقلّ ما تخلوا مدينة من ربض، وإنما نذكر ما أضيف فصار كالعلم أو نسب إليها أحد من العلماء"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص25.

3- تاريخ الأندلس، ص74.

4- ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص232/233.

5- ابن حيان ، المصدر السابق، ص119/ ابن خلدون، المصدر السابق، ص151/ ابن الأثير، المصدر السابق، ص308.

الله بن محمد (275-300هـ/888م-912م) وعبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912م-961م) فيما بعد، حيث يذكر النويري أن أول ما قام به الحكم الربضي عند توليه السلطة هو غزوه لبلاد النصارى[1]، كما أن اتخاذه للجند والحشم والإكثار من المماليك والمرتزقة دليلا آخر على هذه النزعة.

كان من المحتمل جدا ومن خلال ما ذكرناه أن مجابهة ما كانت ستحصل، وبالتحديد بين الفقهاء والحكم الربضي، ثم بين هذا الأخير وعامة قرطبة، وهذا ما كان بالفعل، حيث بدأ فقهاء قرطبة بالتنديد بأعمال الحكم وتصرفاته بدعوى تعاطي المعاصي المنكرات، ولم يكن هذا التنديد في حقيقته سوى الباب الذي يمرر من خلاله هؤلاء الفقهاء أغراضهم السياسية، إضافة إلى ربحهم واستمالتهم لعامة قرطبة التي تجاوبت معهم[2].

تنقسم حادثة الربض إلى قسمين، القسم الأول دارت أحداثه في سنة 189هـ-804م[3]، وخلاصة هذا الحدث الأول أن "أهل الورع والعلم بقرطبة ثاروا- بالحكم- وخلعوه، وبايعوا بعض قرابته"[4]، وهو محمد بن القاسم بن عبد الملك بن هشام بن عبد الرحمن الداخل المعروف بالقرشي المرواني[5].

كان مدبرو هذه العملية يملكون الكثير من الدهاء عندما اختاروا لذلك المنصب رجلا من العائلة الحاكمة، ولكن لماذا بالتحديد ابن القاسم المرواني؟ كان جدّ عبد الملك أخو الحكم الربضي، إلا أنه كان مغضوبا عليه من طرف أبيه هشام لحد أنه نكبه وسجنه "ليبقى مسجونا بضع عشرة سنة حتى مات مسجونا في ولاية أخيه الحكم بن هشام"[6]، مما سا يعني أكثر أنهم أرادوا استمالة رجل هو وأبيه على خلاف مع الحكم الربضي، بل استمالة رجل، جده في السجن، وهذا في الحقيقة ما جعلهم يغامرون محتملين، وبدون

1- النويري، المصدر السابق، ص79.
2- ابن حزم، المصدر السابق، ص96
3- ابن حيان المصدر نفسه، ص121.
4- المقري، المصدر السابق،ج3، 288.
5- ابن حيان، المصدر السابق، ص121.
6- ابن حزم، المصدر السابق، ص 95.

لنى شك في استجابة محمد بن القاسم لهم، أو على الأقل في عدم بوح هذا الأخير للحكم الربضي في حالة رفضه وعدم استجابته لهم.

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فمحمد بن القاسم دفعه خوفه من الحكم الربضي الذي يعلم سطوته وجبروته إلى الإدلاء والتصريح بدون محاكمة لكل ما جرى له مع الفقهاء، أو ربما وبصورة أخرى أراد مقايضة الفقهاء الذين انتخبوه مكان الحكم الربضي، بجده عبد الملك بن هشام وببعض الامتيازات الأخرى، ليكون كبش الفداء إثنان وسبعون رجلا من وجوه قرطبة ورجالاتها[1].

هل شارك البربر في هذه الحادثة أو عملية الانقلاب هذه؟ هذا ما علينا الإجابة عليه، في الواقع لم تذكر المصادر أسماء المشاركين في هذا الإنقلاب، وإنما جاء ذكرهم بصفة عامة، وهم كما ذكر ابن حيان: "اثنين وسبعون رجلا من وجوه أهل قرطبة، وصلحائهم"[2]، والذي يضيف مؤكدا في مكان آخر قائلا: "نافق على الأمير الحكم قوم من فقهاء قرطبة ووجوهها"[3].

لم تشارك عامة قرطبة في هذا الإنقلاب، ويعود هذا إلى جانبين: أولهما لأن الفقهاء أرادوه أن يكون سلميا وتحت لغة الصمت، وثانيهما أنه تم إجهاضه قبل ولادته باكتشاف رجالاته، وبالتالي فلا أحد يستطيع تأكيد حتى معرفة العامة بما دار في الخفاء بين مدبري العملية ومحمد بن القاسم المرواني.

أما مشاركة وجوه البربر من أهالي قرطبة كالفقهاء مثلا، والذي سيتجه الفكر مباشرة إلى زعيمهم وكبيرهم يحيى بن يحي الليثي المصمودي، فهي مسألة تحتاج إلى الكثير من التروي وتوخي الحذر قبل إثباتها أو حتى نفيها، لأن بعض المصادر أخلطت بين حادثتي الربض الأول والثاني، كابن خلدون الذي مزج أحداث عملية الربض الأولى مع أحداث واقعة الربض الثانية[4]، وابن الأثير الذي جعل أخا يحيى بن يحي الليثي

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص71/ النويري، المصدر السابق، ص84/ ابن حيان، المصدر السابق، ص121.
2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص123.
3- نفسه، ص127.
4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص152.

المصمودي مع الإثنين والسبعين الذين صلبهم الحكم الربضي بعد محاولتهم الإنقلاب عليه،[1] ناهيك عما ذكره المقري الذي قال: "فاجتمع أهل الورع والعلم بقرطبة مثل يحي بن يحي الليثي صاحب مالك وأحد رواة الموطأ وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به وخلعوه وبايعوا بعض قرابته"[2].

في الواقع أننا لا نجاري هذه المصادر فيما تدعيه من تصريحات، وبشكل أخص تلك التي تتعلق بيحي بن يحي المصمودي ومشاركته في عملية الإنقلاب، وتعود عدم مجاراتنا هذه إلى أسباب منها: أولا إذا ما شارك يحي بن يحي الليثي في عملية الإنقلاب وهو كما نعلم ليس بالنكرة لا في المجتمع الأندلسي ولا في السلطة، أليس من المفروض أن يكون مصيره مثل مصير الإثنين والسبعين الذين صلبوا وبخاصة وأن مدبري العملية قد فضحت أسماؤهم، ولا بدّ في هذه الحالة بل ومن المؤكد أن اسم يحي بن يحي الليثي سيكون على رأس القائمة، وفي هذه الحالة لن تتوانى المصادر في ذكر مصير يحي بن يحي المصمودي، تماما كذكرها لمصير أبي زكريا يحي بن مضر القيسي[3].

من جهة أخرى، ربما قد يتبادر إلى الذهن، إحتمال فرار يحيى بن يحي المصمودي إلى طليطلة في هذا الحدث- وليس في الحدث الثاني- كما ذكرت المصادر فيما بعد، بحكم أن هذه المدينة كانت دائمة المعارضة للسلطة، ولا نملك من الرد سوى أن الحكم الربضي كان قد قام في وقت لاحق أي بعد حادثة الربض الأولى بوقعة الحفرة بطليطلة، والتي ذهب ضحيتها المئات من وجوهها، ثم إستطاع الاستحواذ عليها، ولم نجد أي خبر حول مقام يحي بن يحي المصمودي أو قتله بها، أو حتى إلقاء القبض عليه بعد هذه الحادثة.

وهكذا لا نستطيع التأكيد على أية مشاركة بربرية في هذا الحدث، وبالأخص مشاركة يحي بن يحي الليثي المصمودي ككبير فقهاء قرطبة من جهة، وزعيم البربر

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ص336.

2- المقري، المصدر السابق، ج3، ص 288.

3- جل المصادر تذكر مصير يحي بن مضر القيسي، يراجع على سبيل المثال، إبن الفرضي، المصدر السابق، ص429/ الحميدي، المصدر السابق، ص342.

الروحي من جهة أخرى، وعدم ذكر يحي بن يحي المصمودي ضمن قائمة المغضوب عليهم من طرف الحكم الربضي، وبالتالي ضمن مدبري العملية مع مشاهداته الحية لنتائج العملية وذهاب الكثير من زملائه الفقهاء والعلماء، هو ما سيجعله أكثر ظهورا في حدث الربض الثاني، بل والمسؤول الأول مع فقهاء آخرين في التحضير المعنوي والنفسي لهذا الحدث في صفوف العامة.

بقيت نيران الحقد والثأر متأججة في صدور فقهاء قرطبة وعامتها إثر حادث الربض الأول وصلب فقهاء المدينة ورجالاتها، مما جعل من هذا الربض مكان المعارضة الأول وملتقى زعمائها، بدون أن ننسى اختلاف عناصره السكانية من البربر والمولدين وحتى المستعربين، ولا بدّ لهذه العناصر التي كانت كلها من الشرائح الكادحة، أن تجتمع وتتفق على معارضة السلطة لسبب أو لآخر.

وبكثير من الحذر والحيطة، ومع الكثير من الإنتباه ونحن نتصفح أوراق هذا الحدث السياسي والإجتماعي، وجب علينا القول والإدلاء أن كل الوقائع والأحداث التي تلت حدث الربض الأول، وتلك الممهدة لحدث الربض الثاني، والمعروف في المصادر "بوقعة الربض"[1] كانت في جوهرها أو على الأقل في أغلبها بربرية، أي أن محركيها ومثيريها كانوا بربرا، سواءا من فقهائهم أو من عامتهم الذين كانوا يملؤون ربض قرطبة والأرباض المجاورة.

وحتى نستدل أكثر على أن وقعة الربض كانت بربرية، بحكم مساهمة ومشاركة البربر الواسعة فيها، علينا تتبع جذور الفتن أو الانتفاضات التي حدثت بقرطبة ومعرفة عناصرها أو من وراء إشعال جذوتها قبل هذا الحدث، وهذا فقط لنربط الأحداث السابقة بهذه الوقعة والتي ستكون -أي هذه الأحداث- عتبة الحجج والأدلة التي علينا طرحها.

يذكر صاحب تاريخ الأندلس حول سنوات 149هـ-766م قائلا:" وفي سنة 149هـ هاجت فتنة البربر بقرطبة، فبنى الإمام- أي عبد الرحمن الداخل- سورها"[2]،

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص140.
2- تاريخ الأندلس، ص166.

تبينا هذه العبارة بمعطيات نحن بأمس الحاجة إليها، أولا تحديدها أصحاب الفتنة وهم البربر، وبالتالي فإن حادثة أو وقعة الربض لم تكن الفتنة الأولى بقرطبة، ثم تحديد الحيز المكاني وهو الربض، حيث يذكر صاحب المصدر موضحا" فبنى الأمير سورها- أي سور قرطبة-"[1] وقد علمنا أن ربض المدينة هو ما يقع خارج سورها، وبأكثر تدقيق نجد أن فتنة البربر بقرطبة لسنة 149هـ-766م هي فتنة بربر الربض.

من منطلق هذه العبارة بالذات- والذي لم ينتبه إليها أو تغافل عنها جل من قرأنا لهم وبخاصة أصحاب المراجع- وبربطها مع وقعة الربض، نستنتج أن بربر قرطبة لم يكونوا على وئام ووفاق مع السلطة الأموية وهذا منذ فترة عبد الرحمن الداخل، وبالرغم من أن صاحب المصدر لا يذكر أسباب هذه الفتنة، إلا أنها ومن المحتمل جدا تعود إلى سببين إثنين، وكلاهما سياسي، أولا هذه السنوات عرفت تطورا في المعارضة السياسية بين البربر والسلطة، وثانيا من الممكن جدا أن تكون لهذه الفتنة علاقة بثورة سفيان بن عبد الواحد المكناسي، وحتى نؤكد أكثر على ما نقول، نستدل بما ذكره إبن خلدون الذي ذكر بناء عبد الرحمن الداخل لسور قرطبة بدون أن يذكر سبب ذلك وهو فتنة البربر، إذ يقول:" وفي هذه السنة- وهي سنة 150هـ-767- شرع عبد الرحمن في بناء السور على قرطبة" ليضيف مباشرة قائلا حول ما حصل في هذه السنة: "ثم ثار رجل بشرق الأندلس من بربر مكناسة يعرف بشقنا بن عبد الواحد"[2]، ونحن نعتقد أن وقوع هذين الحدثين، كحدثين متوازيين في فترة واحدة يعود إلى إتحاد البربر في معارضتهم للسلطة أو على الأقل تعاطف بربر ربض قرطبة مع ثورة سفيان بن عبد الواحد المكناسي.

ذكرنا أن علاقة عامة قرطبة وفقهائها وبالأخص بربرها مع الحكم الربضي كانت في تدهور مستمر، وعلى مر السنوات كان لا بد لهذه العناصر من انتهاز فرص المعارضة العسكرية التي كانت تظهر من حين لآخر في وجه الحكم الربضي والإستفادة

1- يذكر إبن خلدون أن بناء السور كان في سنة 150هـ-767م، المصدر السابق، ج4، ص148، مع العلم أن هذا التاريخ هو ما نأخذ به.

2- إبن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص 148، نعود ونؤكد على أننا نأخذ بهذه السنة، لأنها أقرب إلى الواقع التاريخي للأندلس في تلك الفترة.

منها، وبما أن البربر كانوا دائما في الصفوف الأولى بالنسبة للمعارضات السياسية ذات الطابع العسكري، فقد كان إخوانهم بربر قرطبة أول من يستغل هذه المواجهات، والتي بالنسبة لنا كانت ذات فائدة للطرفين.

ومما انتفع به واستغله بربر قرطبة وعامتها حتى تثور، ثورة عبد الله بن أصبغ بن وانسوس بماردة سنة 190هـ-805م، حيث تذكر المصادر أن قيام أهل قرطبة وانتفاضتهم جعلت من الحكم الربضي الذي كان محاصرا لماردة يعود أدراجه إلى عاصمته لمعالجة أمورها[1]، ضاربا فيما بعد أعناق الذين أثاروا الفتنة بعد أن اكتشف أسماءهم، إلا أن الكراهية لم تنتهي بل اشتدت مع اشتداد وتيرة المعارضة، مما دفع بالأمير الحكم الربضي إلى زيادة عدد الحشم والجند وحشدهم أمام قصره، وحفر خندق حوله[2] مع إعداد السلاح وإتخاذ العدة"[3]، وكأن الحكم الربضي كان يعلم علم اليقين بما تكنه العامة وبما تحضره له، وما عليه سوى التأهب لذلك.

كان الفقهاء وعامة قرطبة وبخاصة منهم البربر ينتظرون فرصة ما لإرجاع الصاع صاعين للحكم الربضي وسلطة بني أمية، وإن ضاعت منهم فرصة سنة 190هـ-805م حين خروج عبد الله بن أصبغ بن وانسوس بماردة فإنه لا بدّ من إستغلال أدنى شرارة تكون بين أي رجل من العامة وآخر يمثل السلطة للقيام بالإنتفاضة الشعبية كما يصطلح عليها حاليا، والتي نحبذ تسميتها بإنتفاضة أو ثورة إجتماعية، من خلال هذا قد يعتقد أن ما ذكرناه آنفا يناقض ما نحن بصدد قوله إذ كيف يكون حدث الربض الأول حدثا سياسيا- أي أسبابه وأهدافه سياسية- ثم يتحول الحدث الثاني أو ما سمي بوقعة الربض إلى حدث إجتماعي أو ثورة إجتماعية.

في الواقع ليس هناك تناقض بل تطور لهذا الحدث التاريخي، إذ تطورت تفاصيل حدث الربض الأول التي كانت بيد الفقهاء وحدهم والذين اعتمدوا على أنفسهم فقط في تسييرها، أو بعبارة أخرى عدم رغبتهم في إقحام العامة لعدم وجوب ذلك، إلى تفاصيل

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص128/ ابن خلدون، المصدر السابق، ص153/ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 72.

2- تاريخ الأندلس، ص181.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص126.

أخرى أصبحت بيد العامة بعدما استغلت من طرف الفقهاء، كما انتهزها البربر بالخصوص في الخروج مجددا إلى المواجهات والمجابهات مع السلطة للتعبير عن جميع مكبوتاتهم بما فيها الإجتماعية اتجاه السلطة.

وكما هو معلوم فإن الثورات بهذا الشكل ستنتهزها جميع الشرائح من ذوي المطامع السياسية وحتى الإجتماعية، ناهيك عمن له سابقة مع السلطة كثأر وغيره، وقد كان البربر هم من شكلوا العنصر الأكثر انجذابا ومن ثم تفاعلا وتجاوبا مع هذه الإنتفاضة، وليس هناك أدل من ترأس كبير البربر وزعيمهم يحي بن يحي المصمودي مع أخيه لهذا العنصر في تسيير هذه الثورة ولو برفقة فقهاء آخرين كطالوت بن عبد الجبار المعافري الفقيه وعيسى بن دينار الذي ذكره ابن القوطية في جملة الفارين من قرطبة[1].

ربما حكمنا على هذه الإنتفاضة باعتمادها الكلي على البربر واعتبار جوهرها وعمودها الفقري بربري سيكون من الصعب تقبله، ولكن ربما سيكون من الأصعب من ذلك بكثير قولنا أن هذه الانتفاضة هي إنتفاضة بربرية صرفة استغلتها والتفت حولها العناصر الأندلسية الأخرى، واستدلالنا على ما قلناه ونقوله من خلال عملية استقراء واسعة للمصادر وربط المعطيات التاريخية السابقة لهذا الحدث باللاحقة له ربطا منطقيا يقارب الواقع، سيكون الفاصل بين تقبل هذه الفكرة أو رفضها.

يعتبر ذكرنا لفتنة البربر بربض قرطبة سنة 150هـ-767م، وانتفاضتهم سنة 190هـ-805م منتهزين ثورة عبد الله بن أصبغ بن وانسوس، مع المشاركة الفعالة لكبير فقهاء قرطبة وزعيم البربر يحي بن يحي المصمودي في حدث الربض، براهين وحجج للإستدلال على بربرية حدث الربض الثاني، ولكن وللإستدلال أكثر، لابأس لو توجهنا إلى نتائج الحدث وما أفرزه سواء على المستوى السياسي وحتى الإجتماعي، لأن بذكر تداعيات الحدث أو معرفة ما بعده، ندرك جيدا البعد البربري لهذا الحدث.

1- ابن القوطية، المصدر السابق، ص69/ وهذا ما يؤكده الحميدي قائلا: "وأتهم عيسى يوم الهيج فهرب فاستخفى وأمنه الحكم فرجع" ص 263/262، ينظر ترجمته في الديباج المذهب لإبن فرحون المالكي، تحقيق محمد الأحمدي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1426هـ/2005م، ص50.

إندلعت هذه الإنتفاضة تحت سبب هو في حقيقته باهت، وكان يمكن معالجته لو كانت فيه إرادة لذلك بأيسر الظروف وتحت حكم أي قاض، ولكن التوتر الشديد الحاصل بين الأمير الحكم وأهل الربض، وما كانوا يحملونه في صدورهم من غل ومن أحقاد ضده، بل وإنتظارا منهم لأية فرصة سانحة لمواجهته، كانت عوامل مهدت لهذا الحدث، ولو تحت هذا السبب الضعيف الحجة للعامة أمام الحكم.

تذكر المصادر أن جنديا أو حارسا من حراس قصر الحكم الربضي كان قد قدم سيفا له لأحد حدادي الربض ليقوم بتعديله، إلا أن هذا الأخير أبطا في عمله أو تباطأ، لتكون ردة فعل الجندي عنيفة جدا لدرجة أنها أدت إلى قتل الصيقل أو الحداد ومن ثم قتل الجندي من طرف العامة ثأرا للصيقل ونقمة من الأمير الحكم وسلطته، وحتى من سياسته[1]، باعتبار أن الجندي ممثلا لهذا الأمير، وقتله في الحقيقة هي إهانة له.

نتيجة لذلك انتشرت الثورة في قرطبة وجميع أرباضها، "وكأنما الناس كانوا يرتقبون"[2]، وأمام فيضان أهل قرطبة وأرباضها الجارف نحو القصر، لم يكن أمام الأمير الحكم سوى تجنيد كل قواته وتوظيفها في إيقاف هذا الزحف، حيث استطاع عبيد الله بن عبد الله البلنسي المعروف بصاحب الصوائف[3] وغيره من رجال الحكم الربضي كعبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[4]، أن يقضوا على هذه الإنتفاضة بإحراق دور الربض وإعمال السيف في أهله، وتعود سرعة تحكم وسيطرة رجال الحكم الربضي في هذه الإنتفاضة برغم قوة المتظاهرين وضخامة عددهم إلى عدم وجود قيادة صلبة ومنتخبة[5]

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ص414/ النويري، المصدر السابق، ص89/ ابن حيان، المصدر السابق، 148.
2- ابن حيان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
3- لحق عبيد الله بن عبد الله البلنسي بالأمير الحكم الربضي، حيث كان من ذوي مشورته وكبار قواده، حيث قاد الصوائف لعبد الرحمن بن الحكم، فكان يعرف بصاحب الصوائف، وهو أحد رجالات بني أمية، ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص364.
4- هو مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان، دخل جده مغيث إلى الأندلس قبل دخول الأمير عبد الرحمن الداخل، كان من أهل الأدب البارع، والمعرفة التامة، والبلاغة في المخاطبة، توفي في حدود 210هـ- 825م، ابن حيان، المصدر السابق، ص191، ينظر كذلك ترجمته عند الأبار، ج1، ص135/136.
5- هذا ما جعل من شبربط إبن عم عمروس بن يوسف الذي كان مسجونا في قصر الحكم الربضي "لما سمع ثورتهم، وهاله جمعهم، جعل يقول: أي غنم لو كان لها راع، كأنهم قد مزقوا، يعيبوهم بأن لم ينصبوا رئيسا يضم نشرهم"، ابن حيان، نفسه، ص152/153.

تقود الجماهير المتظاهرة، إضافة إلى أن الإنتفاضة أتت بدون أي سبق أو تحضير، بل جاءت بشكل عفوي ومفاجىء.

تعددت نتائج حادث الربض من قتل وتهجير وملاحقات لأهل قرطبة بصفة عامة، وأهل أرباضها بصفة أخص، حيث تمكن الأمير الحكم من قتل ثلاثمائة[1] من وجوه الأسرى، "وصلبهم منكسين ثلاثة أيام"[2]، مع تسوية أرض الربض بعد تهجير سكانها قسرا، والذين توجهوا إلى طليطلة وبلاد المغرب وجزيرة إقريطش[3] بعد طردهم من الإسكندرية، ويعتبر اختيار الملجأ أو المنفى من طرف أهل الربض أحد العوامل التي نستدل بها على أن هوية حادثة أو وقعة الربض كانت بربرية.

بالرغم من أن الكثير من سكان طليطلة كانوا من المولدين والمستعربين والنصارى، فإن نسبة كبيرة أيضا من سكانها كانت من البربر، ولقد ذكرنا آنفا الكثير من الثورات التي كان خزانها بربر طليطلة، بدون أن ننسى فرار زعماء هذه الثورات إلى هذه المدينة في حماية أنصارهم البربر كيوسف بن عبد الرحمن الفهري، وإبنه أبي الأسود محمد وسليمان بن عبد الرحمن الداخل وغيرهم، وهذا الملجأ، بربطه أولا بما ذكرناه وثانيا وبالأخص باختيار يحي بن يحي المصمودي له حيث:"هرب ونزل على حي من البربر هناك"[4]، يعتبر أحد المنافذ التي تجعلنا نكرس فكرة الطابع البربري لهذا الحدث، لأن الكل يعلم أن العصبية القبلية كانت قطب الرحى الذي تدور حوله الأحداث السياسية، وبما أن بربر طليطلة كانوا ملجأ الكثير من الربضيين، فهذا يؤكد أن هؤلاء الربضيين كانوا من البربر الذين شاركوا في الإنتفاضة، ويؤكد أكثر فكرتنا حول هوية الحدث.

1- تبالغ بعض المصادر وتجعلها ثلاثة آلاف، يراجع: تاريخ الأندلس، ص 182.

2- النويري، المصدر السابق، ص90/ إبن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 414/ إبن عذارى، المصدر السابق، ص52/ إبن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص42.

3- جزيرة إقريطش:" جزيرة مشهورة عظيمة، يجلب منها إلى الإسكندرية الجبن والعسل وغير ذلك" عماد الدين بن محمد الكرخي، تقويم البلدان ،تحقيق م-رينود وماك كوكين دي سلان، الطباعة السلطانية، باريس، 1830م

4- النويري، المصدر السابق، ص91/ إبن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 43.

إضافة إلى ما ذكرناه، ولتدعيم فكرتنا أكثر وجب علينا متابعة أهل الربض في هجرة بعضهم إلى بلاد المغرب، والبعض الآخر إلى الإسكندرية قبل استقرارهم أخيرا بجزيرة إقريطش، حيث تذكر المصادر أن الكثير من البربر إنتقل إلى بر العدوة المغربية وسواحلها[1]، ليستقر عدد معتبر منهم بمدينة فاس، مع ترحيب إدريس بن إدريس وتشجيعه لهم[2]، مؤسسين بذلك عدوة الاندلسيين بهذه المدينة، وكان عدد الربضيين الذين نزلوا مدينة فاس على حسب ما يذكر صاحب روض القرطاس ثمانية ألاف بيت[3].

إن اختيار هذا المنفى من طرف هؤلاء الربضيين، قد يجوز لنا ربطه بمدى المشاركة البربرية الفعالة في هذا الحدث لأنه وبكل بساطة لا يستطيع الإقدام على سكنى بلاد المغرب أو بلاد البربر أولئك المولدين أو المستعربين ذوي الأصول الاسبانية لأسباب عديدة كالعادات والتقاليد، وخاصة اللغة والدين، ناهيك على أن من شارك منهم كان قد يمم شطر طليطلة، أين يوجد إخوانهم هناك، وبالتالي لم يكن هناك سوى العنصر البربري الذي باستطاعته اللجوء والمكوث ببلاد المغرب، وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا ممكن حتى بالنسبة للعرب المشاركين في هذه الإنتفاضة، والإجابة أن هذا ممكن ولكن المحتمل أن يكون بنسبة قليلة جدا مقارنة بنسبة البربر، حتى وإن كان الكثير من أنصار آل البيت من العرب الذين كانوا بالأندلس قد وفدوا على إدريس بن إدريس فيما قبل ذلك حين وطد دولته.[4]

بقي فوج آخر وهو ذلك الذي اختار المنفى البعيد، حيث تذكر المصادر توجهه إلى الإسكندرية[5]، إلا أن هؤلاء الربضيين الذين كان يقدر عددهم بـــخمسة عشرة ألف[6] لم

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص142/ ابن خلدون، المصدر السابق، ص152/ ابن عذارى، المصدر السابق، ص77/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص69.

2- إدريس بن إدريس، ولد سنة 175هـ-791م، وبويع له سنة 187هـ-802 م، وتوفي سنة213هـ-828 م، ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص54/53/ يذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، أن إدريس بن إدريس هو باني مدينة فاس، ص 49، وكان من حذا حذوه، علي ابن أبي زرع الفاسي، في كتابه روض القرطاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 م، ص38، وصاحب مفاخر البربر، ص200.

3- ابن أبي زرع، المصدر المصدر نفسه، ص47.

4- نفسه، المصدر السابق، ص 29/ الناصري، المصدر السابق، م1، ص219.

5- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص42/ ابن القوطية، المصدر نفسه، ص69.

6- نفسه، المصدر نفسه، ص42/ ابن القوطية، ص 69/ تاريخ الأندلس، ص82.

يستطيعوا المقام في الإسكندرية، لأنه كانت بينهم وبين أهالي الإسكندرية نزاعات ومجابهات دموية أدت بالخليفة العباسي المأمون[1] إلى تكليف عبد الله بن طاهر[2] بمفاوضتهم، لتكون النتيجة نزوحهم إلى إقريطش، وهذا في الحقيقة ما تذكره المصادر الأندلسية، لأن ابن خلدون يذكر رواية أخرى من المحتمل أن تكون رواية فريدة، وهي أن أحد الثائرين على حكم المأمون وهو عبد الله بن السري بن محمد وال مصر "إنتقض وخلع الطاعة، وأنزل بالإسكندرية جالية من الأندلس أخرجهم الحكم بن هشام من ربض قرطبة وغربهم إلى المشرق"[3].

هذه العبارات توحي لنا بالكثير من المعطيات، أولها أن أهل الربض لم يختاروا الإسكندرية، أو ربما اختاروها ولكن لم يكن من السهل استيطانها، ليقوم عبد الله بن السري هذا بإنزالهم، ولم يذكر ابن خلدون سبب أو دوافع فعل هذا الأخير، إلا أنه من الواضح أن إرادة هذا الثائر في شد الربضيين لأزره أمام السلطة العباسية مقابل إنزالهم بالإسكندرية هو ما دفعه إلى ذلك كما أن هذه العبارات أوضحت لنا أمرا مهما مفاده أن الحكم الربضي هو من نفى أهل الربض إلى المشرق، أي أن توجههم إلى المشرق كان مفروضا من طرف الحكم الربضي، وهنا نتساءل، لماذا قام الحكم الربضي بهذا الفعل؟ مع العلم أن أهل الأندلس كانوا بعيدين جدا عن مصر ولا تربطهم بهم علاقات كتلك التي تربطهم بالعدوة المغربية، أو ببلاد المغرب الإسلامي.

ما نملكه من تحليل لهذا الفعل هو أن الحكم كان شديد الترقب للمستقبل، وشديد الحذر مما تأتي به الأيام، فلهذا منع بطريقة أو بأخرى لجوء أهل الربض إلى بلاد المغرب، فوجودهم مع أية دولة في بلاد المغرب سواء الأغالبة أو الادارسة أو حتى الرستميين، سيسبب له مشاكل سياسية خطيرة هو في غنى عنها، وكيف لا وهو يعلم أن أخطر الثورات التي قامت في وجه جده عبد الرحمن الداخل كانت تستمد رجالها من بلاد

1- حكم المأمون بين سنتي 198-218هـ/813-833م، يذكره السيوطي:" ولم يلي الخلافة من بني العباس أعلم منه"، يراجع، السيوطي، المصدر السابق، ص245.

2-عبد الله بن طاهر: أمير خراسان ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، وكان المأمون كثير الإعتماد عليه، ويقال أنه كان تبناه تبناه ورباه"و توفي سنة 230هـ/844م، الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط8، 1989م، ج4، ص226.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص311.

المغرب، والأكثر من ذلك أن بلاد المغرب يملك ثلاث دول في حقيقتها متصارعة سياسيا وفكريا وحتى دينيا، مع فكر وسياسة الإمارة الأموية، وهي بالتالي تستطيع استخدام الربضيين في سياستها المعادية لهذه الإمارة في أي وقت شاءت.

على كل ارتحل أهل الربض إلى جزيرة إقريطش واستوطنوها بعد أن أبدى عبد الله بن طاهر نية محاربتهم[1] على العموم، لم يكن هدفنا تحت ما فصلناه، سوى تبيان العنصر الحقيقي وراء حادث الربض، وإثبات ما أردنا إثباته وهو أن البربر هم ذلك العنصر، حيث أن خوف الحكم الربضي من تواجدهم في بلاد البربر مع إخوانهم يستدل على انتسابهم للبربر، كما أن عدم اندماجهم مع أهل الإسكندرية وقيام مواجهات دموية بينهم[2] يدّل- كاحتمال كبير- على اختلاف الأعراق ناهيك عن العادات والتقاليد، فإذا كان هؤلاء من العرب لا نعتقد أنه ستكون فيه مواجهات إلى هذا الحد كما أن المأمون بن هارون الرشيد لا يستطيع أن يوافق عبد الله بن طاهر على تهجير العرب أو نفيهم من جديد إلى أي بلد آخر، وهم لا زالوا يحتفظون بأصولهم.

وأخيرا من الممكن أن نعتبر اسم رئيس أهل الربض المتجهين إلى جزيرة اقريطش، أحد الأدلة التي تبين ما وضحناه سابقا، فاسم الرئيس هو أبو حفص عمر البلوطي،[3] وبما أن فحص البلوط كان مليئا وآهلا بالبربر[4] فمن الممكن جدا أن يكون أبا حفص هذا منهم، خاصة وأن المصادر كان تلقب الكثير من سكانه البربر بنسبهم إليه، كالمنذر بن سعيد البلوطي الذي هو بربري كنزي من فحص البلوط[5]، على كل ما فصلناه

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص311.

2- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص45/ ابن حيان، المصدر السابق، ص153.

3- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص152.

4-يذكر ذنون طه: " ولكن أكثر المناطق المأهولة بالبربر، كان سهلا يدعى بفحص البلوط، الذي يقع إلى الشمال الغربي من قرطبة وجبال سييرامورينا، ويعود السبب في تمركز البربر في هذا السهل، لأنه غنيا بالمصادر الطبيعية، كالبلوط، والزيتون، ومعدن الزئبق، وتعد مكناسة، ومديونة ومصمودة، ونفزة وجراوة من أكثر القبائل التي تقطن في هذه المنطقة"، المرجع السابق، ص265.

5- المنذر بن سعيد البلوطي، "منسوب إلى موضع هناك قريب من قرطبة يقال فحص البلوط، ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله، وكان عالما فقيها، وأديبا بليغا، وخطيبا على المنابر وفي المحافل مصقعا"، الحميدي، المصدر السابق، ص315/ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص404/ النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006/1426، ص80/ الحميري، المصدر السابق، ص95.

فصلناه سابقا يبين وبشكل لا يدع مجالا للشك أن من قام بحادث الربض ووجه أحداثه وسيرها هم البربر.

البربر وثورة ماردة: كانت ماردة منذ الفتح الأول للأندلس معقل البربر وأحد أهم أمكنة تواجدهم، مما أدى إلى كثرتهم التي أتاحت لهم في الكثير من المرات فرص العصيان والتمرد، ولقد ظهر تمرد أهل ماردة أكثر على عهد الحكم الربضي، وكان ذلك في سنة 190هـ-805م تحت زعامة أصبغ بن عبد الله بن وانسوس،[1] الذي لم يستطع الحكم الربضي في البداية أكثر من أن يحاصره بماردة، وكان هذا الحصار الأول والذي فك عند وصول خبر تمرد أهل قرطبة بعد تمردهم سنة 189هـ-804م، حيث إستطاع الحكم الربضي أن يقضي على هذا التمرد بسرعة بقضائه على مثيريه الذين لم يكونوا سوى من "دهماء أهل قرطبة وسوادها"[2].

وقبل أن نواصل، لا نملك سوى أن نتساءل هل كان في تمرد أهل قرطبة علاقة مع تمرد أصبغ بن عبد الله بن وانسوس وأهل ماردة؟ أو بمعنى آخر هل اتفق بربر كلا المدينتين على التآمر على الحكم الربضي، أي أن اندفاع أهل قرطبة إلى التمرد لم يهدف إلا إلى فك الحصار عن ماردة؟ مع العلم أن الحكم الربضي لم يبق مكتوف الأيدي أمام هذا الوضع، بل حافظ على غزو ماردة كلما سمحت له الظروف بذلك، لتدوم هذه الغزوات سبع سنين.

في الواقع أخلطت بعض المصادر في بعض من تفاصيل أحداث تمرد أهل ماردة حيث يذكر ابن حيان قائلا: "حتى فتحت في العام السابع سلما، بصلح انعقد لأصبغ بن عبد الله بن وانسوس"[3]، وهذا في حقيقته يناقض ما جاء به فيما بعد حين يقول: "وشد الأمير الحكم الحصار عليه، إلى أن ضاق مخنقه، فدعا إلى النزول على الأمان في سنة اثنتين وتسعين ومائة"[4]، والخبر الثاني هو ما نأخذ به، لأن الخلل الذي وقع فيه أصحاب

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص128/النويري، المصدر السابق، ص86/وهناك من يحدد تاريخ هذا التمرد بسنة 191هـ/806م. ابن عذارى، المصدر السابق، ص72 .

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص127.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص129/ ابن عذارى، المصدر السابق، ص72.

4- نفسه، المصدر السابق، الصفحة نفسها/ النويري، المصدر السابق، ص87.

المصادر أن هذه الثورة لم تكن بربرية فقط، بل شارك فيها المستعربون والمولدون[1]، وهذه المشاركة هي مفتاح السر في تفسير هذا الخلل، أي أن أهل ماردة بكل عناصرهم شاركوا في بدايات التمرد تحت زعامة أصبغ بن عبد الله بن وانسوس، والحقيقة أن زعامة أصبغ لها ما يبررها في ماردة حيث يقول إبن حيان:" كان أصبغ بن وانسوس مترددا لماردة، لكثرة ضياعه بها، وأمواله فيها وعزة عشيرته في أهلها، فكان كل من فيها من العرب والبربر ومواليهم على طواعية له، وكل عامل يتولاها يشاوره ويعمل بما يحبه"[2].

بالرغم من قوة أصبغ ومكانته داخل ماردة، فإن قوة ذكاء الحكم الربضي السياسي ودهائه الذي أهله لمعرفة التراكيب النفسية والإجتماعية للعناصر الأندلسية، أرغماه إلى طلب السلم والدخول مجددا في طاعة الأمير الحكم الربضي الذي استطاع أن يلعب على عدة أوتار، كانت أكثرها حساسية إضعاف الخصم عن طريق التفرقة السياسية، وكما سلف وأن ذكرنا فإن أهل ماردة بمختلف عناصرهم شاركوا في هذا التمرد حتى وإن كانت القيادة للبربر، مع فكرة أخرى، وهي أن التفرقة السياسية بدأت داخل البيت البربري أي بيت القيادة.

كان أول من استأمن إلى الأمير الحكم الربضي هو عبد الجبار بن زاقلة "فارس ماردة وصالي حربها"[3] الذي استماله الكاتب فطيس بن سليمان[4] بعد أن وعده بكل خير إن هو رجع الى الطاعة، ليلتحق به فيما بعد عبد الصمد بن عبد الله بن وانسوس أخو الرئيس أصبغ[5] الذي لحق بموالاة الحكم بعد معارضته لأخيه، والتي كانت الضربة القاضية التي سمحت بعزل أصبغ بن وانسوس حتى أنه لم يجد من منفذ لوضعيته سوى

1- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص140.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص129.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص129/ يذكره ابن حزم في جمهرة أنساب العرب قائلا:" عبد الجبّار بن زاقلة القائم بماردة "، ص501.

4- هو "فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن زيان، باني بيت الوزراء بني فطيس، دخل الأندلس في أيام الأمير عبد الرحمن الداخل، ولاه هشام فيما بعد ولاية السوق، وكورة قبرة، والوزارة، وأمضاه الحكم بن هشام على ذلك وإستكتبه أيضا" ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص365.

5- ابن حيان، المصدر نفسه، ص129/ النويري، المصدر السابق، ص87.

الإستسلام، مع العلم أن أصبغ كان قد توفي في السنة التي انعقد فيها أمانه- أي سنة 192هـ-807م[1]، وأسلمت ماردة الى عامل الحكم الربضي.

بالرغم من استسلام أصبغ وموته بعد ذلك، فإن قلوب أهل ماردة بقيت حاملة لمشاعر العدوان على السلطة الأموية، حيث عادوا إلى الإنتفاضة من جديد سنة 194هـ-809م، وهي السنة التي توجه فيها الحكم الربضي بنفسه لغزو ماردة[2]، وهذا ما يجعلنا نتساءل حول الرؤوس التي قادت السنوات الخمس الأخيرة من التمرد؟ وهل كان البربر من ضمنهم أم أنهم فقدوا مراتبهم بعد موت زعيمهم أصبغ بن عبد الله بن وانسوس؟.

تعتبر العصبية وإلى ذلك الزمن أحد أهم عوامل استقطاب الثوار إذا ما قام أي عنصر بثورة أو عصيان، وتمرد ماردة الذي شارك فيه كل من المولدين والمستعربين، يجعلنا نكاد نجزم أنه هو الآخر قد أثار مشاعر العصبية والعنصرية وسط هاتين المجموعتين، وإن كانت المشاركة البربرية فيما بعد في اعتقادنا قد خفتت تماما، ويعود هذا أولا الى وفاة الزعيم البربري أصبغ بن عبد الله بن وانسوس، والى التحاق كل من قائدي التمرد عبد الصمد أخو أصبغ وعبد الجبار فارس ماردة بصفوف السلطة الأموية، وثانيا، إلى بعض التوترات التي كانت بين البربر أنفسهم والتي لا تسمح لهم بالوقوف في وجه السلطة التي أرسلت الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بسرية إلى شنتبرية للإصلاح بين بربرها[3].

أما من قاد التمرد في السنوات الأخيرة فهم المستعربون والمولدون، وما يدفعنا إلى التصريح بهذا هي الأحداث الموازية لهذا التمرد، حيث انتقض ثقة الحكم الربضي وواليه في الثغر الأعلى عمروس بن يوسف صاحب موقعة الحفرة بطليطلة حيث "إستبان فساد مذهبه، بعدما أسلفه من صدق طاعته وجميل بلائه"[4]، وقد ساعده في عصيانه هذا إبنه

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص129.
2- ابن حيان- المصدر السابق، ص133.
3- نفسه، ص135.
4- نفسه، ص133.

وابن عمه شبريط بوشقة، إلى أن راجعه الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وجاء به الى الأمير الحكم الربضي.

كما أن طليطلة عادت إلى العصيان والتمرد من جديد سنة 196هـ-811م، مما دفع بالحكم بنفسه إلى غزوها[1]، وفي هذه السنة ذاتها أغزى الحكم ابنه محمد الى سرقسطة، أما في سنة 199هـ-814م فقد استقدم عثمان بن الحكم الربضي من منطقة الثغر الأعلى أقارب عمروس بن يوسف، بدءا بابنه وعائلة ابن عمه شبريط وأنزلهم قرطبة، ولكن الذي نراه يؤكد على ما صرحنا به هي عودة انتكاث أهل ماردة من جديد في سنة 201هـ-816م حينما قتلوا عاملهم عليها، وكان القائم يومئذ مروان بن يونس الجليقي المولدي والد عبد الرحمن الذي سيكون له أثر سياسي كبير أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط[2]، كما أن الحكم وحتى يحد من قوة المستعربين وبعض المولدين الذين كانوا يتناصرون فيما بينهم ويستميلهم إليه، ولى رجلا نصرانيا وهو القومس ربيع الذي كانت له مشاركات في وقعة الربض، قبل أن يقتله عبد الرحمن الأوسط في بدايات حكمه[3].

يمدنا هذا العرض بحقائق مهمة، أولها أن الثورات داخل المدن كانت العناصر المشاركة فيها مختلفة وغير مقتصرة على عنصر واحد مما يبين تطور الفعل الثوري بالأندلس شكلا ومضمونا، أي يكوّن لنا فكرة واضحة عن أحد معاني الإندماج الإجتماعي داخل المدن الأندلسية الذي أعطى شكلا آخر للمعارضة اتجاه السلطة[4]، كما أن تمرد ماردة قدم لنا صورة أخرى عن نمط هذه التمردات أي تمردات المدن حيث اكتشفنا أن هذا التمرد كان بقيادة البربر من خلال زعيمهم أصبغ بن عبد الله بن وانسوس وأخيه عبد الصمد، وفارسهم عبد الجبار بن زاقلة، أي أن البربر هم من كانوا يقودون العناصر الأخرى، وهنا كذلك نضطر لطرح العديد من الأسئلة منها، لماذا بالذات البربر هم من

1- نفسه، ص135.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص 139.

3- ابن حزم، المصدر السابق، ص96/ابن حيان، المصدر نفسه، ص297.

4- ذكرنا مفهوم الإندماج هنا، وفق سياق المعارضة وهذا ما سنتطرق إليه عبر الدراسة، لأننا نؤمن أن العناصر الأندلسية كانت تندمج فقط سياسيا، وهذا ضمن معادلة المعارضة أو الموالاة.

قاد و تزعم التمرد داخل ماردة؟ هل يعود إلى قوة وعدد البربر داخل المدينة وما حولها حتى يكاد يطغى عليها؟ أم إلى قوة ومكانة أصبغ بن عبد الله بن وانسوس الذي كان كما ذكرنا آنفا كل من في ماردة من العرب والبربر ومواليهم عل طواعية له "وكل عامل يتولاها يشاوره ويعمل بما يحبه"[1]، أم أن العصبية تحولت من عصبية قبلية إلى عصبية المدن[2]، وتحت هذا السبب قام المولدون والمستعربون بمساندة ومعاضدة البربر وزعيمهم أصبغ بن وانسوس ؟ أم وبنسبة أكبر من السياسة، هل إستغلت العناصر الأندلسية البربر في هذا التمرد وجعلتهم مطية للوصول إلى ما تهدف إليه؟.

نجد أنفسنا مع إيماننا بواجب الإجابة عن هذه الأسئلة حتى نتحرر من أخرى أكثر قلقا، أنه من غير المقدور أن نختار إحداها فقط للإجابة عنها، لأنها كلها تمدنا بمعرفة عوامل قيادة البربر لهذا التمرد، فشخصية أصبغ بن عبد الله بن وانسوس السياسية من الشخصيات ذات النزعة القيادية حيث ما إن دعا أهل ماردة إلى القيام معه حتى "إستجابوا له"[3]، كما أن البربر عرفوا منذ الفتح الأول أنهم رجال حروب ومعارك، وما ذكر عبد الجبار بن زاقلة في هذا العصيان وتسميته بفارس ماردة، ومحاولات الحكم الربضي في استمالته إلا دليلا على قيادة البربر وزعامتهم للعناصر الأخرى.

إضافة إلى هذا فإن العدد الكبير للبربر في ماردة ومنطقة الجوف بصفة عامة، أي توفر العصبية القبلية، يعتبر كذلك عاملا مهما وأحد أهم الأسباب في تولي البربر الزعامة، ومع كل هذا علينا أن لا ننسى التطور الإجتماعي للمجتمع الأندلسي وموازاة ذلك مع التطور السياسي، حيث سمح التكتل- لحد الآن لا نستطيع أن نسميه إندماج- الذي كان حاصلا بداخل المدن، مساندة العناصر لبعضها البعض خاصة إذا كانت تعاني من الوضعيات نفسها سواء السياسية أو الاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما يدفعنا إلى التصريح أكثر بأن العناصر الأندلسية استفادت من تمرد البربر وتبعتها في ذلك، أو لنقل أنها استغلت ذلك أيما إستغلال إلى غاية إستسلام البربر- وإن كان البربر سيقومون هم

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص129.

2- ابن خلدون، المقدمة، ص402/403.

3- ابن حيان، المصدر نفسه، ص130.

كذلك بإستغلال ثورة عمر بن حفصون ويشاركون في صفوفه ضد سلطة بني أميّة- ليرفع المولدون فيما بعد راية العصيان.

من خلال أحداث ماردة والأحداث التي قبلها نستطيع التأكيد على الدور الكبير الذي قام به البربر في صفوف المعارضة، سواء كثورات وتمردات قبلية أو حتى تلك التي شكلتها داخل المدن، بدون أن ننسى تلك التي كانت فيها طرفا مع عناصر أخرى أو تحت قيادتها، كالفهريين واليمنيين والمولدين بطليطلة، مع التذكير دائما بأن هؤلاء البربر وبالأخص الموالي منهم هم من كانوا وراء تأسيس الإمارة الأموية والإلتفاف حول أول أمرائها.

الموالاة البربرية للسلطة الأموية على عهد تأسيس الإمارة: الحقيقة أن المصادر من خلال توجهها الفكري، ومعالجتها للأحداث على ضوء هذا التوجه، تجعل من الصعوبة بمكان على الباحث أن يتعمق في أبحاثه، وفيما يود الوصول إليه، ولا يعود هذا الإشكال إلى الميادين الإجتماعية والإقتصادية فحسب، بل يشمل كذلك الميدان السياسي، وكمثال على ذلك نجد أن المصادر تسهب في ذكر المعارضة السياسية وبخاصة تلك التي تتمثل في مواجهات ومجابهات عسكرية، ولكنها لا تذكر جانب الموالاة إلا جزافا، وكأنها لا تعنى في مشروع كتابتها التاريخية إلا بكل ما هو ضد أو خطر على السلطة.

وإذا كان هذا يمس الكتابة التاريخية بصفة عامة، فإنه يمس وبصفة خاصة تاريخ الأندلس، وبالأخص عند تناولنا لموالاة البربر للسلطة الأموية في فترة الإمارة، وهذا بدون أن ننسى الفكرة الرئيسة والمسبقة عند أصحاب المصادر عن البربر من أنهم قوم حرب وعصيان دائم، وثورات مستمرة[1].

من خلال تتبع المنهج التأريخي، والذي أصطلح عليه بالمنهج الحفري أي تتبع تفاصيل الأحداث زمنيا لفهمها على حسب تطورها السياسي، نستطيع إدراك الكثير من المفاهيم والتصورات، لتلك العلاقة التي كانت بين البربر والسلطة الأموية، ولهذا إرتأينا

1- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص369/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 183/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 21/ عبد الملك بن حبيب، كتاب التاريخ، إعتنى به، عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م، ص 154.

الأخذ به والإعتماد عليه في دراستنا حول موالاة البربر، إضافة إلى اهتمامنا وأخذنا بعين الإعتبار دراسة المجتمع البربري أو العنصر البربري، واكتشاف أهم النقط التي ميزته عن باقي العناصر، والتي كان لها تأثير على توجهاته ومساره السياسي.

بما أن الدراسة كلها تدور حول الدور السياسي للبربر وعلاقتهم بالسلطة الأموية، كان لزاما علينا الخوض في غمار النظم الإسلامية للدولة الأموية، لأن هذه العلاقة مبنية في حقيقتها بين نقطتين أساسيتين هما: المجتمع البربري من جهة وفكر الدولة الأموية المطبق على أرض الواقع من جهة أخرى، ولهذا جزءنا هذا القسم إلى جزئين إثنين، الجزء الأول يتناول مشاركة البربر وموالاتهم للسلطة الأموية في الجيش الأموي، أي المساهمة البربرية في الجانب العسكري، والجزء الثاني يتناول المشاركة البربرية في العمل القضائي والإداري، من خلال المناصب التي تولاها البربر في هذين المجالين، خاصة منهم أبناء البيوتات البربرية المشهورة.

المساهمة البربرية في الجانب العسكري: ما دخل عبد الرحمن الداخل الأندلس إلا بموالاة البربر، هذه الفكرة التي نؤمن بها هي المدخل الحقيقي لهذا الجزء من الدراسة، حيث مر معنا في السابق أن الأمير عبد الرحمن الداخل عندما كان بالمغرب قبل ولوجه الأندلس، كان في حماية البربر من موالي بني أمية، وهم في الحقيقة من نصروه وحموه من بطش الفهريين، ومن الأكيد أنهم هم من أشاروا عيه بالإنتقال إلى الأندلس[1]، وبالتحديد باللجوء إلى موالي بني أمية هناك الذين كانت أغلبيتهم من البربر والأفارقة[2].

قد يؤخذ هذا التصريح عند الكثيرين بنوع من التحفظ والحيطة، إلا أن المتتبع لأحداث فترة الولاة سيدرك أن هذا ليس بمبالغة، فالعرب المتقاتلين فيما بينهم، بين يمنية وقيسية لم يكونوا ليسمحوا بوجود رجل يأخذ الحكم منهم، لأن القيسية، وبالتحديد الفهرية منهم كانوا قد قبضوا على الأندلس بيد من حديد، أما اليمنية فلم تكن لهم نية سوى الإستحواذ على الحكم وجعل الأندلس قحطانية إلى الا بدّ[3].

1- النويري، المصدر السابق، ص 59

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص145/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص307.

3- أخبار مجموعة، ص83.

وهكذا نجد أن العرب لم يكن لهم أي طموح في البحث أو إستقدام أي رجل يقوم مقام الأمير أو الحاكم خارج الأندلس، كما أن المرحلة الإنتقالية التي عرفتها الأندلس بداية من سنة 132هـ-749م، أي مع سقوط الدولة الأموية ومرحلة الفراغ السياسي الرهيب الذي عاشته الأندلس، كان لا بد للعناصر الأندلسية وبشكل أكبر الموالي أن تبحث لها عن مكان تثبت فيه أقدامها أمام النزاعات العرقية والعنصرية المتجذرة في الأندلس.

هذا ناهيك عن علاقة البربر بالعرب التي ازداد توترها وتدهورها منذ ثورة البربر الخوارج سنة 123هـ-740م ضد الولاة، وهكذا فنحن نكتشف أن البربر وموالي بني أمية منهم خاصة، هم من كان يبحث عن رجل مناسب للإلتفاف حوله، وخلقهم بذلك لمكانة إجتماعية وسياسية لهم تواكب مرحلة ما بعد سقوط الدولة الأموية المنتمين إليها، وبالتالي فأول من بادر لموالاة عبد الرحمن الداخل هم البربر الذين كانوا قد أخذوا كل الحذر في مشاركاتهم السياسية إزاء الولاة المتعاقبين على الأندلس منذ ثورتهم سنة 123هـ-740م.

ابتدأت أفواج البربر تتهاطل على عبد الرحمن الداخل لمساندته منذ دخوله الأندلس، حيث قدم عليه بنو الخليع بأربعمائة من الفرسان، كما بايعه إبراهيم بن شجرة عامل كورة رية[1]، وعبد الأعلى بن عوسجة مع أهل تاكرنا[2]، فهؤلاء البربر مع غيرهم أخلصوا في خدمة عبد الرحمن الداخل، وشاركوه حروبه ضد معارضيه، بل كانوا سببا في الكثير من انتصاراته ضد الفهريين واليمنيين، كحربه ضد عبد الغافر اليماني، حين غيروا كفة الحرب إلى جهة عبد الرحمن الداخل، بتغيير وجهة نظر إخوانهم البربر الموالين لليمنيين والذين شاركوا عبد الغافر اليماني ثورته إلى وجهة نظر أخرى معاكسة لما كانوا يؤمنون به، مما دفعهم إلى جرّ الهزيمة على جيش عبد الغافر، وتحقيق انتصار عبد الرحمن الداخل عليه.

1- النويري، المصدر السابق، ص60/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص86.
2- المقري، المصدر نفسه، ج3، ص 85/ تاريخ الأندلس، ص163.

من خلال ما ذكرناه نستنتج أن البربر كانت مشاركتهم في الجانب العسكري جد فعالة، وهذا بداية من موقعة المصارة سنة 138هـ-765م، مع ملاحظة جد هامة وهي أن البربر كانوا بحاجة إلى من يقوي فيهم الثقة بالأمويين وسلطتهم، وهذا ما حصل للبربر الموالين لليمنية في ثورة عبد الغافر اليماني حيث ما إن اقتنعوا برأي إخوانهم الموالين لعبد الرحمن الداخل، حتى غيروا من مسار المعركة ونتيجتها، وإن كان هذا لا يسمح لنا بالقول أن هؤلاء البربر غيروا ولاءهم من طرف إلى آخر.

من بين الملاحظات الهامة التي نكتشفها ونحن نحاول حل معادلة المعارضة والموالاة البربرية اتجاه السلطة، إنقسام البربر على أنفسهم، وهذا الإنقسام لا يعتبر أمرا شاذا أو غريبا في تلك العصور، بل كان أمرا معقولا يتيح لنا فهم العديد من تفاصيل الأحداث التي وقعت في الأندلس وكان أصحابها من البربر، ولعل أول ما نفهمه كفكرة أن العشيرة هي من كانت تتحمل مسؤولية هذه المعارضة أو الموالاة مع تغلب نزعة المصلحة في ترجيح طرفي المعادلة.

أول ما نأخذه كمثال لتوضيح هذه الفكرة هي موالاة هلال بن عامر المديوني لعبد الرحمن الداخل عند محاربته لسفيان بن عبد الواحد المكناسي حيث يذكر ابن عذارى أن عبد الرحمن الداخل "كتب له عهدا على قومه، وأقره على موضعه، وكان رأس البربر في شرق الأندلس وقلده أمر الفاطمي"[1]، وسبب هذا يعود إلى ما ذكرناه سابقا وهو أن المصلحة هي الغاية التي كانت تستعمل من أجلها كل الوسائل، فمديونة تعلم كما يعلم زعيمها أن مصلحتها في موالاة عبد الرحمن الداخل، خاصة في منطقة شرق الأندلس، إضافة إلى هذا فإن هلال المديوني كان يعلم أساليب عبد الرحمن الداخل في تحطيمه لأعدائه، وتفننه في الإنتقام منهم، والتي من بينها- إن صح التعبير- سياسة الأرض المحروقة والتي تعني إفساد الزرع والثمار وتحطيم معايش المنطقة التي خرج عنها

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص55.

أهلها، وهذا بالفعل ما قام به ضد برير قورية الذين أسلموا عامله الصدفوري إلى ابن عبد الواحد المكناسي سنة 158هـ-774م[1].

من جهة أخرى قد يتساءل البعض لماذا لم يلتزم هلال بن عمر المديوني الحياد اتجاه الحرب القائمة بين المكناسي وعبد الرحمن الداخل؟ والجواب يكون على شقين، أولهما: أن موالاة السلطة كانت تعني أكثر من الحياد أي تعني تفعيل هذه الموالاة وترجمتها على أرض الواقع وتطبيق مقولة "صديق عدوك عدوك"، بخاصة وأن السلطة كانت تحتاج إلى من يعينها على ضرب المعارضين لأن في ذلك تخفيف لأعباء كثيرة تحملها، ناهيك عن جغرافية الأندلس الصعبة والشاقة والتي تعطل من ضرب العدو بأسرع وقت، عكس الرجل الموالي لها والموجود في عين مكان العدو.

أما الشق الثاني، فيعود إلى سياسة السلطة في اصطناع رجال يوالونها، أي اصطناع الموالي، وهذا من أجل تكريس سياسة فرق تسد، لأن اجتماع البربر وتوحيدهم يشكل خطرا على السلطة، وبالتالي ما عليها سوى تنفيذ هذه السياسة، وكان ذلك خاصة على البربر.

إضافة إلى ما قلناه سابقا نجد أن بعض العناصر البربرية قد ملكت نوعا من النضج السياسي الذي سمح لها بتلافي العديد من الأخطاء السياسية الفادحة، لذا تراها تتجنب الإنخراط في أية ثورة غير مضمونة العواقب، ولا تتوفر على شروط البقاء والنجاح، ولعل من بين هذه الثورات، ثورة إبن عبد الواحد المكناسي التي لم تكن تحمل مثل تلك الشروط التي تؤهلها للنجاح، مما دفع بهلال بن عامر إلى التفكير بجدية في عواقب انضمامه إلى المعارضة أو الموالاة[2] ليختار في الأخير محاربة المكناسي وموالاة عبد الرحمن الداخل ولو إلى حين.

بقيت معادلة المعارضة والموالاة الطابع الذي صبغ الأعمال السياسية التي ربطت بين السلطة الأموية والبربر زمن الإمارة، وإن كانت هذه المعادلة في حقيقتها من

1- النويري، المصدر السابق، ص67/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص227.

2- بهذه المناسبة لا ننسى ما ذكره ابن خلدون، من "أن هلال خرج بشنتمرية على عبد الرحمن الداخل متبعا شقيا المكناسي في خروجه، ثم راجع الطاعة، فتقبله وكتب له على قومه"، المصدر السابق، ج6، ص149.

الصعوبة بمكان حلها، لأنها لا تستند إلى وحدة قياس ثابتة لغلبة المصلحة الإجتماعية والإقتصادية من جهة، والرغبة في تحقيق الطموح السياسي من جهة أخرى، إلا أنه من المفروض علينا كذلك ذكر السلطة الأموية التي كان لها يد حتمت في تغيير ولاء الأفراد والجماعات البربرية للسلطة إلى معارضة ومجابهات عسكرية ضدها.

كان عبد الرحمن الداخل فطنا وشديد الحذر كما ذكرنا، كثير التفكير في مستقبل دولته، مما دفعه إلى استخدام سياسة جد حساسة اتجاه زعماء العشائر والجماعات، حتى أولئك الذين ساندوه في إقامة وتأسيس هذه الإمارة، وهذا خوفا منهم وخشية من انتشار نفوذهم وسط عصبيتهم وأنصارهم، ولتطبيق سياسة مركزية السلطة وتكريس مبدأ الأمير الواحد، ومن بين من مستهم هذه السياسة زعماء البربر ورجالاتها، حيث قتل إبراهيم بن شجرة سنة 162هـ-778م من طرف بدر مولى عبد الرحمن الداخل،[1] والذي يذكر صاحب أخبار مجموعة أنه هوجم في بيته[2]، إضافة إلى جر هلال بن عامر المديوني إلى قرطبة وحبسه هناك، وهو الذي يعود إليه الفضل في إرباك ابن عبد الواحد المكناسي وإفشال ثورته.

على كل استمرت مشاركة البربر في الجيش الأموي، والدفاع عن سلطة الأمويين داخل الأندلس وخارجها بعد وفاة عبد الرحمن الداخل، وإن كانت فترة هشام بن عبد الرحمن قصيرة مقارنة بفترة أبيه وابنه الحكم فيما بعد، فإن ما قام به من حروب وغزوات ضد النصارى في الشمال وعلى الثغور يسمح لنا بتأكيد مشاركة البربر في هذه الغزوات خاصة ونحن نعلم أن موالي بني أمية من البربر كانوا دائما يشكلون الصفوف الأولى لجيوش السلطة الأموية، إضافة إلى البربر المرتزقة الذين لم تكن تخلوا منهم أية فترة من فترات الإمارة الأموية بدءا بفترة عبد الرحمن الداخل الذي كان له منهم أربعون ألفا، ناهيك عن بربر الثغور الذين شكلوا منذ عصر الولاة الجدار الحصين ضد تقدم النصارى نحو الأندلس.

1- النويري، المصدر السابق، ص68/ ابن الأثير، المصدر السابق، ص243/ ابن عذارى، المصدر السابق، ص56.
2- أخبار مجموعة، ص101.

أما بالنسبة لفترة الحكم الربضي فستكون الأمور في غاية التعقيد، لأن فترته شهدت الكثير من الإضطرابات فيما يخص علاقته بالبربر، كحادثة الربض ووقعة الحفرة، وبالأخص ثورة ماردة التي تزعمها أصبغ بن عبد الله بن وانسوس البربري، ولكن هل هذا يعني أن عهده لم يشهد موالاة البربر ومساندتهم له ضد معارضيه ومشاركتهم جيوشه تحت حكم هذه الموالاة ؟.

ستكون ثورة ماردة وزعيمها أصبغ بن عبد الله بن وانسوس أول ما يتبادر إلى الذهن لأن هذا الزعيم وكما هو معروف ينتمي إلى أحد البيوت التي قدمت الكثير من أجل تأسيس الإمارة الأموية، بل إن هذا البيت له الفضل حتى في حماية عبد الرحمن الداخل من القتل والتشرد عندما كان في بلاد المغرب[1]، وما وقع بين أصبغ بن عبد الله بن وانسوس والحكم الربضي يعود دائما إلى سياسة الأمويين اتجاه زعماء الجماعات والعشائر، ومحاولة امتصاص نفوذهم وزعامتهم، خاصة وأن زعيم ماردة " كان كل من فيها من العرب والبربر ومواليهم على طواعية له، وكل عامل يتولاّها يشاوره ويعمل بما يحبّه"[2]، وما نعتقده أن هذا هو السبب الذي دفع بالحكم إلى محاولة التقليل من سلطة هذا الرجل، وانتشار نفوذه على عرب وبربر المنطقة ككل.

ومع زئبقية المعارضة والموالاة التي تبناها البربر في تعاملهم مع السلطة، خضوع هؤلاء إلى منطق المصلحة لا غير، وسياسة الأمويين اتجاه رجالات الأندلس، قع الخلاف الذي غير موالاة زعيم وأهالي ماردة إلى معارضة مسلحة، ومرة أخرى جد أن أصبغ بن عبد الله بن وانسوس كان أحد رجالات الحكم الربضي والمخلصين سلطة الأموية وهو أحد موالي بني أمية لأن بني وانسوس موالي عبد العزيز بن روان[3]، وبالتالي فمعارضته للسلطة لا تنسينا ما قدمه لها سابقا من خدمات، أولها تمثيله

- المقري، المصدر السابق، ج3، ص262.
- ابن حيان، المصدر السابق، ص130.
- ابن القوطية، المصدر السابق، ص44.

للحكم الربضي في ثورته ضد عميه عبد الله البلنسي وسليمان الشامي خاصة، حتى أن ابن حيان يذكر أنه هو من ألقى القبض على هذا الأخير[1].

وبالرغم من أن المصادر تذكر دور أصبغ بن وانسوس في حرب سليمان بن عبد الرحمن الداخل، إلا أن ملاحظة هامة تجعلنا نفهم الكثير من الأفكار التي كانت تتبناها المصادر وتؤمن بها، وهي تعكس ربما، ذهنية الأندلسي بصفة عامة ورجالات الدولة بصفة خاصة اتجاه البربر، وهذا حين يذكر ابن حيان قائلا: "وقيل إن سليمان وافق أصبغ إذ علم أن ليس معه أحد من حشم الأمير، وإنما هو في برابرته، ورجا مخادعته واستمالته إلى نفسه، فبينما هم في ذلك إذ طلع العباس في خيله، فأسرع سليمان وعلم أن الحيلة واقعة عليه"[2].

نكتشف من خلال هذه العبارة أمرين اثنين، الأول هو ما أردنا توضيحه حول صورة العنصر البربري في ذهنية الأندلسي وهو اللاعهد واللاوفاء الذي يتصف به، إذ أن سليمان الشامي أراد استدراج واستمالة أصبغ بن وانسوس، وكأن هذا الأخير كان قابلا للإستدراج ومستعدا لتغيير معطفه السياسي في أية لحظة، خاصة وأن ابن حيان يضيف لنا إضافة ذات فوائد جمة حين يقول: "إذ علم- أي سليمان- أن ليس معه أحد من حشم الأمير، وإنما هو في برابرته"، أي أن أصبغ بن وانسوس يستطيع الإنقلاب على السلطة بما أنه برفقة البربر فقط ودون وجود ممثلي الحكم الربضي من العرب أو غيرهم من العناصر الأندلسية الأخرى، وحتى يفهم حقا ما أردنا قوله من عدم ثقة الأندلسي بصفة عامة والسلطة الأموية بصفة خاصة بمواقف العنصر البربري هو ما جاء لاحقا في العبارة وبالحرف الواحد "فينما هم في ذلك إذ طلع العباس في خيله"، وهذا يعني أن هذا الأخير قد أفسد المفاوضات التي كانت جارية بين سليمان وأصبغ بن وانسوس، وعبارة "فبينما هم في ذلك" تثبت ما نقول، كما أن إرسال الحكم الربضي للعباس هذا، يدل على عدم ثقة السلطة في إخلاص أصبغ بن وانسوس لها، حتى أن إبن حيان ومن خلال

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص95.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص95.

إستقرائنا لنصه هذا وكأنه يؤمن بأن أصبغ وسليمان كانا قاب قوسين أو أدنى من التفاهم لولا بروز العباس بن عبد الله المرواني الذي أفسد اللعبة.

أما من ناحية أخرى فإن هذا النص يظهر أن البربر مع زعيمهم أصبغ بن وانسوس كانوا القوة الوحيدة المشكلة ضد سليمان الشامي، قبل مجيء العباس بن عبد الله المرواني، وبالتالي فإن البربر كانوا يشاركون الحكم الربضي في دفاعه عن سلطته، ويضربون معارضيه حتى ولو كان في صفوفهم جماعات أو عشائر بربرية، وهذا بالرغم من هشاشة الثقة التي تضعها السلطة فيهم وفي زعمائهم.

إضافة إلى ما قام به البربر الموالي والمنتمين إلى البيوت البربرية الكبيرة، عرفت هذه المرحلة من تاريخ الإمارة مشاركة البربر المرتزقة في صفوف الجيش الأموي، حيث كانت البداية مع عبد الرحمن الداخل الذي تذكر المصادر تكوينه لأربعين ألفا من العبيد المماليك[1] والتي نحبذ تسميتهم بالمرتزقة، لأن هؤلاء لم يكونوا عبيدا أي من الرق أو الأقتان، بل كانوا جنودا في جيش السلطة وموالين لها وحدها، وكانت أغلبيتهم من البربر[2]، وبالرغم من وجود البربر بهذا العدد الهائل فقد أضاف الحكم الربضي بعض المماليك كان يسميهم الخرس "لعجميتهم"[3]، مع العلم أن هؤلاء كانوا قد جلبوا من شمال أوربا.

الحقيقة أنّ ما قام به الحكم الربضي من جلب الخرس أو الصقالبة بهذا الحجم دفعنا إلى التساؤل حول دوافع هذا الفعل، وما الغاية منه؟ خاصة إذا ما علمنا قرب العدوة المغربية التي كانت دائما خزان الأندلس من رجال الحرب والمرتزقة إلى غاية تربع السلطة العامرية على الأندلس، لنقول، ربما تعود دوافع الحكم الربضي بما قام به إلى سبب رئيس تفرعت عنه أسباب فرعية، فالسبب الرئيس هو الخوف من المعارضة البربرية التي كانت تستنفذ كل طاقات السلطة المادية والبشرية.

1- المقري، المصدر السابق، ج3 ص313.

2- المقري، المصدر نفسه، ج3، ص313/ فتح الأندلس، ص104.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص153.

وخوف الحكم الربضي وخشيته هذه كانت في محلها، لأن موالاة البربر المرتزقة لم تكن مضمونة، خاصة وأن فكرة الموالاة بالنسبة لهؤلاء كانت جد نسبية، فهم يستطيعون تغيير ولائهم تحت بريق الفضة ولمعان الذهب، كما أنهم تابعين دائما لمن يدفع أكثر هذا من جانب، أما من جانب آخر فالبربر الأندلسيون كانوا دائمي الثورات والعصيان، وهم بهذا الفعل يستطيعون الضغط على البربر المرتزقة إذا كانوا في جانب السلطة، وربما جروا الهزائم على جيوشها، كما أن للعصبية مهما كانت الظروف في ذلك الزمن أثر كبير في الأحداث السياسية، مما يعني أكثر أن المرتزقة يستطيعون بين ليلة وضحاها مجاراة إخوانهم الثوار والإنفلات من حيز السلطة.

وبالتالي ففترة الحكم التي عرفت خروج البربر في الكثير من المناسبات، والتي كان من أهمها خروجهم في ماردة ومن قبلها في الربض، جعلت الحكم الربضي يتحول من اصطناع الموالى البربر وجلب المرتزقة من المغرب إلى اقتناء الخرس أو الصقالبة.

عندما نعود إلى موالاة البربر للسلطة، نكتشف أن رؤساؤهم كانوا يقومون في الكثير من الأحيان بتمثيل السلطة، فكما مثلها أصبغ بن وانسوس في حربه لسليمان بن عبد الرحمن الداخل، مثلها أيضا "عاقل الأندلس"،[1] يحي بن يحي المصمودي، حيث قام هذا الأخير بإبرام الصلح بين الحكم الربضي وعمه عبد الله البلنسي سنة 187هـ-802م[2]، ونحن نعتقد أن الحكم كان على جانب كبير من الصواب عندما اختار يحي بن يحي المصمودي ممثلا عنه، ويعود هذا الإختيار فيما نعتقد، إلى عدة إعتبارات، عمادها قيمة يحي بن يحي المصمودي داخل الأندلس كفقيه وعالم وأحد طلبة الإمام مالك بن أنس وأحد رواة الموطأ، وقيمته بالأخص داخل المجتمع البربري الذي كان يكن له كل الإحترام والتبجيل، وبما أن عبد الله البلنسي كان في معية البربر المناصرين له وتحت حمايتهم،[3] فإن يحي بن يحي كسفير عن السلطة والممثل الرسمي، للحكم الربضي نفسه، سيكون له تأثير مباشر وآخر غير مباشر على بربر بلنسية.

1- ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص282.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص102/ النويري، المصدر السابق، ص82/ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 71.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص 94/93.

ومن بين الإعتبارات كذلك أن عبد الله بن عبد الرحمن الداخل أي البلنسي لم يكن باستطاعته القيام بأي شيء بدون مساندة بربر بلنسية "الذين قاموا معه وتعصبوا له"[1]، بل حتى الشروط التي يريد إلقاءها على الحكم الربضي لا بد وأن تأخذ البربر بعين الإعتبار، كما أن الحكم الربضي بذكائه السياسي أراد أن يلفت أنظار البربر الموالين لعبد الله البلنسي بأن زعيمهم الروحي وقائدهم الديني هو رجل موال للسلطة، والأكثر من ذلك الممثل والناطق الرسمي للأمير الحكم الربضي، وبالتالي فليس هناك أية خلفية أو موقف مسبق للسلطة اتجاه البربر، إذن ما الداعي أساسا إلى معارضتها ورجالات البربر كيحي بن يحي المصمودي ملتفين حولها؟ بل والأكثر من ذلك أن الحكم الربضي أراد استمالة بربر بلنسية حتى يصالحوا السلطة وينضووا تحت لوائها.

كما أن مهمة يحي بن يحي المصمودي، لم تكن فقط بغرض إبرام الصلح بين الحكم الربضي وعمه عبد الله البلنسي، بقدر ما كانت ترمي إلى تغيير وجهة نظر بربر بلنسية اتجاه السلطة، وهذا تحت ضغط يحي بن يحي على هؤلاء البربر والذين سيقومون بدورهم بعملية ضغط كبيرة على عبد الله البلنسي من أجل إيقاف الثورة والمصادقة على الصلح، بدون أن نتغافل على كونهم عماد هذه الثورة.

ومن خلال ما قام به يحي بن يحي نكتشف أن هذا الأخير قام بمهمة سياسية والتي ندرك من خلالها ما يلي: أن الفقهاء كانت لا تزال لهم في بداية فترة الحكم الربضي بعض النفوذ في السلطة، كما أنهم كانوا لا يتوانون في تنفيذ الكثير من المهام السياسية والمشاركة فيها، فعلى سبيل المثال كان يحي بن يحي نفسه قد شارك في غزوة أربونة صيف سنة 177هـ-793م مع عبد الكريم بن مغيث[2]، كما أن هذا يوضح قيمة ومكانة يحي بن يحي الدينية وحتى السياسية في الأندلس ووسط البربر، وأخيرا أن الأمويين كانوا يستغلون مواليهم البربر في إطفاء جمرة ولهيب إخوانهم، ومحاولة الضغط عليهم حتى يلبسوا رداء الموالاة.

1- نفسه، ص93/94.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص193.

مساهمة البربر في العمل القضائي والإداري: كل ما كانت تبحث عنه السلطة الأموية في فترات عبد الرحمن الداخل وإبنه هشام وحفيده الحكم الربضي هو الإستقرار بالحكم والحفاظ عليه،[1] لأن الأندلس كانت تعيش مرحلة مخاض عسير، جراء خروجها من مرحلة الولاة العصبية، وما كانت تحمله من مصادمات عرقية ومجابهات عنصرية مع سيادة الروح القبلية وسط المجتمع الأندلسي التي لم يستطع الداخل القضاء عليها.

كما أن التطور السياسي الذي كانت تشهده الأندلس، عرف قفزة جديدة في ميدان المعارضة حيث برزت هذه الأخيرة أكثر في المدن وتبناها الأهالي وزعمائهم، فعوضا عن نسبة الثورة إلى إسم الزعيم وقبيلته كقولنا ثورة إبن عبد الواحد المكناسي، أو ثورة عبد الغافر اليماني أو يوسف بن عبد الرحمن الفهري وغيرها من أسماء الزعماء التي تنتمي إلى القبيلة أو العشيرة، انقلبت الآية لتصبح الثورة تنسب إلى المدينة كثورة ماردة، أو ثورات طليطلة، وحادثة الربض بقرطبة وغيرها، وهذا التحول في حقيقته ما ذكرناه إلا لأنه يحملنا على الإحتمال الأكيد، والإيمان الراسخ في اندماج البربر سياسيا أو انصهارهم سياسيا مع باقي العناصر المشكلة لمجتمع المدينة الأندلسية،[2] وهذا ما يوضح لنا الكثير من الأمور لعل أبرزها المشاركة البربرية في كل تطور شهدته الأندلس، أي عدم إنعزال البربر وتقوقعهم على أنفسهم، وبالتالي فإن مشاركة البربر الإدارية في تسيير شؤون المدن والحواضر في هذه الفترة كانت حاضرة ولو بنسبة معينة.

لم تشهد الإدارة الأموية خدمة أو مشاركة بربرية واسعة في بدايات تأسيسها، ويعود هذا إلى أسباب عديدة، والسبب الرئيس لا يعود إلى البربر بقدر ما يعود إلى تطور الدولة الأموية التي كانت في بداية تأسيسها لا تهتم بشكل جدي وكبير بالنظم، وهذا الفعل

1- ولهذا سمينا هذه الفترة بفترة التأسيس.

2- نحن نؤكد على الاندماج السياسي ونقصد به التكتل أو التحالف السياسي بالمفهوم الحالي، وتوحيد موقف المعارضة إتجاه السلطة، وننفي أي إندماج إجتماعي بين البربر والفئات الأخرى، أما ما كان واقعا وسط المدن فلا ينبغي أن يفهم على كونه أكثر من تجمعات عرقية أواثنية، كما أن الضرورة والتطور الإجتماعيين فرضا على الكثير من الجماعات العيش في المدن، خاصة من كان يحترف منهم الجندية، الذين تغيروا بإحترافهم المهن داخل المدن، بدون التغافل عن الهجرات وبشكل كبير الهجرات البربرية نحو الأندلس وبالتحديد نحو المدن بحثا عن حياة أفضل، وسنتطرق إلى هذا في القسم الخاص بموالاة البربر للسلطة الأموية إبان فترة الازدهار.

في حد ذاته يعكس صورة الإضطراب واللاإستقرار الذي كانت تعيشه الإمارة، بفعل الحروب القبلية والعنصرية التي كانت موجهة ضدها باستمرار.

ذكرنا أن النظم الإسلامية في عصر الإمارة بدأت تتطور شيئا فشيئا منذ تأسيسها على يد عبد الرحمن الداخل، ويعود هذا إلى عوامل عديدة منها عدم وجود ميراث في مجال النظم تنتفع به كتركة من عصر الولاة، هذا العصر الذي كان خاليا تقريبا من الكثير من النظم وأساليب الحكم[1]، لغلبة الفتوحات الإسلامية أول الأمر داخل الجزيرة الإيبيرية وخارجها داخل بلاد غالة، ثم لهيمنة الصراع الداخلي بين العرب والبربر، ثم بين العرب فيما بينهم إلى غاية تأسيس الإمارة.

على كل، فبساطة نظم مرحلة الولاة جعلت من عبد الرحمن الداخل يكتفي باستشارة من أعانه في تأسيس إمارته كوزراء، ونص المقري يؤكد ذلك إذ يصرح قائلا: "لم يكن للداخل من يطلق عليه سمة وزير لكنه عين أشياخا للمشاورة والمؤازرة أولهم أبو عثمان وعبد الله بن خالد وأبو عبيدة صاحب إشبيلية، إضافة إلى شهيد بن عيسى بن شهيد[2] مولى مروان بن الحكم"[3].

من خلال هذا النص يتضح لنا أن عبد الرحمن لم يكن معتنيا بالإدارة والتسيير الإداري، لأنه وببساطة كان دائم البحث عن الإستقرار وتسوية الأمور الداخلية، ومحاولة القضاء على العصبية القبلية، والإعتماد على المركزية في الحكم، مع الإنشغال بتكوين جيش موال للسلطة وحدها بدون التغافل عن اصطناع الموالي الذين كانوا دائما ملجأ عبد الرحمن في الشدائد، وبالرغم من نص ابن حيان الذي نسخه الكثيرون والذي يصرح فيه قائلا: "فأرهب أهله بالطاعة السلطانية، وصدهم بالسيرة الملوكية ورفعهم بالآداب

1- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص356

2- يذكر المقري شهيد بن عيسى بن شهيد، أنه من" سبي البربر وقيل إنه رومي"، والسبب في عدم أخذنا لشهيد بن عيسى ولبيته الكبير في الأندلس بعده كبيت بربري، هو إنفراد المقري بذلك، عكس ابن الأبار الذي جعله عربيا، وهذا بالرغم من أن ابن حيان يؤكد على أنه من موالي معاوية، المقري، المصدر السابق، ج3، ص320، ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقدم له وعلق عليه، محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ-1973م، ص26، ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص237.

3- المقري، المصدر نفسه، ج3، ص320.

لوسطية وبدأ فدون الدواوين وأقام القوانين، وأقام للملك آلته"،[1] فنحن نعتقد أنه نص يحمل الكثير من المبالغة ومعطيات سابقة لأوانها[2].

ذكرنا أن البربر لم تكن لهم مشاركة إدارية بارزة وهذا بفعل الأسباب الآنفة الذكر، أما الأسماء التي ذكرتها المصادر، فمنها ميمون بن سعيد مولى الوليد بن عبد الملك وهو البربري الوحيد-على حسب علمنا- الذي تولى في فترة عبد الرحمن الداخل منصبا إداريا تمثل في ولاية طليطلة[3]، ثم حجاج المغيلي مولى يزيد بن طلحة العبسي، وكان كاتب ترسيل إبان فترة الحكم بن بن هشام[4]، بدون أن ننسى عباس بن ناصح الجزيري، والذي كان أشهر شاعر على عهد الحكم الربض خاصة بوجوده قاضيا على الجزيرة الحضراء.

ليس من الفائدة أن نعيد ذكر أسباب أو عوامل نسبة هذه المشاركة، ولكن من المفيد جدا أن نصرح بنقدنا وعدم إتفاقنا بتاتا مع بعض الكتابات المعاصرة التي تضع اللوم على البربر من أنهم كانوا يعيشون في عزلة وأصحاب مستوى ثقافي وعلمي منحط، إضافة إلى كونهم يملكون كرامة زائدة عن اللزوم، حيث لا تسمح لهم هذه الكرامة-على حسب هذه الكتابات- قبول المناصب الإدارية وحتى السياسية، ناهيك عن فكرة إحتكار العرب للمناصب المذكورة، وإقصاء العناصر الأخرى بما فيهم البربر[5]، وهذا في حد ذاته يحتاج إلى أدلة وشواهد قوية يرفضها الواقع التاريخي للأندلس، لأن المتمعن سيجد أن الموالي هم من كانوا يحتكرون السلطة، حتى أنهم كانوا يتوارثونها صاغرا عن كابر، لحد أصبح يطلق عليهم إسم البيوتات الأندلسية، ويكفينا ما تلقاه العرب

1- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص356/ المقري، المصدر السابق، ج1، ص260.

2- سوف نرى كيف يناقض ابن حيان نفسه عندما يتناول شخصية عبد الرحمن الأوسط قائلا هذه المرة:" وهو أول من فخم الملك بالأندلس من خلفاء بني مروان وكساه أبهة الخلافة، وهو أول من أقام أبهة الخلافة ورتب رسوم المملكة.."، المصدر السابق، ص280/281.

3- حول هذه الشخصية لا نملك في المصادر ترجمات له، وحتى ترجمته عند ابن الأبار إنما جاءت في سياق ترجمته لابنه داود بن ميمون، وقد ذكرنا أن ابن الأبار ينفرد برواية قتل ميمون بن سعيد ليوسف الفهري، مع إضافته أنه "كان واحد أهل عصره في النسك والورع والزهد حتى كان يقال أنه من الا بدّال"، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص216.

4- ابن حيان، السفر الثاني من كتاب المقتبس، ص195.

5- محمد حقي، البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع- المدارس- الدار البيضاء، ط1، 1422/2001، ص175/176.

اليمنية منهم أو القيسية في عهد عبد الرحمن الداخل من مطاردات وحروب، وإبعاد عن الحكم.

أما بالنسبة للمستوى العلمي، فلا أحد يستطيع أن ينكر مكانة أبي موسى الهواري الذي "كان أول من جمع الفقه في الدين وعلم العرب بالأندلس"[1]، مع العلم أنه رحل في أول خلافة عبد الرحمن الداخل، فلقي مالكا ونظراءه من الأئمة، ولقي الأصمعي وأبا زيد الأنصاري ونظرائهما، وداخل الأعراب في محالّها"،[2] وهذا ما جعله يكون المفتي الوحيد عند دخوله الحاضرة قرطبة وهذا إلى غاية خروجه عنها بالرغم من وجود جل الفقهاء والعلماء بها، بل إن من البربر من تجاوزته المصادر، "كأبي عمر ميمون بن أبي جميل الصنهاجي إبن أخت طارق بن زياد"[3]، الذي كان أحد أعلام البربر وعلمائها، ثم إذا ما إعتقدنا أن بربر الأندلس كان مستواهم العلمي ضعيف، فهل كان بربر المغرب الخوارج والذين أسسوا دولهم على أسس الدين والعقيدة كذلك، وإذا ما كانت الإجابة بلا فما السبب في أن نذكر غيرها؟ ثم إن الإجابة قد يلخصها إبن خلدون الذي يذكر: "فكان من مشاهير حملة العلم فيهم سعيد بن واسول، جد بني مدرار ملوك سجلماسة، أدرك التابعين وأخذ عن عكرمة مولى العباس"،[4] وبالتالي على الباحثين المعاصرين، أن يربطوا بين بربر العدوتين، لأن الفكر والعلم كان دائما سهل التنقل من مكان لآخر، فكيف بين المغرب والأندلس، وقد لا نكون مبالغين إذا ما صرحنا أن العرب الشاميين، لم يكونوا أكثر علما من البربر، بدليل أن أكثرهم من الجند، بل حتى الصميل بن حاتم نفسه زعيم العرب فيما بعد، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب[5].

1- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973م، ص253.
2- نفسه، ص253.
3- مفاخر البربر، ص156.
4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص123/ يراجع، مفاخر البربر، ص153.
5- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1،ص68/ أخبار مجموعة، ص67.

أما بخصوص العزلة[1]، فنعتقد أن كل ما ذكرناه لحد الآن يعبر بما لا يحمل أدنى شك أن البربر لم يكونوا في عزلة، لأن "الجماعة الغير إجتماعية هي تلك التي ترفض المشاركة في المجتمع الأكبر التي هي جزء منه"[2]، وهذا عكس البربر كجماعة نشطة ضمن المجتمع الأندلسي، وهذا ما يدفعنا أكثر إلى القول أن البربر قد شاركوا في الميادين الإدارية والقضائية وحتى العسكرية، ومن الممكن جدا أن الكثير سيعود إلى المراجع العربية والإستشراقية التي كرست تصورا يحمل الكثير من المغالطة التاريخية لبلاد الأندلس، وهوإحتكار العرب للمناصب الإدارية[3]، بل ومعارضتهم للعناصر الأخرى[4]، وهذه المراجع أخذت ببعض المواقف الشاذة والمنفردة، ولم تأخذ بالواقع العام الذي كان سائدا، مع أن المصادر كان لها يد في هذا الذي وقعت فيه المراجع لأنها لم تذكر ذلك بطريقة مباشرة، وإن كان ابن حيان قد تميز عن ذلك، ولكن المتتبع الجيد لما بين صفحات وأسطر هذه المصادر، سيدرك أن البربر عملوا واعتلوا الكثير من المناصب، كما أن الموالي هم من كانت تقتصر فيهم هذه المناصب، فعلى سبيل المثال، يذكر القاضي عياض في: " قال الرازي: ثم دخل بعدهما كثير بن وسلاس، وهو جد يحي بن يحي، وولي ابنه يحي الجزيرة وشذونة، وطلب إبنه يحي العلم"[5]، من خلال هذا المثال وغيره نستطيع أن نؤكد على دور البربر في الإدارة، فقد جاء ذكر والد يحي كوال على الجزيرة وشذونة بطريقة عارضة وغير مباشرة.

وحتى نستدل على ما نقول وبالكيفية نفسها، ندرج مثلا ما يذكره ابن حزم إذ يقول: "منهم طرفة بن لقيط، وكان أبوه وأخوه وبنو عمه من أصحاب السلطان وولاة

1- يذكر محمد حقي أن "البربر يميلون إلى العزلة والإستقلال عن الجهاز الإداري"، والحقيقة أن دراستنا هذه بينت وأوضحت العكس، وهي أنهم كانوا من أنشط العناصر الأندلسية خاصة سياسيا، المرجع السابق، ص175.

2- غريب محمد حمد، المدخل في دراسة الجماعة الإجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979م، ص50.

3- محمد حقي، المرجع السابق، ص175/ ليفي بروفنسال، المرجع السابق،ص85/ عبد المجيد النعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس– التاريخ السياسي–، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ت، ص274.

4- محمد حقي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها/ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص83.

5- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص310.

الثغور وجلة الناس وإليه ينسب مسجد طرفة"[1]، وهكذا نجد أن المناصب عند البربر كانت كانت تتوارث أو يتقاسمها أبناء البيت الواحد، وهذا بدون أن تشير المصادر الرئيسة إليها بنوع من التفصيل أو التخصيص، ومع هذا نجد أن ابن حزم يضيف في مكان آخر قائلا:" ومنهم بأشونة: بنو عبد الوهاب، وهم من ولد ميمون بن أبي جميل، وهو ابن أخت طارق بن زياد، وكانت لهم ثروة وعدد، وكان منهم قواد وكتاب وفقهاء"[2]، فهذا المثال والأمثلة التي قبله، تدل بما فيه الكفاية على أن المصادر لم تعط إهتماما خاصا بالبربر، من هذه الناحية، ولكنه كان يندرج ضمن سياق حديثها عن الأحداث السياسية أو عبر التزجمات والسير، لنخرج في الأخير أن البربر كانت لهم مشاركات في الإدارة والقضاء وغيرها من الميادين، أكثر من الكثير من العناصر الأندلسية الأخرى.

لا نستطيع في نهاية المطاف سوى التأكيد على أهمية الدور السياسي للبربر في فترة التأسيس، ومن الممكن جدا لولا طبيعة الظروف التي عاشتها الإمارة في هذه الفترة، لكان للبربر مقام محمود في الإدارة الأموية وباقي الميادين السياسية.

1- ابن حزم، المصدر السابق، ص96.

2- نفسه، المصدر نفسه، ص502.



المعارضة البربرية على عهد الإزدهار.

الموالاة البربرية على عهد الإزدهار

إن كل مرحلة سياسية ما هي في حقيقتها إلا تمهيدا لمرحلة لاحقة، ولا بدّ للمرحلة الأولى من أن تترك آثارا سواء سلبية أم ايجابية على المرحلة التي تليها، وهكذا كانت فترة عبد الرحمن الأوسط، الذي وجد مجتمعا قد أنهكته الحروب والعنصرية والعصبية القبلية، والمجابهات العسكرية ضد السلطة التي ما كانت تنتهي مجابهة ما حتى تندلع أخرى، هذا مع الشدة التي كانت تستعملها السلطة اتجاه معارضيها واتجاه الرعية، والتي فرضت أو أفرزت كما ترى بعض المصادر والمراجع التي تبعتها نوعا من الخضوع أو الهدوء بالنسبة للمجتمع الأندلسي،[1] وهذا ما لا نوافق عليه، لأن العناصر الأندلسية في عهد الإمارة لم تكن تخضع لضغوط السلطة الأموية إلا لتتخذ لنفسها فترة نقاهة تعيد فيها حساباتها استعدادا لجولة أخرى معها.

لم تكن فترة الخضوع هذه لتدوم مدة طويلة إلا بقدر ما تسمح به ظروف الأوساط المعارضة من النشاط من جديد، حيث كانت هذه الأخيرة هي المؤثرة على زمن هذه الفترة، وقد كانت ظروف عهد عبد الرحمن الأوسط وابنه محمد التي سماها أصحاب المصادر "بأيام العروس لاستقرارها ودعتها وسكونها وطيبها"[2] ظروفا متميزة، ونحن نرى أنه من واجبنا التساؤل حول أسباب هذا الهدوء، إذا لم تكن سياسة السلطة هي السبب ؟ بالنسبة لنا وباختصار شديد، ما كان الهدوء في جوهره سوى بسبب عملية بحث العناصر الأندلسية عن حقيقة هوياتها ثم إثباتها على أرض الواقع، بدون أن نتغافل قيد أنملة عن تداعيات التطور الإجتماعي على مستوى الفرد والجماعة، والتي بدأت تأخذ أبعادا خطيرة.

ولقد ارتأينا لتفسير أيام العروس هذه، كما جاءت في المصادر، والتي لم يطلق عليها في الحقيقته هذا المصطلح سوى لمقارنتها بالفترات السابقة شديدة الوطأة على السلطة أن نشير إلى العامل الإجتماعي الملح، وهو الهوية التي كانت المحرك الرئيس للكثير من الأحداث، والسبب في تغيير سكة التاريخ بالأندلس، والتي نعود ونقول أن فترة

1- تاريخ الأندلس، ص 185.

2- ابن حيان، محمود علي مكي، ص 290/ ابن خلدون، المصدر السابق، ص157/ النويري، المصدر السابق، ص 103/ ابن خلدون، المصدر السابق، ص157/ تاريخ الأندلس، ص184.

الهدوء ما كانت سوى نتيجة تفكير الأفرد والجماعات الأندلسية في ذاتها أو هويتها، لتقوم بعد ذلك بتحقيقها في الميدان:

من الأكيد أن السبب الرئيس هو تطور هويات العناصر الأندلسية داخل الأندلس، بعد أكثر من قرن ونصف على فتحها، فالعربي الذي دخل أجداده الأندلس مع الفتح كان يسمى بلديا، وهو عكس الداخل إلى الأندلس من الشاميين، ونجد البربر الذين امتزجوا مع العرب من بين المكونين لفئة البلديين والذين إمتزجوا مع العرب الذين حاربوا في وقت سابق جنبا إلى جنب ضد الشاميين[1].

أما بالنسبة لأهل الذمة[2] فقد بدأوا هم كذلك في العمل على التحسيس بمكانتهم ولو ولو بطريقتهم الخاصة، حيث أضحى سبّ الرسول صلى الله عليه وسلم ومقدسات الإسلام أحد أساليب التعبير عن الهوية المسيحية، وقاموا بعمل جريء جدا، اصطلحوا عليه بالإستشهاد، وهذا بتحريض سافر من القساوسة- مع العلم أن تغيرا فكريا وثقافيا قد مسّ المسيحيين الذين أصبحت لغتهم وبالتالي ثقافاتهم عربية ولهذا أطلق عليهم إسم المستعربين[3]- ولم يكن هذا العمل من وجهة نظرنا سوى لفتا لأنظار العناصر الأخرى وكذلك السلطة إلى وجود هذه الجماعة التي ربما عانت من التهميش السياسي والإجتماعي في ظل حكم الولاة والأمراء الأمويين الأوائل من بعدهم.

إضافة إلى فئة المستعربين والنصارى، كانت فئة المولدين والتي تمثل نسبة معتبرة في المجتمع الأندلسي، قد بدأت في التهيء للعب أدوارها وبخاصة السياسية، وقد لاحظنا هذا الحضور في ثورات طليطلة المختلفة، وتمرد ماردة، وهذه الأدوار الأولية هي التي ستسمح بظهور عمر بن حفصون المولدي، وعبد الرحمن بن مروان الجليقي، وبخاصة إذا ما علمنا أن العرب في هذه الفترة كانوا في صراع ضد المولدين، بسبب تهميش السلطة الأموية لهم.

1- ابن القوطية، المصدر السابق، ص43/42.

2- حول أهل الذمة هناك فئة المستعربين التي كانت لها أدوارا في الحركة السياسية بالأندلس، وللمزيد من التفاصيل يراجع حسين حسين مؤنس، فجر الأندلس، العصر الحديث، بيروت، ط1، 1423هـ/2002م، ص461 وما بعدها.

3- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص144/148.

أما البربر فإن فطامهم السياسي كان مبكرا مقارنة مع العناصر الأندلسية الأخرى، ويعود ذلك إلى كونهم هم الفاتحين وكانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب حق ومطلب عادل في المشاركة السياسية، وبشكل أخص في فترة الإمارة لأنها على أكتافهم قامت وبموالاتهم دام بقاءها، ومن خلال هذا الإيمان الراسخ لدى البربر بحقهم السياسي استمرت معارضتهم للسلطة، ولم تنقطع حتى في أيام العروس هذه، وبالتحديد ضمن معارضة سكان ماردة الذين ازدادت معارضتهم شدة.

من بين العوامل الأخرى، والتي ندرجها دائما ضمن إطار تطور الهوية لدى العناصر الأندلسية بفعل التطور الإجتماعي والسياسي لبلاد الأندلس، عامل التمدن الذي نوليه اعتبارا كبيرا، من حيث كما ذكرنا تحول العصبية من عصبية للقبيلة إلى عصبية المدينة، وهذا ما أفرز الكثير من المعطيات الجديدة، ومن أقواها امتصاص المعارضة القبلية العنيفة والقائمة على الفوضوية وعدم التفكير في النتائج، كما أن الإنتساب إلى المدينة عوض القبيلة يكشف على نوع من التحضر الإجتماعي والإقتصادي، وهذا بدوره كان له تأثير مضاعف على الفرد الأندلسي؛ فالقبائل أو جماعات المرتزقة التي كانت تحترف الجندية سيتغير نمط معيشتهم في المدينة؛ فيتحولوا فيما بعد إلى صناع وحرفيين أو حتى حراس داخل المدن والحواضر كعناصر تابعة للسلطة، وهذا في حد ذاته مانع للإرتزاق من التمردات والمسارعة في الإنضمام لأي ثائر، وإن كان هذا لم يمنع من تخلص هذه القبائل من نظرتها القبلية الضيقة[1].

هذا ناهيك عن التعامل التجاري والصناعي، الذي يذيب العنصرية والعرقية بين سكان المدينة بمختلف عناصرهم، مع عامل مشجع آخر هو التعليم الذي يمنح على الأقل نوعا من علاقات الإحترام بين العناصر الأندلسية، من جهة والكثير من التأني في التعامل مع السلطة من جهة أخرى، وبالرغم من هذا فقد كانت بعض التمردات داخل المدن أعنف وأقوى بكثير منها عن الثورات أو التمردات القبلية[2] لأن القضاء عليها يطول، كما

1- نزار محمد قادر النعيمي، الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 1426هـ/2005م، ص136.

2- كنموذج لهذه الثورات تمرد أهل الربض بقرطبة.

أن سكان المدن يثورون بإستمرار بسبب حصانة المدينة عند حصارها[1]، وهذا ما يتسبب في عملية استنزاف كبيرة للأموال والأفراد بالنسبة للسلطة، كما أن المدينة المتمردة تبقى مهددة للسلطة باستقبالها للعصاة والثوار، كطليطلة المستقبلة للربضيين، وماردة المحتضنة لمحمود بن عبد الجبار البربري وعبد الرحمن بن مروان الجليقي من بعده.

سيبقى الإنتساب للمدينة والتعصب لها أحد أوجه التغيير الذي طرأ على المجتمع الأندلسي، وساهم في تطوير العلاقة السياسية بين المجتمع والسلطة- مع العلم أن هذا التعصب سيتطور مستقبلا إلى حد تفاخر الاندلسيين فيما بينهم بمدنهم والى غاية تاريخ بعيد[2]- وسيكمن هذا التطور أكثر في الميدان الإداري لأن المدينة بحاجة إلى ولاة وقضاة وأصحاب السوق وجباة ضرائب وغيرهم، وبالتالي فسكان المدن كذلك بحاجة إلى السلطة كما هي بحاجة إليهم خاصة إقتصاديا[3]، مما يعني أن المدينة هي التي ستكون مركز العلاقة بين السلطة والمجتمع.

وهذا بدون تخلي العناصر الأندلسية عن عصبيتها العرقية والعنصرية حتى داخل المدن، وهذه هي العقدة- في نظرنا- التي لم تحل أبدا في الأندلس، والتي تسببت في سقوط الدولة الأموية، وإيجاد ما أصطلح عليه بملوك الطوائف، لأن الأندلس اجتماعيا وسياسيا بنيت عل العنصر، وعلى التعايش بين الجماعات والإثنيات عوض الإندماج[4] الذي لم يكن له أي اثر على أرض الواقع على الأقل إلى غاية نهاية ملوك الطوائف.

1- ابن خلدون، المصدر السابق، المقدمة، ص367/366، تعتبر طليطلة أحسن نموذج في إستمرار ثوراتها عبر تاريخ الدولة الأموية بالأندلس، ولذلك يستحسن مراجعة كتاب: الإسلام في طليطلة لعبد المجيد نعنعي، دار النهضة العربية، بيروت، ب. ت.

2- على سبيل المثال لا الحصر: ابن عسكر في كتابه أعلام مالقة، والكتاب الشهير للسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة.

3- ابن خلدون، المقدمة، ص393.

4- ما نريد أن نثبته هنا هو أن مصطلح إندماج العناصر الاندلسية فيما بينها بما فيهم البربر، مصطلح بعيد جدا عن الواقع التاريخي بالأندلس، خاصة في عصر الإمارة، أما داخل المدن فالعلاقات بين العناصر لا ترقى إلى درجة الإندماج، وهذا ما يسمح لنا بتسميته بالتعايش، وللبرهنة على تصريحنا هذا نجد أن المتتبع لتاريخ تمصر المدن كان في حد ذاته يبنى ويؤسس على أساس قبلي وعنصري، ومن ذلك تمصير الكوفة، وتقسيمها على القبائل بحسب عدد أفرادها، أي كل قبيلة أو عنصر تكون له خطط خاصة به، وهذا ما إتصفت به مدينة فاس التي إنقسمت على نفسها إلى قسمين بعد لجوء أهل ربض قرطبة في عهد الحكم الربضي، حين أضحت هناك عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين، البلاذري، البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2008/1428/ حول هذا، ينظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص230/231/ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بروت، لبنان،

إضافة إلى عامل الهوية، هناك بعض العوامل التي تغافل عنها الكثير من الباحثين، ومنها الإهتمام بالحيز الجغرافي أو المكاني حيث علينا أن لا ننسى أن الأندلس جزء من الغرب الإسلامي ككل، لنؤكد على ما ذكرناه سالفا، وهو أن الأندلس لم تكن بمعزل عما يحدث في هذا المجال الجغرافي، وأنها كانت تتأثر بكل أحداث المنطقة بل نستطيع التصريح أكثر أنها كانت تتأثر حتى بأحداث المشرق، ولعل ما قام به عبد الرحمن الناصر سنة 316هـ-928م من تلقيب نفسه بالخليفة، والذي كان نتيجة تدهور الخلافة العباسية بالمشرق،[1]إلا دليلا على ما نقول، كما أن ما قام به توفلش ملك القسطنطينية في كتابته لعبد الرحمن الأوسط ومحاولته إقامة علاقات سياسية ودبلوماسية مع الأندلس، ورد هذا الأخير بسفارة إلى القسطنطينية[2] كقبول لهذه العلاقة، لم يكن سوى بعد فتح عمورية[3]من طرف الخليفة العباسي المعتصم بالله[4].

ومن خلال هذا نجد أن هدوء الأندلس يعود كذلك إلى استقرار بلاد المغرب، ولا نقصد به خلو المغرب من الإضطرابات بل كل ما نقصده هو استقرار المغرب سياسيا بوجود إمارات إسلامية انتهت من مرحلة التأسيس كالدولة الرستمية الإباضية[5]، والأدارسة العلويين[6]، والأغالبة بإفريقية[7]، وكان هذا الإستقرار هو كذلك يعبر عن محاولة اكتشاف المغربي لهويته وذاته وسط التيارات والأفكار المذهبية والدينية التي اجتاحته وهو بالتالي مثله مثل الأندلسي كان يبحث عن متنفس مما ألم به تقريبا منذ سنة 123هـ-740م، مع التأكيد كذلك على أن هذا الإستقرار سيمنع من تصدير المغرب الذي

ط2، 1983، ج1، ص193 وما بعدها/ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تعليق، محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ص37/36.

1- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص182/ المقري، المصدر السابق ج3، ص277/ الحميدي، المصدر السابق، ص18 الضبي، المصدر السابق، ص21.

2- ابن، حيان، السفر الثاني، ص430، ينظر نص الرسالة في صفحة 432 وما بعدها/ ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بروت، ب، ت، ص82.

3- كان فتح عمورية في سنة 223هـ-837م، السيوطي، ص266/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص158.

4- هو أبو إسحق، محمد بن الرشيد، حكم بين سنوات218هـ-227م، السيوطي، المصدر السابق، 265.

5- تأسست سنة 144هـ-761م، ابن خلدون، نفسه، ج6، ص132/ محمد بن عميرة، مرجع سابق، ص118.

6- تأسست سنة 172هـ-788م، ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص83 /نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، ج2 ص125.

7- تأسست دولة الأغالبة سنة 184هـ/800م، نجيب زبيب، المرجع نفسه، ص 153.

كان دائما خزان الرجال بالنسبة للأندلس ومورد السلطة والمعارضة معا للمرتزقة ومحترفي الجندية إلى بلاد الأندلس.

كما أن جس النبض والإحتراز الذي كان بين مختلف دول المغرب، كانت بمثابة عوامل ساعدت الأمويين على الإهتمام بالداخل والإنشغال بالنظم والإدارة، مع ارتياحها أمام الغزو الفكري سواء الإباضي أو العلوي، وقد يتساءل البعض حول هذا التصريح بدعوى أن دول المغرب قد تنشر أفكارها ونقصد مذاهبها وعقائدها، التي هي أسس وركائز سياستها، وهذا من خلال عاملين اثنين: أولهما قرب المسافة، وثانيهما تواجد البربر بكلا العدوتين، والإجابة على ذلك أن ما وقع كان العكس تماما، وذلك بنزوح الكثير من متبني الخارجية أو الإباضية، بدون أن ننسى العلوية إلى المغرب[1]، لأن هناك سيكونون في مركز أحسن وضمن جماعتهم، وهذا ما ندمجه نحن ضمن أحد أوجه الهوية في العالم الإسلامي، بمعنى إلتفاف بعض الجماعات ببعض المذاهب أو العقائد، واعتبارها هوية ضمن الهويات الأخرى أو الهوية الرئيسة، وهكذا وقع نوع من تسرب خوارج الأندلس وعلوييها من الأندلس بإتجاه بلاد المغرب للإستقرار نهائيا.

بعد ذكر عوامل الهدوء الذي تميزت به هذه الفترة، نلاحظ ظاهرة العائلات الكبيرة خاصة في أطراف الأندلس وثغورها، كعائلة بني ذي النون البربرية وبني قسي

1- يذكر كل من ابن حيان وابن القوطية وجود" طائفة تدين برأي الخوارج وتدعو إليه" في منطقة الجزيرة الخضراء، مما جعل من عباس بن ناصح الجزيري البربري يحرض الحكم الربضي على ضربها والقضاء عليها قبل إستفحال الأمر، وهذا ما فعله الحكم" الذي حمل السيف على أكثرهم"، فهذه النصوص تدل بما فيه الكفاية عن بقاء بعض الأندلسيين على مذهب الخوارج، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن العلاقات التي كانت بين الإمارة الأموية والرستمية سمحت بتواجد التجار الإباضيين بمنطقة الجزيرة الخضراء الذين من الممكن جدا أنهم إستقروا هناك للتجارة وللدعوة إلى مذهبهم، وهذا ما يشكل خطرا على الأمراء الأمويين، وللأسف فإن المصادر لا تشير إلى أصول هذه الطائفة والتي- في نظرنا- لن تتعدى كونها من البربر بحكم العامل التاريخي ونقصد به بربر الأندلس وثوراتهم سنة 123هـ/740م، وبحكم العامل الجغرافي وهو قرب خوارج بربر المغرب من الأندلس.

أما من جانبنا فإن ما قام به الحكم تعود أسبابه إلى بعض الأحداث السياسية وهي وجود سليمان البلنسي عند الرستميين في حماية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171-211هـ/ 787-826م) ومن الممكن تحريض هذا الأخير لسليمان الشامي على محاربة ابن أخيه الحكم الربضي، على كل، هذه المصادر تساعدنا على إثبات ما ذهبنا إليه من نزوح الخوارج إلى بلاد المغرب لعدم وجود المكان المناسب لهم بالأندلس، وهذا سياسيا بوجود الإمارة الأموية، ومذهبيا بهيمنة المذهب المالكي، مع العلم أن الإباضية بقيت إلى غاية زمن ابن حزم الأندلسي/ ابن حيان، المصدر السابق، ص232/233/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص67/68/ ابن حزم الاندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق عادل بن سعد، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م، ص 308/ محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، القاهرة، 1986م، ص 154.

والشيء نفسه كان بالنسبة للأدارسة الذين إستقطبوا شيعتهم بالأندلس، يراجع: إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص13/ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص29.

المولدين الذين سيكون لهم شأن سياسي عظيم في الفترات اللاحقة وبشكل كبير على عهد عبد الله بن محمد، إضافة إلى هذا نلاحظ أن السلطة الأموية لم تتبنى مذهبا رسميا تتعامل به في قضائها وإدارتها إلا في هذه الفترة، وقد كان وراء اختيارها لهذا المذهب عوامل عديدة، منها إجتماعية وسياسية، بدون أن ننسى دور الطلبة الأندلسيين الذين رحل مجملهم إلى المدينة المنورة، وبالضبط إلى الإمام مالك تحديدا.[1]

ولعل من أبرز الملاحظات كذلك هو إرتفاع رتبة الموالي أكثر، وإستحواذهم على أغلب المناصب الإدارية والعسكرية[2]، واتباع الحكام لهذه السياسة لم يكن عن طائل بل كان عن حكمة سياسية متبعة، وهي المحافظة على السلطة لأن الموالي هم بناة صرح الإمارة، وتوارث المناصب سيمكن من تمتين علاقة هذه البيوت التي يزداد عددها ونفوذها داخل الأندلس مع السلطة، وبالتالي ستكسب موالاة سياسية ثابتة ودائمة في وجه المعارضة، مع العلم أن البربر الموالي منهم سيكون لهم مقاما محمودا عند الدولة، مع زيادة نسبتهم في المشاركة السياسية والإدارية.

وختاما نجد أن المجتمع الأندلسي مع فترة الهدوء هذه بدأ يبحث عن بعض الترف الذي وجده عند زرياب القادم من عاصمة الأعداء العباسيين، والذي استطاع أن يؤثر ليس فقط في فنون أهل الأندلس بل حتى في أكلهم وطريقة لباسهم، والأكبر من ذلك حتى في تسريحة شعرهم، وهذا على كل، قبل أن نتساءل حول من هؤلاء الذين أثر فيهم زرياب والى هذا الحد؟.

عبد الرحمن الأوسط وأطر سياسته: لم يختلف إثنان من أصحاب المصادر حول كون عهد عبد الرحمن الأوسط من أزهى عهود الإمارة الأموية "وأعزها نصرا وأطولها

1- يذكر ابن حيان:" وفي أيام الحكم، إنتقلت الفتوى بالأندلس من رأي الأوزاعي وأهل الشام بالكلية وعليه كانوا منذ أول حلول الإسلام بها، فحولت إلى رأي مالك وأهل المدينة، وإنتشر رأي مالك بقرطبة، وعم بلاد الأندلس، وذلك بأمر الحكم وإيثاره"، ويضيف ابن حيان، أن الطلبة الذين تفقهوا على الإمام مالك بالمدينة، قاموا بمدح شيخهم وذكر فضله وجلالة قدره عند عودتهم إلى الأندلس مما حدى بالأندلسيين إلى" قص آثاره وطلب علمه والإقتداء به"، من خلال هذا نجد أن هناك عاملان إثنان في العمل بمذهب الإمام مالك، أولا، تفقه طلبة العلم عليه بالمدينة المنورة والذين أدخلوا معهم موطأه، وثانيا، سياسة الحكم الذي أمر بإتباع هذا المذهب دون غيره، ابن حيان، المصدر السابق، ص199/201/أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص115/ الحميدي، المصدر السابق، ص346/الضبي، المصدر السابق، ص446.

2- ابن خلدون، المقدمة، ص193/196.

مكونا وأملاها أمدا"[1]، وكان توليه بقرطبة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 206هـ-821م[2] من بعد وفاة والده الحكم بن هشام الذي حكم مدّة "ستة وعشرون سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام"[3]، ومن بين ما إتصف به عبد الرحمن الثاني التدين والاشتغال بالعلم "حتى أنه تفنن في كل فن"[4].

يذكر عبد الرحمن الثاني بأنه أول من فخم الملك بالأندلس من خلفاء بني مروان وكساه أبهة الجلالة، حتى كاتبه ملوك البلاد[5]، وهذا ما جعل المصادر تشهد على أنه "ما خرج عليه خارج أو بابنه مخالف خلا ما كان من موسى بن موسى بن قسي بناحية الثغر الأعلى وما كان من أهل ماردة من أهل الجوف"،[6] وهذا ما يوضح أن أهل ماردة قد بقوا على عصيانهم بمختلف عناصرهم، وأن وعي المولدين السياسي قد بدأ في الإزدياد والانتشار، إذ انتقلت عدوى انتفاضة مولدي ماردة إلى أهل الثغور الذين مثلهم بنو قسي.

عرفت هذه الفترة وجود العديد من الفقهاء من أمثال يحي بن يحي المصمودي، وعبد الملك بن حبيب[7] وعيسى بن دينار[8]، إضافة إلى أولئك الذين أتوا من بعدهم كبقي بن مخلد[9] وغيرهم، وهذا ما أدى إلى إزدياد الوعي الديني وإرتفاع مستوى المعرفة البنية داخل المجتمع الأندلسي، ناهيك عن الشعراء كيحي الغزال[10]، وفي هذه الفترة

1- ابن حيان، السفر الثاني، ص275.
2- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص13/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص81.
3- ابن حيان، المصدر نفسه، ص186.
4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص157/ النويري، المصدر السابق، ص103/ أخبار مجموعة، ص122.
5- ابن عذارى، نفسه، ص91/ ابن حيان، المصدر نفسه، ص280.
6- ابن حيان، المصدر نفسه، ص298.
7- عبد الملك بن حبيب السلمي، كان قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم اللغة والإعراب وتصرف في فنون الآداب، وكان له ... يتكلم به سحرا"، الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 142هـ/2001م، ص110/ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص221/223.
8- عيسى بن دينار، كانت الفتيا تدور عليه، لا يتقدمه في وقته أحد في قرطبة، وكانت له فيها رياسة بعد انصرافه من المشرق، ...ن لا يعد في الأندلس أفقه منه في نظرائه، توفي سنة 212هـ-827م، ابن فرحون، مصدر سابق، ج2، ص50/ الضبي، المصدر السابق، 351/352.
9- بقي بن مخلد: "رحل إلى المشرق فلقي جماعة من أئمة المحدثين، وكبار المسندين، حتى أن عدة الرجال الذين لقيهم بقي ...ع منهم: مائتا رجل وأربعة وثمانون رجلا، توفي في176هـ"، ابن الفرضي، المصدر السابق، ص82/84 / الضبي، المصدر السابق، ص209/211، الحميدي، المصدر السابق، ص156/158.
10- يحي الغزال نجم في دولة الأمير الحكم، من الحكماء، الشعراء الدهاة، العلماء، وهو شاعر الأندلس وعرافها، ابن حيان، ...ر الثاني، ص243.

كذلك، ظهر الشعراء البربر كعباس بن فرناس التاكرني[1]، وبخاصة القاضي عباس بن ناصح الجزيري أكبر شعراء هذه الفترة، وقد أدى هذا التنوع في المعرفة الدينية والأدبية إلى بداية بروز الشخصية المعرفية والأدبية الأندلسية، حتى وإن كانت المعرفة الدينية لا تزال في طور التقليد والإقتباس من المشرق مع هيمنة المذهب المالكي، ولعل ما ذكرناه من تأثير زرياب قد زاد إضافة إلى الدين والأدب من انتشار الفن والموسيقى التي طغت على مجالس الأمراء والسادة.

وهكذا أدى التحام شخصية عبد الرحمن المتفقه والشاعر والمنشغل بالعلم مع مرحلة ركود المعارضة العسكرية في إقبال الاندلسيين على العلم والفن معا، وهذا الهدوء هو ما أعطى فرصا للسلطة في الاهتمام بالجانب الخارجي، سواء مع أمراء دول المغرب أو الممالك النصرانية، كسفارة يحي الغزال إلى تيوفيل ملك القسطنطينية.

المعارضة البربرية في فترة ازدهار الإمارة: لم تتخلى ماردة عن عصيانها وتمردها في وجه السلطة، حيث شهدت سنة211هـ-826م غزوة عبد الله بن كليب بن ثعلبة الجذامي لأهلها، ولكن ما إن إجتاز هذا الأخير قورية، حتى صدمه البربر بقيادة لب بن خالد، لتكون نتيجة هذا اللقاء قتل أكثر من ثلاثين رجلا من خيرة جند السلطة الأموية، مع إبطال الصائفة كلها[2]، مع العلم أن هذه المجابهة العسكرية بينت لنا طبيعة جيش ماردة ماردة المعارض للسلطة والذي كان من البربر، عكس جيش السلطة الذي كان من ضمنه الكثير من المولدين الذين قتل رئيسهم مروان بن يونس الجليقي أب الثائر عبد الرحمن الذي سيخلف زعامة أبيه على المولدين في عهد الأمير محمد.

عزم عبد الرحمن الأوسط بعد بقاء أهالي ماردة على عصيانهم، على غزوهم بنفسه، خاصة وأن هؤلاء قد قدموا على أنفسهم، كلا من محمود بن عبد الجبار بن زاقلة

1- هو عباس بن فرناس بن ورداس، يتولى بني أمية، وينتسب في البرابر، وأصله من كورة تاكرنا، إنتقل إلى قرطبة، كان عالما عالما مفننا، فيلسوفا حاذقا، وشاعرا مفلقا، ومنجما مطبوعا، ويضيف الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين "وكان الشعر أغلب أدواته، وكان مع ذلك يحسن علم الموسيقى، ويضرب العود، ويغني عليه"، ابن حيان، المصدر السابق، ص238/243، الزبيدي، المصدر السابق، ص268/270.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص421/ يذكر ابن خلدون أن ذلك كان سنة 213هـ- 828م، ويوافقه على ذلك ابن عذارى، يراجع: ابن خلدون، ج4، ص154/ ابن عذارى، ص96.

البربري[1]، وسليمان بن مرتين المولدي[2]، أي أنهم تعمدوا البقاء على تمردهم وعصيانهم، إلا أن هذا الغزو الذي كان سنة 214هـ-829م، لم يأت بنتيجة تذكر سوى ما كان من انتساف الزرع وتحطيم المعايش.

عرفت هذه الفترة ركود المعارضة ذات المجابهات العسكرية مع السلطة وخلوها من كثرة الثوار بالمناطق والمدن، وهو الشيء الذي سمح لعبد الرحمن الأوسط بتسليط جيوشه على أهالي ماردة العصاة، وعدم تشتيتها في النواحي كما كان ذلك زمن عبد الرحمن الداخل وستكون على عهد عبد الله بن محمد فيما بعد، حيث ما إن دخلت سنة 215هـ-830م حتى كان مع جيشه أمام أسوار ماردة التي لم يستطع رجالاتها من إثارة عطفه وثنيه عن عزمه في دخولها بعد علمهم برغبة عبد الرحمن محاصرة المدينة، وتحت هذا التهديد خضع أهل ماردة لعبد الرحمن الذي ولى عليهم وال من عنده وهو حارث بن بزيغ[3]، ولكن هل انتهى أهل ماردة من عصيانهم؟

أصبحت ماردة نظرا لمنعة حصونها، وما جبل عليه أهلها من عصيان ومعارضة سلطة بني أمية وتوارثهم ذلك، الهاجس الذي أيقظ مضجع عبد الرحمن الأوسط، الذي توالت حملاته من سنة217هـ-832م إلى غاية 220هـ-835م، حتى أنه كان يحاصرها ولا يقفل عنها حتى يترك وزراءه وقواده خلفاء عنه في محاصرتها، كما حصل سنة 217هـ-832م، حين مكثا كل من عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني ومحمد بن رستم متداولين على ذلك[4].

أمام هذه الأحداث لا نملك سوى أن نتساءل حول أسباب بقاء ماردة واستمرارها على هذا النحو من العلاقة مع السلطة، للإجابة نقول: لا بد وأن حصانة المدينة وجغرافية

1- يذكره ابن حزم ضمن مصمودة، ويضيف أنه ابن عبد الجبار بن زاقلة القائم بماردة، المصدر السابق، ص501/ مفاخر البربر، ص189.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص 423.

3- نفسه، المصدر نفسه، ص423/ يذكر كلا من ابن خلدون وابن عذارى، أن ذلك كان سنة 214هـ-829م، ابن خلدون، ج4، ص154/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص96/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص490.

4- النويري، المصدر السابق، ص96/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص490/ ابن حيان، المصدر السابق، ص424/425.

الإقليم المتواجدة به أحد العوامل[1]، ولكن لا يتعدى كونه عاملا ثانويا أو بالأحرى مكملا مقارنة مع العامل البشري، والذي نقصد به أهالي ماردة بتركيبتهم الإجتماعية[2]، إضافة إلى طموحاتهم المستقبلية وخاصة السياسية، في ظل سياسة بني أمية المبنية على المركزية في الحكم، والتي لم تطور من مناهجها بالرغم من تطور الأندلس إجتماعيا وفكريا، مع إزدياد عدد المولدين والمستعربين، ناهيك عن البربر الذين لم تتوقف هجراتهم نحو بلاد الأندلس في أي فترة من فترات الإمارة.

وحتى نستدل أكثر على أن سبب استمرار المعارضة داخل ماردة يعود إلى طبيعة عناصر سكانها، وبشكل أخص البربر والمولدين، هو تأكيدنا على أن هذين العنصرين قد شكلا نوعا من التحالف السياسي ضد السلطة، فقد قاما معا مع أصبغ بن عبد الله بن وانسوس ضد الحكم الربضي، ثم نراهم يتحدون ضد عبد الرحمن الأوسط، ولعل انتخاب وتقديم رجلين اثنين على ماردة وهما محمود بن عبد الجبار بن زاقلة البربري مع سليمان بن مرتين المولدي عوض رجل واحد دليل يؤكد أكثر على اختيار الطرفين لمصير مشترك ربطاه فيما بينهما.

على كل، أمام ضغط السلطة وتعنت أهل ماردة، استمرت المواجهة، إلا أن دهاء رجالات السلطة سيغير ولو إلى حين الكثير من مجريات الأمور، بالرغم من وجود محمود بن عبد الجبار البربري داعية الحروب والفارس الذي يحسب له ألف حساب، والذي وصف ابن حيان علاقته مع عبد الرحمن الأوسط قائلا:" البطل الثائر بمدينة

1- يذكر الإدريسي، عن مدينة ماردة أنه "عليها سور حجارة منجورة من أحسن صنعة وأثق بناء"، وكان بها عدة حصون، كما وصف ذلك ابن غالب، هذا ناهيك عن رقعة كورة ماردة، حيث يذكر صاحب تاريخ الأندلس، أن "لماردة مدن كثيرة وأعمال متسعة"، ذكر منها إثنا عشرة مدينة، وأضاف " وكان لها من القرى والحصون ما يزيد على ثلاثة آلاف قرية كلها متصلة بعضها ببعض"، الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص545/ ابن غالب، المصدر السابق، ص290/ تاريخ الأندلس، ص105/106.

2- من خلال المصادر الجغرافية نكتشف أن ماردة كانت سكنى القوط وأحد عواصم إسبانيا قبل الفتح الإسلامي وفي هذا يقول الرازي" كانت ماردة قاعدة الأندلس وقرارة الملك" وكل المصادر التي بين أيدينا تتفق على ذلك، وهذا ما يسمح لنا بالتأكيد على أن النصارى والمستعربين، والمولدين كانوا فيها بأعداد معتبرة، ومن الممكن جدا وجود ابناء الأمراء وأحفاد القياصرة والنبلاء بما أنها "اختارتها الملوك للسكنى من القياصرة والروم" خاصة إذا ما أخذنا بعين الإعتبار أكثر بأنها "مدينة قديمة أزلية من أعاجيب الأندلس، "وأنها مدينة كبيرة جدا"، تاريخ الأندلس، ص104/105/ابن غالب، ص290/ ياقوت الحموي، ج5، ص39/ levi-provencal-la description de l'Espagne d'Ahmed AL razi-p34.

ماردة، الغي عند كشفه وجهه بمعصية السلطان ودفعه لعامله، وكان أعظم خلق الله كيادا له، ودؤوبا على حربه"[1].

يذكر ابن حيان أن محمود بن عبد الجبار البربري قتل بنواحي جليقية سنة 225هـ-839م،[2] وهذا بعد وقائع عديدة بينه وبين قواد السلطان[3] الذين لم يستطيعوا إنهاء تصفية حساباتهم معه، وهذا بفضل أساليبه العسكرية، والتي من بينها، احتجازه مع جيشه داخل المدينة عند اقتراب جيش عبد الرحمن الأوسط منه مستغلا حصانتها، خاصة في غزوات الصوافي، ليعود من جديد إلى البسائط والسهول بعد قفول الجيش المحاصر له.

لم يستطع محمود بن عبد الجبار أن يحافظ على وجوده داخل ماردة كقائد وزعيم على أهلها المتمردين على السلطة، بل إنه لم يستطع حتى البقاء داخلها، ولم يكن هذا بسبب عامل واحد، وهو توالي الحرب عليه من قبل عبد الرحمن الأوسط فحسب، بل كان تحت جملة من العوامل، مع العلم أن المصادر وحتى المراجع تختلف في تحديد سنة خروج محمد بن عبد الجبار من ماردة، لذا فقد ارتأينا في تحليلنا أن نضرب عصفورين بحجر واحد، وهذا بمحاولة تحديدنا لسنة خروج محمود بن عبد الجبار من ماردة مع ذكر أسباب وعوامل هذا الخروج.

عرفت عهد عبد الرحمن الأوسط إرتفاعا في عدد الغزوات اتجاه مناطق النصارى، وهذا بفضل الهدوء الداخلي الذي ساد الأندلس في هذه الفترة، حيث بدأت هذه الغزوات منذ سنة 207هـ-822م، فالمصادر تذكر غزوة في هذه السنة بإتجاه ألبة والقلاع أخذت صيتا بعيدا من خلال نتائجها التي كانت في صالح الجيش الأموي[4]، ثم

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص436.

2- نفسه، المصدر نفسه، ص437.

3- النويري، المصدر السابق، ص96/ ابن الأثير، المصدر السابق، ص490.

4- ابن حيان، المصدر نفسه، ص418/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 82/ النويري، المصدر السابق،ص94.

كانت غزوة أكثر وقعا وتأثيرا من الناحية السياسية لهذه الفترة، وهي غزوة سنة 210هـ-825م والتي قتل فيها الآلاف من النصارى حتى سميت بغزوة الفتح[1].

وسط هذه الانتصارات الكبيرة التي حققها عبد الرحمن الأوسط، قامت ماردة، وهنا وجب علينا التساؤل إذ كيف يجرؤ هؤلاء على التمرد وعبد الرحمن الأوسط في عز قوته؟ بل كيف، وجيوشه قد هزمت جيوش جليقية وأشتوريس؟ على كل، بدأ هذا التمرد سنة 211هـ-826م، وكانت بداية الصراع أو أول ما ظهر منه بين السلطة وبربر ماردة، كما ذكرنا، عند خروج عبد الله بن كليب بن ثعلبة الجذامي وبالتحديد لغزو "بربر أهل ماردة"[2]، ولم نتمكن من معرفة سبب هذا الخروج أو هذا الصراع الذي كان بين السلطة وبربر ماردة، وإن كان من المحتمل بالنسبة لنا هو بقاء ماردة على عصيانها منذ هشام بن عبد الرحمن الداخل (172-180هـ/788م-796م)، وأن سكونها في فترات ما لم يكن سوى جسا لنبض السلطة.

لم يُمكّن البربر عبد الله بن كليب الجذامي من وصول ماردة، بل أفسدوا عليه ذلك بقطع الطريق عنه عند دخوله لقورية، وهذا عندما جابهوه تحت قيادة لب بن خالد، وبالرغم من الإختصار الذي عالج به ابن حيان هذا الصراع فإننا نراه جد خطير، وهذا من خلال استقرائنا لأحداث هذا الصراع، وبالأخص تداعياته التي كان منها قتل أكثر من ثلاثين رجل من جيش السلطة، والذين ذكر منهم زعيم المولدين ورئيسهم مروان بن يونس الجليقي المولدي، وهذا التصريح مهم لأنه يؤكد على معنى التحالف السياسي الذي كان بين السلطة وبعض المولدين.

من الممكن جدا أن يكون هذا الحدث السبب لبداية المجابهة بين السلطة وأهل ماردة، ولكن هناك سبب أقوى تذكره المصادر وهو قتل هؤلاء لعاملهم سنة 213هـ-828م[3]، وإن كنا هذه المرة كذلك نجهل أسباب هذا القتل، خاصة وأن المصادر لا تتحفنا باسم هذا العامل، ومع ذلك فإن هذا التمرد قد انتهى بإخضاع الأهالي الذين أعطوا

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص 420/ النويري، المصدر نفسه، ص95.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص 421.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص154/ النويري، المصدر السابق، ص 95.

رمائنهم إلى السلطة التي لم تكتف بهذا الخضوع- الذي كانت تستعمله ماردة دائما كقناع تنزعه في أول مناسبة تتاح لها للمعارضة- بل أرادت هدم ذلك السور المنيع الذي عرفت به ماردة والذي كان يعوض في قيمته جيوشا بأسرها في إبعاده للمهاجمين عن المدينة، وهذا ما لم تستسيغه الأطراف المعارضة، والتي ثارت مرة أخرى سنة 214هـ-829م[1].

نحن نعتقد أن تمردها هذه المرة لم يكن نتيجة إستعادة الأطراف المناوئة للسلطة لقوتها، بل نراه لخروج رجل تحمل أعماله طابعا جدليا، ومحاولة منا لاستخراج أهداف خروجه عن السلطة ومحاربته في الوقت نفسه لكل من العرب البربر وبشكل أخص بربر شنت برية، إضافة إلى إشاعته الفوضى وقطع الطريق على أهل هذه المناطق، جعلتنا نتساءل إلى أي طائفة ينتمي هذا الرجل؟ وبالرغم من أن المصادر تصنفه من المولدين إلا أننا لا نراه يتحالف مع المولدين من أهل ماردة العصاة، لنقول في الأخير أن ما قام به هاشم الضراب[2] يدخل ضمن مجال آخر وهو الخلاف بين أهل الطاعة وأهل المعصية، لذا إرتأينا معالجة هذا فيما بعد الإنتهاء من تناول ثورة محمود بن عبد الجبار المصمودي الماردي.

ويعود سبب إهتمام الأمير الأموي بكل من ماردة وطليطلة إلى اهتمامه بجليقية التي كان يحاربها في كل صيف، بدون أن نتغافل عن كونها تتاخم ماردة و طليطلة من جهة، كما أن وجود المستعربين والنصارى بها قد يشكل تهديدا للسلطة إذا ما تحالف هؤلاء مع ممالك النصارى، حيث تصرح بعض الكتابات المعاصرة عن وجود رسائل

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ص83/ ابن حيان، المصدر السابق، ص423.
2- نشير أن اسم هذا المتمرد هو هاشم الضراب، وهو من مولدي طليطلة، وسمي بالضراب لأنه كان حدادا بقرطبة التي نزح إليها بسبب موقعة الحفرة بطليطلة في زمن الحكم الربضي، مع ملاحظة وهي إضافة إلى الحقد والثأر الذي كان يحملهما في صدره، نجده قد استغل تمردات ماردة في عصيانه هذا، على كل حتمت سياسة عبد الرحمن الأوسط التي عرفت بالتوجه أكثر نحو الخارج على التوجه في هذه السنة إلى هاشم الضراب ومن ثم إلى ماردة، ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص83/ ابن حيان، المصدر السابق، ص423.

متبادلة بينها وبين مستعربي ماردة منذ سنة 213هـ828م[1]، على كل، لم يوفق عبد الرحمن الأوسط إلى أية نتيجة عند عروجه إلى ماردة وهو في طريقه إلى طليطلة، حيث قفل عن حصار ماردة بعد وقت وجيز، ويعود هذا إلى اهتمامه وانشغاله بهاشم الضراب، مما سمح لأهل ماردة ترتيب بيتهم، حيث كان تقديم محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين كزعيمين على أهلها المتمردين، وهذا ما سيجعل عبد الرحمن الأوسط يتخذ إجراءات أكثر صرامة.

من المحتمل جدا أن عبد الرحمن قد أخطا التخطيط بانشغاله بتمرد هاشم الضراب عن ماردة التي قوت من عزمها بتحالف البربر والمولدين في مواجهة سلطة بني أمية، لذا ما إن دخل صيف سنة215هـ-230م حتى كان عبد الرحمن الأوسط من جديد، أمام أسوار ماردة التي وقفت عاجزة أمام عزيمتة وتصميمه، خاصة وأن الأهالي قد علموا أنه قد أتاهم مباشرة من قرطبة وليس أمامهم أي مجال للمطاولة في حالة حصارهم، بل ما عليهم سوى الإذعان، وهذا ما كان بالفعل ليخلف عبد الرحمن الأوسط حارث بن بزيغ واليا عليهم[2]، وبالرغم من سكوت المصادر والمراجع عن مصير زعيمي المتمردين، فنحن لا يسعنا سوى التساؤل عن موقف السلطة الأموية منهم، وهل كانوا ممن شملهم العفو؟.

نعتبر هذا السؤال في محله لأنه المفتاح الذي يجيبنا عن سبب تمرد ماردة من جديد، والذي جعل عبد الرحمن يعود في صائفة217هـ-832م، لمحاصرة ماردة، والتي لن يرجع عنها إلا بعد أن خلف عليها كلا من الوزيرين ابن يزيد الإسكندراني ومحمد بن رستم[3]، مع العلم أن هذين الوزيرن القائدين ما لبثا مُحاصِران لماردة إلا لأنهما وعبد الرحمن الأوسط قد ارتاحوا من تمرد هاشم الضراب الذي قضى عليه محمد بن رستم عاما قبل هذا[4]، وهكذا نجد أن عودة التمرد من جديد يوضح لنا الصورة وبما فيه الكفاية

1- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص190/189.
2- ابن حيان، المصدر السابق، ص423.
3- ابن حيان، المصدر نفسه، ص 424.
4- نفسه، ص424/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص83.

أن محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين لم يتحولا عن ماردة عند تولي حارث بن بزيع عليها سنة 215هـ-830م، ومن الممكن جدا أنهما السبب في استمرار هذا التمرد وتكراره، وبالرغم من أن ابن عذارى يذكر أن خلقا كثيرا من أهلها في هذه السنة فرّ، وقتل منهم كثير"،[1] فنحن لا نعتقد أن محمود وسليمان بن مرتين قد خرجا من ماردة، لأننا لا نستطيع تحميل النص أكثر مما يحتمل إذ أن ابن عذارى لا يشير إلى فتح المدينة، بل إلى قتل وفرار بعض الأهالي، والذي ربما أراد من خلاله توضيح الشدة والبطش التي بدأت السلطة في الاعتماد عليهما ليس إلا.

بالرغم من القسوة التي تعرض إليها أهالي ماردة، فإن طبيعة التمرد عند أهلها أصبح وكأنه جبلة فيهم خاصة بوجود ما ذكرناه من العوامل المشجعة على هذا، كالعامل الجغرافي والطبيعي، مع تنوع العناصر والأعراق، إضافة إلى تحريض الممالك النصرانية التي كانت تجمعها علاقات مع السكان النصارى، وهكذا استمر التمرد إلى أن دخلت سنة 218هـ-833م، وهي السنة التي تحمل جدلا كبيرا في المصادر الإسلامية، حيث لا نجدها تتفق حول زمن خروج محمود بن عبد الجبار وشيعته من ماردة، فابن حيان مثلا الذي هدانا إلى الكثير من أحداث تمردات ماردة، والتي إنفرد بذكر بعضها جعل عبد الرحمن الأوسط، يقفل راجعا من ماردة في هذه السنة بدون ذكر أية نتيجة[2]، عكس المصادر المشرقية التي ترى أن الأمير الأموي قد فتح ماردة هذه السنة، و"فارقها أهل الشر والفساد"[3]، الذين كان منهم محمود بن عبد الجبار، الذي صرح حوله ابن الأثير بالحرف الواحد قائلا: "وكان من أهلها إنسان إسمه محمود بن عبد الجبار الماردي، حصره عبد الرحمن في جمع كثير من الجند وصدقوه القتال فهزموه وقتلوا كثيرا من رجاله"[4].

1- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2 ص96.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص425.

3- النويري، المصدر السابق، ص96/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 490.

4- نفسه، ج 6 ص 490.

إضافة إلى هذا، يذكر إبن حيان غزوة أخرى قام بها عبد الرحمن إلى ماردة سنة 220هـ-835م، ويضيف أنه رحل عنها فاقتحم بلد الغرب متتبعا أثار أهل الخلاف حتى دخل بطليوس فطالت غزوته[1]، وهنا تكمن الإشكالية التي وجب علينا حلها، وهي في أي سنة خرج ابن عبد الجبار من ماردة، هل في سنة 218هـ-833م أم في سنة 220هـ-835م؟ مع العلم أن ليفي بروفنسال يذكر أنه من الممكن أن استعادة عبد الرحمن لماردة كان في سنة219هـ-834م، والحقيقة أننا نفند هذا التاريخ ولا نأخذ به تماما لأن سنة 219هـ-834م كانت بها غزوة جد مشهورة وهي الغزوة التي قضى فيها ميسرة الفتى البربري المكنى بأبي أيوب على الآلاف من الطليطلين الخرجين عن الأمويين[2]، وبالتالي فصائفة قوية كهذه، لم يكن لجيوش السلطة بعدها سوى الإستقرار والإستراحة، مع العلم أن هذه الصائفة قد أعطت تداعيات كثيرة، كان منها إثارة الرعب في صفوف المتمردين والخارجين عن السلطة الأموية، ومن بينهم متمردي ماردة.

وهكذا فإننا لا نستطيع سوى ترجيح سنة 220هـ-835م كسنة خروج محمود بن عبد الجبار من ماردة مع ملاحظة جد هامة وهي أن هذا الأخير لم يخرج وحده، بل مع عشيرته كلها حيث تذكر المصادر أن أخته وأخاه كانا معه في خروجه هذا، وأن هذه العشيرة قد تبعته إلى كل مكان أراده[3]، عندما تخلى عنهم سليمان بن مرتين المولدي بشنتة كروج، ونحن نستدل أكثر على ترجيحنا لهذه السنة، بما ذكرناه عن ابن حيان من أن عبد الرحمن الأوسط "اقتحم بلد الغرب متتبعا آثار أهل الخلاف حتى دخل بطليوس فطالت غزوته" وهذا ما يؤكده كذلك إبن خلدون، حينما يصرح: "ونجا فلهم مع محمود بن

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص426/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2 ،ص84.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص 426/425/ ابن عذارى، المصدر نفسه، ص84/ النويري، المصدر نفسه، ص96/97/ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج6، ص16.

3- يذكر ابن القوطية أن محمود بن عبد الجبار وأخته جميلة، "فدارت بينهما فتنة، فكانت جميلة تدع إلى الطاعة، وأخوها محمود إلى الخلاف والمعصية"، وهذا في الواقع يعارض ما جاء به ابن حيان، وحتى ابن حزم الذي يصف جميلة هذه قائلا:" وجميلة أخته المشهورة بالشجاعة والنجدة والفروسية، ولقاء الفرسان ومبارزتهم في العساكر"، ابن القوطية، المصدر السابق، ص83/ ابن حزم، المصدر السابق، 501.

عبد الجبار إلى ملت شالوط فاعتصم بها سنة 220هـ-835م، فبعث عبد الرحمن العساكر لحصاره فلحق بدار الحرب، واستولى على حصن من حصونهم"[1].

وهكذا فالمؤرخان يتفقان على أن عبد الرحمن قد بعث عساكره في ملاحقة محمود، وهذا بالرغم من أن ابن حيان لم يشر بطريقة مباشرة إلى محمود بن عبد الجبار بل عمم في تصريحه قائلا:" متتبعا آثار أهل الخلاف"، إضافة إلى هذا هناك نصا آخر أو رواية أخرى يذكرها إبن عذارى وهي تؤكد في عملية استقرائية الروايتين السابقتين، والتي يقول فيها: "وتقدم إلى بلاد الغرب وكان سليمان- أي سليمان بن مرتين المولدي- قد تحيل عليه يحي الماردي فأخرجه من ماردة"، مع العلم أن ابن عذارى يذكر هذا النص ضمن أحداث سنة 220هـ-835م[2]؛ فهذه الرواية، إضافة إلى رواية ابن حيان السابقة، التي ذكر فيها خروج سليمان المولدي مع محمود بن عبد الجبار من ماردة[3]، تدعم فكرة تأكيدنا على ترجيح خروج محمود بن عبد الجبار سنة 220هـ-835م.

نعود ونقول أن من بين العوامل التي تجعلنا نرجح كذلك هذه السنة، هو ذلك الإنتصار الباهر الذي ذكرناه، والذي حققه الفتى أبو أيوب البربري في طليطلة سنة 219هـ-234م، حيث أتاح لعبد الرحمن الأوسط أن يتفرغ لأهالي ماردة، وبالأخص محمود بن عبد الجبار، ويقوم بملاحقته في السنة التالية أي سنة 220هـ-235م، وهذا الإنتصار في حقيقته كان انتصارا ماديا ومعنويا لعبد الرحمن، ومثارا للرعب في صفوف المتمردين من أهل ماردة الذين خرجوا عن بكرة أبيهم من مدينتهم بعد سماعهم خبر غزو عبد الرحمن الأوسط لهم.

أمام المعطيات التاريخية لهذه الثورة وما تحصلنا عليه من نتائج، ارتأينا الولوج إلى الكثير من التصريحات التاريخية الخطيرة، والمحرجة التي قدمتها المصادر التاريخية وعدم غض الطرف عنها، ومنها ما جاء من مبالغات نقلها ابن حيان عن عيسى بن أحمد الرازي، والمتعلقة باحتضان محمود بن عبد الجبار واستجارته بالأذفنش (ألفونسو الثاني)

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص154.
2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص84.
3- ابن حيان، المصدر السابق، ص437.

175-227هـ/791-842م)[1]، وحتى نستدل على أن هذه ما هي إلا مزايدات أو كما سيناها مبالغات لا تعتمد على أي سند تاريخي ميداني أو واقعي، نذكر ما صرح به ابن خلدون الذي يقول: "فلحق بدار الحرب- أي محمود بن عبد الجبار- واستولى على حصن من حصونهم"[2]، وهذا ما يؤكده إبن الأثير حينما يقول: "فوصلوا إلى بلاد المشركين، فاستولوا على قلعة لهم"[3]، وإن كانت هذه التصريحات المباشرة كافية، فإننا نستطيع أن نكرس ما أردنا نفيه من خلال متابعة الأحداث السياسية والعسكرية التي دارت في الأندلس منذ خروج محمود بن عبد الجبار من ماردة سنة 220-834هـ إلى غاية مقتله بأراضي جليقية سنة 225هـ-839م.

أول ما يثبت عدم لجوء واستنجاد محمود البربري بالأذفنش أو النصارى بصفة عامة، هو أن هؤلاء كانوا أضعف شوكة وأكثر هزالا أمام السلطة الأموية، بل نكاد نجزم أن خطورة ثورة أهالي ماردة خاصة عندما قادهم محمود بن عبد الجبار كانت أكثر وقعا على السلطة من مواجهتها لهؤلاء النصارى، ومنه كيف يمكن لمحمود أن يحتمي بجهة لا تقوى على حماية نفسها ؟ فعند عملية إحصاء بسيطة لأحداث سنوات (223-224-225هـ/837-838-839م)، نجد أن عبد الرحمن الأوسط قد قهر الجلالقة أيما قهر، ففي سنة 223هـ-837م، قام الوليد بن الحكم بفوتحات كبيرة ببلاد جليقية[4]، أما سنة 224هـ- 838م، فإن المصادر تحدثت عن انتصارات باهرة للجيوش الأموية ضد ملوك النصارى الذين تسميهم المشركين[5] حيث استطاع عبد الرحمن في هذه السنة من قتل لذريق، بعد مواجهات عسكرية، مع العلم أن هذا القتيل كان أحد أكبر رجالات الملك الأشتوري[6]، أما سنة 225هـ-839م، فقد خرج الأمير عبد الرحمن الأوسط بنفسه في

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص442.
2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص154.
3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص490.
4- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص85/ النويري، المصدر السابق، ص98.
5- نفسه، المصدر نفسه، الصفحة نفسها/ نفسه، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
6-النويري، المصدر السابق، ص98.

جيش كثيف إلى بلاد جليقية أين فتح حصونا كثيرة، الشيء الذي جعله يطيل غزوته كثيرا.

ومع ذلك فإن عيسى بن أحمد الرازي يناقض نفسه حين يجعل محمود بن عبد الجبار يلجأ تارة إلى ملك الجلالقة: "يسأله أن يؤويه إلى كنفه، ويبيح له من أطراف بلده مكانا ينزله فيمن معه ويتعيش منه"[1]، وتارة أخرى يذكره قائلا: "وأنست النصرانية من أبله فانبسطت في العمارة حوله، واتخذت الحصون والقرى حوله"[2]، وهذا ما يعني أن النصارى قد تقووا بمحمود وانتصروا بوجوده معهم، لذا وحتى نقطع أي شك حول تصويب هذه المعادلة، وأن محمود بن عبد الجبار المصمودي البربري كان أكثر قوة وأبعد صوتا من النصارى أنفسهم، نجد صاحب الرواية نفسه يذكر مرة أخرى على لسان أصحاب الأذفنش ما قالوه لصاحبهم بعدما علموا انحياز محمود إلى عبد الرحمن الأوسط، ونية رجوعه إلى موالاة السلطة: "وقالوا له: تدارك النصرانية بحسم داء هذا الشيطان، فإنه إن أفلت يدك وقد علمت بعد صيته ونأي غوره وشدة صولته وقوة جبلته وما قد تهيأ له إلى ذلك من العلم بأرضك والإطلاع على عورتك، لم تسكن النصرانية معه دون هذا الدرب"[3].

وعليه فمن المستبعد جدا أن يكون محمود بن عبد الجبار قد رمى بنفسه في أحضان الأذفنش، وأن رواية عيسى بن أحمد الرازي تحمل الكثير من الخلفيات التي تعبر عن وجهة نظر رجالات السلطة والناطقين باسمها، ضد المعارضة أو أهل الخلاف كما تسميهم المصادر.

في هذه الثورة نستطيع استنتاج الكثير من الملاحظات المهمة التي تعرفنا على طبيعة العلاقة بين السلطة الأموية والمعارضة، وأهم الأساليب المستعملة من طرف السلطة في ضرب هذه المعارضة، فعلى سبيل المثال، كان في خروج سليمان بن مرتين عن محمود بن عبد الجبار بعد أن اختلت مذاهبهما عند تركهما لماردة، ومكوثه بسانتا

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص442.
2- ابن حيان، المصدر السابق ص443.
3- نفسه، ص443.

خروج من كورة ريكت، أن سمح لعبد الرحمن الأوسط تسيير جيوشه إليه، لكن الملاحظ أن الذي قتله، كان "الأروشي صاحبه الذي احتز رأسه، ومضى به إلى الأمير عبد الرحمن مستأمنا فأمنه ووصله، وألحقه في أعلى ملاحق الفرسان ورفع من شأنه"[1].

من خلال هذه الرواية، نجد أن مناهج السلطة في القضاء على أصحاب المعارضة العسكرية، بقيت هي نفسها المستعملة سابقا مع الأمراء السابقين، فقد طبق عبد الرحمن الأوسط سياسة التفرقة بين رؤوس أو القيادات المتحالفة ضد السلطة، وهذا ما حصل بالفعل حين فرق بين سليمان بن مرتين ومحمود بن عبد الجبار، ثم استعماله للتفرقة بين القيادات نفسها والموالين أو العاملين معها خاصة المقربين منها، وهذا ما كان من الأروشي الذي قتل سليمان وهو صاحبه غيلة، من أجل ما سيجنيه بعد ذلك من الجاه والمناصب، وقد كانت السلطة الأموية في الواقع سخية في عطائها لهؤلاء، ومن هذا الموقع نتساءل هل طبقت السلطة نفس المناهج والأساليب مع العنصر البربري كما كان سابقا في هذه الأحداث.

إن السلطة الأموية في هذه الفترة لم تتغافل عن أساليبها المعتادة مع المعارضة البربرية وبالأخص ذات الثوب العسكري، وكل ما عاشه سليمان بن مرتين، رغبت السلطة في أن يعيشه محمود بن عبد الجبار بصفة أشد وتحت طرق متعددة، حيث نجد خروج ابن المجينين البربري المصمودي معارضا لمحمود بن عبد الجبار بالأشبونة[2] وهو في نحو ألف فارس، وعلى حسب عيسى بن أحمد الرازي فإن المواجهة كانت شديدة "حتى أصيب إبن المجينين الرئيس، وأصيب معه جماعة من أصحابه"[3].

وهنا لا نستطيع أن نجزم سوى بإعادة ما فعله عبد الرحمن الداخل عندما ضرب سفيان بن عبد الواحد المكناسي بهلال المديوني، كرئيس جديد بيده كل السلطات على بربر المنطقة، مما سينتج مواجهة بين الرئيسين، وبالتالي فابن المجينين لم يكن سوى أحد

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص 438.

2- الأشبونة "مدينة عظيمة أولية، كثيرة القطر، وهي على البحر الأعظم المحيط، وعلى آخر النهر المعروف بنهر تاجة حيث يصب في البحر، فهي برية بحرية"، تاريخ الأندلس، ص97/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص195.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص442.

من استخدمتهم السلطة لضرب التماسك الإثني، حيث استعمل ليس فقط لضرب صفوف البربر بصفة عامة وتمزيق شملهم، بل لضرب مصمودة القبيلة البربرية القوية، والتي تزعمت المعارضة العسكرية وبخاصة في مناطق الجوف والغرب، فالمتتبع سيجد أن محمود بن عبد الجبار المصمودي[1] لم يحارب ببربري زناتي، بل بمصمودي مثله وهو "ابن المجينين البربري المصمودي"[2].

إن ما ذكرناه آنفا حول سياسة تقسيم المجتمع الأندلسي بين أهل الطاعة وأهل المعصية، قد أثمرت نتائج ترضي السلطة أيما رضى، وما وقعة أبدة بطروشة التي هزم فيها محمود بن عبد الجبار أهل باجة الذين منعوا عنه المرور على مدينتهم وهم في عشرة ألاف رجل[3]، إلا دليلا على ما نقول، مع العلم أن هذه السياسة ستزداد في فترة محمد بن عبد الرحمن الأوسط مع حجابة ووزارة هاشم بن عبد العزيز الذي عاقب البربر الذين لم يقفوا في وجه عبد الرحمن بن مروان الجليقي.

من بين ما تفيدنا به المعطيات التاريخية أن عبد الرحمن الأوسط استمر في متابعة وملاحقة محمود بن عبد الجبار زمنا طويلا بدون أية نتيجة، وهذا يدل على الحنكة والدهاء العسكريين لمحمود بن عبد الجبار، وعلى أنه لم يبق في منطقة واحدة أو غالقا على نفسه في حصن، بل كان متنقلا من مكان لآخر، فمن باجة إلى أكشونبة، ومنها إلى منت شاقر الجبل المنيع الذي يقرب من البحر، و"الذي أقام فيه دهرا[4]، ولهذا العمل دلالات عديدة، فمن جهة يؤكد على ما ذكرناه سابقا من عدم وجود محمود بن عبد الجبار في استجارة الأذفش، ومن جهة أخرى دليلا على أنه بقي كشوكة في حلق السلطة الأموية، حتى أنها لم تستطع أن تقضي عليه.

بالإضافة إلى هذا سنجد أنفسنا أمام إلحاح شديد حول أسباب هذا الانتقال من مكان إلى آخر، والتي هي عديدة وإن كان السبب الرئيس على ما نعتقد هو محاربة محمود

1- ابن حزم، المصدر السابق، ص501/ مفاخر البربر، ص189.
2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص442.
3- ينظر حول هذه الواقعة عند ابن حيان، صص438/440.
4- ابن حيان، المصدر السابق، ص441.

أهل الطاعة الذين حاربوه داخل مناطقهم، وفي صفوف الجيوش الأموية حيث يذكر أحمد بن محمد الرازي أن محمود بن عبد الجبار "انتهى إلى كورة أكشونبة فجاس أرضها، وقتل من عرض له من أهل الطاعة فيها"[1]، وهذا الذي ربما لم يشجعه على المكوث في مكان واحد، وبخاصة أمام تعنت عبد الرحمن الأوسط في متابعة محمود بن عبد الجبار تارة بنفسه أو من خلال إرسال جيوشه، وربما وجود أهل الطاعة في مقابل أهل الخلاف وما تنتجه هذه العلاقة من تدمير لقوى المعارضة هو ما أفضى بعبد الرحمن بن يونس الجليقي فيما بعد إلى أن يختار مكانا محددا وهو بطليوس، حتى وإن كانت هذه الأخيرة عندما اختارها كانت قفراء ولا أناس بها، وهذا فقط ليتفادى ما وقع فيه ابن عبد الجبار البربري.

مات محمود بن عبد الجبار بعد أن ارتطم بشجرة بلوط وهو يكر راجعا إلى حصنه الذي حوصر فيه من طرف النصارى، وحصاره هذا يجعلنا نحتمل أنه كان مفاجئا، وربما كان انتقاما أراد الجلالقة من خلاله التنفيس على ما في قلوبهم ضد المسلمين كافة، كما أننا نرجح أن ذلك كان في شتاء 225هـ-839م، لأنه الموسم الذي ترتاح فيه الممالك النصرانية من غزوات جيوش الأمويين، والذي يسمح لها بالتجول في مناطقها بنوع من الحرية، كما أن محمود بن عبد الجبار ما مكث في حصن يقع بالقرب من الجلالقة إلا تحت أسباب عديدة ربما يكون أحدها جو منطقة الغرب القاسي، وربما- وهو الأهم- الإستراحة من ضغوطات السلطة بغزواتها المتكررة، أي غزوات الصوافي، وضغوطات الموالين لها في موسم الصيف.

في آخر المطاف وقبل أن ننهي تحليلنا لتفاصيل أحداث تمرد محمود بن عبد الجبار على السلطة الأموية، وجب علينا تناول ما يدور حوله موضوع البحث وهو طبيعة مولاة البربر ومعارضتهم للسلطة، وبخاصة عندما يشير أحمد بن محمد الرازي إلى مكاتبة محمود بن عبد الجبار لعبد الرحمن الأوسط، يسأله الأمان والعفو له

1- نفسه، المصدر نفسه، ص440.

ولأصحابه، والتوسع لهم في بلاد الإسلام[1]، وهذا ما لا نستطيع الجزم به أو التأكيد عليه، لأن محمود بن عبد الجبار مات في أراضي جليقية مدافعا عن نفسه، وهذا ما يعني أن المواجهة بينه وبين السلطة قد أخذت بعدا لا خط للرجعة فيه، حيث ما كان عليه سوى الإبتعاد عنها وعن الموالين لها ولو ببلاد الكفر، كما أن السلطة الأموية في فترة عبد الرحمن الأوسط كانت في أعز قوتها وهي ليست بحاجة إلى مولاة أعدائها بالأمس وعودتهم إلى رحابها بل هي بحاجة إلى القضاء والإجهاز عليهم حتى يكونوا عبرة للآخرين، وهذا ما نلمسه في تعنت عبد الرحمن الأوسط في مطاردة محمود بن عبد الجبار واستمراره في ذلك.

من الممكن أن نستشهد ببعض مواقف السلطة الأموية التي كانت تغض الطرف عما كانت تقوم به بعض الأطراف لحاجتها إليهم، كذهاب بني حجاج العرب، أو بني ذي النون الهواريين البربر، وبني قسي المولدين، بل وحتى عمر بن حفصون، إلى قرطبة ومكوثهم بها بعد عصيانهم وطلبهم الأمان، وأن هؤلاء كانت السلطة تستقبلهم بعد عودتهم لها، وهذا ما يعني أن محمود بن عبد الجبار لم يفعل إلا ما فعله الكثيرون من قبله وحتى من بعده، ولكن المتمعن يجد أن الظروف كانت تختلف، ففي فترة الأمير عبد الله بن محمد مثلا كانت السلطة ضعيفة وغير قادرة على مواجهة أضعف الثورات، لذا كان قبولها لعودة المعارضين لها عن ضعف واضطرار، وهذا ما لم تكن عليه السلطة الأموية زمن عبد الرحمن الأوسط، وهكذا، نجد أنفسنا أمام احتمال عدم وجود أية محاولة توافق أو التقاء بين محمود بن عبد الجبار المصمودي وعبد الرحمن الثاني، التي صبغت الأحداث التي دارت بينهما هذه الفترة كلها.

تمردات وأحداث شارك فيها البربر:

1- تمرد حبيب البرنسي البربري: ما قام به محمود بن عبد الجبار مع أهالي ماردة، لم يكن التمرد الوحيد الذي قاده البربر في هذه الفترة، وإنما كان التمرد الرئيس

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص443.

والأعنف مقارنة مع ما فعله حبيب البرنسي البربري[1] بجبال الجزيرة الخضراء[2]، سنة 236هـ-850م[3]، والحقيقة أن أحداث هذا التمرد، تفيدنا في استنتاج الكثير من تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس خاصة تلك المتعلقة بالبربر، مع معرفة أكثر، بالمناهج التي كرستها السلطة في علاقتها مع المعارضة، وبالضبط مع المعارضين البربر.

عودتنا المصادر وكعادتها، نعت كل من يخرج عن السلطة ويعارضها بأهل الشر والفساد، وهذا ما ألصقته بجبين حبيب البرنسي وكل من خرج معه[4]، وهذا بدون ذكرها للأسباب الكامنة وراء هذا الخروج، ونحن نعتقد أنه العيب الأكبر الذي تتصف به الكثير من المصادر، وبخاصة إذا ما علمنا أن معرفة سبب الخروج تعتبر المفتاح الأهم في حل الكثير من إشكالات العلاقة بين السلطة والمعارضة.

على كل، استطاع حبيب البرنسي البربري أن يجمع الكثير من الأنصار أو المتشيعين معه في تمرده هذا، إلا أنه لم يتمكن من تحقيق أية نتيجة سياسية تذكر، إضافة إلى قصر مدة هذا التمرد، ويعود هذا إلى العديد من الأسباب، والتي تمثلت في جوهرها في تلك المناهج والأساليب التي استعملها عبد الرحمن الأوسط إتجاه المتمردين عن سلطته، فها هو ابن عذارى يذكر في رواية صريحة للغاية قائلا: "فأخرج إليه عبد الرحمن الأجناد، فلما وصلوا إليه، ألفوا البربر قد قصدوا حبيبا ومن تأبش[5] عليه، فتغلبوا على المعقل الذي كان إنضوى إليه، وأخرجوه عنه، وقتلوا عدة كثيرة من أصحابه"[6]، هذه هذه الرواية تقطع أي شك حول ما ذكرناه سابقا من انقسام المجتمع الأندلسي ككل بما فيه البربر، بين أهل الطاعة وأهل الخلاف.

1- يذكره ابن الأثير باسم حُبيبة البربري، المصدر السابق، ج6، ص 102.

2- الجزيرة: هي شرق من شذونة وقبلة من قرطبة، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضا، ابن غالب الأندلسي، المصدر السابق، ص295/الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص539/540/ تاريخ الأندلس، ص122.

3- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص90/ ابن حيان، المصدر السابق، ص443.

4- ابن حيان، المصدر السابق، ص343.

5- الأبش: الجمع، كالتأبيش، والأباشة، كثمامة: الجماعة من الناس، الفيروزآبادي، المصدر السابق، 525.

6- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص90.

وبالتالي فحبيب البربري لم تهزمه السلطة في مواجهة عسكرية مباشرة بل من خلال شيعتها، حتى وكأن الأمر كان يحتاج إلى مكاتبة السلطة وإنتظار الإذن منها، هذا من جانب، أما من جانب آخر فما نعتقده أن الأطراف المتاخمة لأهل الخلاف أو تلك التي يمر عليها هؤلاء كانت مطالبة بشكل أو بآخر من مجابهتهم والانتصار للسلطة، وفي حالة ما إذا حدث العكس فإن هؤلاء سيكون موقعهم في خانة الخونة أو الموالين لأهل الخلاف والتمرد، وما عليهم سوى تعرية ظهورهم لتلقي أسواط السلطة[1].

من ناحية أخرى يذكر لنا ابن حيان أن السلطة قد أرسلت "الخيل مع عباس بن مضا-البربري-[2]، فألفى أضداده قد قصدوا حبيبا وأصحابه"[3]، هذه الرواية بدورها، تتيح لنا العودة والتذكير كذلك، بما أشرنا إليه في الكثير من المرات، وهي استعمال السلطة لضرب أي ثائر بربري متمرد، نظيرا له من البربر، والذي كان هو الآخر وفي أغلب الأحيان من زعماء البربر، بل ومن القبيلة الواحدة، لأن حبيب البرنسي وإن كانت المصادر لم تشر إلى أي فرع من البرانس هو، فإنه من المحتمل أن يكون مصموديا، لأن من كانوا دائما ضمن المعارضة في هذه الفترة هم بربر مصمودة، وبالتالي فإن ما قامت به السلطة من مقابلة إبن المجينين المصمودي بمحمود بن عبد الجبار المصمودي قد أعادته ثانية.

وهكذا نجد أن السلطة كانت دائما على علم بنسبية مسألة المعارضة والموالاة عند البربر، لذا نجدها قد إستعملت هي الأخرى منهجا آخر في تعاملها مع هذه المسألة، وهو إنشاء طرف ثالث، أي عوض التعامل مع طرف واحد مباشر، انطلقت في التعامل مع طرفين وبطريقة غير مباشرة، مع بقاء الطرفين متضادين لا يستطيعان الإتفاق مستقبلا، ولا التحالف فيما بينهما، مع بقاء السلطة خارج حلبة الصراع، بأقل خسارة وأكثر فائدة.

---

[1] يظهر هذا مع الوزير هاشم بن عبد العزيز بقتله للبربر الذين لم يعارضوا مرور عبد الرحمن الجليقي على منطقتهم، ينظر المقتبس، محمود علي مكي، ص 364.

[2] مضا بن عباس من المحتمل جدا بالنسبة لنا أن يكون ابن مضا بن تيملت البربري الفارس المشهور الذي غزا مع هاشم بن عبد العزيز إلى الثغر سنة 260هـ-873م، ينظر، ابن حيان، محمود علي مكي، ص161.

[3] ابن حيان، محمود علي مكي، ص7.

وما نذكره من قلة عناء السلطة الأموية في القضاء على المعارضة في هذه الفترة إذن، قد وجد حقيقة مع تمرد حبيب البرنسي الذي هرب ولم يعثر له على أي أثر، بفعل ضربه من طرف بني عمومته أو أبناء عشيرته مصمودة البربرية.

رد فعل البربر وتأثرهم ببعض التمردات البربرية: من بين المشاركات السياسية البربرية، والتي أقحم البربر فيها إقحاما أو اضطروا إليها اضطرارا، هي تلك التي كانت إثر تمرد هاشم الضراب بطليطلة سنة 215هـ-830م[1]، ولقد مر معنا أن هاشم الضراب هذا، هو أحد أبناء طليطلة الذين فروا منها إثر حادثة أو وقيعة الحفرة زمن الحكم الربضي، ليستقر بقرطبة ضرابا أي حدادا بأحد أرباضها، وحتى وإن كانت المصادر لا تذكر أسباب هذا التمرد، فقد لا نستبعد أن يكون الحقد والرغبة في الثأر، الهدف أو الدافع الحقيقي له، ولكن الإشكال الأكبر يبقى في أسئلة كثيرة تتكرر وهي لماذا حارب هاشم الضراب البربر، وبخاصة المتاخمين لمكان تمرده وهي طليطلة؟

عندما نتمعن في الأحداث جيدا نجد أن التمرد انطلق من طليطلة، وأن البربر الذين تذكر المصادر أن هاشم الضراب قد حاربهم، هم بربر شنت برية وقورية الذين "كانت بينه وبينهم وقعات كثيرة"[2] وهنا نعود أدراجنا إلى ما ذكرناه آنفا، والذي نؤكد عليه على أنه كان الطابع السياسي للسلطة في هذه الفترة، وهو تعاملها مع كل من الطرفين الموالاة والمعارضة، باستعمالها للموالين لها الذين سمتهم بأهل الطاعة كعنصر ضاغط على المعارضة، وهذا ببساطة ما جعل هاشم الضراب يقود حربا ضد هؤلاء البربر المنتمين أساسا إلى أهل الطاعة، والذين لا بدّ أن يكونوا قد قاوموا بدورهم تمرده، وضربوا على يده في هذه المنطقة، وحتى نستدل أكثر على ما نقول نذكر ما قام به عبيد الله بن عبد الله البلنسي المعروف بصاحب الصوافي الذي "غزا الصائفة وأمر بامتحان

---

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص154/ يذكر النويري أن تمرد هاشم الضراب كان سنة 214هـ-829م، المصدر [illegible]، ص97.

2 ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص154/النويري، المصدر نفسه، ص97.

طاعة أهل شنتبرية[1]، وحشدهم في طريقه، إذ إتصل عن بعضهم أنهم مالؤوا أهل تدمير، فحل بهم، فوجدهم منقادين على طاعته، وانحشدوا معه"[2]، وبالتالي فإن القول: وجدهم منقادين على طاعته، يدل على أمرين هامين، أولهما: وجود أهل شنتبرية ضمن أهل الطاعة، وثانيا: مراقبة السلطة لهؤلاء ومحاولتها إحكام القبضة عليهم وربطهم بالموالاة ولو قسرا أي عن طريق القوة.

وهكذا نجد أن هاشم الضراب قد قام بحرب البربر المجاورين له لموالاتهم للسلطة التي جذبتهم إلى صفها بمختلف الطرق، مع فكرة وهي أنه بالرغم من أن السلطة كانت تجني فوائد جليلة من هذه السياسة، فإن أهل الطاعة كذلك كانوا من المنتفعين بها سواء على المستوى القريب أو البعيد، فهم قد نجحوا في بلوغ الكثير مما يريدون، وبالأخص الإستقرار، الذي قد يبدو للبعض أنه موضوع لا يحمل أهمية كبيرة، وإن كنا نراه عكس ذلك تماما، لأن أهل الطاعة بموالاتهم هذه قد نجحوا في عدم الهجرة الإضطرارية التي حتمت على الكثيرين من الأهالي المعارضين وزعمائهم بعد مجابهتهم للسلطة التي طاردتهم ولاحقتهم من ولوج مناطق نائية بما فيها تلك المناطق التابعة للممالك النصرانية، كمحمود بن عبد الجبار البربري وعبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي رحل إلى بطليوس بعد خروجه من ماردة وغيرهم.

كما أننا نعتقد وبشدة أن أساس أو قاعدة ما سمي في بعض الكتابات المعاصرة بالإقطاع[3] قد انطلق من خلال هذه السياسة، أي إنشاء جماعات توالي السلطة تحت إسم أهل الطاعة، حيث تستقر في منطقتها مقابل مكافحة أهل الخلاف، ليتشكل فيما بعد رجالات لهذه المناطق والذين هم في الأصل زعماء هذه الجماعات، وفي الوقت نفسه ممثلي السلطة، والذين سيتمتعون بالكثير من الإمتيازات من خلال موقعهم هذا، وبخاصة

1- يذكر الإصطخري بخصوص بربر شنتبرية قائلا: "أما مديونة وهوارة فهم سكان شنتبرية"، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة، محمد شفيق غربال، دار القلم، مصر، 1835هـ-1961م، ص36.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص420/419.

3- حول موضوع الإقطاع في الأندلس يراجع: إبراهيم القادري بوتشيش، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة، منشورات عكاظ، الرباط، 1992م.

بعد تكوين مناصرين لهم كذلك، مما سيسمح بتأسيس إقطاع لهم، والذي ستظهر نتائجه وتأثيراته بشكل ظاهر وملفت للعيان في فترة عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م)، الذي قاوم كثيرا هؤلاء الإقطاعيين، الذين كان من بينهم من اقتدى وشبه نفسه بالأمراء كبني حجاج عرب إشبيلية وغيرهم.

المعارضة البربرية في فترة محمد بن عبد الرحمن الأوسط: تولى إمارة الأندلس بعد وفاة عبد الرحمن الأوسط ابنه محمد، الذي دخل قصر الخلافة يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة 238هـ-852م، عن ملأ من الناس[1]، مع العلم أن المصادر تطرقت لهذه الفترة بكثير من الإطراء والمدح، كما فعلت مع فترة عبد الرحمن الأوسط من قبله.

لم تتغافل المصادر وهي تمدح فترة محمد بن عبد الرحمن الأوسط عن التنويه بصاحبها، فهي قد ربطت هذه العهدة بسياسته وحكمته، وشمل ذلك حتى الفقهاء الذين رأوا فيه خير أمير، فقد كانت لأيام الأمير محمد "زهرة ولسلطانه جلالة سرت أخبارها إلى المشرق"،[2] أما ما بقي مذكورا على لسان الناس فهو ما ذكره بقي بن مخلد[3] عند مدحه للأمير محمد حيث قال فيه: " ما كلمت أحدا من الملوك أكمل عقلا ولا أبلغ لفظا من الأمير مجمد بن عبد الرحمن"[4].

تميز عهد محمد بن عبد الرحمن بقوة السلطة الأندلسية، وبشكل أخص من الناحية العسكرية، حتى أن تعداد جيشه بلغ على حسب ابن الكردبوس مائة ألف فارس مع إنشائه في البحر "لسبعمائة غراب"[5]، وبالرغم من أننا نستشف بعض المبالغة في عدد أفراد الجيش إلا أنه يظهر وبشكل آخر إهتمام السلطة به، ونحن نعتبر أن هذا الإهتمام ما هو

1- ابن حيان، محمود علي مكي، ص102/ ابن الخطيب، أعلام الأعلام، ص22/ النويري، المصدر السابق، ص105/ ابن عبد ربه الأندلسي، المصدر السابق، ج5، ص234/ تاريخ الأندلس، ص19.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص129.

3- هو" بقي بن مخلد، أبو عبد الرحمن، من الحفاظ، وأئمة الدين، والزهاد الصالحين، رحل إلى المشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة، وكان متميزا لا يقلد أحدا"، الحميدي، المصدر السابق، ص156/157/ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص82/84.

4- ابن عبد ربه الأندلسي، المصدر نفسه، ج5، ص236/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص109/ تاريخ الأندلس، ص191/ النويري، المصدر نفسه، ص111.

5- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص57.

إلا تكملة لما قام به عبد الرحمن الأوسط، الذي كون جيشا، كان قد خاض به الغزوات الصعاب داخل الممالك النصرانية، لنقول أن محمد قد ورث هذا الجيش، الذي كان السبب في إعطاء الدولة الأموية الكثير من الإحترام والرهبة داخل الأندلس وخارجها، وبخاصة في الخمس و العشرين سنة الأولى من إمارته.

كان الهدوء الذي عاشته هذه الفترة داخليا إضافة إلى فترة عبد الرحمن الأوسط- وهو ما سمح لنا بتسمية الفترة ككل بفترة الازدهار- سببا لتحريك الأندلس دبلوماسيا، سواء مع الدول الإسلامية ببلاد المغرب أو مع الممالك النصرانية بأوربا، فأمراء بلدان العدوة كما يذكر إبن حيان مثلا كانوا " قد ألقوا إليه بالمودة، وأبدوا إليه المحبة، واعتمدوه بالمشاركة فيما يحدث الله إليهم من محنة"[1]، مع العلم أنه: "كان أكلفهم بما لديه من أملاك أهل العدوة، بنو مدرار ملوك سجلماسة، وبنو أفلح بن عبد الوهاب الرستمي أمراء تاهرت وغيرهم"[2].

أما بالنسبة للممالك النصرانية، فإن ما شهدته الفترة السابقة من وفود سفراء ملك القسطنطينية توفلش[3] إلى عبد الرحمن الأوسط، وتفعيل السياسة الخارجية في وقته، لم تمنع وريثه محمد بن عبد الرحمن من تكثيف غزواته باتجاه أعدائه بالشمال حتى أن معركة وادي سليط التي كانت سنة 240هـ-854م، اعتبرتها المصادر "من أمهات الوقائع التي لم يعرف مثلها في الأندلس قبلها"[4]، إضافة إلى هذا، قام الأمير محمد ببنائه

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص129.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص130.

3- نفسه، السفر الثاني، ص430/431.

4- ابن عبد ربه الأندلسي، المصدر السابق، ج5، ص 236/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص111/ يذكر صاحب تاريخ الأندلس حول هذه الغزوة قائلا: "إنتهى عدد القتلى فيها من الروم مائة ألف وخمس وأربعون ألف"، ص192.

العديد من المدن كمجريط[1] وطلمنكة[2] وطلبيرة[3] وغيرها من المدن، حتى تلك التي أتم بناءها كقلعة رباح[4].

هذه المدن الجديدة في حقيقتها لم تكن في بداية بنيانها سوى قواعد عسكرية تجتمع فيها الجيوش خصوصا في الشتاء، كمرابطين ضد الممالك النصرانية وحتى ضد المتمردين من السلطة، وإن كانت هذه العملية تدخل فيما ورثه محمد من أبيه عبد الرحمن الأوسط وحافظ عليه، لأن هذا الأخير هو من بنى مدينة أبذة، وهي المعروفة بأبذة العرب[5]، وكذلك مدينة مرسية[6]، لاعتبارات سياسية وأخرى جغرافية.

أما بالنسبة للبربر فقد اتسمت علاقة محمد بن عبد الرحمن معهم بالصراع تارة وبالهدوء تارة أخرى، وهذا كذلك دخل تحت اعتبارات عديدة، سياسية وإجتماعية سنذكرها في حينها، وإن كانت المناصب في فترة محمد بن عبد الرحمن بالنسبة للبربر قد قفزت قفزة نوعية، كتقدم بني الزجالي وغيرهم من البيوت في تولي المناصب والرتب الرفيعة .

المشاركات البربرية في معارضات طليطلة: بقيت طليطلة كسابق عهدها عاصية على السلطة، حيث لم يكد محمد بن عبد الرحمن من ولوج قصره حتى كان أهلها قد حملوا لواء المعارضة والعصيان، وهذا بالتحديد يوم السبت لأربع عشرة خلت من ربيع الآخر سنة 238هـ-852م[7]، والملفت للنظر في هذا الخروج المبكر لأهالي طليطلة هو وجود البربر البرانس الذين شاركوا في هذا العصيان، وإن كنا لم نتمكن من معرفة سبب هذا الخروج وهذه المساندة البربرية.

1- تاريخ الاندلس، ص96.

2- نفسه، ص97.

3- "طلبيرة من مدائن طليطلة، وقد كانت حجزا بين المسلمين والمشركين وهي منيعة الأسوار"، ابن غالب الأندلسي، المصدر السابق، ص289.

4- مدينة قلعة رباح، " تقع غرب طليطلة، يطيب مرعاها ويزكو طعامها" وهي من المعاقل الحصينة "، ابن غالب الأندلسي، المصدر نفسه، ص289، الإصطخري، المصدر السابق، ص198.

5- ابن غالب الأندلسي، المصدر نفسه، ص284.

6- نفسه، المصدر نفسه، ص285/ يذكرها ياقوت الحموي قائلا: "مدينة بالأندلس من أعمال تدمير إختطها عبد الرحمن بن الحكم"، المصدر السابق، ج5، ص107.

7- ابن حيان، محمود علي مكي، ص293.

ما يهمنا أكثر في مشاركة البربر هذه، هو تحديد إبن حيان لهم بأنهم من البرانس حين يقول: "وكان مع أهل طليطلة في هذه الثورة، البرانس البربر، فكثر جمعهم وسعروا البلاد حولهم"[1]، وبالرغم من أننا لا نستطيع إحتمال تسمية أية قبيلة أو عشيرة برنسية، إلا أنه وبنوع من الاستقراء، قد تكون مصمودة من خلال إحدى عشائرها هي من كانت وراء هذه المشاركة، لأن هذه الفترة وما قبلها قد شهدت خروج العديد من رجال مصمودة بهذه المناطق.

بما أن محمد بن عبد الرحمن قد ورث جيشا قويا ذا تجربة وسلطة مرهوبة الجانب في الداخل والخارج، فهو لم يمهل أهل طليطلة، بل خرج إليهم سنة 240هـ-854م، فكانت هذه الغزاة، أول غزاته، هزم فيها هؤلاء الخارجين عليه، حيث قتل منهم أكثر من إحد عشر ألف رجل[2]، وبالرغم من هذا فإن أهل طليطلة وكأنه لم يكن في مقدورهم البقاء على الطاعة، وامتلاك أنفسهم عن التمرد والثورة، نراهم قد أعادوا الخروج على محمد بن عبد الرحمن سنة 259هـ-872م[3]، وكما أن محمد بن عبد الرحمن قد ورث جيشا قويا وسلطة مرهوبة، فإنه قد ورث كذلك شبها شديدا بأبيه في مواظبته محاربة الخارجين عليه مهما كلفه الأمر من ثمن.

كانت نتيجة هذا الخروج، تقديم أهل طليطلة للعديد من الرهائن بعد استسلامهم، ومدهم حبل الطاعة إلى الأمير محمد، غير أن ما يهمنا أكثر وفي هذه السنة بالذات هو خروج أهل طليطلة وهم في عشرة ألاف إلى حصن سكتان[4] وفيه سبعمائة من البربر[5]، فلما اشتعلت الحرب بينهم انهزم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب وهو أحد متقدمي أهل

1- نفسه، المصدر نفسه، ص293.
2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص157/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص157/ ابن حيان، المصدر نفسه، ص297.
3- النويري، المصدر السابق، ص108/ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج5، ص244.
4- حصن سكتان أو سكيان، يذكره ابن حيان" حصن سكتان بجوفي طلبيرة"، المصدر السابق، محمود علي مكي، ص330، يراجع تعليق محمود علي مكي، خاصة في ترجيحه أن هذا الإسم ما هو إلا تحريفا للفظ" سكتان"، وهو إسم هذا البطن من البربر، الذين كانوا يقيمون، في المنطقة الجوفية المحيطة بطلبيرة والممتدة حتى جبال البرانس " ص613/614.
5- يجعل عبد الواحد ذنون طه إنتمائهم إلى برانس مصمودة، الفتح والاستقرار، ص270.

طليطلة، ويعود انهزامه لعداوة بينه وبين أحد زعماء طليطلة وهو طربيشة، لتكون نتيجة قتل الألاف من أهل طليطلة[1].

من خلال هذه المعطيات التاريخية، يمكننا إكتشاف العديد من التفاعلات السياسية، التعاملات الإجتماعية بالأندلس، وبشكل أخص تلك التي تخص البربر سواء علاقتهم بالسلطة أو بالأطراف أو العناصر الأندلسية الأخرى، وأول ما يتبادر إلى الذهن، هو ذلك التحول أو التغير السياسي للبربر في معاملاتهم السياسية، ففي سنة 238هـ-852م كانوا في صفوف أهالي طليطلة عند خروجهم على الأمير محمد، ثم نجدهم مستهدفين من طرف هؤلاء، وهذا في الفترة السياسية نفسها، ومن هنا، نجد أنفسنا أمام أسئلة ملحة حول سبب هذا التغير في الموقف السياسي البربري؟ وإن كان هذا سيرمي بنا إلى البحث عن أية قبائل أو عشائر بربرية حاربها أهل طليطلة، بما أن ابن حيان قد أشار إلى أن من حالفهم سابقا، أي في سنة 238هـ-852م هم البربر البرانس؟ بل نجد أسئلة أخرى عديدة تطرح نفسها بشدة، كتلك التي تتعلق بأهل الطاعة وأهل الخلاف، ومن ثم مع أية جهة أو طرف كان أهل سكيان؟.

وبالرغم من أن المصادر التي ذكرت هذا الحدث التاريخي قد اختلفت في العديد من النقط، فإنها اتفقت على عملية انهزام مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب بأهالي طليطلة ومن هنا وجدتنا نتساءل حول هوية مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب هذا، هل هو بربري؟ وبالتالي نستطيع أن نحتمل أنه حفيد حبيب البرنسي الذي ثار ضد عبد الرحمن الأوسط من قبل؟ وهذا مع التذكير دائما أن البربر هم من عرفوا بخطة الإنسحاب من الجيش، وبالتالي إلحاق الهزيمة بكل عناصره، ولهذا إرتأينا أن نجعل من هذه الأسئلة النقط التي نتبعها ونستأنس بها في تحليلنا للكثير من العلاقات السياسية والإجتماعية للبربر في هذا الحدث المليء بالمعطيات التاريخية.

يذكر عيسى بن أحمد بن محمد الرازي أن سنة 259هـ-872م، عرفت تجرد محمد بن عبد الرحمن الأوسط للمتمردين عليه في الثغور[1]، حيث بدأ بطليطلة التي

1- النويري، المصدر السابق، ص109/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص244.

استطاع بما يحمله جيشه من قوة ورهبة أن يفرض طلب الأمان والطاعة التي تقدم بهما أهالي هذه المدينة شرط تقديم رهائن منهم تكون بقرطبة، مع حريتهم في اختيار من شاؤا من العمال، وهو العمل الذي لم يكن من السهل التوصل إليه لإختلاف العناصر السكانية بطليطلة من جانب، ومن جانب آخر لرغبة السلطة في تقسيم المجتمع الطليطلي إلى عدة تيارات وأطراف سياسية لأن فيه إضعاف للمعارضة[2]، ليكون الإتفاق فيما بعد على تولية كل من مطرف بن عبد الرحمن وطربيشة بن ماسوية[3].

في ظل هذا الخلاف قام أهل طليطلة مع رئيسيهما الجديدين بغزو حصن سكتان الواقع جوفي طلبيرة، أين كان يقطن سبعمائة من البربر الذين "تمردوا وظاهروا موسى بن ذي النون الهواري"[4]، وهو أحد الثوار الذين تمردوا بشنت برية التي انطلق منها- كما يزعم إبن حيان- لضرب طليطلة وأحوازها[5]، مما حتم على أهلها الخروج إلى هذا الهواري ومقاتلته[6].

تبدأ الصورة في الوضوح أكثر كلما ربطنا التساؤلات السابقة بالمعطيات التاريخية اللاحقة، لهذا ستكون الإجابة عن سبب خروج أهل طليطلة إلى بربر حصن سكيان، بأن هؤلاء كانوا متحالفين مع موسى بن ذي النون الهواري، مما يعني أكثر، أنهم كانوا من أهل الطاعة لأن ذي النون صانع هذا البيت بقي على الطاعة إلى غاية وفاته سنة

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص101.
2- ابن حيان، المصدر السابق، ص 330.
3- يسميه ابن حيان بطربيشة بن معونة، المصدر نفسه، ص330/ ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص101.
4- يخلط ابن الأثير خلطا شنيعا في أحداث طليطلة التي وقعت سنة 259هـ-872م، حيث يقسم هذا الحدث السياسي أو مواجهة البربر مع أهل طليطلة إلى قسمين إثنين، القسم الأول سنة 259هـ-872م، وفيها إنهزم عبد الرحمن بأهل طليطلة لعداوة بينه وبين طربيشة، أما القسم الثاني فكان سنة 260هـ-873م، حين خرج أهل طليطلة في 20 ألف لمحاربة موسى بن ذي النون، إلا أن هؤلاء إنهزموا بسبب إنهزام طربيشة هذه المرة، كمكافأة لمطرف بن عبد الرحمن حين إنهزم بهم في العام الفارط، والسبب وبكل بساطة يعود إلى أنه أخلط بين هذه المواجهة ومواجهة موسى بن ذي النون سنة 274هـ-887م، أي في فترة عبد الله بن محمد(275-300هـ)، كما أنه وبنوع من المنطق، لا يعقل أن تمنح مرة أخرى المشاركة في قيادة الجيش لمطرف بن عبد الرحمن مع طربيشة وهو من كان السبب في انهزام أهل طليطلة، إضافة إلى أن الحرب ليست لعبة حتى ينهزم طربيشة بأهل مدينته كمكافأة لما حدث سابقا، كما أن الذي جعل ابن الأثير يقع في هذا الخلط هو وجود لب بن طربشة الابن في مواجهة الطرفين سنة274هـ-887م، المرجع نفسه، ص244 وص248.
5- سنناقش هذا عند تناولنا لبيت بنو ذي النون البربر، لنؤكد على أن ما قام به موسى لم يكن خروجا عن السلطة، بل بالعكس كان خدمة لها وتعبيرا على موالاتها، مع العلم أن هذا الحدث وقع سنة 260هـ-873م.
6- ابن حيان، المصدر السابق، ص330، مع العلم أن ابن خلدون أخلط بين موسى بن ذي النون وابنه مطرف الذي جعله العامل على شنت برية " فإنتقض وأغار على أهالي طليطلة"، المصدر السابق، ج4، ص158.

274هـ-887م، وإذا كانت السلطة استطاعت تشكيل- بشكل أو بآخر- بني ذي النون كطرف يواليها مدمجة إياهم ضمن أهل الطاعة، فإنه لم يكن على هؤلاء سوى أن يقوموا بما وجب على أهل الطاعة فعله، وهو مقاومه المخالفين للسلطة، بدون التغافل أن ذلك كان يدخل ضمن الشروط التي بين السلطة الأموية وأهل الطاعة، وهناك الكثير من المعطيات التي نستدل بها على ما نقول.

يذكر إبن حيان أن ابن ذي النون وأنصاره قد "والوا الغارة على أطراف طليطلة وآذوا أهلها"[1]، وكأن هذا هو السبب في خروج أهل طليطلة، والحقيقة أننا لا نملك سوى الإعتراض على هذا النص، لأننا نرى أن السبب الذي ذكره إبن حيان كان بعيدا عن واقع تلك الفترة، لأن ما بين شنت برية وطليطلة سبعون ميلاً[2]، وبالتالي فهذه المسافة تمنع أن يقوم موسى بن ذي النون بهذه الغارات المتوالية على أهالي مدينة طليطلة، كما أن هؤلاء كانوا أكثر قوة من سبعمائة بربري يتمركزون في حصن، وهكذا نجد أن الطليطليين كانوا يمثلون في هذه المنطقة أهل الخلاف لا أهل الطاعة، ومن هذا المنطلق قاموا بحرب بربر حصن سكتان الذين كانوا كشوكة في حلق أهل طليطلة.

بما أن أهل طليطلة قد اشترطوا تقديم عمال من عند أنفسهم، فإن السلطة لم تتخلى عن سياسة التفرقة وضرب المتحالفين بعضهم بعضا، وإفشال كل محاولات التحالف بين أي عنصرين، من أجل أن تبقى هي في معزل عن أية خسارة أو عناء تسببه لها المعارضة عند اتحاد أطرافها، بدون أن ننسى بأن للسلطة تجربة كبيرة مرت بها، وهي محالفة محمود بن عبد الجبار البربري مع سليمان بن مرتين المولدي التي أنتجت حربا ضاقت منها الويلات.

لقد كادت تجربة محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين وتحالفهما، ثم قيادتهما للتمرد والثورة بماردة أن تعاد بطليطلة مع مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب ومشاركة طربيشة له في قيادة أهل طليطلة وتسيير أمور مدينتهم، لولا أمورا عديدة تدخلت

1- ابن حيان، نفسه، ص330.
2- تاريخ الأندلس، ص108.

وشاركت في نقض هذا من الأساس، فإضافة إلى يد السلطة، نلمس وبقوة الصراع والمجابهة بين البربر والمولدين الذي بدأ يأخذ بعدا آخر، والذي من المحتمل جدا أن يكون أحد الأسباب المهمة في الاختلاف الذي كان بين عناصر أهل طليطلة حول اختيار عاملهم[1].

كما أنه كان السبب في انهزام مطرف بن عبد الرحمن بأهالي طليطلة عند التقائهم بابن ذي النون الهواري، وإن كنا نملك احتمالا كبيرا هو أن هذا الانهزام ما كان سوى تواطؤا بين كل من ابن ذي النون ومطرف بن عبد الرحمن[2]، وحتى نستدل على أن الصراع بين البربر والمولدين كان السبب نستطيع ذكر بعض الأمثلة، من مثل ما رواه عيسى بن أحمد الرازي حول عبد الرحمن بن مروان الجليقي وما قام به وأنصاره في هذه الفترة، إذ يقول: "فأطلقوا الغارات على أهل الطاعة بكل سبيل وناحية، وأوقعوا بكل من وجدوه فيها أو عثروا عليه من الحرس ورجال السلطان، وامتدوا إلى خيل من جاورهم من العرب والبرابر"[3].

وهكذا نجد أن المولدين قد استغلوا حقيقة ذلك الصراع الذي كان بين أهل الخلاف وأهل الطاعة، ليكون تدخلهم ومحاربتهم لمن هم حولهم يحمل نوعا من الحتمية التي فرضتها الظروف السياسية[4]، كما أننا نجد أن المواقف السياسية للبربر كانت رهينة الزمن، وما تنتجه الظروف من مستجدات سياسية جديدة، وبالأخص تلك التي تنشأ وتنمو في مرحلة أو فترة سياسية جديدة نتيجة لما كان قبلها، مع ملاحظة نراها جد مهمة وهي إزدياد المعارضة البربرية البرنسية في هذه الفترة، حيث لم نسمع عن المعارضة

1- يذكر عبد الواحد ذو النون طه أن هؤلاء البربر تمكنوا من مقاومة 10 آلاف من عرب طليطلة، ونحن لا نوافقه تماما حول هوية هؤلاء الذين ينتمون إلى أهل طليطلة بصفة عامة ولم يكونوا من العرب كما زعموا وحتى نثبت ما نقول نجد أن مراجعة خريطة إستقرار العرب والبربر في الأندلس وهوية أهل مدينة طليطلة، قد يكون لوحده دليلا، ولكن وببساطة يمكننا نقد هذا التصريح بدليل آخر قاطع وهو أن الذين قادوا أهل طليطلة كانوا من المولدين وكل المصادر التي بين أيدينا تثبت ذلك، ولكن نعتقد بأن العرب وفي هذه الفترة كانوا يسمحون للمولدين ولا حتى للبربر بقيادتهم، يراجع: الفتح والإستقرار، هامش صفحة 269.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 244/ النويري، المصدر السابق، ص104.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص348.

4- نلمح ذلك جليا في محاربة موسى بن موسى لأزراق بن منتيل بن سالم البربري صاحب وادي الحجارة وثغرها، وسنتناول هذا في قسم موالاة البربر للسلطة في فترة الإزدهار، يراجع ابن حيان، محمود علي مكي، ص 315/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص111/ العذري، المصدر السابق، ص31/30.

الزناتية، فهل يعود هذا إلى العامل التاريخي وما نعرفه عن موالاة زناتة لبني أمية منذ الفتوحات الأولى لبلاد المغرب ؟أم إلى العامل الجغرافي وهو توفر العنصر البرنسي في مناطق الثغر الأعلى والأدنى وكذلك الأوسط؟.

بعض التمردات البربرية في فترة محمد بن عبد الرحمن الأوسط: يعتبر ابن يامين البربري الذي كان عاملا على قلعة رباح[1]من بين المتمردين البربر الذين خرجوا على محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وبالرغم من أننا لم نهتد إلى معرفة أية قبيلة كان أو من أية عشيرة هو، فإننا لم نهتد كذلك إلى تاريخ وصوله كعامل على قلعة رباح، وإن كانت هذه المدينة وفي هذه الفترة بالذات قد حملت- في نظرنا- تاريخا يحمل الكثير من الجدل.

يقول إبن عذارى: "وفي سنة 239هـ-853م خرج الأمير الحكم بن عبد الرحمن إلى طليطلة بالصائفة، وكانت قلعة رباح قد أقفرت خوفا من أهل طليطلة، فاحتلها الحكم وأمر ببنيان سورها واسترجاع ما فرّ من أهلها"[2]، ونحن هنا نتساءل، بما أن لابن يامين البربري صلة بقلعة رباح التي كان عليها عاملا، لماذا خربت هذه المدينة من طرف أهالي طليطلة بما أن واليها قد وضع من قبل السلطة؟ ثم إن ابن عذارى يضيف في حوادث سنة 241هـ-855م أن "الأمير محمد قد شحن قلعة رباح وطلبيرة بالحشم ورتب فيها الفرسان، وترك فيها عاملا وهو حارث بن بزيغ"[3]، وهذا ما يعني أن قلعة رباح كان أهلها من أهل الطاعة، ولكن الإشكالية تكمن فيما إذا كان إبن يامين البربري من أهل الطاعة كعامل على قلعة رباح، وأن السلطة قد استرجعت أهلها الفارين من غارات أهل طليطلة، فأين كان إبن يامين هذا؟، وبما أن قلعة رباح قد عرفت فيما بعد سنة 241هـ-855م حالة من الإستنفار القصوى من طرف السلطة، ولم نعثر له على أي أثر، فإن هذا يجعلنا نحتمل خروجه على السلطة بعد سنة 241هـ-855م.

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص331.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص94.

3- نفسه، المصدر نفسه، ج2، ص 95.

ومن بين ما نسجله كدليل على أن ابن يامين قد ثار في هذه الفترة هو ما يذكره ابن حيان قائلا: "فتهيأ لابن حارث القبض عليه"[1]، وابن حارث هذا لم يكن سوى ابن حارث بن بزيغ الذي حكم قلعة رباح سنة 241هـ-855م، ولا بد أنه قد ورث منصب سلل السلطة في الثغر الأعلى من أبيه الذي من الممكن جدا أنه توفي في هذا السنة على أكثر تقدير.

وحتى نكتشف أكثر الحقائق السياسية والإجتماعية التي كان يحياها البربر في هذه الفترة ومن خلال هذا التمرد، ارتأينا تحديد الفترة الزمنية التي أسر فيها إبن يامين البربري حتى وإن كان هذا ليس بالسهل، وأكثر ما يقربنا مما نريده هو معرفة عمال قلعة رباح التي كان إبن يامين أحدهم، مع العلم أن إبن حيان لم يذكر لا سنة عمل إبن يامين على هذه المدينة ولا سنة خروجه منها، بل ولا حدد سنة تمرده على السلطة.

بداية من سنة239هـ-853م، عرفت قلعة رباح وضعية سياسية حساسة حيث أصبحت منطلق العمليات باتجاه أهل طليطلة ثم باتجاه أهل الثغور، وبما أن حارث بن بزيغ كان إلى غاية سنة 241هـ- 855م، هو العامل على هذه المدينة[2]، فإن خروج إبن يامين كان بعد هذه السنة، إضافة إلى هذا فنحن لا نجد أن هذا التمرد قد طالت فترته، ويعود هذا إلى عدة أدلة استقرائية، أولها أنه من المستحيل أن تبقى ثورة أو تمردا لسنوات عديدة دون أن تذكر في مصادر عديدة إذ أن ابن حيان- على حسب علمنا- كان الوحيد الذي ذكر هذا الثائر.

وإذا ما كنا نجهل سنة وفاة حارث بن بزيغ[3]، وأن ابنه هو من ألقى القبض عليه، فإننا نخشى أن هذا القبض قد حصل في مدة حارث بن بزيغ وأن ابنه ما كان سوى ممثلا

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص331.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص331.

3- حارث بن بزيغ هو أحد أكبر رجالات السلطة الأموية، ترأس حرب موسى بن موسى بن قسي سنة 228هـ-842م، حيث أسر فيها، وهذا في وقعة بلسمة، مع العلم أن العذري يذكر أنه تولى ثغر سرقسطة في هذه السنة، كما يذكر ابن حيان أنه تولى طليطلة سنة 238هـ-852م ثم نراه عاملا على قلعة رباح سنة 241هـ-855م، لم نتوصل إلى معرفة سنة وفاته، وإن كنا توصلنا إلى معرفة والده الذي ذكره ابن حيان في هيج الربض وبأنه كان مولى أمية بن الأمير عبد الرحمن، و قد "أحسن إليه أي الحكم الربضي، فجاء من نسله بعد ما لا خفاء بنبلهم "، أما ابنه الذي من المحتمل أنه ورث منصب أبيه في الثغر الأعلى، فيذكره ابن حيان في غزوة كركبولية التي قادها عبد الله بن محمد سنة 279هـ-892م، العذري، المصدر السابق، ص30/ ابن حيان

أبيه في حربه ضد إبن يامين البربري، وهكذا فإننا وبصراحة لا يمكننا سوى إعطاء
احتمال للسنة التي خرج فيها إبن يامين، وهذا عبر مختلف الأحداث التاريخية للفترة، وإن
كنا نؤكد على أن خروجه لم يكن في السنوات الأولى من حكم محمد بن عبد الرحمن
الأوسط، وإلا كانت قد أخذت حيزا كبيرا في المصادر[1].

بما أننا اعتبرنا عدم ذكر المصادر لهذا الثائر وما قام به دليلا على عدم طول فترة
تمرده، وأن خروجه لم يكن في السنوات الأولى من فترة محمد بن عبد الرحمن الأوسط،
فإن إيماننا سيتوجه إلى إعتبار سنوات ما بعد الخمسين والمائتين، هي السنوات الأكثر
ترجيحا واحتمالا كسنوات خروج إبن يامين البربري، ولكن تتبعنا لأحداث هذه السنوات
يجعلنا، نزيد من نسبة إحتمالنا لسنة 259هـ-872م كسنة خروج هذا الثائر، وهي السنة
التي أسر فيها، والعامل الأكبر أن ابن حيان الذي عودنا على تفصيل الأحداث المهمة
والخطيرة مع التطرق إلى أصحابها وزعمائها، نقلا واقتباسا، لم يذكر إبن يامين إلا في
سنة أسره أي في سنة 259هـ-872م، مع عدم ذكره سنة عصيانه وهو يتطرق إلى
تمرده، مما يدل على أن هذا الأخير قد أسر في السنة التي خرج فيها عن السلطة وإلا
لكان إبن حيان قد ذكرها في طي حديثه عن هذا التمرد كعادته في كتاباته.

من الواجب علينا باحتمالنا أن خروج إبن يامين كان في سنة 259هـ-872م، أن
نتتبع كل الأحداث السياسية التي وقعت في هذه السنة، لأن ما نبحث عنه هو محاولة
تشكيل صورة ميدانية واقعية وهذا حتى نكتشف كما أسلفنا الذكر، تلك الحقائق السياسية
والإجتماعية التي عاشها البربر، والوصول إلى معرفة أسباب خروجهم على السلطة في
هذه الفترة.

يقول ابن حيان نقلا عن عيسى بن أحمد الرازي في ذكره لحوادث سنة 259هـ-
872م، إن محمد بن عبد الرحمن الأوسط قد "تجرد للعصاة بالثغور، فإتصل لحربهم،

محمود علي مكي، ص292/293، والسفر الثاني، ص151/152/ابن الأثير، المصدر السابق، ص76-77/ ابن حيان، ملشور
أنطونا، ص106.

1- بعد مراجعة المعطيات التاريخية ومقارنتها، نجد أنه من الممكن جدا أن حارث بن بزيغ قد مات في سنة 241هـ-855م،
هذا على أقل تقدير وأن ابنه قد ورث ذلك، وبالتالي فإن هذا الأخير، يكون قد حكم الثغر من سنة 241هـ إلى غاية 256هـ.

نتقل لقصدهم، فغزا بنفسه بالصائفة يريدهم"، ويضيف "فبدأ بطليطلة أم النفاق"[1]، وهذا
يعني أن هذه السنة قد عرفت حملة شديدة من طرف محمد بن عبد الرحمن على أهل
الخلاف وبخاصة في الثغور، كما أن إشارة ابن حيان تساعدنا في فهم أن ابن يامين الذي
امتنع بجبال البرانس[2] كان ممن شملتهم هذه الحملة الشديدة .

كما أنها تفيدنا وبكثير من الإحتمال أن محاربته وأسره كانت عند محاربة أهل
طليطلة لابن ذي النون وأنصاره أي في الفترة نفسها، مع العلم أنه ومن خلال نصوص
ابن حيان نكتشف وكأن حملة السلطة على الثغور كانت ذات اتجاهين، الإتجاه الأول كان
اتجاه أهل طليطلة، ولكن بواسطة موسى بن ذي النون، والذي نعتقد وبشكل كبير أن
محاربته لأهالي طليطلة كانت تمهيدا وتسهيلا لحملة السلطة الأموية عليهم، أما الإتجاه
الثاني فقد كان تحت قيادة الأمير محمد وقادته الذي ومن الممكن جدا كذلك قد انقسم- أي
الاتجاه الثاني- إلى خطين، الأول باتجاه إبن يامين تحت قيادة ابن حارث، والآخر قاده
الأميرمحمد بنفسه باتجاه بني قسي المولدين[3].

وحتى نستدل على ما قلناه تكفينا جغرافية الأندلس حيث يتضح لنا إذا ما وضعنا
أمامنا خريطة طليطلة، أن الحملات كانت باتجاه وشقة بالشمال الشرقي أين كان هناك
عمروس بن عمروس[4] الذي ألقى القبض على مطرف بن موس بن قسي وعياله وأبنائه
عند فتحه لوشقة، وتقديمهم إلى الأمير محمد، الذي كان قد فتح هو الآخر في سيره هذا
مدينة سرقسطة[5]، والحقيقة أن هذا الحدث الذي قام به عمروس يدير أعناقنا حول ما
أسلفنا ذكره من أن بني ذي النون، هم من مثل السلطة في محاربة أهالي طليطلة، والأمر

1- ابن حيان، محمود علي مكي، ص 329.

2- نفسه، ص331.

3- في هذه الحملة ألقي القبض على مطرف بن موسى بن قسي الذي قتل بقرطبة في ذي القعدة من سنة 259هـ-872م،
العذري، المصدر السابق، ص63/ ابن حيان، المصدر السابق، ص332.

4- يذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب بنو عمروس ضمن أمراء الثغر وأن تمركزهم كان بوشقة، ص499/500، أما تاريخ
الأسرة فيعود إلى فترة الحكم الربضي(180-206هـ) حيث يذكر ابن الأبار أن هذا الأخير قد أرسل عبد الكريم بن عبد الواحد بن
مغيث الحاجب إلى عمروس وكان قد خلع بسرقسطة، الحلة السيراء، ج1، ص136/ للمزيد من التفاصيل حول بني عمروس،
راجع العذري، المصدر نفسه، صص61/68.

5- العذري، المصدر نفسه، ص63/ ابن حيان، المصدر نفسه، ص331.

نفسه بالنسبة لبني عمروس الذين كانوا في هذه المرحلة من الموالين للسلطة وممثليها في محاربة الثوار والخارجين عنها بالثغر الأقصى.

أما حملة ابن حارث فكانت باتجاه الجنوب أي جنوب طليطلة، وبالتحديد إلى جبال البرانس التي تسمى كذلك بجبال المعدن[1]، أين كان يتواجد إبن يامين البربري، أما أهل طليطلة فنراهم اتجهوا إلى الجنوب باتجاه حصن سكتان الذي لم يكن بعيدا عن قلعة رباح، والمتمعن في الأمر يجد أن عتبة الوصول إلى أهل طليطلة كانت حصن سكتان المليء بالبربر البرانس المساندين لبني ذي النون والداخلين في حوزتهم، لذا ما كان من أهل طليطلة سوى التصدي لهؤلاء البربر وافنائهم، مع امتلاك الحصن كموقع استراتيجي مهم، وهذا حتى لا يشكلوا قوة تهدد أهل طليطلة وزعمائها.

من خلال هذه التفاصيل، نستنتج عدة استنتاجات أولها إحتمال خروج إبن يامين البربري عن إبن ذي النون في موالاته للسلطة، وبخاصة أن وجود إبن يامين في المنطقة نفسها وغير بعيد عن ذي النون يشجع على هذه الفرضية، كما أن الفترة أعطت لنا صورة عن حركة البربر السياسية جنوب الثغر الأوسط، وإن كانت وفي الوقت نفسه أعطت لنا صورة أخرى عما وصل إليه المولدون من مكانة في الثغر الأعلى، وبصفة أعم في الأندلس، أين سيكون لهم موعد مع السلطة في أواخر سنوات هذه الفترة بالذات.

كما أن انتفاضة البربر البرانس وتمردهم في هذه المنطقة يدل على التقسيم القبلي الذي كان حاصلا بين البربر، والذي شكل هو الآخر منعطفا حاسما في علاقة البربر مع السلطة ومعادلة المعارضة والموالاة معها، وهذا ما أردنا في الواقع توضيحه، حيث نجد أنه بالرغم من الانتماء نفسه الذي يجمع بني ذي النون مع إبن يامين البربري، وهو انتمائهم إلى البربر البرانس، إلا أنهما اختلفا سياسيا، وهذا ما يجعلنا نذكر ما قام به موسى بن ذي النون عند محاربته لآل عامر بن وهب البربر أمراء الثغر واستلائه على بلادهم وبذة[2].

1- يذكر ذنون طه، أن جبال المعدن Sierra de Almaden مأهولة بالبربر، وتدعى هذه الجبال أيضا الواقعة في الجنوب من وادي نهر آنة، بجبال البرانس، لأن غالبية سكانها كانت من البربر البرانس، الفتح والإستقرار، ص270

2- ابن حزم، المصدر السابق، ص500.

إضافة إلى هذا نجد أن المصادر لم تشر إلى عشائر زناتة كمعارضين في هذا المكان، والذي يعود في حقيقته إلى عاملين اثنين ارتبطا معا فكونا عاملا مركبا، أثر كثيرا في الأحداث السياسية بالأندلس وعلى المدى الطويل، وهما العامل التاريخي وتفاعله مع العامل الجغرافي، حيث أن المتتبع لمراحل استقرار البربر منذ الفتح وإلى غاية هذه الفترة يكتشف أن غالبية سكان الثغر الأوسط والجوف كانت آهلة بالبربر البرانس، عكس الزناتيين[1].

ذكرنا سابقا أن البربر البرانس لم يكونوا في أغلبيتهم ولا في الكثير من الأحيان من الموالين للسلطة، وذلك منذ الفتوحات الأولى بالمغرب عكس البتر[2]، كما أننا ذكرنا فرار الكثير من البربر بعد حادثة الربض إلى طليطلة وأحوازها، مما يعني أن الكثير من المتمردين على السلطة والحاملين أحقادا عليها قد تمركزوا في هذه الجهة من الأندلس، ولكن وبالرغم من ذلك، نجد أن أمراء الثغر وبالأخص الذين اصطنعتهم السلطة، كونوا جدارا منيعا ضد إخوانهم وبني عمومتهم من القبيلة نفسها، وهذا الأمر لم يكن حكرا على البربر فحسب، بل حتى على المولدين من مثل ما قام به عمروس ضد بني قسي المولدين مثله.

مع ملاحظة جد مهمة، وهي أن هذا التواجد البربري البرنسي الكثيف في موسطة الأندلس وشمالها هو الذي لم يسمح بتطور حالات معارضة المولدين لأن البربر البرانس كذلك كانوا حاملين للعديد من الطموحات السياسية[3]، عكس مولدي الجنوب الذين ثاروا مع عمر بن حفصون، والذين وجدوا أرضا خصبة بوجود البربر البتر، الذين كانوا في غالبيتهم من الموالين للسلطة والعاملين في جيوشها، مع العلم أن البربر الذين تمركزوا

1- محمد حقي، المرجع السابق، صص68/69/ عبد الواحد طه، المرجع السابق، صص269/272/ يذكر حسين مؤنس أن وجود نسبة سكانية كبيرة من البربر في منطقة ما بالأندلس يستدل به من خلال قيام ممالك بربرية بهذه المنطقة فيما بعد سقوط الدولة الأموية، فجر الأندلس، ص382. ويراجع كذلك، ص284، وهذا ما نراه وقع من خلال تأسيس بنو ذي النون لمملكتهم بالثغر الأدنى.

3- وهذا ما يؤكده ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، حين يقول: " كان الأمراء بالثغر، ثم بشنت برية ووادي الحجارة خاصة من البربر"، ص499.

في الجنوب وأعطو نوعا من التوازن السكاني في أقاليمه لم يدخلوا الأندلس إلا في فترة الخلافة[1].

وأخيرا نكتشف من خلال هذا النص الذي يرويه ابن حيان والذي يقول فيه:" فتهيأ لابن حارث القبض عليه، وأسلمه إلى الأمير محمد، فلما أتى الأمير محمد طلبيرة أمر بصلب إبن يامين هذا وأصحابه على سور طليطلة"[2].

أولا: أن الأميرمحمد لم يكن مع ابن حارث أثناء محاربته لابن يامين، وأن وجوده في طلبيرة يؤكد على ذلك، بل ويؤكد على أن الجيش قد انقسم إلى قسمين الأول: سار باتجاه الشمال والآخر بإتجاه الجنوب.

ثانيا: إن صلب ابن يامين بطليطلة، يؤكد على أن العداوة بين البربر وأهل طليطلة كانت مستفحلة كما أنها تكرس إحتمال محاربة ابن يامين لهؤلاء، كما أن صلبه بمدينتهم لم يكن سوى لإظهار السلطة لموته أمام الجميع، متباهية بقوتها وقوة جيوشها والموالين لها، مع حمله لصور عديدة أرادت هذه الأخيرة إيصالها سواء لأهل الطاعة أو لأهل الخلاف، وبالأخص لأهل طليطلة دائمي التمرد، والتي منها أن المتمردين سيكون مصيرهم في فترة الأمير محمد مثل مصير ابن يامين وغيره من المخالفين.

البربر بين أهل الخلاف وأهل الطاعة: إن الصراع بين الأطراف الأندلسية، ونقصد به الصراع بين أهل الطاعة وأهل الخلاف، والذي نجحت السلطة في التخطيط له وتطبيقه على أرض الواقع، قد أدى في نهايته إلى التأثير العميق على الموقع السياسي للبربر، حيث أضحى هذا الموقع حرجا جدا سواء أمام السلطة أو أمام الأطراف الأندلسية الأخرى، فالعنصر البربري مع هذا الواقع نجده قد عانى كثيرا، خاصة العناصر المستقرة في البوادي وأحواز المدن، فهي اما خائنة في نظر السلطة إذا لم تطارد وتحارب أهل الخلاف القائمين والمحاربين للسلطة في منطقتهم، وإما محاصرين ومضطهدين أيما إضطهاد من طرف أهل الخلاف، إذا هم وافقوا السلطة وامتنعوا عن مساعدتهم، والأمثلة

1- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص381.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص331.

الميدانية التي تشهد على هذا الواقع عديدة، وقد ارتأينا أن نبرز أهمها حتى يتبين لنا ونفهم مدى تأثير هذه السياسة التي سطرتها السلطة على البربر، ومن ثم معرفة رد فعل هؤلاء على هذه السياسة، والتي كانت تتأرجح بين إما موالاة وإما معارضة.

كان عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي أحد أكبر الثائرين في فترة محمد بن عبد الرحمن الأوسط، حيث تمرد على السلطة منذ سنة 261هـ-874م[1]، ولعل ما ذكره ابن القوطية ونقله عنه ابن حيان بقوله: "فإضطربت الأحوال في آخر أيامه، فأول فتنة حدثت عليه خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، من قرطبة إلى المغرب، وكان في جملة الحشم، وكان أصله من جهة المغرب، وكان من المولدين"[2].

يحمل هذا النص الكثير من الدلالات التاريخية المهمة، والتي سنستنتج من خلالها الكثير من الحقائق التي تمس جوانب البربر السياسية والإجتماعية، وخير ما نبتدئ به هو ربما ما يأتي في ذهننا من مقارنة بين عبد الرحمن بن مروان الجليقي ومحمود بن عبد الجبار البربري، وبخاصة وأن المصادر تذكر أنه فر من قرطبة مع "رجال ماردة المنزلين منها"[3].

من خلال المقارنة، نتبين أن الحالتين تختلفان تماما لأن محمود بن عبد الجبار كان قد تحالف مع مولدي ماردة، كما رأينا بمساندة سليمان بن مرتين، وهذا بخلاف ابن مروان الجليقي الذي لم يخرج سوى مع أبناء جلدته من المولدين، والذين كان من بينهم سعدون السرنباقي المولدي الذي كان فخر المولدين حتى أنهم كانوا يصفونه بالسرور الباقي، وأحد أكبر المساندين لحركة عبد الرحمن بن مروان الجليقي[4]، وقد أشار إليه إبن

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص102.

2- ابن القوطية، المصدر السابق، ص100/ ينقل ابن حيان النص ولو ببعض التصرف قائلا: "إضطربت الأحوال، في آخر أيام الأمير محمد، ونشأت الفرقة، ونجم أهل الشقاق بكل جهة، فكان أول فتق حدث عليه فتق عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، وخروجه عاصيا من مكانه في مصاف السلطان بقرطبة إلى جهة بلده بالغرب قاطعا للسبيل، خالعا للطاعة، وأصله من مولدي الغرب الغالبين في رأي التغوية "، المصدر السابق، ص343.

3- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص103/ ينظر كذلك ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص21.

4- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص102/ ابن حيان، المصدر السابق، ص344/ يذكر ابن الخطيب في أعمال الأعلام "واستكنّ أي استتر، بسعدون السرنباقي وقومه، وهم فرسان العرب بالثغر"، ص21، فابن حيان يذكر على أنه من المولدين، الصفحة نفسها من المصدر نفسه، وهذا ما يؤكده تماما ابن القوطية، مع العلم أن العذري يذكر أن السرنباقي قد أسره المجوس، ويتضح من نص العذري ثم من نص ابن حيان أنه كان من الموالين والعاملين في جيش السلطة، ودليلنا على ذلك أن أسر مع عبد

حيان قائلا: " لما ظهر رجل من أصحابه من مولدي الغرب الدائبين في المعصية"[1]، ولعل هذا ما يجعلنا نكتشف أحد أسباب محاربة عبد الرحمن الجليقي للبربر الذين عانوا كثيرا منه ومن أصحابه، حتى كانت بعض القبائل منهم تمد له العهود والمواثيق شرط الأمان.

ربما ولتوضيح الصورة التي أردنا تشكيلها أكثر وهي صورة الصراع بين أهل الخلاف وأهل الطاعة وموقع البربر بين هذا وذاك، وجب علينا العودة إلى موقف السلطة من هؤلاء البربر، وبخاصة أولئك المتمركزين في مناطق تحرك عبد الرحمن الجليقي وأصحابه، حيث نكتشف أن السلطة كانت دائما لهم بالمرصاد، فالوزير عبد العزيز بن هاشم حين ناهض عبد الرحمن الجليقي سنة 161هـ-777م بصحبة المنذر بن الأمير محمد وأراد ملاحقته لم يكمل سيره بعد عروجه من حصن بطليوس الذي وجده خاليا بعد خروج عبد الرحمن الجليقي وأنصاره منه، حتى كان أمام أسوار حصن مقالش من إقليم أمسين الذي "كان فيه جمع من المولدين والعجم"[2].

ولم يتزحزح الوزير هاشم بن عبد العزيز عن ذلك الحصن حتى كان قد أتى على ساكنيه، بعد أن اتهمهم بممالأة عبد الرحمن الجليقي، وبالرغم من إشارة هؤلاء له بتمسكهم بالطاعة[3]، فإن السلطة لم تكن تريد الإستماع إلى مثل هذه الإشارات، بل كانت تريد رؤيتها عيانا وعلى أرض الواقع، وهذا الفعل ربما، هو ما حتم قدوم "جميع البرانس من لجدانية وقورية مع أميرهم محمد بن تاجيت[4] بأهليهم وأموالهم إلى الوزير هاشم بن عبد العزيز منحاشين إلى الطاعة"[5]، حيث يذكر إبن حيان أن الوزير هاشم بن عبد العزيز

الله وعبد الملك ابني مسلمة، يراجع العذري، ص119، ويراجع بالأخص ما كتبه حوله ابن حيان، المصدر السابق، ملشور أنطونية، ص23.

1- ابن حيان، محمود علي مكي، ص344.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص361.

3- نفسه، ص362.

4- يذكر ابن حزم هذه الأسرة فيقول: "ومسعود بن تاجيت بن محمد بن تاجيت بن مناع بن مسعود بن الفرج بن راشد، صاحب ماردة هو وأبوه وجده، كانوا أصحاب قورية ولجدانية"، المصدر السابق، ص501/ ويذكر ابن خلدون أنه من مصمودة، مع العلم أنه يسميه ابن تاكيت، المصدر السابق، ج4، ص160.

5- ابن حيان، محمود علي مكي، ص363.

ئسر بقدومهم، "وأنزلهم في أقاليم ماردة على المولدين، حيث غلبوهم على قراهم، ونزلوا بيوتهم وركبوهم بكل عظيمة"[1].

توحي لنا هذه الرواية التاريخية من خلال معطياتها الدقيقة، بالكثير من الاستنتاجات، أولها إكتشاف أحد الطرق التي كانت تسلكها بعض العشائر البربرية في معاملتها مع السلطة، فبنو تاجيت المصامدة مثلا، بعد قراءتهم السياسية لهذه الفترة، ما وجدوا سوى الإسراع إلى الطاعة والدخول ضمن أهلها كطريق إلى الفوز بموقع سياسي جيد وأكثر ثباتا، لأن التذبذب في هذه المرحلة السياسية لم يكن من المسموح به لا من جهة السلطة ولا من جهة أهل الخلاف والطاعة.

وما نؤمن به أكثر وإن كان سيؤخذ بكثير من التحفظ هو أن البربر في هذه الفترة لم يقوموا بأية ثورة أو تمرد باتجاه السلطة، وأن ما قام به موسى بن ذي النون الهواري والبربر المساندين له ضد أهل طليطلة وبخاصة المولدين منهم، ما كان إلا باسم السلطة الأموية، إضافة إلى إحتمال- من المطلوب أخذه بعين الاعتبار- وهو خوف وخشية العشائر البربرية من وجودها سياسيا بين فكي كماشة، أي بين السلطة من جانب، والمولدين الذين كانوا من أهل الخلاف من جهة أخرى، مع عدم التغافل عن قوة المولدين النامية والمتصاعدة، وهذا يعني أكثر مسارعة هذه العشائر البربرية إلى الاحتماء واللجوء إلى السلطة احتراسا من المولدين.

وحتى نؤكد أكثر ما أردنا تبيانه من رغبة السلطة في رؤية أدوار أهل الطاعة وموالاتهم عيانا، أي البرهنة على هذه الطاعة ميدانيا، هو ما فعله كذلك بنو أبي دانس من

1- نفسه، ص363/ هذا النص الذي نقله ابن حيان عن عيسى بن أحمد الرازي ينسف في حقيقته ما ذكره ابن خلدون من أن ابن تاجيت ثار بناحية الثغر أيام الأمير محمد، وزحف إلى ماردة وبها يومئذ جند من العرب وكتامة فأعمل الحيلة في إخراجهم منها، ونزلها هو وقومه مصمودة "، والواقع أننا لا نستطع الأخذ بما قاله ابن خلدون حول محمد بن تاجيت وعلاقته سواء مع السلطة أو مع عبد الرحمن بن مروان الجليقي، حتى بالنسبة لفترة عبد الله بن محمد، لأن الصراع الذي كان حاصلا، إنما كان في فترة الأمير محمد وليس في فترة ابنه عبد الله كما يزعم هو، وللإستدلال على ذلك نذكر ما يلي: أن ماردة هدمت تماما في فترة الأمير محمد، حتى أن صاحب تاريخ الأندلس يصرح: "ولم يبقى لها أثر" وهذا ما يجعلنا حريصين على الأخذ برواية عيسى بن أحمد الرازي الذي يقول: "وأنزلهم في أقاليم ماردة "، أي أن البربر الذين كانوا تحت قيادة ابن تاجيت قام بتوزيعهم الوزير هاشم، كما أن الصراع الذي ذكره في فترة عبد الله بن محمد لم يذكره تماما ابن حيان في القسم الثالث الخاص بالأمير عبد الله، يراجع: ابن خلدون، المصدر السابق، ص160/161/ ابن حيان محمود علي مكي، ص363/ أما حول ماردة يراجع: المقري، المصدر السابق، ج3، ص275، ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص196/ تاريخ الأندلس، ص193/ وللتأكد حول عدم ذكر ابن حيان الصراع بين ابن تاجيت وآل عبد الرحمن الجليقي، يراجع المقتبس القسم الثالث، ص15-23-53-69.

مصمودة[1]، الذين خرجوا وقاوموا سعدون السرنباقي حين مروره بقلمرية[2] لإعانة صاحبه عبد الرحمن الجليقي، وبالرغم من أنهم هزموا، نراهم على حسب ابن حيان يراسلون الوزير هاشم بن عبد العزيز، يعلمونه بهدف السرنباقي من إعانة عبد الرحمن الجليقي، ويحرضونه على الانتصار لهم"[3].

وبالرغم من أخذنا برواية ابن حيان، فإنه من اللازم أخذ ما أسلفنا ذكره بعين الإعتبار، وهو إلزام البرهنة من جانب أهل الطاعة للسلطة، على مدى طاعتها، وهذا ما توضحه القراءة الجيدة لهذه الرواية، إضافة إلى مدى الخوف الكامن في صدور البربر في تلك الفترة من أن ينالهم من السلطة ما لا يحمد عقباه، والدليل على ذلك هو مراسلة بني أبي دانس هؤلاء لهاشم بن العزيز حتى يحافظوا على ذمتهم أمام السلطة، وأنهم قاموا بكل جهد من أجل محاربة المخالفين.

ما قام به بنو أبي دانس من محاربة سعدون السرنباقي ومراسلتهم للسلطة لإعلامها بما جرى، لحد بعثهم إلى "هاشم بثياب قتلاهم المدماة"، لم يكن في حد ذاته سوى تقديمهم لأدلة تثبت أن هزيمتهم ما كانت عن تقصير، بل عن عدم قدرة، وهو في واقعه كذلك، ما كان سوى رد فعل يعبر عن خوف وخشية البربر مما قامت به السلطة الأموية، وبالأخص من خلال ممثلها الوزير هاشم بن عبد العزيز اتجاه بربر حصن سمب الذي كانت مصمودة قد دخلته وصارت فيه عند خطورة إبن مروان ببلدهم أيضا"[4]، فحين مرور الوزير هاشم بهؤلاء البربر، لامهم عن التقاعس في محاربة عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وتركه يمر دون أدنى معارضة منهم، وهذا بالرغم من محاولة هؤلاء اقناعه بضعفهم وعجزهم، وقلة إمكاناتهم عن فعل ذلك.

1- "وبنو دانس بن عوسجة، كانوا أصحاب قلنبيرة وإلى جدهم ينسب قصر أبي دانس بالجوف"، هكذا يذكرهم ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، ص501، ولكننا ما نراه مناسبا هو أن بني أبي دانس الذين نقصدهم في هذه الفترة هو الفرع الآخر منهم الذي كان يعيش في قلمرية، وليسوا الذين كانوا حكاما في قلنبيرة، يراجع عبد الواحد طه، الفتح والاستقرار، ص274.

2- قلمرية: "مدينة صغيرة متحضرة عامرة، ومكانها في رأس جبل تراب منيع لا يمكن قتالها وهي على نهر يسمى نهر منديق"، الإدريسي، ج2، ص726.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص369.

4- ابن حيان، المصدر السابق، ص363/364.

لم يكن من هاشم، وهو الذي لم يكن يقنعه سوى ما يراه لا ما يسمعه، سوى قتل نحو ثلاثين رجل من وجوههم حيث "عجل على بعضهم في القتل، وصلب قوما من أعلامهم، وجعل معه بقيتهم، فكان يقتل في كل محلة يحتلها قوما منهم حتى أتى على آخرهم"[1]، وهكذا، ومن خلال هذا النص، نلمس مدى بطش السلطة، وتهجمها العنيف على البربر، الشيء الذي دفع بالكثير منهم إلى تقديم يد الولاء والطاعة للسلطة.

إضافة إلى ما ذكرناه، نجد أن ما كان بين البربر والسلطة، وعلاقة ذلك بأهل الطاعة أو الخلاف، نراه مستنسخا ولو بشكل آخر، في علاقة البربر مع أهل الخلاف أنفسهم، وبالأخص المولدين الذين تزعمهم في هذه الفترة عبد الرحمن بن مروان الجليقي[2]، ويعتبر هذا الصراع- أي بين البربر والمولدين- أحد سمات هذه الفترة، ولكن وبنوع من الحذر علينا أن لا نتغافل عن دور السلطة في تأجيج هذا الصراع، فإضافة إلى دورها في إشعال نار التفرقة بين أهالي طليطلة في اختيار عامل لهم، نراها ومن خلال ما قام به الوزير هاشم بن عبد العزيز من توزيع البربر على أراضي المولدين، تصعّد بطريقة أو بأخرى من هذه السياسة .

إن النص الذي ذكرناه سابقا، يفيدنا وبشكل جلي في إدراك ما نرمي إليه، فابن حيان يقول: "وأنزلهم- أي بربر البرانس من لجدانية وقورية مع أميرهم محمد بن ثابت- في أقاليم ماردة على المولدين، فغلبوهم على قراهم، ونزلوا بيوتهم، وركبوهم بكل عظيمة، فهاجت غضب المولدين، فلجوا في المخبثة"[3]، فهذا النص إذن يثبت بما لا يدع أي شك مدى تفعيل السلطة في هذا الصراع، وإلا فما جدوى أو فائدة السلطة من إنزال البربر من أهل الطاعة على أملاك المولدين إن لم تكن التفرقة بين العناصر الأندلسية واستمرار الصراع بينهم، ولعل "فهاجت غضب المولدين، فلجوا في المخبثة"، هو ما أرادت السلطة الوصول إليه كنتيجة، ورؤيته كواقع.

1- نفسه، ص364.

2- كان هناك صراع بين المولدين والبربر في الثغر الأعلى والذي يشهد ذلك مثلا، تلك الحرب التي كانت بين موسى بن موسى القسي وأزراق بن منتيل بن سالم البربري، العذري، المصدر السابق، ص30/31.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص363.

ما أرادت السلطة الوصول إليه نلمسه ونشاهده على أرض الواقع من خلال وقائع عبد الرحمن الجليقي بعد أسر صاحبه السرنباقي للوزير هاشم بن عبد العزيز سنة 162هـ-778م[1]، حيث ازدادت قوته وقوة أصحابه، وبخاصة بمناطق تحركهم التي كانت آهلة بالبربر، وهي المناطق التي "عموها فسادا واصطلاما"[2] حتى فر سكانها، وانتقلوا "من البسائط إلى الحصون، واستغاثوا السلطان بقرطبة، ووالوا عليه رسلهم"[3]، وإن كان هذا يظهر عظمة ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي، فإنه سيظهر مدى تأثيرها على البربر، وسيبرز هذا فيما فعله كل من البتر والبرانس، الذين قدموا على ابن مروان حين كان بجبل أماية بوادي تاجة، ومن أجل اجتناب بوائقه وهجومه عليهم، "عقدوا بينه وبينهم عهدا تواثقوا عليه"[4]، وهذا ما يعكس حقيقة، الوضع المحرج، والخوف الشديد الذي عاشه البربر في هذه الفترة، سواء من جانب السلطة أو من جانب المخالفين عليها.

رحل عبد الرحمن الجليقي باتجاه الجنوب نحو باجة وأطراف أشكونبة، وخلّف على الجبل أين كان يقيم نائبه علي بن لب، ويعود هذا ربما إلى طمأنينته اتجاه البربر، الذين ما عاهدوه إلا قسرا وتحت ضغط الخوف، حيث لم يتمالكوا أنفسهم بعد طول غياب عدوهم عبد الرحمن الجليقي عن الهجوم على أصحابه الذين استخلفهم على حصن أماية الجبل، ولكن وبالرغم من قلة من كان مع علي بن لب فقد استطاع هذا مقاومة البربر البرانس، والإستنجاد بعبد الرحمن الجليقي الذي نجح في التنكيل بأعدائه بعد فك الحصار عن أصحابه، واقامته في حصنه بالجبل[5].

وهكذا نجد أن البربر كانوا بين أمرين أحلاهما مر، فهم ما عاهدوا عبد الرحمن بن مروان الجليقي إلا لاتقاء شره، وهذا ما يعني أنه لم تكن لهم إرادة الدخول في أهل الخلاف ومعارضة السلطة، وهذا كذلك يكرس ما أسلفنا ذكره من عدم وجود أي خروج

1- نفسه، المصدر نفسه، ص372.

2- نفسه، ص380.

3- نفسه، ص348.

4- نفسه، ص380.

5- ابن حيان، المصدر السابق، ص381

(و)معارضة بربرية اتجاه السلطة في عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط، كما أن عودة (ه)ؤلاء من جديد لضرب عبد الرحمن الجليقي من خلال الهجوم على أصحابه، يعتبر دليلا (ع)لى الصراع المرير بين البربر والمولدين، وإن كنا نراه يدل كذلك على خوف البربر (ا)لعظيم من السلطة.

وهذا الخوف في الواقع، هو ما أراد البربر تلافيه، بإظهارهم للسلطة مقاومة عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وأن ما فعلوه معه سابقا من إعطاء العهود وتقديم المواثيق، لم يكن سوى انتظارا للفرصة المناسبة التي ستظهر طاعتهم، مع العلم أن ما وقع لمسمودة حصن سمب، كان لا يزال عالقا بأذهان هؤلاء البربر، وأخيرا ندرك أن الخوف من السلطة والخوف من المولدين كذلك، هو من كان وراء الكثير من السياسات التي إنتهجها البربر، والتي كشفت عن مدى الحساسية السياسية لهذه الفترة من جهة، وعن أسباب تقلب البربر في علاقتهم مع السلطة بين معارضة وموالاة من جهة أخرى

صور الموالاة البربرية في عصر الإزدهار: كل مرحلة سياسية في حقيقتها ما هي إلا تمهيدا لمرحلة سياسية لاحقة، أي أن هذه الأخيرة ما هي إلا نتيجة لما قبلها، وهذا من خلال ما نلمسه من الآثار سواء الإيجابية أو السلبية التي ترثها، وهكذا كانت فترة عبد الرحمن الأوسط، التي ورثت جيشا مرهوبا[1] ورعية يسكنها هاجس الخوف والترقب[2]، ويربط هذا بطابع الهدوء الذي عرفته هذه الفترة[3] مقارنة بالمراحل السابقة واللاحقة، سيجرنا إلى الإعتقاد بأن سبب الهدوء هو قوة السلطة والبطش الذي استعملته ضد الرعية[4]، وهذا الإعتقاد هو ما نعتبره الخطأ بعينه، لأن الهدوء لم يكن سوى نتيجة تغيير المعارضة لأوراق لعبها أمام السلطة، فهي قد كانت بحاجة إلى تريث وترقب سياسيين،

1- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص57.

2- أخبار مجموعة، ص122/ يصف صاحب تاريخ الأندلس هذا بقوله: " فكان الناس معه في أرغد عيش وأحسن حال لأنه وجد ملكا ممهدا ورعية مؤدبة وهيبة مغلظة "، ص185/ وهذا ما جعل ابن القوطية يرد استقامة أهل طليطلة في عهد الرحمن الأوسط إلى ما فعله بهم الحكم الربضي في موقعة الحفرة، أي موقعة عمروس، سنة 191هـ-806م، المصدر السابق، ص67.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص157 / النويري، المصدر السابق، ص103/ ابن حيان، السفر الثاني، ص298.

4- محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م، ص201/ إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانية، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1406هـ/1986م، ص230/ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط15، 1422هـ/2001م، ج2، ص328.

والأكثر من ذلك أن الأطراف الأندلسية وبخاصة البربر والمولدين الذين طغت صورتهم في هذه الفترة كانوا إما في حالة تحقيق الذات وإثبات الوجود كالمولدين، أو كانوا في حالة البحث عن مواقع سياسية وإجتماعية جديدة وراقية، بعد الكثير من الأعمال والتحركات السياسية التي قاموا بها في فترات سابقة مثل البربر.

أما تسميتنا لهذه الفترة بفترة الازدهار فهي تعود إلى أسباب عديدة، أولها قلة الثورات ضد السلطة، مقارنة طبعا بفترة التأسيس السابقة، وفترة الفتنة فيما بعد في عهد عبد الله بن الأمير محمد (275-300هـ/888م-912م)، إضافة إلى ازدهار النظم السياسية[1] والإدارية والقضائية، ناهيك عن الاستقرار في إختيار الفكر السياسي المناسب للدولة كالإعتماد على المذهب المالكي دون غيره من المذاهب، ولعل حال البذخ الذي عاشته العاصمة قرطبة[2]، وتأثير زرياب على أفرادها[3]، مع هدوء الفقهاء واتفاقهم السياسي والفكري مع الأمير عبد الرحمن، يؤخذان كذلك كأحد وجوه الإستقرار والازدهار.

كما أن وجود نخبة سياسية وعلمية وأدبية في هذه الفترة، والتي كان عبد الرحمن الأوسط أحد مؤسسيها[4]، ومشاركتها في بداية التحضير والتمهيد لنخبة أندلسية متميزة، مثل الفقهاء الذين كانوا بين محافظين كيحي بن يحي الليثي وأصحاب تجديد كبقي بن مخلد، وغيرهم من المتخصصين من العلماء في مختلف العلوم[5]، تعد أيضا من سمات الازدهار، هذا وبدون أن ننسى كثرة الصوائف سواء أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط أو

1- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص 157/ المقري، المصدر السابق، ص 273/ ابن حيان، محمود علي مكي، ص129/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 91/ ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، صص45/47.

2- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص20/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص118.

3- ابن حيان، المصدر نفسه، صص307/336/ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، صص338.

4- يذكر صاحب تاريخ الأندلس الأمير عبد الرحمن الأوسط قائلا: " كان يحفظ القرآن، ويحفظ أزيد من ثلاثة ألاف حديث وكان عارفا بالتعديل والعلم بالأفلاك والفلسفة، وهو أول من أدخل كتب الزيجات وكتب الفلسفة والموسيقى"، ص183/184/ إضافة إلى ما يذكره ابن القوطية من أنه "التزم إكرام أهل العلم وأهل الأدب والشعر في دولته وإسعافهم في مطالبهم، المصدر السابق، ص75.

5- نستدل على هذا بما ذكره ابن صاعد الأندلسي الذي يقول: "..ولنعد إلى ذكر علمائها الذين هم غرضنا من ذكرها فنقول إنه كان وسط المائة الثالثة من تاريخ الهجرة، وذلك في أيام الأمير الخامس من ملوك بني أمية، وهو محمد بن عبد الرحمن، تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم، ولم يزالوا يظهرون ظهورا غير شائع.."، طبقات الأمم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، د، ت القاهرة،، ص85.

ي الأمير محمد[1]، مع تطور السياسة الخارجية مع دول العدوة المغربية والممالك النصرانية[2]، ثم إن ما ذكرناه من بناء المدن من طرف أميري هذه الفترة[3]، لا بدّ وأنه يكس وجود الوقت الكافي للتفكير في ذلك، أما وجود بعض الثورات أو التمردات بالرغم من قلتها، فهذا يكاد يكون أمرا طبيعيا في تاريخ الأندلس ككل[4].

من الواجب ونحن نتناول علاقة البربر السياسية اتجاه السلطة في ظل معادلة لمعارضة والموالاة، أن نكشف عن جوهر أو المحرك الحقيقي لهذه المعادلة السياسية، وإن كنا سابقا قد ذكرنا في فترة التأسيس أن المصلحة سواء السياسية والإجتماعية وحتى الإقتصادية هي من كانت وراء العديد من الثورات التي تعبر عن معارضة السلطة أو ساندتها، فهل كان المحرك في هذه الفترة هو نفسه في الفترة السابقة؟.

قد تحمل الإجابة بالنفي نوعا من الجزم والحكم غير المرغوب فيه، ولكن المتتبع لمراحل التطور الإجتماعي المتفاعل مع التطور السياسي وأثره على موقع الأطراف الأندلسية وبالأخص البربر، سيدرك لا محالة أن الهوية وما تحمله من إشكالات وما تفرزه من عقد وتشابكات على مستوى العلاقات بين الأطراف من جهة، وبين هذه الأخيرة والسلطة من جهة أخرى، هي من كانت وراء كل الأحداث السياسية والإجتماعية، وهي من أثارت أسباب هذه الأحداث، وتحت مفاهيمها وتصوراتها المعقدة أحيانا كانت تظهر النتائج وتتخذ القرارات.

ولتوضيح فعل الهوية وأثرها على البربر بصفة خاصة، وجب علينا في الوقت نفسه، دراسة تأثيرها على المجتمع الأندلسي ككل في ظل التطور التاريخي الذي كون محطات أخرى غيرت من مسار القوافل التاريخية السابقة، ولكن قبل هذا ارتأينا محاولة اكتشاف العوامل المشكلة لمعاني الهوية والمؤثرة فيها، وقبل هذا، لا بدّ وأن الكل يتفق على أن

- ابن حيان، المصدر نفسه، ص298.
- ابن حيان، المصدر السابق، ص410/411/ ابن حيان، محمود علي مكي، ص130/ ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج ص48/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص86/87.
- ابن سعيد المغربي، ص48/ ابن غالب الأندلسي، المصدر السابق، صص284/285/ تاريخ الأندلس، ص192.
- مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ، 1998م، ص49.

تنظوا قلعة رباح وطلبيرة[1] وطلمنكة وحتى مجريط، ستحولهم المدن إلى أفراد مدنيين عوض بقائهم كمحاربين أي حشم، وحتى وإن عارضوا فإن معارضتهم ستكون بشكل مغاير لما كانت عليه المعارضة القبلية، ومن ناحية أخرى فإن هذه المدن ستعرف إختلاطا في العناصر سيحجم من قيمة القبيلة وحتى العشيرة[2]، وإن كان لا يمحوها أبدا، لأن هؤلاء المحاربين وإن تخلوا عن الإنتماء إلى القبيلة حقيقة، فإن الفكر القبلي والذي نعني به التوجه دائما نحو الاستقلال، بقي هو المستحوذ على ألباب هؤلاء[3]، والذي سيتصاعد هو بدوره مشكلا فيما بعد شكلا آخر من أشكال الهوية، ونعني به الحيز الجغرافي أو المنطقة وحتى الجهة، والذي سنسميه حسب تسمية المصادر بالإقليم.

2- **الإقليم**[4]: شكل تمركز العناصر الأندلسية وتجمعها في مناطق معينة كالبربر البرانس بالثغور والمناطق الشمالية[5]، و بعض فئات المولدين بالأطراف، أحد الإنتماءات التي حصلت في الأندلس[6]، خاصة وأن البناء الحضاري أو المعماري بالأندلس كان يخضع إلى عوامل جغرافية كبناء المدن بمحاذاة الأنهار والوديان[7]، أو على سواحل البحار، كما كان يخضع إلى عوامل سياسية كبناء المدن أمام الحواضر أو العواصم التاريخية التي لا تن عن المعارضة والتمرد، والمقتفي آثار الألفاظ أو المصطلحات

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص95.

2- يراجع إشبيلية في التراث العربي، لعبد الواحد ذنون طه، دراسات أندلسية، المدار الإسلامي صص115/140/ عبد المجيد نعني، الإسلام في طليطلة، دار النهضة العربية، د. ت، بيروت، صص19/37.

3- يشبه هذا تماما ما كان بالمشرق، يراجع: نزار محمد قادر النعيمي، الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 1426هـ/2005م، ص84.

4- يعرف ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان الإقليم على حسب جغرافيي أهل الأندلس بأنه: "كل قرية كبيرة جامعة "، ج1، ص26، ولكن ما يذكره عبد الواحد طه من " أن الإقليم أكبر من ذلك بكثير" هو ما نتبناه ونأخذ به، الفتح والاستقرار، ص174/ يراجع ما قاله صاحب تاريخ الأندلس حول قرطبة: " قرطبة هي الغاية ومركز الراية وأم القرى..وقلب الأقاليم "، ص74.

5- يراجع ابن حزم، المصدر السابق، صص 499/501، ولتوضيح الفكرة يراجع ما فصله حسين مؤنس في فجر الأندلس حول نزول البربر التي كونت "خطا واحدا" ص384.

6- مما ساعد على هذا التمركز كذلك هو محافظة الفاتحين كما ذكر عبد الواحد طه، على الطريقة التي كانت مقسمة بها الأندلس إداريا قبل الفتح، والتي تعتبر المدينة – كما يضيف المؤلف نفسه– " النواة لهذا التقسيم الإداري، يتبعها عادة مدن صغيرة ومناطق قرى، وتكوّن المدينة مع توابعها هذه وحدة إدارية ومالية مستقلة "، المرجع نفسه، ولإيضاح الفكرة مرة أخرى، يراجع تاريخ الأندلس، ص87.

7- بهذا الخصوص تراجع الدراسة القيمة لسعيد بن حمادة، الماء والإنسان في الأندلس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007م، ص103/ وبهذا الصدد يراجع مثلا أبذة التي بنيت على مقربة من الوادي الكبير، ومرسية التي بنيت بجانب النهر الأبيض، ابن غالب، المصدر السابق، ص284/ تاريخ الأندلس، ص104.

الجغرافية في المصادر التاريخية سيكتشف ذكر هذه المصادر لإنتماءات جديدة للعناصر الأندلسية، وهي الإنتماء إلى الإقليم، كإقليم الجوف[1] والموسطة والجنوب والثغر الأدنى والثغر الأعلى، وهذا ما كان يؤدي إلى انتشار الثورة في إقليم بأكمله رغم تنوع الجماعات الساكنة به، كما أن هذا الإنتماء هو ما مهد فيما بعد إلى تأسيس ملوك الطوائف التي كانت تستحوذ على إقليم بكامله أو أقاليم عديدة[2]، من مثل بني ذي النون بالثغر الأدنى.

مع ملاحظة جد هامة، وأن الأندلس قد خضعت إلى فكر جهوي خطير تسبب فيه في تكوين صورة لهويات عديدة، وهذا عندما نعلم أن قرطبة كان بها فقه خاص يسمى بعمل قرطبة، لم يكن يمارس إلا بها[3]، وأن قاضيها كان قاضي الجماعة، أي وكأنها وكأنها كانت تخضع إلى أحكام خاصة، وهذا ما يجعلنا نميل إلى أن أهلها كانوا ينتمون إلى هوية أو إنتماء خاص بهم، فهل يعود هذا إلى وجود بيوتات الموالي والتي كانت تستفيد من قربها من العاصمة؟ أم أنها كانت تشبه مركز الخلافة بالمشرق أين كان رجالات العاصمة يتمتعون بغير ما يتمتع به أهل الأمصار الأخرى؟[4].

وهذا التميز كان حاصلا كذلك بالثغور، أين كان سكانه وزعماؤه يتحلون بمنزلة سياسية واجتماعية متميزة، حتى أن ابن حزم كان يسمي رجالات الثغور بالأمراء[5]، ومن يمكن وفي هذا الطرح بالذات، أن يتبادر إلى الذهن أي شكل متميز من الحياة السياسية والإجتماعية كان يتمتع به هؤلاء؟.

كانت الثغور عامرة بالبربر لأنها مثلت منطقة تواجدهم، إضافة إلى بعض المولدين مثل بني قسي وبني عمروس الذين شاركوا البربر في زعامة هذه المناطق[6]، وهؤلاء الزعماء بربرا كانوا أو مولدون، أكثر ما تمتعوا به هو الإستقلال بمواطنهم، والأكثر من ذلك أن هؤلاء كانوا إذا ما صالحوا السلطة بعد ثورتهم ضدها، نرى هذه الأخيرة تسارع

1- ابن حيان، ملشور أنطونية، ص139/ تاريخ الأندلس، ص104.
2- قال مؤلف مفاخر البربر: "وملك إسماعيل بن ذي النون مدينة طليطلة وأحوازها وما إتصل بها من بلاد الجوف والشرق الأندلسية"، ص133.
3- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص488.
4- النعيمي، المرجع السابق، ص125.
5- ابن حزم، المصدر السابق، ص499.
6- نفسه، ص499/500.

إلى هذه المصالحة وترضى بمسالمتهم[1] والرضى بموالاتهم دون معاقبتهم، بل وفي كثير من الأحيان بقبول شروطهم[2]، وإن كنا نعتقد أن هذا الفعل من السلطة كان يحمل الكثير من السياسة.

ب-**العامل الاجتماعي:** من بين الفئات الإجتماعية التي نشطت سياسيا أو كانت الأكثر ظهورا وقوة في أواخر هذه الفترة فئة المولدين[3] الذين ينتمون إلى أولئك الأباء والأجداد الذين اعتنقوا الإسلام مع الفتح وسموا بذلك بالأسالمة أو المسالمة[4]، وكانت بداية ظهورهم ظهورهم القوي من مدينة ماردة بدءا بتمرد عبد الله بن أصبغ بن وانسوس، ثم أكثر ظهورا مع تمرد محمود بن عبد الجبار المصمودي، لتنضج ثمار النشاط السياسي للمولدين مع عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وبالأخص مع عمر بن حفصون من بعده، مع محاولات إستقلال بني قسي وبني عمروس بمناطق الثغر الأعلى.

ومن هنا نعود إلى مسألة قوة أهل الثغر من المولدين، وأسباب مسالمة السلطة لهم في أغلب الأحيان، والتي تعود إلى أن السلطة كانت تحكم بعض المناطق الواسعة من الأندلس إما بعمال تعينهم وفق شروط معينة، كانتمائهم إلى بيوت الموالى، ليعمل هؤلاء كنواب للسلطة في تسيير إدارات المدن والمناطق المتاخمة لها، أو بواسطة أمراء، كأمراء الثغر يحكمون ويسيرون المدن بفضل قوتهم وشرف نسبهم وتاريخهم العريق في الأندلس، إضافة إلى ارتباط رعايا تلك المناطق بهم، والتي شكلت مع مرور الزمن، علاقة متينة

1- الأمثلة على ذلك كثيرة أما في هذه الفترة فيكفي الإستدلال بموقف السلطة أمام موسى بن موسى بن قسي وابنائه من بعده، حيث يذكر العذري: " ثم نقض موسى بن موسى وخلع، فحورب وحوصر حتى سأل الأمان، فانعقد له في سنة ثلاثين ومائتين، ثم ولي سرقسطة سنة ثمان وثلاثين واستقامت طاعته "، المصدر السابق، ص30، يراجع في المصدر نفسه تاريخ هذه الأسرة وعلاقتها بالأمويين، صص29/40.

2- بخصوص هذا يذكر ابن الخطيب وكأنه يجيب على تساءل البعض حول سبب هذه العلاقة بين أمراء بني أمية والثوار الكبار قائلا: " فكان الأمراء من بني أمية، يرون أن اللجاج في أمورهم يؤدي إلى الأضلولة، وفيها فساد الأموال، وتعذر الجباية، وتعريض الجيوش إلى الإنتكاب وأولياء الدولة إلى القتل، ولا يقوم السرور بغلبة الثائر بما يوازنه من ترحة هذه الامور"، المصدر السابق، ص36.

3- يذكرهم أحمد مختار العبادي بأنهم " ثمرة إختلاط وتزاوج الفاتحين بأهالي البلاد الأصليين "، المرجع السابق، ص144.

4- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص127/128/ نعنعي، المرجع السابق، ص262/ يذكر حسين مؤنس أنهم كانوا من طبقات اجتماعية شتى قبل إسلامهم، كان منهم العبيد ورقيق الأرض والزراع وأهل المدن بشتى صنوفهم، ص430.

أفضت إلى موالاة هؤلاء الرعايا لهؤلاء الأمراء، وهذه العلاقة، هي التي أضحت مكان العلاقة التي من المفروض أن تربط وتجمع بين السلطة المركزية وهؤلاء الرعايا[1].

وبالتالي فمن خلال هؤلاء الأمراء سواء البربر منهم أم المولدين استطاعت السلطة الأموية حكم هذه الثغور البعيدة جدا عن مركز السلطة، كما أن ظهور المولدين في هذه الفترة بهذه القوة يعود إلى محاولة إثبات الذات أو الشخصية السياسية كما ذكرنا وتحقيقها على أرض الواقع، وهذا باكتساب موقع هام لهم خاصة وأن شعورهم -إن صح التعبير- القومي كان في ازدياد كبير، بل إن شعورهم بأحقيتهم في الحكم والمشاركة السياسية كانت في حقيقتها تعود إلى احساسهم بأنهم أبناء البلد الأصليين[2]، وهم الأكثر عددا، حتى أن عددهم هذا قد ظهر في تأثر الأندلسيين بهم من خلال انتشار اللغة الرومانسية التي حافظوا عليها، والتي أضحت مع مرور الوقت لغة العامة بالأندلس[3].

1-المستعربون:[4] هم أولئك الإسبان الذين بالرغم من إحتفاظهم بدينهم ببقائهم على نصرانيتهم، فإنهم ذابوا في المجتمع الأندلسي الإسلامي المعرب ثقافة، حتى أضحت اللغة العربية لغة هذه الفئة، مما دفع بالرهبان والقساوسة إلى التعبير عن حزنهم وسخطهم عن هذا الذي وصل إليه المستعربون بنسيانهم للغتهم وتبنيهم للغة المسلمين[5]، ولقد قام هؤلاء سياسيا بالعديد من الأدوار التي كانت دائما تحت غطاء المولدين الذين جمعهم ببعضهم بعض الإنتماء للوطن الأم، وقد كان ظهورهم بنسبة كبيرة على عهد عبد الله بن محمد(275-300هـ)، من خلال مساندتهم لثورة عمر بن حفصون.

1- من الممكن أن يؤخذ ما كتبه ماكيافيلي في كتابه الأمير بكثير من التحفظ، إلا أن بعض فصول الكتاب التي تصف بعض الحالات والظاهرات التي كانت موجودة في إيطاليا، وجدناها مشابهة في كثير من الأحيان لما عاشته الأندلس، خاصة علاقة الأطراف بمركز السلطة، وأخذنا لما ذكره ماكيافيلي ما هو إلا نتيجة إيماننا بتعدد الظاهرات في مجتمعات مختلفة وفي أزمان مختلفة ولو بأشكال وعلاقات مغايرة ترتبط بالبيئة والمجتمع والدين...الخ، ولعل ما ذكره ماكيافيلي دائما في كتابه الأمير من مثل قوله: "أن أفضل وسيلة للحفاظ على دولة حرة بسهولة هي حكمها بواسطة مواطنيها "، يعتبر في نظرنا أحد الأسس التي طبقتها السلطة الأموية في تسيير مناطق البربر والمولدين في الأطراف والثغور وهي الأسس التي من أجلها كانت السلطة ترضى على هؤلاء الأمراء وتحاول إدامة السلم وبقائه معه، نيكولو ماكيافيللي، الأمير، ترجمة: عبد القادر الجموسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2008م، ص50.

2- السيدعبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص129/ نعنعي، المرجع السابق، ص263.

3- نعنعي، المصدر نفسه، 264.

4- حول المستعربين يراجع حسين مؤنس، المصدر السابق، ص425/ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص145.

5- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص192.

2- **العرب:** ربما يكون سؤالنا حول تأثير العرب السياسي في هذه الفترة هو الأكثر إلحاحا، ولكن ما هو أهم هو الكشف عن الموقع الإجتماعي وحتى النفسي للفرد العربي في هذه الفترة بالضبط، ولا يعدو أن يكون موضوع الإندماج الإجتماعي للعرب، والذي أخذ حيزا كبيرا في الكتابات المعاصرة، أحد أهم ما يتناول لأنه الموضوع الذي يعكس حقيقة ما نبحث عنه.

لم يستطع العنصر العربي أن يتخلى إن صح التعبير عن عقدته أو عن العقده التي تمس هويتة وانتماءه العرقي، مما جعله بطريقة أو بأخرى يعبر عن هذا الذي يحمله بطرق شتى، منها على سبيل المثال ما تذكره أغلب المصادر من توزيع أبي الخطار الحسام بن ضرار للشاميين عبر مناطق سميت بأسماء مدن عربية مشرقية[1]، والأمر الذي يظهر ذلك الإرتباط بالمشرق العربي، بل إن هذا الحنين جعل من عبد الرحمن الداخل يبني رصافة تشبه رصافة جده هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723م-742م)

على كل لم ينتهي هذا الحنين الذي تطور إلى عقدة في الفترات الأولى من التاريخ الأندلسي، بل شمل كذلك الفترات المتأخرة، وحتى نكشف عما نقول لابأس من ذكر ظاهرة تسمية الأندلسيين لرجالات العلم والمعرفة وبخاصة الأدب بأسماء المشارقة، كتسمية محمد بن سعيد الزجالي بأصمعي الأندلس[2]، وابن دراج القسطلي بمتنبي الأندلس[3]، بالرغم من أن هذين الأخيرين كانا من البربر، كما أن مجيء زرياب وتأثر الأندلسيين به وبخاصة العرب الذين كانوا يمثلون طبقة راقية من المجتمع الأندلسي، يدل على إرتباط العربي بالمشرق وكل ما يفد منه.

وهذا ما يجعلنا نؤيد ما ذكره الرافعي في قوله: "فكأن عربية الأندلسيين كانت صغيرة في أنفسهم، لنزولها عن العربية العراقية بالمنشأ، فهم يحققونها دائما بالتقليد"[4]، وهذا ما يؤكده الزبيدي حين يصف شعراء الأندلس الذين تأثروا بالعرب المرتبطين

1- بل حتى غرناطة فيما بعد سميت " دمشق الأندلس"، ينظر ابن إسعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص102.
2- ابن حيان، محمود علي مكي، ص82.
3- محمد صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج3، ص 196/195.
4- نفسه، ص199.

البربر، وتدفقهم إلى الأندلس عبر هجرات مستمرة، ثم إحساسهم العميق بأنهم أصحاب الفضل في فتح الأندلس.

كان بقاء إنقسام البربر إلى برانس وبتر حتى بعد دخولهم الأندلس، أحد أكبر الأدلة على حمل هؤلاء لتراثهم الإجتماعي والسياسي والفكري[1] إلى هذه البلاد، إلا أن أكبر ما يميز البربر البرانس عن البربر البتر من خلال موضوع دراستنا هو مولاة البتر للسلطة الأموية وهذا كما ذكرنا آنفا، منذ الفتوحات الأولى لبلاد المغرب وبخاصة زناتة البترية[2]، ومعارضة البرانس لهم بدءا من كسيلة الأوربي ببلاد المغرب، وهكذا ومن خلال هذا التقسيم الإجتماعي ومن خلال تاريخ العلاقة بين هذين الجذمين كما صرح إبن خلدون منذ الفترات الأولى للفتوحات الإسلامية، نكتشف معادلة المعارضة أو الموالاة أو موقف البربر سواء البتر منهم أم البرانس مع السلطة.

ولقد أدى هذا التقسيم الإجتماعى إلى التأثير حتى على الجانب الديموغرافي من حيث توزيع القبائل والعشائر البربرية في الأندلس[3]، ناهيك على أن أكبر العشائر البربرية التي نشطت في الأندلس في فترة الإزدهار هي عشائر البرانس وبالأخص مصمودة، مع العلم، وهذا ما نجده يحمل نوعا من الجدلية في التاريخ الأندلسي أن الكثير ممن كان لهم الصيت الذائع ، ومن تولوا المناصب الرفيعة في السلطة الأموية كانوا من هذه العشيرة، ويكفينا مثلا، يحي بن يحي المصمودي، وسفيان بن عبد ربه الحاجب وغيرهما.

ويعود تولي الكثير من المصامدة للمراتب العليا في السلطة الأموية إلى انتماء الكثير من هؤلاء المصامدة البربر إلى موالي بني أمية الذين هم كذلك كانوا ينتمون إلى هوية أو انتماء خاص بهم، جعلهم ينفصلون عن الروح العصبية والقبلية، ويتحدون مع الموالي من

1- يذكر حسين مؤنس أن "البربر لم يكونوا يقسمون أنفسهم هذا التقسيم الحاد إلى بتر وبرانس لأن ذلك ظهر فيما بعد، عندما سرت عدوى العصبية القبلية من العرب إلى البربر"، المرجع السابق، ص380، وهذا خلل واضح وقع فيه المؤلف لأن ابن خلدون نفسه يشير إلى إنقسام البربر بين شعوب البرانس وشعوب البتر، المصدر السابق، ج6، ص105.

2- يذكر حسين مؤنس، أن القبائل البربرية التي دخلت الأندلس عند الفتح كانت من زناتة، المرجع نفسه، ص379.

3- من أجل معرفة التوزيع القبلي أو العشائري للبربر في الأندلس يراجع: عبد القادر بوباية، المرجع السابق، صص86/106، [illegible] حقي، المرجع السابق، صص65/89/ ذنون طه، الفتح والإستقرار، صص259/284.

أطراف الأخرى[1]، وبخاصة بعدما نعلم أن الموالي بالأندلس كانوا في مرتبة أحسن، بل
قارن مع الموالي ببلاد المشرق[2]، الذين لم يسمح لهم لا بالإندماج الإجتماعي ولا
لمشاركة السياسية .

من خلال هذه العوامل العديدة والمتنوعة التي ذكرناها، والتي أثرت على مفهوم
الإنتماء، نستطيع فهم المواقف السياسية للبربر، وبالتالي تحديد مواقعهم اتجاه السلطة، لأن
البربري الساكن بقرطبة والمنتمي إلى موالي بني أمية، سيختلف موقفه من السلطة الأموية
عن البربري المقيم بالثغر والباحث عن الإستقلال بالمنطقة، ثم إن البربري الذي عاش
وسط منطقة آهلة بالبربر دون الآخرين من العناصر الأندلسية، ستختلف علاقته هو كذلك
عن ذاك الذي ولد وترعرع بإشبيلية، أين كان أجداده من الموالين للعرب اليمنية، كما أننا
نجد كمثال آخر أن البربري البرنسي تختلف علاقته مع السلطة بقرطبة عن البربري
البتري، وهذا بسبب العوامل التاريخية التي مرّ عليها الطرفان بالمغرب، أي قبل فتح
الأندلس، وهكذا نجد أن العوامل التي ذكرناها والمؤثرة في تحديد الفرد لإنتمائه هي من
كانت البوصلة التي تحدد فيما بعد موقفه وعلاقته مع السلطة.

ولإعطاء نفس علمي يعتمد على الدليل المصدري في عمليتنا لتوضيح موالاة البربر
ومساهماتهم في بناء الإمارة الأموية، وجب علينا الكشف عن بعض الأسماء البربرية التي
شاركت وبقوة في الأعمال السياسية والإدارية وكذلك القضائية في كنف الدولة، ولتوضيح
هذه المساهمات ارتأينا أن نستخدم التعريف بالأعلام البربرية لندخل ضمن هذا التعريف
نفسه، أعمال هؤلاء الأعلام ومساهماتهم الميدانية مع إعطائنا لكل خطوة من هذا التعريف
تفسيرا مناسبا يوضح الأسباب والأهداف التي دعت بهذه الشخصية إلى إتخاذ هذا الموقف
السياسي عوض موقف آخر، أو بمعنى مغاير، معرفة ما وراء هذه الموالاة والخدمة داخل

1- حسين مؤنس، نفسه، ص398.

2- أحمد أمين، ضحى الإسلام، المكتبة العصرية، صيد، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، ج1، صص34/40/ لفهم وضعية
الموالي بالمشرق أكثر، يراجع: أحسن الكيلاني، تدوين الحديث، ترجمة عن الأوردية: عبد الرزاق إسكندر، راجعه وخرج أحاديثه:
بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، صص123/127.

ولاة بني أمية؟ مع العلم أن الكثير من الدارسين المعاصرين على حسب علمنا لم يتطرقوا إلى هذه الأسباب وإنما مروا عليها مرور الكرام.

يحي بن يحي المصمودي: يعد يحي بن يحي المصمودي، من أكبر الشخصيات الأندلسية ذكرا في مرحلة الإمارة بسبب تلك الأدوار التي قام بها سواء معارضا لسلطة الحكم الربضي كما رأينا في حادثة الربض، أو مواليا كمفتي ومستشار لعبد الرحمن الأوسط ، وحتى كمسؤول على تولية القضاة ومراقبتهم، وقد جاء في المصادر أنه: يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس بن شملل بن منقايا[1]، من أهل قرطبة، أصله من البربر من مصمودة[2]، ويتولى بني ليث وكثير هو جده، وهو من يكنى بأبي عيسى[3]، وهو الداخل إلى الأندلس، ويعود سبب انتمائهم إلى الليث بن سعد إلى أن وسلاس أسلم على يد يزيد بن عاصم الليثي، ليث كنانة[4].

ذكر القاضي عياض أن يحي بن كثير بن وسلاس، أي والد يحي الفقيه، تولى ولاية الجزيرة وشذونة، وهذا ما يعني أن هذه العائلة قد شاركت في الفتوحات الإسلامية، واشتغلت بأمور السياسة وفي الجيش والإدارة منذ السنوات الأولى من فتح الأندلس، وهذا ربما ما سمح ليحي بن يحي الفقيه أن يطلب العلم ويشتغل بالفقه، ويستطيع فيما بعد أن يرحل إلى المشرق[5]، مع العلم أن العائلة كانت تعرف بالأندلس ببيت أبي عيسى[6].

من الواضح أن يحي بن يحي الليثي قد تربى في بيت من الأكابر إذ كان أبوه وال على الجزيرة، وجده ممن عمل في جيش طارق، كما أنهم كانوا موالين لبني ليث البيت العربي الكبير بالأندلس، ومن جهة أخرى يتضح أن الأسرة كانت ضمن الأسر التي

1- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص341.

2- يذكره القاضي عياض نقلا عن ابن الفرضي في كتابه تراجم القضاة والمحدثين قائلا: " هو يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس بن شمال بن صيفا، يكنى أبا محمد "، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1998م، ج1، ص310./ المقري، المصدر السابق، ج2، ص186.

3- الضبي، المصدر السابق، ص445، ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص431.

4- القاضي عياض، المصدر نفسه، ص 310/ ابن فرحون، المصدر السابق، ص281/ يذكر صاحب مفاخر البربر أن جده وسلاس هو من دخل الأندلس وهو من أسلم على يد يزيد بن عاصم الليثي، ص153.

5- ابن فرحون، المصدر نفسه، ص282/ الحميدي، المصدر السابق، ص346.

6- القاضي عياض، المصدر نفسه، ص310.

سارعت إلى الإسلام، وبالتالي لم يكن من المستبعد من يحي أن يطلب العلم وينشأ نشأة العلماء.

كانت قرطبة لما توفره من بيئة علمية، أحد أكبر العوامل التي ساعدت يحي بن يحي الليثي على طلب العلم، وبخاصة وأنها كانت حاضرة العلم والعلماء، أما وجود زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون[1] في قرطبة، فقد كان السبب المباشر في رحيل يحي بن يحي إلى المشرق، لأنه هو من حفزه على طلب العلم هناك بعد أن "اجتهد في تعليمه"[2].

رحل يحي بن يحي الليثي إلى المشرق أين لقي الإمام مالك هناك بالمدينة بعد أن حج إلى بيت الله الحرام، ولقي في هذه الفترة كذلك الليث بن سعد، وكان هذا اللقاء سنة 179هـ-795م، وهي السنة التي مات فيها الإمام مالك بن أنس[3]، وبعد عودته إلى الأندلس لم يلبث طويلا ليعود مجددا بعد موت أبيه إلى المشرق، حيث لقي جملة من أصحاب مالك الذي لم يلتقي به بسبب موته، وهذا يعني أن ليحي بن يحي رحلتان إلى المشرق" سمع في أولها من مالك والليث بن سعد وابن وهب، وإقتصر في الأخرى على ابن القاسم وبه تفقه"[4].

وهكذا نجد أن يحي بن يحي قد تفقه بالمدنيين والمصريين، ليكون فيما بعد هو وعيسى بن دينار من نشرا مذهب الإمام مالك، وقد انتهى الناس إلى سماع الموطأ من

1- هو أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن القرطبي المعروف بشبطون، الإمام الحافظ المتفنن الجامع بين الزهد والورع فقيه الأندلس، سمع من مالك الموطأ، وهو أول من أدخله الأندلس متفقها بالسماع، وعنه أخذ يحي بن يحي وغيره، مات سنة 193هـ/808م، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1360هـ/2003، ج1، ص94، يذكره عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي ضمن الطبقة الثالثة بعد التابعين من أهل الأندلس، كتاب التاريخ، إعتنى به عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م، ص182.

2- القاضي عياض، المصدر السابق، ص310.

3- حول حياة الإمام مالك، يراجع ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، صص92/130.

4- القاضي عياض، المصدر نفسه، ص310.

بي وأعجبوا بتقليده، فقلدوه واتبعوه[1]، كيف لا وشيخه الإمام مالك قد سماه "عاقل الأندلس"[2].

مكانته العلمية والفكرية بالأندلس: "لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلت الإسلام من الحظوة وعظم القدر، وجلالة الذكر، ما أعطيه يحي بن يحي"[3]، هكذا ذكر ابن الفرضي يحي بن يحي الليثي، ليضيف مرة أخرى قائلا: "فكان إمام وقته وواحد بلده، وكان رجلا عاقلا"[4]، وقد عادت الفتيا بالأندلس قاطبة بعد عيسى بن دينار إلى يحي بن يحي المصمودي، حيث يقول عنه الشيرازي:" إليه انتهت الرئاسة بالأندلس في العلم"[5]، ويذكر صاحب ترتيب المدارك بعض ما قيل فيه من أفواه العلماء حيث ينقل عن إبن باز قوله: "والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت أوقر من يحي بن يحي قط، ما رأيته يبصق، ولا يسعل في مجلسه، ولا يتحرك عن حاله، وكان أخذ بزي مالك وسمته" ويضيف عن إبن عبد البر قوله: "كان يحي إمام بلده المقتدى به، المنظور إليه، والمعول عليه وكان ثقة عاقلا، حسن الهدي[6].

موالاته للسلطة: مما يذكر عن يحي بن يحي الليثي أنه رفض منصب القضاء زمن عبد الرحمن بن الحكم، وقبل أن يعمل كمراقب للقضاة وأحكامهم وأشار لهم بقوله" المكان الذي أنا به لما تريدون خير لكم، أنه إذا تظلم الناس من قاض أجلستموني، فنظرت عليه، وإن كنت القاضي، فتظلم الناس مني، من تجلسون للنظر علي: " من هو أعلم مني أو من هو دوني في العلم"[7]، وبالرغم من ذلك فإن الأمير عبد الرحمن بن الحكم ألزمه

1- نفسه، ص311.

2- الضبي، المصدر السابق، ص445/ الحميدي، المصدر السابق، ص346/ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 432.

3- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص432.

4- نفسه، ص431.

5- القاضي عياض، المصدر السابق، ص312.

6- القاضي عياض، المصدر السابق، ص312 .

7- الخشني، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة- دار المكتب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/1989م، ص31/30.

ضور المسجد، و"أجلسه مجلس الحكم"[1]، وبقي هكذا ثلاثة أيام إلى أن أشار بقاض خلفه.

وقد سمح منصب الفقيه يحي بن يحي وقربه من السلطة له أن يعزل الكثير من القضاة، بعد أن كان هو المسؤول عن توليتهم، مع أن الكثير من هؤلاء القضاة كان لا يخرج عن فتوى ورأي يحي بن يحي، بل إن عبد الرحمن الأوسط نفسه كان لا يخرج عما يراه يحي بن يحي من رأي[2]، حتى أن ابن حيان يذكر "أن عبد الرحمن بن الحكم ظل يلتزم من إعظام زعيمهم يحي بن يحي وقربه، مثل ما يلتزم به معه الإبن البر"[3].

وبالرغم من ذلك فإن عبد الرحمن الأوسط كان يتوجس خيفة من تعاظم قدر الفقيه يحي بن يحي المصمودي، وبخاصة من خلال علاقتة الشديدة مع فقهاء وقضاة قرطبة، من مثل علاقته مع إبراهيم بن العباس القرشي[4]، الذي كان شديد التعلق برأي يحي بن يحي الليثي، الشيء الذي أقلق الأمير عبد الرحمن الأوسط وجعله يستشير عبد الملك بن حبيب، الذي رد عليه: "قد علم الأمير ما بيني وبين يحي بن يحي من التباعد، ولكن لا أقول إلا الحق، ليس يجيء من عند يحي إلا ما كان يجيء مني، فمكانه من الدين مكانه"[5].

مكانه"[5].

ويبالغ ابن حيان في تاريخه عند تصويره لتضايق الأمير من يحي بن يحي الليثي والفقهاء والقضاة الضالعين معه، الذين لا يخالفونه أوامره وطلباته، زاعما أن الأمير عبد الرحمن الأوسط كان يلقبهم بسلسلة السوء[6]، ومع هذا فأخذنا بهذه الرواية يفيدنا في معرفة معرفة قوة يحي بن يحي وهيمنته على الفكر والرأي الدينيين، وعلى معرفة كونه كان

1- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426هـ/ 2006م، ص29.
2- القاضي عياض، المصدر السابق، ص313.
3- ابن حيان، السفر الثاني، ص298/299.
4- هو إبراهيم بن العباس بن عيسى بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، يكنى أبا العباس، إستقضاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم بمشورة يحي بن يحي، فكان محمودا في قضائه، عادلا في حكومته، كانت ولايته سنة أربع عشرة أو خمس عشرة، ابن حيان، محمود مكي، ص 58/ النباهي، المصدر السابق، ص30.
5- ابن حيان، المصدر السابق، ص60.
6- نفسه، ص67.

ربعا يأوي إليه العلماء، وهذا ما يسمح لنا بالقول إن السلطة الأموية كانت تتجه إلى
ي بن يحي تحت عوامل كثيرة.

منها أن تقريبها ليحي هو بمثابة تقريبها للفقهاء عامة، وبخاصة المالكيين الذين كان
ذهبهم هو السائد في الأندلس، وربما تقريب يحي بن يحي المصمودي البربري بالدرجة
أولى هو جذب البربر إلى جهة السلطة، وهذا بدون أن ننسى دور الفقهاء في حادثة
ربض الأولى التي كانت لا تزال عالقة في أذهان الناس والسلطة معا، ولم يكن من المفيد
ن تعيد السلطة ما اقترفته زمن الحكم الربضي، بل عليها إستغلال هؤلاء الفقهاء
الإعتماد عليهم كوسطاء بينها وبين المجتمع.

من بين ما قام به يحي بن يحي لصالح السلطة الأموية مشاركته مع عبد الكريم بن
بد الواحد بن مغيث في غزوة يوم أربونة سنة 177هـ–793م، في أواخر أيام هشام
قال جيش الفرنجة بقيادة دوق طولوشة، الذي أوقع به المسلمون هزيمة منكرة على
ضفاف نهر أوريولة[1]، هذا مع ما ذكرناه سابقا من وساطته سنة 187هـ–802م في
صلح بين الأمير الحكم وعمه عبد الله البلنسي[2].

دور يحي بن يحي في نشر مذهب مالك: يذكر صاحب الجذوة: "أن يحي بن يحي مع
سنه ودينه، كان مكينا عند الأمراء معظما، وعفيفا عن الولايات متنزها، جلت درجته
عن القضاة فكان أعلى قدرا من القضاء عند الولاة"[3]، ويعود سبب عدم تولي يحي بن يحي
قضاء إلى ذكائه لبلوغ طموحه في نشر مذهب مالك، حيث كل ما كان يقوم به لم يكن
خرج عن هذا الإطار، وحتى نلتمس أكثر قيمة تأثير الفقيه يحي بن يحي المصمودي في
تمكين مذهب الإمام مالك لابأس من ذكر نبذة مختصرة عما كان سائدا قبل هذا المذهب.

من خلال ما ذكره ابن عبد البر نستنتج أن الفتيا بقرطبة، كانت تدور في أول أيام
لأمير الحكم الربضي "على شيخ الأوزاعيين صعصعة بن سلام"، حيث "كانت النفوس
بالأندلس دائرة عليه في أيام الأمير الداخل عبد الرحمن بن معاوية، وصدرا من أيام ولده

---

1 ابن حيان، السفر الثاني، ص 193/ القاضي عياض، المصدر السابق، ص 312.
2 ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص70/71.
3 الحميدي، المصدر السابق، ص346، ينظر كذلك بغية الملتمس للضبي، ص446.

بار تفوق المذهب المالكي، وبخاصة عندما رجعت الفتيا فيها إلى رأيه وهذا بدون أن
نسى روايته للموطأ[1]، والتي كانت من أحسن الروايات على الإطلاق.

وحتى نستدل أكثر على دور يحي بن يحي وعمله على إبراز مذهب مالك وهيمنته
في الأندلس، نذكر ما قام به ضد القاضي يحي بن معمر[2]، الذي كان إذا أشكل عليه أمر
من أحكامه وإختلف عليه فقهاء قرطبة، كتب إلى أصبغ بن الفرج بمصر[3]، وهذا ما تسبب
في إيقاع نزاع بينه وبين فقهاء قرطبة، وكان الشديد عليه طبعا رئيس الفقهاء وزعيمهم
يحي بن يحي المصمودي، الذي عزل يحي بن معمر الألهاني إثر إزدياد العداوة بينهما[4]،
فهذا العمل يكشف عن محاولة توظيف يحي بن يحي لفكره المالكي، وجعله من نفسه
مرجعا وحيدا في بلاد الأندلس، حتى وإن كان أصبغ بن الفرج هو نفسه مالكي[5].

أخيرا ومن خلال كل ما ذكرناه نجد أن يحي بن يحي المصمودي كان يهدف إلى
تأسيس مدرسة مالكية حتى تقوم بنشر مذهب الإمام مالك، وتأسيس المدرسة يعني أكثر،
تأسيس مرجع مذهبي، ديني وفكري بالأندلس، ولهذا لم يرضى أن يكون قاضيا بل أراد ما
هو أكبر من ذلك، وهو تعيين القضاة على مذهبه، وإذا كان منصب القاضي منصبا إداريا
له خطورته من جهة السلطة، وأنها كانت تحتار كثيرا قبل اختيار قاضيها، فلا بد من
الإشارة إلى ذلك العقد أو الميثاق الذي كان بين يحي بن يحي المصمودي والسلطة
الأموية، وبخاصة بينه وبين الأمير عبد الرحمن الأوسط، ويعود هذا إلى قيمة الفقهاء
بالأندلس، والذي حتم على السلطة تقريبهم لخدمة مصالحها، وفي الواقع لم يكن من هو
في مستوى الفقيه يحي بن يحي ليقوم بهذا الدور، ولكن ما نعتقده، أن هذا كان تحت

1- ابن حيان، محمود على مكي، ص60/ مفاخر البربر، ص153/ تاريخ الأندلس، ص176/ المقري، المصدر السابق، ج2،
ص186/ يذكر ابن القوطية، أن أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس هو الغازي بن قيس وكان هذا أيام عبد الرحمن الداخل(138-
172هـ)، المصدر السابق، ص56.

2- هو يحي بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أنيف الألهاني، من أهل إشبيلية، ولى قضاء الجماعة بقرطبة زمن عبد
الرحمن بن الحكم، الضبي، المصدر السابق، ص442/ الحميدي، المصدر السابق، ص343/ ابن الفرضي، المصدر السابق،
ص430.

3- النباهي المالقي، المصدر السابق، ص60/ الخشني، المصدر السابق، ص106.

4- نفسه، المصدر السابق، ص61/ الخشني، المصدر نفسه، ص107/106/ ابن حيان، المصدر السابق، ص55.

5- هو أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع: فقيه، من كبار المالكية بمصر، توفي سنة 225هـ-840م، ابن خلكان، المصدر
السابق، ج1، ص240.

شروط والتي كانت كلها ترمي إلى تأطير المذهب المالكي بالأندلس وترقيته، وهذا ما دفع ابن حزم إلى القول أنه" لا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه"، وهذا فقط حتى يبلغ مبلغه.

توفي الفقيه العالم يحي بن يحي المصمودي سنة 234هـ-848م[1]، بعد أن ترك أبناء ورثوا علمه وفقهه، الشيء الذي مكنهم هم كذلك من العمل في مناصب القضاء والإدارة وغيرها من الميادين الإدارية وحتى المشاركات العسكرية، مكونين بدورهم بيتا من أكبر البيوتات الأندلسية.

عباس بن ناصح الجزيري: يذكر ابن حيان أن عصر الحكم الربضي قبل حادثة الربض كان "من أوثق أعصار الخلفاء المروانيين وأنبهها: فيه ظهر العلماء والشعراء والأدباء، مثل عباس بن ناصح الثقفي الشاعر الجزيري، فحل شعراء الأندلس المتفنن في جميع العلوم"[2]، وهو عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي[3].

كان ناصح والد عباس الشاعر عبدا أخذه السباء، لتشتريه مزاحمة بنت مزاحم بن محمد الثقفي الجزيري[4]، سنة 165هـ-781م، ولم يبقى يذرف وهو الاسم الحقيقي السابق لناصح قبل سبيه عبدا، لأن مولاته أعتقته، بل والأكثر من ذلك "زوّجته وحبّست عليه ضيعتها"[5]، ويذكر ابن حيان على ما جاءت به ألسنة أبناء وأحفاد عباس بن ناصح أن يذرف جدهم من أوربة شلاش من أقوام يعرفون ببني عبد الرحمن[6].

يذكر ابن الفرضي أن عباس بن ناصح كان شاعرا مفلقا، إذ يعرّفه قائلا:" كان عباس من أهل العلم باللغة العربية، وكان جزل الشعر يسلك في أشعاره مسالك العرب القديمة"[7]، وجعله القفطي ضمن طبقات النحويين بالأندلس[1]، وقد بلغ ولع عباس بن ناصح

1- مفاخر البربر، ص153/ الضبي، المصدر السابق، ص446/ ابن حيان، محمود مكي، ص83.
2- ابن حيان، السفر الثاني، ص231.
3- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص239/ يؤكد صاحب مفاخر البربر إنتمائه إلى مصمودة قائلا:" عباس بن ناصح المصمودي الشاعر"، المصدر السابق، ص155.
4- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، 324.
5- ابن حيان، السفر الثاني، ص234.
6- نفسه.
7- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص238

سح بالشعر إلى حدّ جعله يرتحل إلى بغداد من أجل ملاقاة الحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس.

ولقد فصل الزبيدي أيما تفصيل، على لسان عباس بن ناصح عند إلتقاءه بأبي نواس، ولعل أبلغ ما نأخذه عنه هو إعتراف أبي نواس بقريحة ضيفه قبل أن يعرفه حين خاطبه قائلا: "شاعر البلد- أي الأندلس- اليوم، عباس بن ناصح، قلت: نعم، قال: فأنشدني له"، مع العلم أن مكوث عباس ببغداد في ضيافة أبي نواس دام مدة عام كامل[2]، ويكفينا استدلالا على مكانته الشعرية في الأندلس، أنه كان دائما يؤخذ بنقده أو إعجابه لأبيات شعرية تقال، ومنها رأيه في شعر الحكم الربضي نفسه[3].

إضافة إلى هذا، فقد كان لعباس بن ناصح "حظ من الفقه والرواية وإن لم تشهر عليه لغلبة الشعر عليه"[4]، وربما هذا ما جعل ابن حيان يصفه بالمتفنن في جميع العلوم، وقبل أن نتناول مساهمة عباس بن ناصح في العمل القضائي للسلطة الأموية، والذي يمثل أحد أوجه موالاة البربر لها، علينا أن نذكر بأن هذا الأخير قد رحل مع أبيه وهو صغير إلى المشرق "حيث نشأ بمصر وتردد بالحجاز طالبا للغة العرب، ثم رحل أبوه إلى العراق فلقي الأصمعي وغيره من علماء البصريين والكوفيين"[5]، مما يعني أن عباس بن ناصح قد نشأ في بيئة خاصة، مليئة بالترحال ومعرفة رجال الأدب والمعرفة، وهو الشيئ الذي أهله للوصول إلى ما وصل إليه.

1- القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1424هـ/ 2004م، ج2، ص365.

2- الزبيدي، المصدر السابق، ص262/263/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص57.

3- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص48/ أخبار مجموعة، ص121.

4- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص239/ وهذا ما يؤكده صاحب مفاخر البربر ولو بطريقة غير مباشرة حين يقتبس من أبي [illegible] عتيق بن خلف الذي يذكر عباس بن ناصح في كتابه" كتاب الافتخار بمناقب فقهاء القيروان"، أي أنه كان يعد من طبقات الفقهاء، ص155.

5- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص238/ يذكر صاحب مفاخر البربر أنه "لقي جماعة من العلماء" وهذا دون أن يذكر أسماءهم أو أوطانهم، ص155.

موالاته للسلطة: اشتغل عباس بن ناصح زمن الحكم الربضي قاضيا على الجزيرة الخضراء وشذونة[1]، حيث يحدد صاحب مفاخر البربر عدد سنوات اشتغال عباس لهذا المنصب بسبع سنوات[2]، ولم تختصر موالاة عباس بن ناصح للسلطة الأموية في العمل كقاض فقط، بل استخدم قريحته الشعرية كذلك في الذود عن هذه السلطة في عدة مواقع، منها ما حرّض به الأمير الحكم الربضي عندما كان مرابطا بالثغر من ناحية وادي الحجارة، أين كانت المرابطة على الثغور "عادة له"[3]، فعند مقامه هناك، سمع باستغاثة امرأة وما فعله النصارى بمسلمي تلك المنطقة، فما كان عليه سوى أن أنشد أبياتا أولها:[الطويل]

تململت في وادي الحجارة مسهرا   أراعي نجوما ما يردن تغــورا

إليك أبا العاصي نضيت مطيتي   تسيــر بهم ساريــا ومهجــرا

تدارك نســاء العالمين بنصرة   فإنك أحرى أن تغيث وتنصرا[4]

وهكذا ما إن سمع الحكم الربضي شاعره عباس بن ناصح يلقي أبياته هذه أمامه عند عودته إلى قرطبة، حتى كان يقود جيشه وهذا بعد ثلاثة أيام فقط، ليخرج قاصدا وادي الحجارة ومعه شاعره وملهب حماسه، وقبل أن نذكر نتيجة خروجه، لا بدّ من إدراج ملاحظة، وهي أن وجود عباس بن ناصح بمنطقة وادي الحجارة الآهلة بالبربر، قد يشعرنا بذلك الدور الذي كان يقوم به أمثال عباس من البربر الموالي، أمام بني عمومتهم ممثلين عن السلطة الأموية، أي أن هذه الأخيرة كانت تختارهم أمام ما يواجهها اتجاه البربر، وقد يكون هذا احدى الصور المعادة لما فعله يحي بن يحي المصمودي من قبل، عند تمثيله للحكم الربضي عند بربر بلنسية الذين احتضنوا عمه عبد الله البلنسي، وتضيف

1- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص238/ الزبيدي، المصدر السابق، ص262/ القفطي، المصدر السابق، ص365/ ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص324.

2- مفاخر البربر، نقلا عن أبي بكر عتيق بن خلف في كتابه كتاب الافتخار بمناقب فقهاء القيروان، ص155.

3- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص73/ ابن حيان، المصدر السابق، ص231.

4- المقري، المصدر السابق، ج1، ص269/ تاريخ الأندلس، ص179.

المصادر التي ذكرت هذا الحدث، أن الحكم قد اقتص للمرأة المستغيثة به ومسلمي تلك المنطقة[1]، والذي من المحتمل جدا أنهم كانوا من بربر الثغور.

نجد من بين ما نستفيد به من خلال هذه الحادثة، أن عباس بن ناصح القاضي كان يخرج للثغور للغزو، وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقا أن أصحاب المراتب من الفقهاء والقضاة وحتى الوزراء كانوا يخرجون برسم الجهاد والغزو[2] هذا من جهة، ومن جهة أخرى نعيد التذكير بأن السلطة الأموية كانت ترسل للأماكن الآهلة بالبربر بربريا من مواليها وعمالها، أي رجلا من العنصر نفسه، وهذه السياسة التي رأيناها سابقا حتى مع يحي بن يحي المصمودي في وساطته بين الأمير الحكم الربضي وعمه عبد الله البلنسي لم تكن في حقيقتها سوى لوجود هذا لأخير في رحاب بربر بلنسية الذين التفوا حوله، لنعيد إحتمال وجود عباس بن ناصح كممثل للسلطة عند بربر منطقة وادي الحجارة.

وبرهاننا على ما أسلفنا ذكره، هو ما تردد من خطاب بين الأمير الحكم وقاضيه وشاعره عباس بن ناصح، بعد أن ثأر للمرأة إذ قال له:" سلها: هل أغاثها الحكم؟" فهذا في حقيقته ما يدل على أنها كانت بربرية، فلو كانت امرأة عربية ما إحتاج الأمير الحكم إلى وسيط بينه وبين المرأة[3].

ومن بين ما قام به عباس بن ناصح، وهو يدور كذلك في فلك النصح للسلطة الأموية التي ينتمي إليها، والعمل من أجل الدفاع عنها، نداؤه للحكم الربضي مرة أخرى عندما انتشرت بالجزيرة الخضراء "طائفة تدين بدين الخوارج وتدعو إليه، حيث تلفف

1- تاريخ الأندلس، ص179/180/ ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص271/ المقري، المصدر السابق، ج1، ص270/ من المعقول جدا أن يبادر الحكم الربضي إلى النجدة والذود عن رعيته في الثغور ولكن ما نراه يحمل نوعا من الخيال في هذه الرواية والذي نأخذه بكل تحفظ، هو استصراخ تلك المرأة للحكم قائلة:" واغوثاه، يا حكم" وهذا في اعتقادنا محاولة منافسة بني أمية للعباسيين الذين نوه مؤرخو المشرق بما قام به خليفتهم العباسي المعتصم(218-227هـ)، في عمورية حينما إستنجدته هاشمية صارخة" وامعتصماه"، ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص322. مع العلم أن المنافسة والغيرة بين الدولتين في إعلاء الذكر كانت تتمثل كثيرا على ألسنة مؤرخي الدولة الأموية بالأندلس.

2- ابن حيان، السفر الثاني، ص 193/ ابن حيان، محمود على مكي، ص99 وص200.

3- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 270/ تاريخ الأندلس، ص180.

إليهم جمع عظيم وعملوا على قتال الجماعة"[1]، وقد كان نداءه كعادته شعرا يبدأه قائلا: [البسيط]

صُلْ بِالأَفِـيلِ الذِّي رَبُّـوا لِفِتْنَتِهِمْ   مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْحَـلُوهُ نَحْـوَنَا جَذَعَا[2]

وكانت استجابة الحكم الربضي لهذا النداء سريعة، حيث أتى الجزيرة بنفسه، وحارب أهلها على حين غرة منهم.

وهذه الرواية تحمل لنا معطيات جد مهمة، وهي جود الإباضية بالجزيرة الخضراء بالأندلس، خاصة وأن الجزيرة كانت قريبة من العدوة المغربية، كما أن العلاقات التجارية التي كانت بين الدولتين الرستمية والأموية بالأندلس قد سمحت بتواجد، وممكن جدا باستيطان الخوارج بهذه المدينة، مما جعل الموالين للأمويين وعمالهم- والذي يعتبر عباس بن ناصح أولهم بصفته "رئيس أهل الجزيرة وعين الأمير الحكم فيهم"[3]- يطلقون صفارة الإنذار خشية انتشار الخارجية بصفة عامة مستقبلا بالأندلس[4]، وهذا ما يجعلنا نلتمس أحد أسباب تمسك السلطة بالمذهب المالكي السني والمحافظة عليه والترويج له، والذي يعد في حد ذاته مناعة ومقاومة لمذاهب الخارجية، وأقوى في نتائجه من السلاح والحرب.

وأخيرا ما يثبت قيمة عباس بن ناصح الجزيري البربري عند الخلفاء والأمراء "الذين كانوا يستنصحونه فيما عن بجهته"[5]، هو ذكر الأمير الحكم الربضي نفسه لاسم عباس أي مخاطبته باسمه، والذي يعتبر دليل آخر على أنه كان أحد خاصته، وهذا عندما استصرخ المرأة وسكان وادي الحجارة إذ يقول: [الطويل]

أَلَمْ تَرَى يَا عَبَّاسُ أَنِّي أَجَبْتُهَا   عَلَى البُعْدِ أَقْتَادُ الخَمِيسَ المُظَفَّرَا

1- ابن حيان، السفر الثاني، ص232/ ينظر كذلك ابن القوطية، المصدر السابق، ص67.

2- نفسه، المصدر نفسه، ص233/ ابن القوطية، نفسه، ص68.

3- نفسه، ص232.

4- وهذا ما حدا بإبراهيم بن قطن المهري الإباضي إلى هجاء عباس بن ناصح، مع العلم أن عباس بن ناصح ومن خلفه من أعقابه كانوا على المالكية، تراجع الأبيات عند ابن حيان، السفر الثاني، ص235، أما إبراهيم بن قطن فترجمته عند الزبيدي، المصدر السابق، ص229.، حول مالكية عباس وابنائه، يراجع ابن الفرضي، المصدر السابق، ص230 ويراجع بالأخص محمد بن عبد الوهاب بن عباس، الذي" كان بصيرا بالفتيا على مذهب مالك – رحمه الله- وأصحابه"، ص327.

5- ابن حيان، المصدر نفسه، ص235.

فَأَدْرَكْتُ أَوْطَارًا وَبَرَّدْتُ غِلَّةً وَنَفَّسْتُ مَكْرُوبًا وَأَطْلَقْتُ مُؤْسِرًا[1].

ولم تكن قيمة ومكانة عباس بن ناصح كبيرة عند الأمير الحكم الربضي فحسب، بل تكون تعدتها عند الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888م-912م) حيث يذكر ابن حيان نقلا عن أحد أدباء وبلغاء الأندلس قوله: "عنيت بشعر عباس بن ناصح شديدا، وقصدت الجزيرة بلده إلى بعض ولده، فرويته عنه وثقفته، وعلى ذلك، فلم أبلغ منه إلا ما بلغه الأمير عبد الله حفظا له وتنويها لفنونه وإدراكا لغيبه، ولقد كان يعرف الذي قيل منه بالمشرق، بينه وبين الذي قاله بالأندلس، ويحكي من أخبار عباس ما لا يحكيه أهله ولا رواته"[2].

أخيرا ما قدمه عباس بن ناصح للأندلس قد يعتبر أكثر مما قدمه للسلطة الأموية[3]، فهو إضافة على الكتب التي كان يحملها إلى الأندلس بطلب من الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي كان يبعثه خصيصا "إلى بغداد بالأموال ليشتري له منها كل غريب" كان كما يصفه إبن حيان" منجب الولادة"[4]، حيث ورث الأبناء عن أبيهم الشعر والفقه ومناصب القضاء، فكانوا "ثلاثة قضاة علماء شعراء أدباء ذوي شرف ونباهة"[5]، وهذا ما يعني أن عباس قد ترك هو الآخر مثله مثل يحي بن يحي المصمودي وغيره من البربر بيتا من بيوت الموالى الذي دامت خدمته لبني أمية سنوات طوال.

مساهمة البربر في نظم الكتابة: كان منصب الكتابة[6]، أحد أهم المناصب التي تولاها تولاها البربر، وهو منصب مهم "على صاحبه أن يكون من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة"[1].

1- تاريخ الأندلس، ص180، يذكر المقري في نفح الطيب، عجز البيت الثاني بـ: ونفست مكروبا وأغنيت معسرا، ج1، ص270.

2- ابن حيان، ملشور أنطونية، ص36.

3- تاريخ الأندلس، ص187.

4- ابن حيان، المصدر السابق، ص234.

5- نفسه، نفسه، ص234/ الزبيدي، المصدر السابق، ص262/ ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 324/ يترجم ابن الفرضي، لابناء عباس بن ناصح فعبد الوهاب يذكره في ترجمة تحت رقم 843، ص230، ويذكر ابن هذا الأخير وهو عبد الوهاب بن عبد الوهاب بن عباس في الصفحة نفسها، في ترجمة رقم 844، كما أنه ذكر محمد بن عبد الوهاب بن عباس، تحت ترجمة رقم 1210، ص327.

6- ينظر حول وظيفة الكتابة، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص259/260.

يعتبر حجاج المغيلي من بين من عرف من البربر في وظيفة الكتابة، وهو من السابقين في هذا الميدان، يذكره ابن حيان ضمن أحد الثلاثة الذين كانوا "نمطا واحدا في البلاغة والشعر والطرف والنبل"[2]، ويضيف مادحا إياه في مكان آخر" وحجاج المغيلي كاتب نحرير، كتب عن الأمير الحكم، وأدرك أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وكان مترسلا مطبوعا، وشاعرا مجيدا، وفحلا حاذقا،"[3].

بالرغم من أننا لم نستطع الحصول على نسب حجاج المغيلي بصفة أدق، فإن إضافة نسب المغيلي إلى إسمه، قد تظهر ربما انتمائه إلى مغيلة[4]، ولكن ما يمكننا الإعتماد عليه هو كونه من موالى بني أمية، خاصة وأن عبد الرحمن الداخل كان لاجئا عندهم بالمغرب قبل دخوله الأندلس[5]، ومهما يكن فقد كان حجاج المغيلي أول من إبتدأ العمل في هذه الوظيفة من البربر، وتعتبر قيمة حجاج المغيلي عند بلغاء وشعراء الأندلس عالية حتى أنهم كانوا يضربون به المثل في بلاغته وقوة كتابته، ويكفيه فخرا، سماعه قبل وفاته في سنة 198هـ- 813م مديح الشاعر مؤمن بن سعيد له[6]، والذي يقول فيه:

وشرواه المحكك في المعاني وفي الإملال حجاج المغيلي[7]

محمد بن سعيد الزجالي: كان بيت بني الزجالي من البيوتات الأندلسية التي تولت وظيفة الكتابة عصر الدولة الأموية، وقد توارث أفرادها مناصب إدارية رفيعة إضافة إلى هذه الوظيفة، كوظيفة الوزارة.

يبدأ تاريخ هذا البيت بمؤسسه محمد بن سعيد الزجالي، وهو محمد بن سعيد بن أبي سليمان، واسمه وارشكين[1]، وهو من بني يطوفت[2] من نفزة[3]، المنتمين إلى البربر البتر[4]،

1- نفسه، ص260.
2- ابن حيان، السفر الثاني، ص191.
3- ابن حيان، المصدر السابق، ص195/196/ ينظر ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص44.
4- حول قبيلة مغيلة البربرية، يراجع ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص148.
5-ابن خلدون ، المصدر نفسه، ص148.
6- مؤمن بن سعيد، شاعر مشهور، كثير الشعر، ذكر شعره صاحب كتاب الحدائق، الحميدي، المصدر السابق، ص319/ الضبي، المصدر السابق ص411/ يترجم له ابن سعيد المغربي ترجمة مفصلة حيث يذكر أنه فحل شعراء قرطبة، وأنه رحل إلى المشرق فلقي أبا تمام الطائي وروى عنه شعره، توفي سنة 267هـ-880م، المصدر السابق، ج1، ص132/133.
7- ابن حيان، المصدر السابق، ص196.

البتر[4]، وتجتمع المصادر على أن مؤسس البيت كان أحد الأعلام البارزين في اللغة والأدب وهذا" وذلك لذكائه وقوة حفظه حتى أنه لقب بالأصمعي"[5]، بل إن إبن الأبار يضعه عند مقارنته برجالات الأدب بالمشرق- بعد أن صرح بأنه "أول من رأس من هذا البيت وجل في الكتابة وأورثها عقبه"[6]- في طبقة أحمد بن يوسف[7]، وابن الزيات[8] وهذا" لنباهته ورياسته بعلمه وبيانه"[9].

عمل محمد بن سعيد الزجالي بفضل ثقافته ومعارفه الواسعة كاتبا عند الأمير عبد الرحمن الأوسط، مع العلم أن وظيفة الكتابة العليا هذه كانت من أخطر المناصب وأعظمها في السلطة الأموية، وقد لا تقل في خطورتها عن مرتبة الوزارة[10]، وسبب تولي محمد بن سعيد الكتابة كما تذكره المصادر لا نستطيع الأخذ بها إلا بكثير من التحفظ، ومختصرها

1- نفسه، محمود مكي، ص32/ يذكره أبو الوليد بن الفرضي فيقول: "هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن موسى بن عيسى الزجالي "نقلا عن ابن حيان المصدر السابق، ص33

2- "هم بنو يطوفت بنو نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك، وبطونهم كثيرة مثل غساسة ومرنيسة وزهيلة وسوماتة وزاتيمة وولهاصة ومجرة "، ابن خلدون، ج6، ص135/ ينظر كذلك ابن حزم، المصدر السابق، ص497.

3- نجد أن ابن حزم ينسبهم إلى مديونة فهو يقول" وكان نفر منهم –أي من مديونة- بقرطبة: منهم بنو الزجالي الوزراء"، وهذا بالرغم من أنه يذكر بيوتا من بني يطوفت بن نفزاو، المصدر نفسه، ص500/ أما ابن سعيد فيذكر أنهم "من بني يطفت بربر تاكرنا، المصدر السابق، ج1، ص330.

4- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، صص134/135/ مفاخر البربر، ص172/أما ابن الفرضي فيذكرهم بنوع من التعميم قائلا". هو فخذ من بتر البرابر بالأندلس" نقلا عن ابن حيان، المصدر نفسه، ص33.

5- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص330/ ابن حيان، محمود مكي، المصدر السابق، ص35/ ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص174/ أما الأصمعي فهو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع، توفي سنة216هـ- 831م، ترجم له الزبيدي ترجمة طويلة، يراجع طبقات النحويين واللغويين، صص167/174.

6- ابن الأبار، المصدر السابق، ص174.

7- يذكره الجاحظ" في رجال من أدباء الناس وعلماءهم"، البيان والتبيين، المجلد الأول، ج2، ص216/ أما ابن الأبار فقد ترجم له ترجمة رائعة وفيه يقول:" ولم يكن في زمن أحمد بن يوسف أكتب منه، وشعره يرتفع عن أشعار الكتاب، وهو أحد من رأس ببلاغته وبيانه"، المصدر السابق، ص113/ يراجع كذلك الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1426هـ/2005، ج5، ص179، مع العلم أن وفاة أحمد بن يوسف الكاتب كانت سنة213هـ، وكان قد وزر للمأمون.

8- هو محمد بن عبد الملك الزيات(173-233هـ)، يذكره ابن الأبار قائلا:" كتب للمعتصم ووزر له ولابنه الواثق بعده خلافته كلها وأياما يسيرة من خلافة المتوكل وهو أحد من رأس بعلمه وبيانه وبلاغته"، المصدر نفسه، ص133/ وللمزيد من التفاصيل حول ابن الزيات يراجع، الطبري، المصدر السابق، ج5، ص294/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص335/336/ المسعودي، المصدر السابق، ج4، ص85.

9- ابن الأبار، المصدر السابق ص174/ ابن حيان، محمود علي مكي، ص33.

10- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، حاشية ص140، حيث يذكر حسين مؤنس حول هذه الوظيفة: " كانت خطة كبرى تجعل صاحبها في عداد الوزراء"

ن الأمير عبد الرحمن الأوسط وفي غزوة من غزواته عثرت به دابته وكاد يسقط، فتمثل بالبيت الشعري:[الطويل]

وَمَا لَا تَرَى مِمَّا يَقِيَ الله أَكْثَرَ[1]

وطلب صدر البيت، بعد أن أقلقه، فلم يكن في العسكر كله من أجاب الأمير سوى محمد بن سعيد هذا، والذي اشترط قبل هذا، أن تكون إجابته للأمير مباشرة[2]، وهذا ربما حتى يستفيد من هذه المقابلة، التي كانت بالنسبة له تعتبر فرصة لن تعوض، على كل، أجاب محمد بن سعيد الأمير محمد وذكر صدر البيت وهو:

تَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُتَّقَى فَتَهَابُهُ[3]

فأعجب الأمير عبد الرحمن بمحمد بن سعيد الزجالي كما تذكر المصادر، "وراقه بيانه فاستخدمه"[4]، إلا أن مهمة محمد بن سعيد في هذه الآونة لم تكن سوى" كاتبا لوزرائه إشراكا لهم فيه"[5]، وهذا ما لم يرضي طموحه ويروي ضمأه للمعالي، كيف لا وهو الذي كان "أحد عجائب الدنيا في قوة الحفظ، حتى أنه كان يضرب بحفظه الأمثلة"[6] ناهيك عن قدراته ومواهبه في الأدب والبيان.

ولم يلبث محمد بن سعيد ونفسه إلى المعالي تسمو، أن بعث إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، يطلب منه الترقية في الخدمة بكتاب بالغ البيان يقول له فيه: "إن من وسم بميسم كتابته- أعزه الله- وشرّف باسمها لجدير أن يعتلي عن كتابة وزرائه، ويزدهي بحصانة أسراره"[7]، وقد تحصل محمد بن سعيد الزجالي على مبتغاه، والأكثر من ذلك قد خلف بيتا مجيدا من بيوتات الأندلس نال أفراده الكتابة والوزارة والذكر الحميد.

1- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص330/ البيت عند ابن حيان: وما لا يرى مما يقي الله أكثر، المصدر السابق، ص34/ أما عند ابن الأبار في إعتاب الكتاب: وما لا ترى مما يقي الله أكبر، ص174.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص34

3- البيت عند ابن الأبار: نرى الشيء مما نتقي فنهابه، المصدر السابق، ص174/البيتان الشعريان موجودان عند المقري، كما ذكرهما ابن سعيد المغربي، يراجع المقري، المصدر السابق، ج4، ص314.

4- ابن الأبار، المصدر السابق ص174/ المقري، المصدر السابق، ج4، ص 314.

5- ابن حيان، المصدر نفسه ص34/ ابن سعيد المغربي، المصدر نفسه، ج1، ص330.

6- ابن حيان، المصدر نفسه، ص35/ ابن سعيد المغربي، المصدر نفسه، ج1، ص330.

7- ابن حيان، المصدر السابق، ص35 / ابن حيان، المصدر السابق، ص331.

ن الأمير عبد الرحمن الأوسط وفي غزوة من غزواته عثرت به دابته وكاد يسقط، فتمثل

بالبيت الشعري:[الطويل]

وما لا ترى مما يقي الله أكثر[1]

وطلب صدر البيت، بعد أن أقلقه، فلم يكن في العسكر كله من أجاب الأمير سوى

محمد بن سعيد هذا، والذي اشترط قبل هذا، أن تكون إجابته للأمير مباشرة[2]، وهذا ربما

حتى يستفيد من هذه المقابلة، التي كانت بالنسبة له تعتبر فرصة لن تعوض، على كل،

أجاب محمد بن سعيد الأمير محمد وذكر صدر البيت وهو:

ترى الشيء مما يتقى فتهابه[3]

فأعجب الأمير عبد الرحمن بمحمد بن سعيد الزجالي كما تذكر المصادر، "وراقه

بيانه فاستخدمه"[4]، إلا أن مهمة محمد بن سعيد في هذه الآونة لم تكن سوى" كاتبا لوزرائه

إشراكا لهم فيه"[5]، وهذا ما لم يرضي طموحه ويروي ضمأه للمعالي، كيف لا وهو الذي

كان "أحد عجائب الدنيا في قوة الحفظ، حتى أنه كان يضرب بحفظه الأمثلة"[6] ناهيك عن

قدراته ومواهبه في الأدب والبيان.

ولم يلبث محمد بن سعيد ونفسه إلى المعالي تسمو، أن بعث إلى الأمير محمد بن عبد

الرحمن الأوسط، يطلب منه الترقية في الخدمة بكتاب بالغ البيان يقول له فيه: "إن من

وسم بميسم كتابته- أعزه الله- وشرّف باسمها لجدير أن يعتلي عن كتابة وزرائه،

ويزدهي بحصانة أسراره"[7]، وقد تحصل محمد بن سعيد الزجالي على مبتغاة، والأكثر من

من ذلك قد خلف بيتا مجيدا من بيوتات الأندلس نال أفراده الكتابة والوزارة والذكر

الحميد.

1- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص330/ البيت عند ابن حيان: وما لا يرى مما يقي الله أكثر، المصدر السابق، ص34/ أما عند ابن الأبار في إعتاب الكتاب: وما لا ترى مما يقي الله أكبر، ص174.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص34

3- البيت عند ابن الأبار: ترى الشيء مما نتقي فنهابه، المصدر السابق، ص174/البيتان الشعريان موجودان عند المقري، كما ذكرهما ابن سعيد المغربي، يراجع المقري، المصدر السابق، ج4، ص314.

4- ابن الأبار، المصدر السابق ص174/ المقري، المصدر السابق، ج4، ص 314.

5- ابن حيان، المصدر نفسه ص34/ ابن سعيد المغربي، المصدر نفسه، ج1، ص330.

6- ابن حيان، المصدر نفسه، ص35/ ابن سعيد المغربي، المصدر نفسه، ج1، ص330.

7- ابن حيان، المصدر السابق، ص35 / ابن حيان، المصدر السابق، ص331.

من بين الملاحظات التي نرى أنفسنا أمام حتمية ذكرها وطرحها إن صح التعبير فوق طاولة التشريح لمناقشتها، هي كيفية وصول أو بلوغ محمد بن سعيد وظيفة الكتابة في سلطة الأمير عبد الرحمن بن الحكم، ونقصد بها الكيفية التي تذكرها بل وتتواترها المصادر، والتي غاية ما يفهم منها أن الصدفة هي التي كانت أو لنقل بيت من الشعر هو من كان السبب في تولي وظيفة الكتابة، ثم تولي كتابة سر الأمير نفسه، بل والأكثر من هذا يكون السبب في تأسيس بيت دام مجده لسنوات طوال.

من خلال تعاملنا مع شخصيات أمراء بني أمية وتعاطينا لسياستهم، لا يظهر البتة أن الصدفة أو الأسباب الواهية، كتلك التي تدخل في باب القصص والأخبار، هي من كانت عتبات وصول رجالاتهم إلى السلطة أو الخدمة في المناصب الرفيعة، بل كان الاختيار بعد الإختبار، هو الأهم وهو المنطلق في العمل واعتلاء المناصب[1]، وبالتالي لم يتمكن محمد بن سعيد الزجالي في واقع الأمر أن يتخطى أهل البلاغة والأدب في بلاد الأندلس إلا لما كان يملكه من مواهب وقدرات تؤهله لهذا المنصب وهذه المكانة.

ثم إذا كان الزجالي قد عرف في أوساط الأندلس الأدبية والعلمية بأنه أصمعي الأندلس ألم يكن في هذه الحالة جديرا بأن تستفيد منه السلطة الأموية، أم أن بيتا شعريا هو من كان وراء إكتشاف الرجل ومواهبه؟ ثم كيف نتغافل عن شيوخه ومؤدبيه الذين كانوا في تلك الفترات ينوهون بمريديهم وطلبتهم لتستفيد منهم السلطة فيما بعد وتستغل معارفهم، أو لم يكن فقهاء وقضاة السلطة الأموية سوى أولئك الذين علا ذكرهم وصيتهم في المجتمع قبل حتى اعتلائهم المناصب؟ ألا يمكن إذن أن يكون محمد الزجالي أحدهم، وأن صيته سبقه إلى أسماع الأمير عبد الرحمن حتى قربه واصطنعه كما يقول ابن حيان: "وكان أول من اصطنعه فاستكتبه، الأمير عبد الرحمن بن الحكم"[2].

1- يلاحظ جيدا مثلا ما فعله الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط حيث يذكر ابن حيان قائلا:" مما يؤثر من كريم أفعال الأمير محمد في مواليه وأهل خدمته، وركوبه سنن سلفه في إحياء بيوتات الشرف في دولتهم، وإجراء الأيادي عندهم أنه لما توفي الوزير الكاتب حامد بن محمد الزجالي تشوف إلى خطة الكتابة العليا التي كانت في يد قوم من جلة الموالي من الوزراء وغيرهم، فأعرض عنهم، وأمر في البعثة في عبد الملك بن عبد الله بن أمية فقلده الكتابة"، المصدر السابق، ص143، فهذه الرواية تدل على مدى اختيار أمراء بني أمية لعمالهم، يراجع كذلك ما قاله الأمير محمد أو ما دار من حوار بينه وبين وزيره هاشم بن عبد العزيز حول خدمة السلطة واختيار من يصلح لها، صص143/145.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص32.

وتحليلنا هذا، الذي نؤمن بأنه الإحتمال الصائب والمنطقي في تولية محمد الزجالي وظيفة الكتابة، نراه عند المقري في مناسبة أخرى، وكأنه يعارض ما ذكره آنفا، وهي الرواية التي نستطيع الأخذ بها، وملخصها أن الأمير عبد الرحمن بعد أن كاد يسقط من على دابته، ذكر البيت ارتجالا أو على البديهة، إلا أنه أرتج عليه وكان عبد الله بن الشمر[1] شاعره غائبا، وأراد من يتمم البيت، وكانت هذه عادته فيما يبدو مع شاعره هذا[2]، فأحضر محمد بن سعيد الزجالي "وكان يكتب له، وأنشده القسيم"[3]، وهذا يناسب في واقعه ما يضيفه المقري في روايته هذه حين يقول: "فإستحسنه وأجازه، وحمله استحسانه على أن استوزره"[4]، مما يعني أن محمد بن سعيد الزجالي كان كاتبا عند عبد الرحمن الأوسط إلى غاية هذه الغزوة، ثم ترقى إلى الكتابة العليا أو الوزارة، بعد أن إزداد قيمة ومكانة عند الأمير عبد الرحمن.

وحتى نزيل اللبس عن بعض الكتابات المعاصرة التي احتارت في معالجتها لقضية تولي محمد بن سعيد الزجالي لمنصب الوزارة والكتابة في عهد محمد بن عبد الرحمن، بالرغم من ابن حيان يجعل موت الزجالي سنة232هـ-846م[5]، نضيف إلى ما ذكرناه، أن المسألة لا تعود إلى سنة الوفاة، وإنما إلى الوظيفة، أي أن محمد بن سعيد الزجالي لم يلتحق بخدمة الأمير محمد، ولكنه ارتقى إلى منصب الوزارة في عهد عبد الرحمن.

أما من جهة ثانية وحتى نثبت ما نقول نجد أن المصادر تذكر الكثير من الأعلام كوزراء وكتاب معا، وهذا يعود إلى طبيعة إصطناع السلطة الأموية لرجالاتها مع الخطوط التي لا تكاد تبين بين النظم الإدارية في هذه السلطة، وبخاصة وأن الكثير من

1- هو "ابن أبي عبد الله الشاعر، نديم الأمير عبد الرحمن رحمه الله، كان من أهل العلم بالعربية واللغة، ورحل من قرطبة بعد تأديب بها إلى المشرق، أما الشاعر هذا، فيذكره الزبيدي تحت إسم عبد الرحمن، وحوله يضيف: وإتصل بالأمير عبد الرحمن بن الحكم قبل أن يلي الخلافة، فلما ولي قربه من خاصته وأنسه، وكان من ألطف الناس محلا وكان شاعرا مفلقا، يراجع: الزبيدي، المصدر السابق ص257، وعلى حسب ابن الفرضي، والحميدي فابن هذا البيت من موالي بني أمية، يراجع على الترتيب: ص165/ الحميدي، ص210.

2- ينظر على سبيل المثال ما دار بين الأمير عبد الرحمن وشاعره عبد الله بن الشمر من شعر كان يقال بينهما على البديهة، الزبيدي، المصدر نفسه، ص258/ ابن حيان، المصدر نفسه، ص301.

3- المقري، المصدر السابق، ج4، ص375.

4- نفسه، ج4، ص375.

5- ابن حيان، المصدر السابق، ص36.

الوزراء كانوا يمارسون الكتابة، بل ويقودون الجيوش كعبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[1] وغيره.

لم يتوفى محمد بن سعيد الزجالي الذي ارتقى إلى المناصب الرفيعة، وخالط علماء الأندلس وفقهائها[2] إلا بعد أن خلف وراءه، مثله مثل الفقيه يحي بن يحي والقاضي عباس بن ناصح، أبناء نجباء ورثوا أدبه وبلاغته ومنهم إثنان أشهرهما حامد الزجالي، الذي تربع مثل أبيه على المناصب الرفيعة عكس أخيه عبد الله الذي لم تدم خدمته ككاتب إلا ستة اشهر بسبب موته، مع العلم أن كلاهما كانا كما يذكر ابن حيان" كاتبين نحريرين"[3].

حامد بن محمد الزجالي: ورث حامد من أبيه معرفة الأدب والبلاغة[4]، وهو ما سمح له بأن يعمل كاتبا عند الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط[5]، بل تعدى ذلك بحكم ما كان كان يتمتع به من همة، أن تولى الوزارة[6]، وقبل أن نلج تفاصيل سيرة حامد السياسية وموالاته للسلطة الأموية وخدمتها، لا بأس أن نذكر بأن حامد الزجالي لم يرث منصب الكتابة مباشرة بعد موت أبيه الذي وكما أسلفنا كان على أكثر تقدير سنة 232هـ-846م، والمصادر التي بين أيدينا تشير إلى هذا، ومن بينها إبن القوطية الذي يشير في معرض حديثه عن كتابة الدولة، وموقف رجالاتها من تولي هذا المنصب، القومس بن انتنيان النصراني فيقول: "وأمضى محمد رجال أبيه على الوزارة، وعلى الكتابة عبد الله بن أمية بن يزيد، نحو العامين"[7].

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص80، يراجع حول هذا ما قاله ابن حيان: " كتب له- أي لعبد الرحمن الأوسط- الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث مع ما كان إليه من الحجابة والقيادة "، محمود مكي، ص31.

2- ينظر مثلا مراسلة عبد الملك بن حبيب(ت 238هـ)، فقيه الأندلس لمحمد بن سعيد الزجالي من خلال أبيات شعرية تدل على مدى الصداقة والمعاشرة التي كانت بينهما والتي منها:

أمّا ذمام الردّ مني لكم فهو من المحتوم فيما سبق
ما حلت عن عهدك لا والذي يجود بالرزق على من خلق

الزبيدي، المصدر السابق، ص261/ الفتح بن خاقان، المصدر السابق، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج2، ص185.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص32.

4- نفسه، ص36/ ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص331.

5- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص94/ تاريخ الأندلس، ص191.

6- ابن سعيد المغربي، المصدر نفسه، ج1، ص331.

7- ابن القوطية، المصدر السابق، ص95.

فهذه الرواية تفيدنا أيما فائدة، من جانب بكشفها أن محمد بن سعيد الزجالي قد توفي قبل تولي محمد بن عبد الرحمن الأوسط الإمارة، ومن جانب آخر أن حامدا ابنه بالرغم من وراثته مكانة أبيه المعرفية والعلمية لم يتح له شغل منصبه، ونحن لا نذكر هذا اعتباطا بل من أجل توضيح الكثير من المعطيات التاريخية التي تهم الموضوع، ومن بينها اختيار السلطة لرجالاتها الذي لم يكن إلا بعد معرفتهم، أو بعد تزكيتهم من طرف أهل الخبرة والخدمة داخل السلطة[1].

كما أن هذه الرواية تكشف لنا عن عدم خروج خدمة الدولة خارج البيوتات الأندلسية الكبرى، والذي كان أساسا متعمدا من طرف السلطة، إلى حد جعلته أحد أهم مبادئها[2]، وبخاصة داخل بيوتات موالي الاصطناع، وأخيرا نكتشف مفهوم الترقية لدى السلطة، حيث كانت هذه الأخيرة لعمالها بالمرصاد، مترقبة إياهم ومترصدة لأعمالهم، وإذا ما عمل رجل تنقصه الخبرة، فلا يعود هذا إلا على أساس وقاعدة إبقاء العمل داخل بيوت الموالي، مع إحاطة هذا العامل بالأكفاء وذوي الخبرة، كما حصل لعبد الملك بن بن عبد الله بن أمية[3].

وما ذكرناه لحد الآن، هو ما عاشه وسار عليه حامد الزجالي، فتقلده الكتابة ما كان لولا تزكية بلغاء الأندلس وأعلامها له، فصاحب تاريخ افتتاح الأندلس مثلا يذكر أن أحد حكماء الأندلس وبلغائها أنكر أن "يكون قلم بني أمية الأعلى وكاتبهم العظيم القومس النصراني بن إنتتيان"[4]، والأكثر من هذا، كتب إلى الأمير محمد يبين فيه إنكاره ورفضه هذا، مضيفا مخاطبا له في كتابه إليه: "فيا ليت شعري من الذي أغفلك عن اختيار الأفضل

1- ابن القوطية، المصدر السابق، ص96، يراجع على سبيل المثال لا الحصر أولية عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني(ت 237هـ-851م) الذي ما وصل إلى ما وصل إليه إلا بعد تزكية عيسى بن شهيد له وتقريبه للأمير عبد الرحمن، ابن حيان، محمود مكي، ص30/31/ ابن القوطية، نفسه، ص89.

2- يراجع حول هذا الموضوع ما ذكرناه سابقا عند ابن حيان، المصدر السابق، ص143/146، ينظر كذلك ما ذكر في أخبار مجموعة حول تناول الخدمة في البيت الواحد ووراثتها ذلك بين أفرادها وهو يتناول أسر الوزير هاشم بن عبد العزيز وما كان بين الأمير محمد والوليد بن عبد الرحمن بن غانم حين قال له هذا الاخير:" كان هاشم عبدك وسهما من مراميك، فليحسن الأمير أبقاه الله خلافته في أولاده، وليحقق من بعض بلائه بإمضاء ولده على خدمته"، المصدر السابق، ص128/129.

3- كان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن مخصوصا بالكتابة العليا مع الوزارة، ثم ولى المنذر بن محمد فأقره عليهما، وهو الذي أغراه بهاشم بن عبد العزيز حتى قتله، ثم ولي الأمر عبد الله بن محمد فجمع له القيادة مع الوزارة، وقتله المطرف بن عبد الله في إشبيلية وهو يقود جيشه، سنة 282هـ-895م"، ابن الابار، المصدر السابق، ج2، ص373/374.

4- ابن القوطية، المصدر السابق، ص96.

من تتزين به الخدمة ومن يشفع إليها بوراثة الخدمة، أنا أصلح لها، وحامد الزجالي، وابن مزين، ومحمد بن سفيان.."[1]، وذكر رجالا آخرين، من رجالات اللغة والأدب والمعرفة.

لنجد في الأخير أن حامد الزجالي، كان ممن ينعت بالأصابع في أدبه وبلاغته بشهادة رجال الأدب والخدمة في الأندلس، وأنه كان كفؤا لحمل قلم بني أمية، كما أن إجابة الأمير محمد على هذا الخطاب والتي كانت اختياره لحامد كاتبا له دون الآخرين، تعتبر في حد ذاتها شهادة على أن حامد قد سبق صيته مسامع السلطة قبل أن يوظف عندها[2].

وحتى نستدل أكثر على ما نقول، نجد أن أول ما قاله الأمير محمد لحامد الزجالي: "تردني لك كتب تعجبني"، وأضاف قائلا له: "تنصرف بغد، فقد وليتك الكتابة"[3]، مع العلم أن هذا اللقاء كان بحضرة الوزير هاشم بن عبد العزيز الذي بالرغم مما عرف عنه من كبرياء وتعال مع العمال، فقد عرف قدر حامد، بل وزينه في عين الأمير، وبحكم همة حامد ومواهبه ومسلكه "سبيل أبيه في خدمة السلطان"[4]، فقد إرتقى فيما بعد إلى الوزارة[5]، وبهذه المناسبة، قال مؤمن بن سعيد:

أَيُّ الأُمُورِ بِرَأْيِ حَامِدِ لَمْ تَنْتَظِمْ نَظْمَ القَلَائِدِ[6].

تبدو هذه المقدمات التي ذكرناها حول هذه العائلة، حاملة لنوع من التفصيل، ولكن الراغب في إستنباط معطيات أكبر وأوسع، سيجد الكثير من النتائج تطفو على السطح كاشفة بدورها وبأشكال مختلفة عن موقع البربر السياسي والإجتماعي، وعن رد فعل البربر في حد ذاته، والذي يهمنا كثيرا في معرفة حقيقة وواقع تفكير العنصر البربري كفرد وجماعة.

1- نفسه، ص96.
2- نفسه، ص97.
3- ابن القوطية، المصدر السابق، ص97/ من الغريب أننا لم نجد هذه التفاصيل عند ابن حيان، ولا عند ابن سعيد المغربي.
4- ابن حيان، المصدر السابق، ص36/ ابن سعيد المغربي المصدر السابق، ج1، ص331.
5- ابن حيان، المصدر نفسه، ص36/ ابن سعيد المغربي، المصدر نفسه، ج1، ص331.
6- ابن القوطية، المصدر نفسه، ص98.

فعلى سبيل التوضيح، نجد أن ابن حيان يذكر الزجاجلة[1]، فما المقصود بهذا؟ هل قصد بهم ذلك البيت الذي أسسه محمد بن سعيد الزجالي أم أن الزجاجلة كعائلة بربرية، بنت البيت الموالي الذي إصطنعه الأمير عبد الرحمن الأوسط؟ أي ما نريد طرحه وهو ما يفيدنا في تحليلنا لما سيلحق من أحداث، هل يعود اختيار الأمير عبد الرحمن لمحمد بن سعيد الزجالي إضافة إلى كونه رجل أدب ومعرفة، كونه سليل الزجاجلة الذين يملكون حيزا بقرطبة؟ وبالتالي يملكون رجالا واموالا وتأثيرا على محيطهم على الأقل على البربر الذين هم في كنفهم، وبالتالي إستعماله لمحمد بن سعيد سيفيده في جلب عدد أكبر من البربر ومن الموالين للزجاجلة؟.

تبقى هذه الأسئلة في غاية الأهمية لأنها ستمنحنا فرصة فهم إستخدام السلطة للعنصر البربري أو حتى غيره، والطرق أو الأسس التي تستعملها هذه السلطة لكسب المعارضة، وحتى امتصاصها من خلال هذه البيوت، لنقول في الأخير، أن اصطناع الموالي في حد ذاته كان دهاء أمويا في إجهاض المعارضة قبل ولادتها[2].

كما تبقى الكثير من المظاهر أو السلوكيات التي عرف بها هذا البيت، تدل على شخصيات أفراده ونمط حياتهم، وبالتالي معرفة المحيط الذي كانوا يحيونه وحتى معرفة الأفراد الذين كانوا في علاقات معهم، ومن بين هذه المظاهر التي تعطينا إياها المصادر، أن حامد الزجالي كان له مسجد يحمل إسمه، يعرف "بمسجد حامد"[3]، وهذا في واقعه ما جعل من أفراد هذا البيت يتعاملون مع أعلام الأندلس وبخاصة فقهائها، كعبد الملك بن

1- مصطلح الزجاجلة، أول ما صادفناه هو ما كان عند ابن حيان، وهذا من خلال بيت شعري يهجو فيه أحد الشعراء هذا البيت قائلا: هم علموني اللؤم حتى كأنني لغير أبي أو مغرق في الزجاجلة، المصدر السابق، ص38/ ومن المفيد التذكير بأن مكانا خاصا كان يسمى بالزجاجلة، وهذا ياقوت الحموي يعرف بالمكان قائلا:" محلة ومقبرة بقرطبة، منها عبد الله بن عبد الرحمن الزجالي من أهل قرطبة، إستوزره الحكم المستنصر(350-366هـ)، ويضيف قائلا: مات سنة 375هـ، ودفن بالمقبرة المنسوبة إلى الزجاجلة"، كما أن هذا البيت قد توارث أفراده العمل في أرفع المناصب ولسنوات عديدة، المصدر السابق، ج3، ص133/132.

2- يدخل في هذا الإطار مثلا علاقة السلطة الأموية مع بني ذي النون الهواريين، وكيف صطنع الأمير محمد مؤسس البيت ذي النون بن سليمان، والذي من الممكن أنه ما كان إلا ليمتص معارضتهم والتي كان من الواضح أنها ستظهر مستقبلا لما يتمتع به هذا البيت هو الآخر من سلطة في الثغر، وقد ينطبق هذا على أمراء الثغر جميعهم عربا كانوا أو من المولدين.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص37/ أما ابن سعيد المغربي فيقول: "وغلط إمامه ليلة في بعض قراءته في التراويح"، المصدر السابق، ج1، ص331.

حبيب[1] وغيره، إضافة إلى هذا، فإن ابن حيان الذي ذكر أخلاق حامد الزجالي وصفه قائلا: بأنه كان "أديبا حليما عفًّا، جميل الخصال"[2]، وهذا ما يجعل المرء يعتقد اعتقادا يكاد يكون جازما أن أفراد هذا البيت لا يحيون حياة مادية مريحة فحسب بل معنوية أيضا، إلا أنه ظهر لنا أن الجانب الآخر كان في طياته يحمل بعضا من العقد أو الخلفيات أو شيء من الإحساس بالدونية والنقص، قد تعود إلى أسباب تاريخية واجتماعية أكثر منها نفسية.

ونحن نتابع سيرة أعلام البربر اكتشفنا بعض الصفات السلبية التي حملها بعض أفراد العنصر البربري في صدورهم وأفكارهم، والتي شكلت مع مرور الوقت الاحساس بالدونية، وقد ظهر هذا فيما رواه المقري وبكثير من التفصيل في نفح الطيب، وهو يسرد سيرة حامد الزجالي ووالده محمد بن سعيد الزجالي.

يذكر المقري أن حامد بن محمد بن سعيد الزجالي اجتمع مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني الذي كان، إضافة إلى توليه منصب الوزارة، قائدا وصاحب صوافي عديدة بالأندلس، مثل التي قادها ضد المجوس أو النورمانديين على عهد عبد الرحمن الأوسط[3]، في "مجلس فيه رؤساء"[4]، وهذا المجلس من الممكن جدا أن يكون عرضا، من تلك العروض العسكرية التي كانت تقيمها السلطة بقرطبة أحيانا كثيرة، لأن الراوي يذكر أن هؤلاء الأعيان قد "عرض عليهم فرس مطهم"[5]، الشيء الذي جعل من الوزير عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني يذكر بيتا شعريا لأمرئ القيس الذي يقول فيه، [الطويل]:

1- ينظر ما نظمه عبد الملك بن حبيب من شعر إلى محمد بن سعيد الزجالي والذي يظهر مدى الصداقة و الإرتباط الذي كان بين كبير فقهاء الأندلس وابن سعيد الزجالي الكاتب وإن كنا ذكرنا هذا في الصفحة 202، فإن البيت الشعري الذي ذكره الفتح خاقان – ولم يذكره الزبيدي ضمن القصيدة نفسها المذكورة عند ابن خاقان– يظهر لنا أكثر قيمة الإحترام الذي كان بين الطرفين، والبيت الشعري هو: فضلك قد بان عليها كما بان لأهل الأرض ضوء الشفق، المصدر السابق، ص111.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص36/ وفي هذا فهو يذكر ما قاله بعض الشعراء من هجاء حامد وذمه، المصدر نفسه، ص37/38.

3- ذكرنا في صفحة 203 أن ترقيه وتوليه المناصب كان بفضل عيسى بن شهيد وأن وفاته كانت– كما يذكر ابن حيان– سنة 237هـ-851م، مما يعني أن حامد لم يكن وقتها في منصب الكتابة الذي تولاه في عهد الأمير محمد، وبالرغم من أن المقري لا يتيح لنا حتى إدراك المناسبة لمعرفة وتحديد السنة، إلا أنه ومن المعقول جدا أن هذا كان إما في عهد والده ككاتب ووزير وبالتالي حضر الحفل كابن للوزير، أو بعد وفاة والده وهذا ما نعتقده ونأخذ به كاحتمال، وسبب إحتمالنا يعود إلى أن عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني كان من الممكن أن يشتكي إلى الكاتب الوزير محمد بن سعيد الزجالي والد حامد بدل الحاجب عيسى بن شهيد، وإن كان هذا يتيح للباحث تصور قيمة أفراد بيوتات الموالي، ومحافظة السلطة عليهم لإستخدامهم مستقبلا.

4- المقري، المصدر السابق، ج2، ص314

5- نفسه، المصدر نفسه، ج2، ص315.

بَرِيدُ السَّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا[1].

إلى هنا قد يبدو لنا جميعا أن كل شيء عادي، إلا بالنسبة لحامد بن محمد بن سعيد الزجالي النفزي البربري الذي أحس، بل فهم، كما يصرح صاحب النفح، بأن الوزير عرض به بأنه من البربر، وهو الشيء الذي لم يحتمله[2]، بل وحتم عليه إجابة الوزير بأبيات من الشعر يذكره فيها بماضيه قبل ترقيه إلى منصب الوزارة[3]، مما أزعج هذا الأخير الذي التجأ بدوره غاضبا إلى ولي نعمته الحاجب عيسى بن شهيد[4]، وبطبيعة الحال، كان لا بدّ من عيسى بن شهيد أن يجتمع مع حامد الزجالي، مستفسرا عن أسباب هذا النزاع، لتكون الإجابة زيادة على دفاعه عن نفسه أمام الحاجب، أن أضاف منشدا نفسه قائلا: [الطويل]:

وَمَا الْحُرُ إِلاَّ مَنْ يَـدِينُ بِمِثْلِ مَا يُدَانُ وَمَنْ يُخْفِي الْقَبِيحَ وَيَنْصِـفُ
هُمْ شَرَعُوا التَّعْرِيضَ قَذْفًا فَعِنْدَمَا تَبِعْنَاهُمْ لاَمُـوا عَلَيْهِ وَعَنَّفُـوا[5].

وهكذا ومن خلال هذين البيتين نلمس بأن ما قاله الوزير عبد الواحد بن يزيد قد اعتبره حامد تعريضا وقذفا، مما أثار غضبه، وهنا نتساءل ألم يكن من الأفضل لحامد أن

1- نفسه، ج2، ص315.

2- نفسه، ج2، ص315.

3- يقول حوله ابن حيان" قدم إلى الأندلس وهو فتى متأدب ظريف، وكان يشدو شيئا من الغناء على مذهب الفتيان، فاعتلق بحبل ابن شهيد، فقال له: أمسك عن الغناء البتة"، المصدر السابق، ص30/ أما ابن القوطية فيذكره قائلا:" وهو حدث متطرف يشير إلى الغناء، وأن عيسى بن شهيد قال له:" أمسك عن الغناء فلا تنكره، المصدر السابق، ص89.

4- تحمل شخصية عيسى بن شهيد بالنسبة لنا جدلا كبيرا، لأن موضوع دراستنا والذي حملنا فيه على عاتقنا ذكر موالاة البربر للسلطة الأموية، وهذا بذكرنا لأعلامهم جعلنا نتجه نحو المقري، الذي ذكر أن شهيد بن عيسى، وهو أحد أشياخ أو مستشاري عبد الرحمن الداخل" كان من سبي البربر، وقيل أنه رومي"، لذا ارتأينا أن ندمج هذا البيت ضمن البيوتات البربرية الموالية للسلطة، خاصة وأن ابن حيان يذكره ضمن موالي معاوية بن مروان بن الحكم، إلا أن ما ذكرته المصادر الأخرى كابن الأبار والضبي والحميدي، جعلنا نتريث كثيرا قبل إلتزامنا برواية المقري التي أخذت بها أحد الكتابات المعاصرة، وحتى نقطع الشك باليقين فقد عدنا إلى المصادر التي تتطرق إلى أنساب البربر وأولها ابن حزم، وابن خلدون، وحتى كتاب مفاخر البربر، وخلو هذه المصادر والتي نعتبرها مصادر رئيسة في هذا الشأن من أي ذكر يوضح الأصل البربري لعيسى بن شهيد، فقد نزعنا بيت بني شهيد من قائمة البيوت البربرية، يراجع: المقري، المصدر السابق، ج3، ص320/ الحميدي، المصدر السابق، ص117/ الضبي، المصدر السابق، ص164/ ابن الأبار، الحلة السيراء، ص237/238/ ابن حيان، المصدر السابق، ص36/ أما حول المرجع الذي يعتبر شهيد بن عيسى كبربري موالي لبني أمية موالاة عتق، يراجع: محمد حقي، مرجع سابق، ص127.

5- المقري، المصدر نفسه، ص314/315.

يدافع عن أرومته، ويحفظ أو يفتخر ببيته ونسبه وبربريته؟[1] أم أن البربر كان منهم من قد اعتلى على بني عمومته وأصله، وصار بيته الكبير الموالي لسلطة بني أمية ودولتهم هو الأصل والنسب؟ أم أنهم انقسموا إضافة إلى بربر بتر وبرانس، إلى بربر- ما يسمي بالمصطلح المعاصر- أرستقراطيين وبربر القاعدة أو العوام؟، ربما هذه الأسئلة وغيرها، تفيدنا هي الأخرى في فهم كذلك الكثير من المعطيات التاريخية، السياسية منها والاجتماعية، لذا فنحن نرى أن تركها يحمل في ذاته الكثير من الإجابة.

وأخيرا نرى أنه لا بدّ من إعطاء مساحة تحليلية أكبر لمثل هذه البيوتات البربرية الكبيرة، لأنها تعكس حقيقة من خلال تصرفات أفرادها، ذهنية وشخصية هذا البربري المنتمي إلى طائفة الموالي، ومن ثم علاقاته داخل الأندلس، سواء مع العناصر الإجتماعية التي يحيا ويتعايش معها، أو مع السلطة الأموية التي يحيا في كنفها.

سفيان بن عبد ربه المصمودي: يذكر إبن خلدون أن مكانة الحاجب عند الدولة الأموية كانت عظيمة مقارنة بالمشرق، فهو يقول:" وأما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم، فكانت في دولتهم رفيعة"[2]، ويؤكد في مناسبة أخرى في معرض حديثه عن الوزارة وتاريخها، أن وزراء بني أمية، "قد أفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجلسهم وخصوه باسم الحاجب[3].

من خلال تعريفي ابن خلدون، ندرك مدى خطورة هذا المنصب وقيمته بالأندلس، وهذا ما يحثنا على القول أن صاحبها لا بدّ وأن يكون حاملا لتأهيل علمي ومعرفي كبيرين، وأن يكون ممن حنكتهم التجارب السياسية والإدارية، لأن كلا من الزاد العلمي،

1- وهذا بالضبط ما فعله الوزير سليمان بن وانسوس عندما خاطبه الأمير عبد الله قائلا:" إجلس يا بربري"، وإجابته هي ما بلغت من الحميدي يصفه:" بالأدب والعلم والعقل وعزة النفس" يراجع ابن الابار، المصدر السابق، ج1، ص123/ الحميدي، المصدر السابق، ص198.

2- ابن خلدون، المقدمة، ص253.

3- نفسه، ص252.

والتجربة الميدانية في مراتب السلطة، كانا يعتبران شرطان أساسيان في تولي منصب الحجابة.

كان سفيان بن عبد ربه المصمودي من بين من تولى هذه الوظيفة الكبيرة، وكان ذلك في فترة عبد الرحمن الأوسط، وهذا بعد موت حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[1]، الذي عمل حاجبا منذ فترة الأمير الحكم، مع العلم أن الأمير عبد الرحمن الأوسط قد إستخلف سفيان بن عبد ربه كحاجب لتمتعه، إلى الشروط المذكورة آنفا، إضافة إلى أنه كان من" أقادم صنائعه، حيث كان له اتصال به قبل الخلافة"[2].

ينتمي سفيان بن عبد ربه إلى "بربر بيانة"[3]، ونحن وإن كنا لا نملك بالضبط ما يخول لنا القول إلى أية قبائل أو عشائر ينتمي هؤلاء، فإن ما يذكره إبن حزم من إنتماء سفيان بن عبد ربه إلى مصمودة[4]، يجعلنا نحتمل وجود جماعة أو أغلبية من بربر مصمودة في هذه الجهة.

حمل سفيان بن عبد ربه الكثير من صفات الرجل الكفؤ، وهذا في الواقع ما أهله أن يكون أحد رجالات الدولة، وما يلخصه الرازي في ترجمته للرجل نجده يكفينا مؤونة الحديث والسرد، إذ يقول:" كان من أكابر رجال أهل الخدمة الكفاة، المستقلين بأعبائها، ممن جمع إلى الغناء والكفاية والعفة والأمانة"[5]، ويضيف ابن القوطية مؤكدا على ما سبق ذكره، بأن سفيان كانت له " يقظة ومعرفة"[6].

1- " استحجبه الحكم الربضي وولاه هشام كورة جيان، وكان عبد الكريم بليغا مفوها شاعرا، وولى الكتابة للحكم إثر موت محمد بن أمية وقاد الصوائف، وجرت على يديه فتوح جسام"، ابن الابار، ج1، ص135/136.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص28.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص28، الحقيقة أن تعليق محمود على مكي حول بربر بيانة يحمل في نظرنا نوعا من الجدل، والسبب يعود إلى أنه لم يتساءل، حتى يتحقق جيدا حول مصطلح بيانة، أهو اسم مكان أي مصطلح جغرافي، مع العلم أن بيانة كما عرفها ياقوت الحموي: "هي قصبة كورة قبرة، وهي كبيرة حصينة على ربوة، يكتنفها أشجار وأنهار، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا"، أم هو إسم بطن من بطون هوارة البربرية التي تنتمي بدورها إلى البربر البرانس كما يذكر ابن خلدون، لأن القارىء الجيد المقتفي أثار النص شبرا شبرا يدرك المعنى الحقيقي لابن حيان، الذي ينقله عن ابن القوطية، في قوله: " أصله من بربر بيانة" وبهكذا معنى، فنحن نعارض تعليق محمود على مكي، وأن إنتماء سفيان كان يقصد به الإنتماء العرقي لا الإنتماء الجغرافي، حول بيانة، يراجع ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص518/ حول قبيلة بيانة الهوارية، التي تنتمي إلى البربر البرانس يراجع ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 165.

4- يراجع كذلك مفاخر البربر الذي يقول صاحبه: "ومنهم بنو سفيان بن عبد ربه المصمودي وزير بني أمية"، ص189.

5- ابن حيان، المصدر نفسه، ص25.

6- نفسه، ص28.

في الواقع يتبادر إلى ذهننا في كثير من الأحيان، ألا نواصل مشوار التحليل إلا بعد إعادة النظر في الكثير من النصوص أو ما ترويه بعض المصادر، والذي نستطيع أن نصرح وبدون أية جرأة أنها تحمل روايات قصصية، وهذا من مثل ما يذكره ابن القوطية مثلا حول تولي سفيان بن عبد ربه منصب الحجابة.

فهو يذكر أن الوزراء بعد موت عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث حصلت بينهم منافسة لتولي خطة الحجابة[1]، وإذا كانت الأمور إلى غاية هذه الأسطر تبدو عادية، فإن غير العادي يبدأ مع ردة فعل الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي "أقسم واعتقد ألا يوليها واحدا منهم"[2]، بل و"عطلها مدة"[3]، والأدهى والأمر إضافة إلى هذا كله "أمر بالإقراع بين الخزان، وكان الخزان يومئذ: موسى بن حدير... ومهران- أي سفيان- بن عبد ربه من البربر، لا قديم له وكان له به إتصال وهو ولد، فخرجت إليه القرعة، فولي الحجابة أعواما"[4].

هذه الروايات القصصية في الواقع ما سودنا بها وجه هذه الصفحات البيضاء إلا لنذكر بقصدنا بل وبتعمدنا بما أسلفنا قوله، وهو أن أمراء بني أمية ما كانوا يعتمدون على الصدف والإقراع بين الرجال للعمل في خدمتهم وبالأخص في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط[5]، بل كان العمل مسبوقا بشروط، وما ذكرناه حول بني الزجالي هو نفسه ينطبق على سفيان بن عبد ربه، مع تأكيدنا دائما لشرطين قويين في تولي المناصب، وهما موالاة الاصطناع، ثم الترقية في المناصب بعد الإختبار وطول تجربة.

وحول موضوع الترقية كشرط، نجد أن سفيان بن عبد ربه المصمودي كما يذكر الرازي، كان قد تولى أول أمره "خدمة الخزانة الكبرى أيام الأمير الحكم"، بل والاكثر من

1- ابن القوطية، المصدر السابق، ص78/ ابن حيان، المصدر السابق، ص28.

2- ابن حيان، نفسه، ص28.

3- نفسه، ص28.

4- ابن القوطية، المصدر نفسه، ص78.

5- يراجع مثلا ما ذكره ابن حيان حول عبد الرحمن الأوسط:" وانتقى الرجال للأعمال، واستوزر الأكفاء من أهل الإكتفاء، وقود الأبطال ذوي الغناء، وظهر في أيامه جلة الوزراء"، ويضيف في مقام آخر:" وكان قد اجتمع إليه من سراة الوزراء وأولي الأحلام والنهى وذوي المعرفة والحجا رهط لم يجتمع شرواهم لمن قبله ولا بعده من الخلفاء"، السفر الثاني، ص 280/ ص295.

لك يضيف أنه "أول من استخزن بالأندلس"[1]، فهذا إذن يدل على أن سفيان كانت له سابقة في العمل الإداري، وأن ما أوصله إلى الحجابة كفاءته ونجابته، ومما نستدل به أكثر حول ثم سفيان بن عبد ربه المصمودي في الخدمة، وقبل أن نذكر ما قاله إبن حيان بشكل باشر حول ترقيته، نجد ابن عذاري يصرح أن سفيان بن عبد ربه، قد تولى كذلك نصب الكتابة[2]، وحتى ننهي الحديث حول ارتقاء سفيان بن عبد ربه مراتب الخدمة، نعود لى ما صرح به إبن حيان وبكل وضوح نقلا عن الرازي حين يقول:" ولم يزل- أي فيان بن عبد ربه- يتنقل في مراتب الخدمة إلى أن نال الحجابة"[3].

عند تناولنا لسيرة سفيان بن عبد ربه المصمودي، اكتشفنا أن المصادر، وهي تتناول رجالات الدولة الأموية من وزراء وحجاب وكتاب، قد جاءت بالكثير من التناقضات، فعند أخذنا بتولية سفيان بن عبد ربه الحجابة بعد موت عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث سنة 209هـ-824م[4]، مع علمنا بتاريخ وفاة عبد الرحمن بن غانم الذي أعقب سفيان بن عبد ربه في سنة 210هـ-825م[5]، نجد- وبطريقة حسابية بسيطة- أن ابن عبد ربه لمصمودي قد تولى الحجابة مدة عام واحد فقط، وهذا ما يجعلنا نكتشف تناقض ما جاء به ابن حيان فيما بعد حول تولي حجابة سفيان بن عبد ربه المصمودي لعبد الرحمن الاوسط، إ يذكر نقلا عن إبن القوطية: "فتولى حجابته أعواما"[6]، والذي يؤكد من خلاله، النص

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص25.

2- يذكر ابن عذارى قائلا: " كتابه ثلاثة: عبد الكريم المذكور، وسفيان بن عبد ربه، وعيسى بن شهيد"، وإن كنا نعيد ملاحظة سلفنا ذكرها وهي تداخل الأعمال التي كان يقوم بها رجالات الدولة كالعمل في الكتابة مع تولي الوزارة أو الحجابة، نجد كملاحظة ذلك أن الثلاثة المذكورون هنا ككتّاب كلهم قد تولوا الحجابة فيما بعد، ومع ذلك، نجد أن ابن عذاري قد سبق هؤلاء بذكر الوزراء لذين كان عددهم تسعة، ومن هنا جاء تساؤلنا- الذي قادنا بعد تحقيقنا في المسألة وتتبع أثار البحث إلى أن معظم الحجاب قد مارسوا وظيفة الكتابة – هل كانت وظيفة الكتابة في السلطة الأموية، أعظم شأنا من الوزارة؟، ولهذا السبب كان يرتقي الكتاب إلى الحجابة دون غيرهم؟، يراجع ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص80/ ابن الأبار، المصدر السابق، ص136.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص25.

4- نفسه، المصدر نفسه، ص77.

5- ابن حيان، المصدر السابق، ص77، مع العلم أن بحثنا وتقصينا في المصادر الأخرى حول وفاة ابن غانم وطريقة موته التي كانت على حسب ابن حيان في السجن لم نعثر لها على أثر، أي إنفرد بها ابن حيان في تاريخه، يراجع على سبيل المثال ترجمة ابن الأبار للوليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم، المصدر السابق، ج2، ص374.

6- حقيقة أن ابن حيان ذكر هذا نقلا عن ابن القوطية، إلا أن هذا لا يشفع فيه، لأن سنوات وفيات الأعلام المذكورين كانت نتاج ه أو على الأقل قد تبناها ولم يعارضها، المصدر نفسه، ص28.

لمنشور لإبن القوطية القائل فيه:" "فولى الحجابة أعواما ثم مات، فولى عبد الرحمن بن غانم"[1].

وهكذا وأمام ما تذكره المصادر، نجد أنفسنا أمام أمرين اثنين، أولهما أن حجابة سفيان بن عبد ربه لم تدم سوى عاما واحدا، وهذا طبعا إذا أخذنا بسنتي وفاة كل من عبد الكريم بن مغيث وابن غانم، وثانيهما أن سفيان هذا قد دامت حجابته سنوات، بشرط أن نأخذ برواية إبن عذارى، الذي يذكر فيها أن حجابة عيسى بن شهيد كانت سنة 218هـ-833م[2]، مع العلم أن هذه الرواية، توافق رواية ابن حيان المنقولة هذه المرة عن أحمد بن محمد الرازي الذي جعل عيسى بن شهيد هو من خلف ابن عبد ربه المصمودي وليس ابن غانم والتي جاء فيها: "وصرفه-أي عيسى بن شهيد،- في عليّ مراتبها، فولاه خطة الخيل، ثم استوزره، وولاه النظر في المظالم وتنفيذ الأحكام على طبقات أهل المملكة، ثم استحجبه مكان سفيان بن عبد ربه"[3]، وهو ما يعني أن سنة وفاة عبد الرحمن بن غانم وحتى توليه الحجابة، اللتين ذكرهما ابن حيان تحملان الكثير من الشك، ويعود سبب هذا الشك في حد ذاته، إلى تصريحات ابن حيان نفسه، فهو يقول مثلا عند تناوله أحداث سنة 215هـ-830م[4]: "وفيها أخرج الأمير عبد الرحمن ابنه الحكم بن عبد الرحمن إلى الثغر بالجيش ووجه معه عيسى بن شهيد وزيرا له[5]، وذلك قبل ان يلي الوزارة"[6] مما يعني أن عيسى بن شهيد لم يتولى بعد منصب الوزارة و لا الحجابة سنة 215هـ/830م وبخاصة وأن الذي يؤكد ذلك مرة أخرى هو وصفه بعد ذلك لعيسى بن

1- ابن القوطية، المصدر السابق، ص78.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص84.

3- ابن حيان، محمود علي مكي، ص26.

4- نفسه، السفر الثاني، ص423/424.

5- وزيرا هنا، يقصد منها المعنى اللغوي والتي تعني "الموازر"، وليس معناها الإداري أي منصب الوزير، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق، يوسف الشيخ البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1425هـ/2005م، ص443.

6- أما الوزارة هنا فتأخذ معناها الإصطلاحي، وحول الإشتقاق اللغوي للوزارة يراجع كذلك الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: خالد عبد اللطيف العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1420هـ/1999م، ص 64.

شهيد مباشرة وبدقة، بالوزير، وهذه المرة عند ذكره لأحداث سنة230هـ-844م، إذ يقول: "وسار معه الوزير عيسى بن شهيد للتدبير"[1].

وهكذا نجد أن الإشكالية التي صادفتنا في عملية تولي سفيان بن عبد ربه هي تناقض المصادر فيمن جاء بعده، وهو الشيء الذي يجعل من عدد سنوات خدمة سفيان بن عبد ربه في منصب الحجابة تختلف، على كل ربما ما قمنا به من تحقيق، يجرنا إلى احتمال تربع سفيان بن عبد ربه كحاجب سنوات عديدة، بالرغم من عدم تناول المصادر لما كان يقوم به.

بالرغم من أن سفيان بن عبد ربه كان من موالي الإصطناع، إلا أن المصادر لا تحفنا بأسماء خلفه، باستثناء ولد له كنّاه إبن حيان بأبي الأسود ووصفه "بالأديب"[2]، ويضيف حوله قائلا: "وكان ذا وجاهة عند الناس، حدثا، مؤنس الجليس، ممتعا، توفي في أيام الخليفة الناصر لدين الله"[3].

إضافة إلى ما ذكرناه، وهذا ما سنأخذه كاحتمال، أن من ذكره ابن القوطية باسم محمد بن سفيان عند معرض حديثه عن الكتابة ومن يتولاها، وقصة ذلك الغيور على الأندلس الرافض لتولي القومس النصراني بن إنتانيان هذه الوظيفة، ورسالته إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط والقائل له فيها:" أنا أصلح لها، وحامد الزجالي، وابن مزين، ومحمد بن سفيان"[4]، أن محمدا هذا، قد يكون محمد بن سفيان بن عبد ربه المصمودي، وهذا الإحتمال ما وضعناه إلا بعد أن أسندناه إلى ما ذكرناه سابقا من تولي المناصب داخل بيوتات موالي الإصطناع وتوارث أفرادها العمل في السلطة مع ربطنا هذا بما أتصف به إبن سفيان بن عبد ربه كما ذكر إبن حيان، بالأدب والوجاهة عند الناس.

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص462.
2- ابن حيان، محمود علي مكي، ص25.
3- نفسه، ص26.
4- ابن القوطية، المصدر السابق، ص96.

نجد أن ما ذكرناه آنفا، من أن تأسيس البيوتات البربرية الكبرى كان يتم بإصطناع الأمير لمؤسسه أو بانيه ليستمر عبر أبنائه وأحفاده، سيطرح سؤالا مهما، وهو أين هم أفراد هذا البيت الذين لم يذكر منهم إلا واحدا ؟، والجواب أن ما ذكرناه لايحمل في طياته أي تناقض، لأن الجواب سيكون جاهزا ومختصرا عند ابن حزم الذي يقول حول بيت بني سفيان بن عبد ربه: " مصمودة: منهم كان بنو سفيان بن عبد ربه الحاجب، وقد بادوا، فما أعلم منهم بقية"[1]، وهكذا نجد أن أسباب خلو المصادر من ذكر أعقاب الحاجب سفيان بن عبد ربه المصمودي في مراتب السلطة، يعود إلى انقراض هذا البيت، عكس بيت ابن أبي عيسى، أو بني الزجالي.

أخيرا نجد أن عصر كل من الأمير عبد الرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد والذي سميناه بفترة الإزدهار، قد عرف موالاة بربرية جد فعالة وهذا عبر تربع عناصر بربرية على مراتب السلطة، مع تذوق طعم معارضتها، وبالرغم من أن المعارضة البربرية التي عرفت ركودا كبيرا في هذه الفترة، مقارنة بفترة مرحلة التأسيس، فإن هذا لم يكن سوى لأن العنصر البربري كان بصدد ترتيب أمور إعادة ظهورهذه المعارضة من جديد، وهذا ما سيكون فعلا وتحت أشكال أخرى في الفترة اللاحقة، وبخاصة على عهد الأمير عبد الله بن محمد[2]، الذي وصفت أيام فترته بأيام الفتنة والتمزق.

---

1 - ابن حزم، المصدر السابق، ص500.

2 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص120.



الفصل الثالث

المعارضة البربرية على عهد الفتنة

الموالاة البربرية على عهد الفتنة

الأمير عبد الله بن محمد ومناهجه السياسية: لم تكن فترة المنذر بن محمد طويلة، إذ دامت سنتين فقط، فقد بويع بعد وفاة والده في غرة ربيع الأول سنة 273هـ-886م، وكانت وفاته يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة 275هـ-888م[1].

هاتان السنتان لم تكونا بالمهمة من الناحية السياسية، وبخاصة التي لها علاقة بالبربر، لأن الحدث الكبير في هذه الفترة كانت ثورة ابن حفصون بإقليم الجزيرة الخضراء وإقليم رية، وثقل هذه الثورة وخطورتها جعل من المنذر يعقد على نفسه عقدا أن لايعطي لإبن حفصون " صلحا ولا عهدا إلا أن يلقي بيده، وينزل على عهده وحكمه"[2].

وحكمه"[2].

وهذا القرار الذي عقده المنذر على نفسه يعود في جوهره إلى شجاعته وصرامته التي جعلت لسان الدين بن الخطيب يقول: "ولقد بلغ ذلك في سنة ما لم يبلغه غيره في الدهر"، ويضيف قائلا: "لو عاش المنذر عاما واحدا زائدا لم يبقى بين يديه منافق"[3]، وبالرغم من قولنا أن الحدث الأكبر في هذه الفترة كان ثورة ابن حفصون، فعلينا التذكير أنها وبصفة عامة كانت فترة حرجة، لأن بدايات التمزق والفتنة بالأندلس قد بدأت تفاقم[4]، والإشكالية التي علينا معالجة الأحداث على ضوئها هي معرفة سبب التمزق والفوضى التي بدأت الأندلس في معايشتها.

أولا، علينا الإتفاق على أن سبب الفتن لا يعود كسبب رئيس إلى السلطة وعلاقتها مع العناصر الأندلسية المختلفة، بمعنى أن السلطة كان محلها محل الجار والمجرور، إذ لابد لها بصيغة ما أو بأخرى أن تشارك مغلوبة على أمرها في هذه الأحداث، لأن السبب والعلة الحقيقية تعود إلى إحياء النعرات العنصرية والعصبية[5]، وإن كنا ما نراه يؤكد ذلك، هو أبعد نوعا ما عن هذه الحقبة، لأن البداية قد تكون أواخر فترة الأمير محمد،

---

1 النويري، المصدر السابق، ص112/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص159/ ابن عبد ربه الأندلسي، المصدر السابق، ص237/ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص14.

2 ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ص238/ النويري، المصدر السابق، ص112/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص113.

3 ابن الخطيب، المصدر السابق، ص24/ يراجع: ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص120.

4 ابن عذارى، المصدر نفسه، ص114.

5 تاريخ الأندلس، ص195/ ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص114.

وهذا ما يذكره ابن حيان قائلا عن سنة 261هـ-874م قائلا: "إضطربت الأحوال في آخر أيام الأمير محمد، ونشأت الفرقة، ونجم أهل الشقاق بكل جهة"[1] إلا أن ما يضيفه ابن حيان هو ما نأخذه بإصرار لأنه يعبر عن العنصر الأندلسي الذي ارتبط إسمه بهذه الفتن، وبما أن دراستنا تعالج وتتابع كل ما له علاقة بالبربر من الناحية السياسية فعلينا أن نفرز وبكل حذر الأحداث الواقعة في هذه الفترة والقائم عليها.

يضيف ابن حيان قائلا: "فكان أول فتق حدث عليه فتق عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، وخروجه عاصيا من مكانه في مصاف السلطان بقرطبة إلى جهة بلده بالغرب"[2]، ومن هنا، وجب علينا الحفر في تراكمات الأحداث السياسية لنعرف بالتالي الأسباب والمتسبب فيها، وفي الأخير وما نود الوصول إليه والتأكيد عليه، هو أن السلطة قد جرّت إلى المشاركة جرا.

ومن نافلة القول أن نتغافل على أن الجانب المالي والذي كانت تتأثر من خلاله وضعية السلطة ما بين القوة والضعف، يعد هو الآخر أحد أهم أسباب تأثر السلطة بالأحداث ومن ثم مشاركتها فيها، لأن خروج المناطق عن سلطتها يعني وقف تقديم الضرائب، وهذا في حد ذاته يحدث ضررا بالسلطة[3].

في معرض حديثنا عن الأسباب، لعل المتتبع يحيلنا إلى ما ذكره إبن حيان من أن سبب انبعاث الفتنة "بجهة كورة رية وما يليها من كور الجزيرة الخضراء وتاكرنا"[4] هو عسف وعنف يحي بن عبيد الله بن يحي عامل كورة رية وأخيه إدريس بن عبيد الله عامل

---

1. ابن حيان، محمود علي مكي، ص343.
2. نفسه، الصفحة نفسها/ يراجع ابن القوطية، المصدر السابق، ص100، مع العلم أن المصادر تتفق على أن إيتداء خلاف عبد الرحمن الجليقي على السلطة كان سنة 261هـ/874م.
3. يراجع ابن القوطية حين يذكر خروج ديسم بن إسحق صاحب تدمير عن الأمير عبد الله، والذي أمره ابن أبي عبدة القائد حين توجه إليه: "بايراد ما يجب عليه من الجباية"، وما كان منه بعد إنهزامه حيث يذكر المؤلف ما قاله ديسم هذا:" فصاح بلسانه: الطاعة، وأورد المال عليه في عشي ذلك اليوم" وكذلك ذكره لابن حجاج الذي يقول فيه" ضافر ابن حفصون وقطع الدعوة والجباية" وكان هذا دأبه عند خروجه، إلا عندما تصفو علاقته مع السلطة فقد كان يدفع ما عليه من الجباية، المصدر نفسه، ص123/120/1.
4. ابن حيان، المصدر السابق، ص393.

كورة الجزيرة الخضراء[1] مع أهالي هذه المناطق عند مطالبتهم إياهما في جباية الضرائب والخراج، مع العلم أن هؤلاء قد امتنعوا وأبوا عليهما ذلك.

ونحن نرى أن السبب غير هذا، وإنما هو ما ذكرناه سابقا، وما نراه كذلك، أن إبن حيان لم يتساءل عن سبب تعسف عاملي هذه المناطق على أهلها، وهو الأمر الأول الذي علينا فهمه، والذي من المحتمل جدا أنه يعود إلى خروجهم عن طاعة السلطة[2]، وهذا قبل هذه السنة، وهي سنة 265هـ-878م[3]، مع بداية بروز العنصرية وعودة العصبية القبلية اللتان كانتا السبب في عمومية ظاهرة الفتنة وانفلات الأمر داخل الأندلس.

وأخير نجد أن الحالة أو الظروف التي مرت عليها الأندلس، بخروج أطراف الأندلس عن السلطة، ما كان سوى بفعل العصبيات، مع ضعف هذه الأخيرة في التحكم في كتابة نصها السياسي وتطبيقه بصرامة، وبالتالي فإنه حقيقة وواقعا، يجوز وصف أيام هذه الفترة بأنها أيام "كانت الفتنة فيها ظاهرة والنفاق باد بافتراق العرب والموالي على البلدان"[4].

على كل لم تذكر المصادر أي حدث يتعلق بالبربر سوى ما كان سنة 273هـ-886م، حيث يذكر ابن عذارى: "وفيها، كانت الوقعة على أهل طليطلة، وكانوا قد جيشوا البربر المنفيين من ترجيلة، فقتل منهم ألوف"[5]، وهنا، ومع هذه الرواية لنا وقفة، ولنا تساؤلات عديدة، إذ من هم هؤلاء البربر؟ ومن أي عنصر من البربر هم، من البتر أم من البرانس؟ ومن هم بربر ترجيلة؟ ثم إن طليطلة الخارجة دوما عن شرعية السلطة الأموية

1- لم نعثر على تعريف لهذا العلم سوى ما ذكره محمود على مكي في تحقيقه للمقتبس حينما نسبه وأخيه إلى أسرة الخالديين، أي إلى عبد الله بن خالد الإلبيري الذي كان من أكبر نقباء عبد الرحمن الداخل"، ابن حيان، المصدر نفسه، تعليق رقم 622، ص668، مع العلم أننا نجد معلومة تتعلق بهذه الشخصية وهو ما ذكره ابن القوطية حول سبب ثورة ابن حفصون قائلا:" وكان سبب ثورته أنه ظفر به أحد بني خالد المعروف بدونكير وكان عامل رية في فساد أخذه فيه" وهذا يوافق تعليق محمود علي مكي، ابن القوطية، المصدر نفسه، ص103.

2- ينظر على سبيل المثال ما ذكره ابن مروان الجليقي ردا على مبعوث الأمير محمد إليه:" ..ولا تلزمني جباية ولا طاعة في أمر ولا في نهي" مما يوضح أن الخروج عن الطاعة كان أسبق من دفع الضرائب، أي أنه كان السبب في عدم دفع الضرائب"، ابن القوطية، المصدر نفسه، ص102.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص393.

4- تاريخ الأندلس، ص195.

5- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص116.

كما عرفناها، مليئة بعناصر مختلفة، ولكن المسألة ما الذي جمع بربر ترجيلة بأهالي طليطلة؟.

للإجابة عن هذه التساؤلات، وجب علينا وكعادتنا تكبير صور الأحداث السابقة، وإعادة النظر جيدا في أبعادها، فأهم صورة كانت لسنة 178هـ-794م والتي يروي أحداثها إبن عذارى نفسه، قائلا: "هاجت الفتنة بتاكرنا، وخالف بربرها[1] وغاروا على الناس، وقتلوا وسبوا، فبعث الإمام هشام اليهم الأجناد بعد الإعذار اليهم، فقتل أكثرهم، وفر سائرهم إلى طلبيرة وترجيلة[2]، وأقامت تاكرنا[3]، وهي إقليم رندة، وبلادها خالية قفرا سبع سنين"[4].

يعتبر هذا النص في حد ذاته إجابة على مجموعة التساؤلات السابقة، مما يخول لنا التصريح أكثر بأن بربر ترجيلة هم بربر تاكرنا الذين نفاهم هشام الأول (172-180هـ) سنة 178هـ-794م، وحتي نعطي لإستدلالنا حقه، يكفينا تقصي أثار النص الأول شبرا شبرا، لندرك أن نص ابن عذاري كان شديد الدقة إذ قال بالحرف الواحد "وكانوا قد جيشوا البربر المنفيين"، ثم يضيف "من ترجيلة"، وعند عملية الربط بين النصين نكون قد أدركنا الإجابة.

يبقى التساؤل عن السبب في مساندة هؤلاء البربر المنفيين لأهالي طليطلة، والحقيقة أننا سنكون أمام احتمالات عديدة، أولها الثأر، وهو ما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ومع هذا يمكننا مواجهة احتمال آخر وهو تجييش هؤلاء البربر فقد كانوا بالألوف، وهذا ما يمكن اعتباره ارتزاق، أو بمعنى أوضح أن بربر ترجيلة، كانوا مجموعة قبائل تحترف الجندية، وهذا بدون أن ننسى أن تاريخ بني الخليع السياسي يعود بنا إلى غاية عهد عبد

1- يذكر ابن حزم: من بينهم، بنو الخليع إذ يقول:" وبنو الخليع بتاكرنا" وهو ينسب هؤلاء إلى بربر مديونة البترية، المصدر السابق، ص500/ أما صاحب مفاخر البربر فينسب بنو الخليع إلى ولهاصة، ص188/ يراجع حول بربر تاكرنا، ذنون طه، الفتح والإستقرار، ص269/268.

2- ترجيلة: "مدينة بالأندلس من أعمال ماردة، بينها وبين قرطبة ستة أيام غربا، وبينها وبين سمورة من بلاد الفرنج ستة أيام"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص22/ ابن غالب، المصدر السابق، ص290.

3- يذكرها ياقوت بإسم: تاكرنى، وهي " كورة كبيرة بالأندلس ذات جبال حصينة، يخرج منها عدة أنهار ولا تدخلها، وفيها معقل رندة، المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص6/7/ يراجع تاريخ الأندلس، ص124/ ابن غالب، المصدر نفسه، ص295.

4- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص64.

الرحمن الداخل(138-172هـ)، حين ساندوه بأربعمائة فارس، مع العلم أنهم، وكما يذكرهم ابن القوطية من موالى يزيد بن عبد الملك[1].

الواقع أننا لا نستطيع أن نجزم بحكم ما بشأن مشاركة بربر ترجيلة أهالي طليطلة في هذا الخروج، وبالرغم من علمنا أن البربر البتر قد عملوا جنودا في جيوش بني أمية منذ الفتوحات الإسلامية الأولى ببلاد المغرب[2]، أي منذ ما قبل فتح الأندلس[3]، فإن ما ذكره ابن عذاري المنفرد برواية هذا الحدث من أن هؤلاء البربر قد "قتل منهم ألوف" يثير رغبة المؤرخ في بحث أعمق، لنكتشف أكثر أمام ثنايا النص أن عدد ضحايا هذا الخروج تعني أن المشاركة لم تكن عادية، وبخاصة وأن تلك الألوف من القتلى كانت تنتمي إلى عنصر واحد- وهم بربر ترجيلة المنفيين- مما يدعو إلى الشك مرة أخرى أن بربر ترجيلة ومن الممكن بما فيهم بنو الخليع، قد عملوا في هذه الفترة كجند مرتزقة.

يذكر صاحب تاريخ الأندلس أن المنذر "لما تمت بيعته خرجت عليه بلاد كثيرة، فشمر عن ساق الجد، وخرج في سنة274هـ-887م لقتال الخارجين عليه فقتل منهم وفتح معاقلهم"[4]، من هذا النص بالتحديد يمكننا إدراج خروج بربر ترجيلة مع أهالي طليطلة ضمن السياق العام لظروف الأندلس في هذه المرحلة، لأن النص لا يحدد منطقة بحد ذاتها، بل هو يعمم، مما يعطي بعدا لخطورة الوضع السياسي، واحساسا بهول الموقف.

بالرغم من أن النص الفارط يشير إلى الوضع بصفة عامة، فإننا نرى أن من واجبنا على الأقل تقديم محاولة الكشف عن هذا الخروج الذي شارك فيه البربر، وقدموا فيه الآلاف من أرواحهم، والأمر الرئيس الذي نعتمد عليه هو تتبع أجواء الواقع السياسي لهذه الفترة، وبطبيعة الحال ستكون ثورة ابن حفصون بداية الكشف عن ملابسات هذا الخروج، ثم إن ربطنا هذا بطليطلة المليئة بالمولدين، لربما قد نفهم منه أن علاقة ما جمعت هذين الطرفين، وبخاصة إذا أكملنا هذا الربط برابط آخر وهو ما ذكرناه سابقا من السبب

1- ابن القوطية، المصدر السابق، ص48.
2- الرقيق، المصدر السابق، ص64.
3- ابن عميرة، المرجع السابق، ص37.
4- تاريخ الأندلس، ص196.

الرئيس في فتن وثورات هذه الفترة، والذي أصله عودة العصبيات، وإذكاء روح مبدأ العنصر الذي بنيت وشيدت عليه الأندلس صرحها.

لنقول في الأخير، أن محاولة تشتيت جيوش السلطة الأموية وزعزعة تمركزها أمام حصن ببشتر[1] أين أقسم المنذر حصار صاحبه ابن حفصون، كان هو السبب في هذا الخروج، وبخاصة وأن المولدين قد تحزبوا في بلاد الأندلس، ضد العرب والسلطة، التي كانت تبدو لهم هي كذلك عربية، وبالتالي دخيلة مثلها مثل العنصر العربي الذي تنتمي إليه، وأن ما قام به بربر ترجيلة المنفيين والحاملين لذاكرة تختزن الذل والبطش ثم النفي، لم يكن سوى رد فعل ضد من تسبب في كل ما تحمله ذاكرتهم، ومن ثم فإن الفرصة قد جاءت مناسبة، وما كان عليهم سوى اغتنامها.

ويكفينا استدلالا وإثباتا لما نصرح به نص ابن حيان- حتى وإن كان هذا القول يتناول فترة الأمير عبد الله-[2] الذي يقول: "وتفاقم في هذا الوقت ما بين العرب والمولدين والعجمة، واستعملوا العصبية، وتميزت أحزابهم بعضهم إلى بعض بكل جهة، وتحزبت المسالمة مع المولدين وتميزت إليهم نصارى الذمة فصار جميعهم إلبا على العرب قائمين بدعوة عمر بن حفصون"[3].

أخيرا نجد أن هذا النص يغنينا عن أي تعليق لإثبات ما أردنا إثباته، لنؤكد أن البربر ستكون مشاركاتهم السياسية بطريقة أو بأخرى جد نشطة، إما تأثرا بالظروف التي كانت تحيط بهم، أو محاولة كعادتهم إيجاد المكان السياسي والإجتماعي المناسبين لهم، ناهيك عن اغتنام أطراف عديدة منهم للفتنة من أجل الفوز باستقلال مناطقهم وتحررهم من أية علاقة تربطهم بالسلطة، مع تنبيه مهم وهو أن هذا التحرر وهذا الإستقلال لم يكن

1- ببشتر: "هو الحصن المنفرد بالإمتناع، والواحد في الحصانة والإنقطاع، صخرة صماء من جميع النواحي، وإذا توصل المتوصل إلى أعلاه ألفاه سهلا منفسحا ورحبا منبسطا، كثير الكرم والزيتون والرمان واللوز، ابن غالب، المصدر السابق، ص295/ ياقوت الحموي، ج1، ص333.

2- نحن لم نعط أو نخصص لفترة المنذر مساحة أكبر بل أدمجناها مع فترة الأمير عبد الله، وهذا لأسباب منها، قصر فترة المنذر الزمنية، كما أنها-في نظرنا- تعتبر تمهيدا لفترة عبد الله اللاحقة، مع التأكيد على عدم وجود أدنى تميز بين الفترتين من تمزق الفترة سياسيا.

3- ابن حيان، ملشور انطونية، ص51.

يعني الخروج عن السلطة بمعنى محاربتها والتمرد عليها، وهذا في واقعه ما جاء إلى هذه الفترة، التي يصدق نعتها بفترة أو عصر دويلات الطوائف الأولى[1].

بعد وفاة المنذر ببشتر وهو يحاصر الثائر ابن حفصون، صارت الإمارة لأخيه عبد الله بن محمد وهذا "دون بيعة متقدمة ولا وصية متبعة"[2] بحكم موت المنذر المفاجيء، وقبل الولوج إلى شخصية الأمير عبد الله، ارتأينا الكشف عن ظروف الأندلس السياسية التي وصل فيها الأمير عبدالله إلى سدة الحكم، والتي كانت كما تتفق جل المصادر على أن النكث قد لحق "بأطرافها واقتسمها الثوار وكلب عليها الأشرار ولم يبق منها إلا الإسم"[3].

بل ومن المصادر من تبالغ إلى درجة الشعور بالإنفلات التام داخل الأندلس وانقطاع العلاقة تماما بين السلطة والرعية، ففي هذا يقول النويري: "ولم تبق مدينة إلا خالفت عليه، وعزموا على الدعاء على منابر الأندلس للمعتضد بالله العباسي[4]، حيث كتبوا لإبراهيم بن أحمد بن الأغلب[5] يسألونه أن يبعث إليهم رجلا من قبله"[6]، ولم تشهد هذه الفترة هذه الفتن لمدة مؤقتة، وإنما كانت كلها أيام فتن واضطرابات سياسية، أي كلها أيام فتن متوالية[7].

1- الذي أطلق هذا الوصف على هذه الفترة هو أحمد مختار العبادي عند تصنيفه لكتابه في تاريخ المغرب والأندلس، وإن كنا لا نوافقه تمديده لهذه الفترة التي جعلها من بداية عصر الأمير محمد إلى غاية عصر الأمير عبد الرحمن الثالث، أي من 238إلى 300هـ/852-912م، ص156.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص1.

3- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص26.

4- المعتضد بالله العباسي، هو الخليفة العباسي أحمد بن الموفق الذي حكم ما بين 279-289هـ/892-901م، إلا أن الإشكالية تكمن في احتمالنا وقوع النويري في خلط بين المعتضد وعمه المعتمد على الله أبو العباس الذي حكم ما بين 256-279هـ/869-892م، وهذا ما يجعلنا نرجح أن المراسلة كانت في عهد المعتمد على الله العباسي، وبخاصة وأن أكبر خروج وتكالب لابن حفصون على الأمير عبد الله كان سنة 276هـ-889م، حيث كما يذكر صاحب تاريخ الاندلس أنه "استحوذ على بلاد كثيرة "، السيوطي، المصدر السابق، ص288 وص 292/ تاريخ الأندلس، ص199.

5- هو إبراهيم بن أبي إبراهيم أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي عقال الأغلب، حكم ما بين261- 289هـ/874-901م، والملاحضة المهمة التي ندلي بها هي الفرق الكبير والواضح في سيرته كتلك التي يرويها ابن الأثير مثنيا عليها والأخرى عند ابن الأبار التي وصفه فيها قائلا: " ثم ارتكب من العدوان وسفك الدماء ما لم يرتكبه أحد قبله"، مع العلم أن ابن الأثير لم يذكر أية علاقة بين هذا الأمير الأغلبي وأهل الاندلس في تاريخه، ابن الاثير، المصدر السابق، ج6، ص256/257/ ابن الابار، المصدر السابق، ج1، ص 171/174.

6- النويري، المصدر السابق، ص113/ حول عزم دعاء أهل الأندلس للخليفة العباسي، يراجع، تاريخ الأندلس، ص200.

7- تجمع كل المصادر على ذلك ومنها: ابن عذارى، المصدر السابق، ص131/النويري، المصدر السابق، ص113/ فتح الأندلس، ص199/ ابن حيان، المصدر السابق، ص68.

أما عن سياسة الامير عبد الله فقد كانت نوعا ما متميزة، فهي إن صح التعبير كانت شديدة الوطأة حتى أنْ رجالات الدولة أنفسهم كانوا "يهابون عقابه، ويحذرون إنكاره، ويتحرون موافقة مذاهبه"[1]، والواقع أنه لا يمكننا إعطاء وصف محدد أو موجه لرجل حكم في مثل هذه الظروف ، لأن جدلية أعماله لها ما يبررها، وإن كان المؤرخ ليس قاضيا يحكم على الناس، فإن أحكاما قاسية من مثل ما أصدرها ابن حزم الأندلسي كمؤرخ حتى وإن كان في التجريح والتعديل كما يذكر إبن الخطيب" حجة على قومه"[2]، تجعلنا نحتاط أكثر في تحليلنا لشخصية الأمير عبد الله[3]، ومن ثم دوافع أفعاله أو ردودها، وبخاصة في ظل ظروف تكاد تكون إستثنائية.

يذكر ابن حزم كما تنقل عنه المصادر أن هذا الأمير كان" قتالا تهون عليه الدماء، مع ما كان يظهره من عفته، فإنه احتال على أخيه المنذر لما قصده بالعسكر، وواطأ عليه حجاما سم المبضع الذي فصده به[4]، ثم قتل ولديه معا بالسيف واحدا بعد واحد، وقتل أخاه القاسم ثالثهم، إلى من قتل من غيرهم"[5].

نستشف من خلال هذا النص أننا أمام رجل كان يمر بمرحلة نفسية رهيبة، فانفلات الوضع السياسي من بين يديه قد جعلته يفقد اتزانه ويأخذ الأمور "بالظنة"[6]، وبالتالي قد لا يبدو أن يكون الأمير عبد الله قد حمل تشاؤما وسوء ظن بمن يحيط به، كحتمية تتناسب وظرفية الأندلس[7]، وكيف لا إذا "كانت خيل إبن حفصون تغير على قرطبة في كل يوم، وهو لا يغني شيئا"[8].

1- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص153.

2- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص26.

3- الحقيقة أن الشخصية الجدلية التي يتصف بها الأمير عبد الله قد عبّرت عنها المصادر خير تعبير، ويمكن مراجعة خاصة ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص153/156/ تاريخ الأندلس، ص198.

4- حادثة اغتيال الأمير عبد الله لأخيه المنذر تذكرها أكبر المصادر الأندلسية والمغربية، ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، 156، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص26، ابن حيان، المصدر السابق، ص41، وهذا الحادث في أساسه نقلا عن ابن حزم، ابن القوطية، المصدر السابق، ص114، وصاحب تاريخ الأندلس، ص196، فلا يزيدون عن قيل أو يقال .

5- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص26.

6- ابن عذارى، المصدر نفسه، ص156.

7- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص261.

8- تاريخ الأندلس، ص200.

ومن بين ما يثبت حقا اضطراب الأندلس وحاكمها الأموي، كثرة الوزراء على غير عادة أمراء بني أمية السابقين، حتى بلغ منهم ثلاثة عشر وزيرا[1]، وأخيرا يكفينا لمعرفة عدد الثائرين في الأندلس على عهد الأمير عبد الله مراجعة المصادر التي ذكرت ذلك إما جملة أو اختصارا، كما جاء عند إبن الخطيب[2] وصاحب تاريخ الأندلس[3] اللذان ذكرا أسماء الثوار فقط، أو تفصيلا كما جاء عند إبن حيان[4].

يبدأ ظهور البربر بداية بساعة وفاة أو نقول اغتيال الأمير المنذر، لأن بصمة البربر على ما يبدو كانت منتشرة في كل أماكن هذه الجريمة، وحتى نتناول هذا الظهور وتداعياته، لا بأس أن نذكر نص ابن حيان رغم طوله، لأنه يخدم ما نريد توضيحه، والذي يقول فيه: "فأنفذ الخدم البربر فيه إلى قرطبة وهو كان خليفة فيها، يوحون إليه بشأن أخيه فطار بجناح الإشفاق على العسكر الجماع ووافى سريعا اليه، فأدخله الخدم إلى أخيه بداخل المضرب، ووقفوه على موته وأجلسوه مكانه، فاحضر الوزراء سريعا وعرفهم خبر الحدث على أخيه، ودعاهم إلى البيعة له فسارعوا إليها، وبايعوه جميعا مختارين له، ثم دعا برجال قريش بالعسكر ومن يليهم من الكتاب والقواد والموالي ووجوه أهل العسكر على مراتبهم.."[5].

إن أخذنا لهذا النص بحذافيره، مع التنقيب على خباياه، سيجعلنا كعادة المؤرخ الباحث وهو يواجه نصوص التاريخ، يتساءل، وليس هناك بطبيعة المقام، سؤال يسبق الإستفسار عن أية عصبية بربرية، أو أي جذم من الجذمين ينتمي هؤلاء الخدم؟ وإذا كانت الإجابة تبدو بسيطة، وأن هؤلاء كانوا من الموالين، بل ومما يبدو من النص من المخلصين، فإن جوانب الدراسة تستدعي التقصي عن انتمائهم، وإذا ما أعدنا التذكير بعمل البتر داخل الجيوش وموالاتهم العسكرية للسلطة، فهل هذا يعني أن البرانس وبخاصة المصامدة، لم يكن منهم في هذه الفترة بالتحديد من يحمل شارة الإخلاص لها؟.

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص6.

2- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص27.

3- تاريخ الأندلس، ص200

4- خصص ابن حيان القسم الثالث من كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس كله لفترة الأمير عبد الله.

5- ابن حيان، المصدر نفسه، ص2.

ثم خدمة البربر كحراس خاصين للأمير الأموي، وهذا ما ينكشف جليا في النص، لم لا يكون تتمة لعمل البتر الذين عملو كما ذكرنا مرارا كحراس خاصين لولاة الأمويين في بلاد المغرب[1]، وبخاصة ونحن نؤمن بإبقاء البربر ومحافظتهم على زادهم السياسي والإجتماعي وحمله معهم إلى العدوة المقابلة، أي ولوج الأندلس بنفس طبيعة العلاقات السياسية والإنقسام الإجتماعي السابق لهم ببلاد المغرب.

ومن بين ما نستخرجه كذلك من النص كنقطة مهمة، أن الخدم البربر كحراس أو مسؤولين عن أمن الأمير وسلامته، قد يكونون ولم لا من أصحاب الإلمام بأمور القصر وشؤونه، وأن هذه الميزة إذن لم تقتصر على الخصيان والصقالبة، الذين تطاولت أجنحتهم حتى علت بهم إلى الإستحواذ على شؤون الأمير عبد الرحمن[2]، وتنصيبهم الأمير محمد مكان عبد الله بن طروب[3]، محضية أبيه عبد الرحمن[4].

ومن خلال النص دائما نستنتج ملاحظة استفزتنا نوعا ما وحركت فينا شعور التحقيق في تفاصيلها على أبعد مدى، فمصطلح "يوحون إليه" يدل على أن الخبر كان مكتوما، وأنه وصل إلى علم الأمير عبد الله بسرية تامة[5]، ويقودنا التحقيق في النص أكثر إلى اكتشاف أن الموت لم يعلن عنه إلا بعد مجيء الأمير عبد الله إلى المعسكر، ليكون

1- إضافة إلى ما ذكرناه في صفحات سابقة، يمكن مراجعة دور ومساهمة البربر البتر في الفتوحات الإسلامية وعلاقتهم مع السلطة الأموية وموالاتهم لها فيما بعد، مقارنة مع البربر البرانس عند حسين مؤنس، المرجع السابق، ص208/207، بالرغم من أن المؤلف ذاته يناقض نفسه عند إنكاره إنقسام البربر في الأندلس بين بتر وبرانس، وكأنه يضع قطيعة بين بربر الأندلس وماضيهم ببلاد المغرب، فهو يقول:" ثم إن البربر لم يعرفوا عصبية الجنس التي أفسدت على العرب الكثير من أمورهم "وهذا تماما ما لا نوافقه عليه، يراجع، ص430/429.

2- على سبيل المثال يصف ابن حيان نصر الخصي:" حظي الأمير عبد الرحمن بن الحكم، الغالب على رأيه"، وفي مناسبة أخرى بـــ:"نصر الخصي الذي كان غالبا على الأمير عبد الرحمن آخر دولته ومحتويا على سلطانه" السفر الثاني، ص252/ ص238.

3- حول هذا الموضوع يراجع ما ذكره ابن حيان من محاولات نصر الخصي من تنصيب عبد الله بن الامير عبد الرحمن والذي يقول:" فسعى لذلك سعيه حتى إستمال أكثر الوزراء وعلية الجند ورجال المملكة إلى رأيه في تقديم عبد الله"، محمود علي مكي، ص، 106، مع العلم أن نصر الخصي قد مات مسموما بالسم نفسه الذي أراد به اغتيال الامير عبد الرحمن سنة 236هـ-850م، يراجع تفاصيل الحادث عند ابن حيان، المصدر نفسه، صص 16/8.

4- لقد فصل ابن حيان في هذا الموضوع أيما تفصيل، المصدر نفسه، صص، 119/108.

5- تختلف رواية ابن الخطيب هنا عن رواية ابن حيان، فهو يذكر قائلا:" فزعموا أن المنذر إعتلّ لأربعين يوما من منازلته ابن حفصون والأخذ بمخنقه، وبعث إلى قرطبة في إمارة أخيه عبد الله بن الأمير محمد لينوب عنه إذ اتصل مرضه، فلما وصله مات المنذر"، وربما هذا يوافق في شكل ما، ما رواه ابن عذارى الذي يقول: "بويع في اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر في المحلة على ببشتر"، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص25/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص121.

السؤال هنا هو: لماذا كل هذا التكتم؟ لنقول أن البربر هم من عايشوا الوفاة، ثم كتموا الخبر وجاؤا بعبد الله تحت غطاء من السرية، وإذا قمنا بتحقيق - إن صح التعبير ميداني- سنجد أن ذهاب البربر إلى قرطبة، ثم عودتهم إلى ببشتر سيستغرق وقتا طويلا، ورغم هذا فلا رجالات قريش ولا رجالات الدولة كانت على علم، مما يعني أكثر- وهذا ما نود التصريح به- أن الأمر من المحتمل قد دبر بليل.

وحتى نعطي لاحتمالاتنا نوعا من الفاعلية- إذ أنها إحتمالات وليدة الواقع التاريخي الذي تذكره أهم المصادر التاريخية وليست افتراضات تخمينية بعيدة عن ميدان الواقع- نعود إلى سؤالنا السابق: لماذا كان حجم التكتم كبيرا؟ وهو السؤال الذي سيوجهنا بدوره، ويعيدنا مباشرة إلى ما ذكرناه سابقا حول ما جاءت به أهم المصادر عن عملية اغتيال الأمير عبد الله لأخيه المنذر[1]، وبالرغم من أن هذه المصادر كلها تتفق على أن عملية الإغتيال كانت عن طريق حجام المنذر أو طبيبه، فإن المسالة من كان وراء تغطية هذه العملية، ومن تستر عليها؟.

وإذا كنا نأخذ بما جاء به ابن حزم الأندلسي من تصريحات رددتها الكثير من المصادر لاحقا، فمن جهتنا نستطيع التصريح بأن البربر كان اتصالهم السياسي بهذه الفترة مبكرا، ومبكرا جدا، وإذا كانت بطانة الأمير عبد الرحمن التي كان على أيديها أسرار القصر وولده من بعده الأمير محمد، من الخصيان والصقالبة، فإن البربر هم من أضحوا ينفذون ما كان يدور في الكواليس، وهكذا لايستبعد مشاركتهم في عملية اغتيال المنذر، ومن ثم فما عسى أن تكون عليه علاقة البربر مع الأمير عبد الله، بعد هذا التواطئ ؟.

البربر وثورة عمر بن حفصون: يعتبر عمر بن حفصون[2] من أكبر الثائرين بالأندلس أيام الأمير عبد الله بن محمد، وهو أحد المولدين الذين ثاروا بالجنوب أيام الفتنة.

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص223.

2- "هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش القس"، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص162/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص106.

يذكر ابن الخطيب، أن أصل هذا الثائر "من رندة من كورة تاكرنا، وجده جعفر، إسلامي إنتقل إلى رندة لأمر دار عليه بها في أيام الحكم بن هشام، فسكن قرية ترجيلة من كورة رية المجاورة لحصن أوطة، فاستوطن بها"[1].

يتيح لنا هذا النص استخراج العديد من المعطيات التاريخية التي تفيدنا في فهم بعض أسباب خروج هذا الثائر، وأول هذه المعطيات، سبب سكن جعفر الإسلامي لترجيلة، فحين عودتنا إلى فترة هشام والحكم الربضي من بعده، نجد أن تاكرنا كانت دائمة الثورة والتمرد، لذا قام أمراء بني أمية بنفي سكانها وبخاصة منهم البربر، الذين هم كذلك سكنوا وتوزعوا في ترجيلة وأقاليمها، ولقد ذكرنا حتى تجييش أهل طليطلة لهؤلاء البربر الذين بقوا حاملين لثأرهم على السلطة، ومن هنا نجد أن جعفر الإسلامي المعتنق الأول للإسلام في هذه العائلة[2] ربما كان أحد رؤوس المعارضة في إقليم تاكرنا، مع العلم أن تصريح ابن الخطيب المباشر والذي يقول فيه: "وانتقل على رندة لأمر دار عليه بها في أيام الحكم بن هشام"، وانتقاله بالتحديد إلى ترجيلة يثبت ذلك، ومن هذا المنطلق نجد أن عمر بن حفصون كان حاملا لدماء الثوة والمعارضة منذ جده هذا، كما أن أصل الأسرة الذي ينتمي إن صح التعبير إلى الطبقة الأرستوقراطية بالأندلس، بحكم أن جدهم الأكبر كان قسيسا، هو ما أجل اعتناق هذه الأسرة للإسلام إلى غاية فترة الحكم الربضي.

بادئ ذي بدء ونحن نحاول تحليل أكبر المحطات التاريخية لثورة ابن حفصون، أرتأينا أن نحفر أكثر في طبقات الفترات السابقة عن هذه الثورة، وهذا لنكتشف أكثر أسبابها، والمنطلق كان من طرحنا لسؤال نراه هام جدا، وهو من الذي استغل الآخر؟ هل ابن حفصون كان رجلا انتهازيا عرف كيف يستغل الظروف السياسية التى تمر بها الأندلس، فاستغل معارضة المولدين وحروبهم مع العرب؟، أم أن المولدين هم من استغل خروج ابن حفصون، وحينها أعلنوا ثوراتهم؟.

والجواب على هذا السؤال من الأهمية بمكان لأنه يسمح لنا بعملية مسح التاريخ السياسي لهذه الفئة، وهي فئة المولدين، ويجعلنا نكتشف أكثر مناطق ثوراتهم، التي هي

1-ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص25.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص106

بدورها مؤشر هام على بقاء سيادة مبدأ العنصر، أو العصبيات كما تسميها المصادر، إذ أن العناصر كانت في أغلب الأحيان تتجمع في مناطق محددة، الأمر الذي أنتج بدوره الصراع على الأرض، كما أن الإجابة عن هذا السؤال تجعلنا نعرف الاطراف التي كانت تدور حولها رحى الثورة، هل بين المولدين والسلطة، أم بين المولدين والعرب؟ ومن هنا يمكن القيام بعملية فرز بين ثورة ابن حفصون وخروج أبناء جلدته، وحتى معرفة أسباب وقوف العرب في وجه المولدين، والذي لا يمكن فهمه، إلا إذا فهمنا علاقات الطرفين في الفترات السابقة عن هذه المرحلة.

لقد أشرنا في الكثير من المرات إلى المولدين و كانت البداية مع بني قسي، وبالتحديد مع فرتون بن موسى" الذي ثار بسرقسطة[1] على الإمام الحكم، فقتل بها في ذي الحجة من سنة 186هـ-802م"[2]، وإن كانت شخصية موسى بن موسى بن قسي[3] هي الشخصية الرئيسة التي فتحت الباب لأسرة بني قسي المولدية وغيرها بالبروز أكثر بالثغر الأعلى، ولعل قائمة أسماء أمراء الثغر من المولدين التي ذكرها ابن حزم لتدل على قوة هذه الفئة بالثغور، فقد ذكر هذا الأخير بني قسي بتطيلة[4]، ووناط وأرنيط، وبني عمروس[5] بوشقة[6]،

1- "سرقسطة، تتصل بأحواز تطيلة، وهي شرق من قرطبة، أطيب البلدان بقعة وأكثرها عدة "، ابن غالب، المصدر السابق، ص287/ تذكرها ابن سعيد المغربي قائلا:" كان فيها فتن عظيمة في مدة بني مروان" ج2، ص353/ لقذ فصل العذري بما فيه الكفاية في وصف سرقسطة وأقاليمها، تراجع مادته، صص21/24.

2- العذري، المصدر نفسه، ص27.

3- قتل بعد جروح نالته في حربه ضد أزراق بن منتيل بن سالم البربري في وادي الحجارة، سنة 248هـ-862م، ابن حيان، محمود علي مكي، ص315/ حول بنو قسي وأدوارهم السياسية، يراجع العذري، صص29/40، ويراجع كذلك ابن القوطية، المصدر السابق، ص111/112.

4- "مدينة تطيلة، تتصل بأحواز مدينة وشقة وحازت الغاية في شرف البقعة، وهي أقصى ثغور المسلمين وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين "، ابن غالب، المصدر نفسه، ص287.

5- تنتمي هذه العائلة إلى عمروس بن عمر بن عمروس الذي غدر بموسى بن غلند عامل وشقة وقتله داخلها وملكها وذلك في أيام الإمام محمد سنة 256هـ- 869م، وقتل غدرا سنة 257هـ- 870م، العذري، المصدر نفسه، ص62/ حول بني عمروس، يراجع العذري، ص 62 وما بعدها.

6- يذكرها ابن غالب بأشقة، و"هي شرق سرقسطة ومدينتها أولية وقديمة رائقة البنيان، ولها حصون كثيرة "، المصدر نفسه، ص287/ ويذكرها العذري أنها أولية قديمة، ص55، ولمزيد من التفاصيل يراجع العذري، المصدر نفسه، ص55 وما بعدها/ بخصوص كتابتها ونطقها يذكر ياقوت الحموي:" وشقة، بفتح أوله، وسكون ثانيه، والقاف"، المصدر السابق، ج5، ص377.

وبني شبراط بوشقة وبربشتر[1]، وقد قامت هذه العناصر كلها بأدوار سياسية خطيرة للغاية، وبخاصة تلك التي لها علاقات مع الممالك النصرانية.

إضافة إلى هذا علينا أن لا ننسى طليطلة التي كانت دائما كما يعرفها ابن سعيد، المدينة التي "كثيرا ما قامت بها الثوار في مدة السلطنة المروانية، ونهض إليها سلاطينهم، وحاصروها، فرجعوا خائبين"[2]، وكما هو معلوم فإن هذه المدينة كانت دار مقام المولدين الذين كانوا يثورون ضد كل أمير أموي، إلا أن الملاحظ يجد أن هؤلاء كانوا قبل هذه الفترة يخرجون ضد السلطة، وهم على أكتاف الآخرين، وكان هذا كنموذج وبالتحديد، مع مولدي ماردة الذين ساندوا وتكاتفت سواعدهم مع البربر الخارجين على السلطة، وقد كانت فترة عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ) هي الفترة التي عرفت أكثر تكريسا لتحالف البربر والمولدين- وكما مر معنا- فقد اتضح ذلك أكثر مع خروج محمود بن عبد الجبار الماردي البربري.

ومن الملاحظ كذلك، عند تتبعنا لمسار حركات المولدين السياسية وبالأخص العسكرية، سنكتشف أن ما وصلت إليه الأندلس وبالتحديد في جنوبها، كان جراء عدوى خروج ومعارضة عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي ثار بغرب الأندلس، وصنع لنفسه مجدا سياسيا بدأه باستقلاله بعاصمته بطليوس[3] التي بناها واختصها لنفسه، بعد خروجه سنة 261هـ-874م[4]، وحتى نبرهن على ما نقول، يكفينا ما ذكره ابن حيان نقلا عن ابن القوطية الذي قال: "اضطربت الأحوال في آخر أيام الأمير محمد، ونشأت الفرقة، ونجم أهل الشقاق بكل جهة، فكان أول فتق حدث عليه، فتق عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي"[5].

1- ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص499/500.

2- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص9.

3- بطليوس، " مدينة عظيمة كثيرة الحذق جامعة للخلق، وأرضها كريمة، ولها أقاليم عدة، ابن غالب، المصدر السابق، ص290/ حول بطليوس يراجع أبو الفداء، المصدر السابق، ص173/ أما حول بطليوس سياسيا فيذكر ابن عذارى قائلا:" وكان ابن مروان قد ابتنى بطليوس حصنا، وجعله موطنا، وأدخل فيه أهل المكانفة له على الشر"، المصدر السابق، ج2، ص102/ أما بن حيان فيقول: "وهو الذي بنى بطليوس ومدّنها"، ملشور أنطونيا، ص15.

4- ابن حيان، المصدر السابق، ص343/ ابن عذارى، المصدر نفسه.

5- ابن حيان، المصدر السابق، ص343/ يراجع ابن القوطية، المصدر السابق، ص100

ومن خلال هذا النص نجد أن المولدين في هذه الفترة بدأوا في لعب أدوارهم السياسية ومعارضاتهم للسلطة بدون مساندة أو تحالف مع أي عنصر خارج عصبيتهم، حيث أن ابن مروان الجليقي، لم يكن من ظاهره سوى سعدون السرنباقي المولدي[1]، ويؤكد ابن القوطية ذلك حيث يقول:" فإجتمع بالسرنباقي وتضافرا على الشرك، وأحدثا في الإسلام أحداثا عظيمة يطول ذكرها"[2]، ولم تنتهي أعمال عبد الرحمن بن مروان الجليقي إلى حد معين، بل تفاقمت، وكان هذا التفاقم من جانب المولدين الذين بدأوا يتجمعون حوله، مشكلين كتلة عنصرية موحدة في وجه السلطة الأموية، حيث يذكر ابن حيان بهذا الصدد، أنه اجتمع معه: "جميع المارقين ومن تألبهم من أهل إقليم ماردة من المولدين المتجردين للمعصية"[3]، مع العلم أن ما ساعد في إعلاء شأن عبد الرحمن بن مروان الجليقي وجماعته عند المولدين أسره للوزير هاشم بن عبد العزيز، سنة 262هـ-875م[4]، بعد أن خرج لمحاربته، ومن هنا "ظهر ابن مروان ظهورا صار بذلك رئيس المولدين في الغرب"[5].

وهكذا ومنذ هذه الفترة طغى المولدون وانتفخت صدورهم، وإنتشرت دعاوى رياح الإستقلال في صفوفم، فإلى جانب سرقسطة وطليطلة، ظهرت فيما بعد بطليوس التي استقل بها المولدون أنصار عبد الرحمن الجليقي، ومن هنا نتساءل لماذا إذن لا تنتشر عند مولدي الجنوب فكرة الإستقلال بالمناطق، مثل مولدي الشمال؟ ومع ذلك فإنه لم يمضي وقت طويل حتى كانت كورة رية والجزيرة الخضراء وتاكرنا فوق فوهة بركان، وكان هذا بالتحديد سنة265هـ-878م[6].

1- يعرفه ابن القوطية بقوله: "وكان بجانب الغرب أيضا رجل من المولدين يعرف بسعدون السرنباقي، وكان المولدون يغلون فيه، فيقولون: إنما هو السرور الباقي" المصدر نفسه، ص101/ وقد عرفه ابن حيان واضعا إياه ضمن أصاغر الثوار، وذكر " أنه جرت له خطوب عظيمة إلى أن قتله أذفنش الطاغية صاحب جليقية"، ملشور انطونيا، ص23.

2- ابن القوطية، المصدر السابق، ص101.

3- نفسه، ص349.

4- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص103/ ابن القوطية،المصدر السابق، ص101/ حول عملية أسر عبد الرحمن الجليقي، يراجع، ابن حيان، محمود علي مكي، صص360/375.

5- ابن القوطية، المصدر نفسه، ص101.

6- ابن عذارى، المصدر السابق، 103/ ابن حيان، المصدر السابق، ص393.

وبعيدا عن الأسباب المباشرة التي تذكرها المصادر[1]، والتي تتلخص في عنف عاملي الأمير محمد على رية والجزيرة الخضراء في جباية الضرائب، وإرهاق الأهالي في مطالبتهم لها، والذي أدى إلى مواجهات بين الطرفين كانت نتيجتها انهزام عسكر السلطة، وهو بدوره ما أفاض الكأس في هذه المنطقة، فإنه لا بد من التذكير بأن الفطام السياسي للمولدين قد أتى عليه سنوات، ولم يبقى أمامهم سوى تحقيق ذاتهم الإجتماعية وتثبيتها، والذي لن يكون إلا بإثباتهم لمكانتهم السياسية.

ومن هذا المنطلق بالذات، قد يتساءل الكثيرون حول معنى هذا التصريح، والإجابة عليه أن الأندلس في فتراتها المختلفة، وبخاصة عبر محطاتها الكبرى، لم تكن عناصرها لتحقق ما تريده اجتماعيا واقتصاديا سوى باستغلالها للعوامل السياسية، وهذا ما يجعلنا نؤكد على أن كلا من العاملين، السياسي والإجتماعي، كانا مرتبطين أشد الإرتباط، وهذا في واقع الأمر ما ينفي الدهشة عن أنفسنا عند ملاحظتنا للحروب الكثيرة والتمردات المتعددة، سواء ضد السلطة، أو بين الأطراف الأندلسية نفسها، وفي الوقت نفسه، هذا ما يجعلنا نؤكد مرة أخرى على أن التعبير الإجتماعي ومن ضمنه الإقتصادي، كان دائما يأخذ شكلا سياسيا، وفي أكثر أوقاته متقمصا ثوب المعارضة المسلحة.

لنقول في الأخير، أن الحرب والمواجهات المسلحة في سبيل نيل المبتغى وتحقيق الطموح، كانت من بين السنن الحضارية في أندلس العصور الوسطى حتى وإن لم يكن هذا بدعا على الأندلس لوحدها.

إن العودة إلى السؤال الذي طرحناه سابقا حول البادئ بحمل مشعل نار الثورة في جنوب الأندلس من المولدين؟ وهل كان عمر بن حفصون مجرد إنتهازي عرف كيف يخضع الظروف لصالحه؟ تجبرنا على تتبع الأحداث كرونولوجيا ففي سنة 265هـ-

---

1- من الغريب أن ليفي بروفنسال يصرح بأن أعمال الشغب كما يصفها كانت دون" مقدمات تذكر" بالرغم من أن التاريخ علمنا أن الأحداث مهما كانت، لها دائما مقدمات، وأن الأحداث في حد ذاتها دائمة الإرتباط كسلسلة ذات حلقات متصلة، والأكثر من ذلك أنه يجعل كلا من البربر والمولدين" رأوا أن الوقت قد حان لرفض سلطة قرطبة" وهذا بالنسبة لنا يمثل خلطا شنيعا، وأنها تصريحات عامة أو سطحية، وغير دقيقة، خاصة إذا ما علمنا أن الكثير من البربر كانوا ضد ابن حفصون نفسه، حتى أن يحي بن ضريس الذي شل يد هذا الأخير، هو بربري من بلكونة كما يذكر ابن حزم، والذي يضيف في مناسبة أخرى أن من أعلام ملزوزة البربرية، "كان إبراهيم بن براح قاتل أزهر بن مهلب المولد، الفارس المشهور الذكر من أهل ولبة"، ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص243/ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، المصدر السابق، ص498/502.

869م، ثار رجل اسمه يحي ويعرف بالجزيري بمنطقة جنوب الأندلس[1]، كما أن هذه المنطقة قد عرفت في السنة اللاحقة تحركات لجيوش السلطة بقيادة عبد الله بن الأمير محمد، والتي يبدو من تفاصيلها أنها كانت في غاية الأهمية، حتى أن عبد الله قد بنى هناك حصونا[2]، وهذا العمل بدوره يكشف على أن الأمور بهذه المنطقة قد بدأت تأخذ مجرى آخر.

كما أن قيام ابن حفصون في وجه السلطة، قد رافقه في الوقت نفسه قيام بعض الثوار، مثل لب بن مندريل وإبن أبي الشعراء "في جبل الجزيرة ببشتر"[3]، مما يعني أن ابن حفصون لم يكن في بداياته سوى من أولئك الذين كانوا يبحثون عن مكان لهم وسط الأندلس بعد أن أصابته رياح المولدين الداعية إلى الإستقلال[4]، إلا أنه على خلاف غيره، كان ممثلا بارعا عرف تقمص شخصيات عديدة، ولعب أدوارا في غاية البراعة[5]، فهو تارة مسالما[6]، وتارة أخرى خارجا عن السلطة، وأحيانا مدافعا عن المولدين وقضاياهم[7]،

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 103/ في الواقع لم نجد من المصادر ما يدل على أنه بربري، إلا أن محمد حقي اعتبره ضمن البربر؟؟، المرجع السابق، ص86/ أما نعنعي فقد جعله من المولدين، الإسلام في طليطلة، ص43.

2- ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص103.

3- ابن القوطية، المصدر السابق، ص104.

4- يذكر ليفي بروفنسال أن ابن حفصون "عزم على تكوين إمارة مستقلة"، وهذا في الواقع مخالف تماما لسياسة ابن حفصون والذي نراه كان دائم الطموح في المحافظة على هذه السلطة، لأنه وبنوع من الاستنتاج السياسي البعيد المدى، أن ابن حفصون لم يكن ليساوي شيئا بدون وجود هذه السلطة بهذه الحالة، مع العلم أن تكوين إمارة بجنوب الأندلس أين تتواجد عاصمة الأمويين ومواليهم، وتواجد العرب الشاميين، كجند دمشق بالبيرة، وجند الأردن برية، وغيرهم، جعل من ابن حفصون يتيقن من أن القصور التي يحلم ببنائها سيكون مصيرها، كمصير قصور رمال الشاطئ، لا يزيد أن يكسرها الموج، وبخاصة إذا ما أضفنا إلى ذلك، أن جند الصوائف كانت أغلبيتهم إن لم نقل كلهم من الجنوب أي أن الجيش كان منهم، ليفي بروفنسال، المصدر السابق، ص246/ حول تواجد الشاميين وتمركزهم بالجنوب، يراجع، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ص110/ أما حول تكوين جيوش الصوائف فيراجع، ابن عذارى، المصدر السابق، ص109/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 23.

5- حتى أن ابن عذارى نقل الكثير من الصفات الحميدة والخلال الحسنة التي اتصف بها على حسب زعمه ابن حفصون، والتي لم تكن في حقيقتها سوى دعايات وصور مموهة عرف هذا الأخير وأنصاره كيف يروجونها، المصدر نفسه، ج2، ص114/115.

6- ابن حيان، ملشور أنطونية، ص2/ ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص122.

7- حول هذا الشأن يذكر ابن عذارى ما قاله عمر بن حفصون بعد أن يوضح لنا أحد طرق هذا الأخير وهي إتيان الناس من جهة الألفة" حيث يقول:"طال ما عنف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، وأذلتكم العرب واستعبدتكم، وإنما أريد أن أقوم بثأركم، وأخرجكم من عبوديتكم"، ابن عذارى، المصدر نفسه، ص114.

نراه بعد ذلك متحالفا حتى مع العرب أعدائهم[1]، بل ضد حتى أولئك الذي ساندوه من المولدين، كابن خير الذي قتله مرسلا برأسه إلى الأمير عبد الله[2].

وحتى يكون عملنا منسجما أكثر، ونحن نتناول أثر البربر، حتى لا نقول دورهم في هذه الفتنة، ارتأينا أن نستعمل طريقة في التحليل تكون بمثابة عملية مسح حقيقي لهذه الفترة، تكمن في تتبع الأحداث السياسية والعمليات العسكرية كذلك جغرافيا، لأن هذه الأحداث قادتها الكثير من الشخصيات التي تمركزت في حيز جغرافي واحد يكاد يكون في أغلب الأحيان ضيقا، مع العلم أن هذه الفترة تصعب فيها عملية فرز الأحداث، والأصعب من ذلك أن محور دراستنا يدور حول علاقة البربر بالسلطة وليس مع الأطراف أو العناصر الأندلسية الأخرى كالمولدين والمستعربين، أو العرب وغيرهم، ومع هذا تحتم علينا إدراج بعض من تلك العلاقات، والتي بدورها أتاحت لنا معرفة الموقع السياسي البربر.

مع الإشارة كذلك، وهذا ما نأخذ به بشدة، أن مسحنا الجغرافي سيكون فقط بجنوب الأندلس، أين كانت الفتنة متفشية، لأن الدور السياسي للبربر والعناصر الأخرى في الشمال سيكون نوعا ما مختلفا، وهذا بطبيعة الحال يعود إلى الكثير من الاسباب تدخل في مجملها تحت عوامل تاريخية وأخرى جغرافية[3]، والتي كونت هي الأخرى مع مرور الزمن تكتلات عرقية وعنصرية، سمحت بتحقيق الإستقلال، حتى وإن كان ينقصه الكثير من المعالم، وهو الشيء الذي جعله في الأخير، يشكل لوحة مشوهة وغير كاملة لمعنى الإستقلال بالثغور.

ولحد الأن هل يمكننا فهم ذلك الأثر الباهت الذي ظهر به البربر في جنوب الأندلس؟، مع العلم أن الكثير من المراجع المعاصرة تشير ولو بدون التهميش لما تصرح

1- مثل محالفته لبني حجاج عرب إشبيلية، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص32/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص119/120.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص24.

3- في هذ المجال بالضبط يذكر ابن حيان نقلا عن أحمد بن عيسى الرازي – بعد أن يوضح الصراع الذي تأجج في جنوب الأندلس وبروز العصبيات– قائلا:" فاضطرمت كورة الأندلس كلها عما قليل بفتنة ابن حفصون نارا وتأججت سعيرا حاشى الثغور، فإن أهلها تحاموا هذه النحلة ومضوا وأكثرهم على طاعة السلطان مدة "، المصدر نفسه، ص51.

به، أن البربر قد أعطوا الغالي والنفيس لابن حفصون الذي ساندوه في قضيته[1]، وهو أمر نراه يحمل مغالطة كبيرة، باستثناء ما وقع لبني الخليع البربر البتر، والذي سنتطرق إليه في وقته.

من الناحية الجغرافية، جمعت منطقة جنوب الأندلس الكثير من الحساسيات، وبالضبط التاريخية منها، ومن بينها وجود ما يسمى بالعاصمة السياسية، ونعني بها قرطبة، وهذا ما جعل تردي الأوضاع بالمنطقة يشكل خطرا حقيقيا، ولقد انتابنا تساؤل ملح ونحن نتابع تفاصيل تمركز كل من البربر والعرب وحتى المولدين بجنوب الأندلس عن سبب عدم تحول الأمويين عن قرطبة أو بنائهم لعاصمة جديدة إلا في عهد خلافة الناصر لدين الله، الذي بنى الزهراء، عكس العباسيين بالمشرق الذين غيروا عواصمهم عدة مرات؟ الشيء الذي جعلنا نذكر دائما دور موالي الأمويين المتمركزين حول العاصمة قرطبة.

والبحث عن الإجابة سيقودنا إلى ما أسلفنا ذكره وهي العودة إلى الأسباب التاريخية، الحاملة للكثير من الحساسيات، وسنبدأها بإنتشار الشاميين في المنطقة وما سبّبه من المشاكل، لأن أبا الخطار الحسام بن ضرار الذي وصل إلى الأندلس سنة 125هـ-742م[2]، وحتى يسوي الأوضاع بين البلديين والشاميين، ارتأى أن يوزع هؤلاء الآخرين على المنطقة، حيث" أنزل أهل دمشق بإلبيرة، وأهل الأردن برية، وأهل فلسطين بشذونة[3]، وأهل حمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجيان[4]، وأهل مصر بباجة، وبعضهم بتدمير"[5]، وإذا كان ولغاية الآن لا تبدو الأمور على غير ما يرام، فإن الذي يجعلها غير ذلك، هو معرفتنا أن إنزال أولئك الشاميين الذين كانت بينهم وبين أهل الأندلس البلديين حروبا وصراعات

1- ابراهيم بيضون، المرجع السابق، ص275.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص33.

3- بخصوص شذونة، يذكر اليعقوبي أن الذين نزلوها هم جند حمص، المصدر السابق، ص110/ أما ابن الأبار فيضيف أن جند فلسطين قد سكنوا شذونة والجزيرة، الحلة السيراء، ج1، ص 61.

4- يذكر ابن الخطيب، أن جيان أنزل بها جند الأردن، المصدر السابق، ج 1، ص20.

5- ابن عذارى، المصدر نفسه، ص33/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص44/ اليعقوبي، المصدر السابق، ص110/111/ حول مصطلح الأجناد والذي تذكره الكثير من المصادر كاليعقوبي وابن الخطيب، نجد أن البلاذري يذكر روايتين يقول في أولها" سمى المسلمون فلسطين جندا لأنه جمع كورا، وكذلك دمشق، وكذلك الأردن، وكذلك حمص مع قنسرين"، أما الرواية الثانية فيقول فيها: سميت كل ناحية لها جند يقبضون أطماعهم بها جندا " المصدر السابق، ص128.

كان "على أموال أهل الذمة من العجم"[1]، وهذا ما يجعلنا نذكّر مرة أخرى ونؤكد أن هذا الأمر في حد ذاته، كان أحد أكبر الأسباب وأهمها التي تمخضت عنها فتنة القرن الثالث بالأندلس، كيف لا وأهل الذمة كانوا هم فقط المستهدفين، عكس البلديين العرب والبربر الذين بقوا محافظين على ممتلكاتهم و"غنائمهم، لم يتنقصهم شيئا"[2]، وهذا ما يجعلنا نبدي نوعا من الرأي وهو أن هذا الفعل قد كان تجاوزا، لأنه حتى وإن كان الرد المقابل لرأينا هو "أن الأندلس لم تخمّس وتقسّم"، وأن الحكم فيها نفد "بأن لكل يد ما أخذت، ووقعت فيها غلبة بعد غلبة"[3]، فإن هذا كان عند الفتح، ولم يكن من المستساغ أن يكون بعد أكثر من خمس وعشرين سنة منه، وهكذا، ألا يمكن أن نصرح بأن الحقد الذي كان يتأجج في صدور المستعربين و لما لا حتى عند المولدين طيلة الفترات اللاحقة، قد انفجر دفعة واحدة في هذه الفترة.

وبالتالي ومن خلال ما تطرقنا إليه، فإن عملية المسح الجغرافي، وفرز أماكن استقرار العناصر الأندلسية بمنطقة جنوب الأندلس هي من ستسمح لنا بالكشف عن مشاركة البربر، وقد تحتم علينا حتى نمنهج عملنا ونقوم بتبسيطه أكثر، أن نقسم هذه المنطقة من الأندلس إلى ثلاثة جهات، الجنوب الشرقي الذي نبدأه من تدمير ولورقة والمرية وغيرها، ثم وسط الجنوب والذي يشمل على سبيل المثال لا الحصر، ضواحي قرطبة وجيان وإلبيرة ورندة والجزيرة الخضراء وشذونة ومالقة، وهذا بدون أن ننسى تاكرنا وموررور الآهلتين بالبربر[4]، وأخيرا الجنوب الغربي الذي ستكون إشبيلية ولبلة وقرمونة وأكشونبة وباجة هي أهم المدن التي تكون محل الدراسة.

---

[1] ابن القوطية، المصدر السابق، ص44/ يراجع ابن عذارى، المصدر السابق، ص33/ يذكر ابن الخطيب "أن الشاميين أقطعوا أهل الذمة من العجم طعمة "، وإن كان هذا يعارض تماما ما ذكره ابن عذارى الذي يصرح: " وكان إنزالهم على أموال العجم أرض ونعم " وهذا ما يبدو أنه كان فيه نوع من التعدي أو إلزام الآخر على القبول والرضوخ للأمر الواقع، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 20، ابن عذارى، المصدر نفسه، ص 30.

[2] ابن القوطية، المصدر نفسه، ص44/ يراجع ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص20.

[3] ابن حزم، التلخيص لوجوه التخليص، تحقيق: عبد الحق التركماني، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1423هـ/ 2003م، 15، ويضيف ابن حزم، زيادة على ما ذكرناه قائلا:" ثم دخل البربر والأفارقة فغلبوا على كثير من القرى دون قسمة "، 153/15/ حول تقسيم الأرض وتخميسها بالأندلس، يراجع، عبد القادر بوباية، المرجع السابق، صص79/85.

[4] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص499، 500، 502.

1- دور البربر في الأحداث السياسية بالجنوب الشرقي: تعتبر مدينة تدمير الواقعة شرق قرطبة[1]، والمتصلة بأحواز جيان[2]، أحد أغنى المناطق بالأندلس، مما يعطينا نظرة واضحة حول أكبر الأسباب التي جعلت من تدمير أحد بؤر التوتر في الاندلس، فمعادن الفضة بأقاليمها منتشرة[3]، إضافة إلى غنى أراضيها بكل أنواع الغلات الزراعية والفلاحية لتوفر الأنهار والمياه بها[4]، كما أن هذا الغنى في حد ذاته هو الذي حتم على أهل تدمير وحاكمها الذي سمته المصادر العربية باسم المدينة[5] أن يتصالحوا مع عبد العزيز بن موسى بن نصير [6] وفق شروط اشترطوها، ومنها دفع الجزية، وإن كان ما يهمنا أكثر في هذا الصلح هو معرفة المدن التي تصالح عليها الطرفان، لأنها تفيدنا في معرفة المناطق التي فتحت صلحا، وكيف كانت الحركة السياسية بها في فترة الفتنة، عن غيرها من تلك التي فتحت عنوة، والمدن كما جاءت في كتاب الصلح هي:" أريولة ومولة ولورقة وبلنتلة ولقنت [وإلة] وإلش"[7].

إختلفت المصادر حول المناطق التي فتحت عنوة، والتي فتحت صلحا كتدمير، فقد صرح ابن حزم من أن أرض الأندلس كانت للمتغلب، وهذا بدون الرجوع إلى الشريعة[8]، وهذا ما توصل إليه أحد الدارسين المعاصرين بعد المقارنة للكثير من نصوص المصادر-

---

1- ابن غالب، المصدر السابق، ص284.

2- نفسه، ص284/ ياقوت الحموي،ج2، ص286.

3- العذري، المصدر السابق، ص2/ تاريخ الأندلس، ص136/ البكري، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ج2، ص286/ ابن غالب، المصدر نفسه، ص285/ Levi Provinçal. P70

4- في هذا الجانب يعطي العذري تفاصيل جليلة إذ يقول:" وأرضها تسقى بنهر كالنيل بمصر، ونهرها يجري إلى الشرق، عنصره من عين ملنحشة ومجراها إلى الشرق، وعلى نهر تدمير النواعر التي تسقى جناتها"، المصدر نفسه، ص1/ يسمي صاحب تاريخ الأندلس هذا النهر، بالنهر المبارك، وبنهر مرسية، أما ابن سعيد نقلا من المسهب، فيسميه بالنهر الأعظم، تاريخ الأندلس، ص136، ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص245 Levi/ . Provinçal. P70

5- يذكره العذري باسم " تدمير بن غندريس" ويضيف أن داره كانت بأريولة، المصدر نفسه/ الحميري، ص 132.

6- كان والده قد استخلفه على الأندلس عند خروجه منها سنة 95هـ-713م، فأقام واليها إلى أن كتب سليمان بن عبد الملك(96-99هـ) إلى الجند هنالك فقتلوه وأتوه برأسه" وكان قتله كما ذكر ابن الفرضي سنة 98هـ- 716م، الضبي المصدر السابق، ص337/ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 225/ للمزيد من التفاصيل حول ولاية عبد العزيز بن موسى ومقتله، يراجع ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، صص23/25/ ابن القوطية، المصدر السابق، صص 37/36.

7- ينظر كتاب الصلح الذي كان في رجب من سنة 94هـ- 712م عند الحميري، المصدر السابق، ص132، والعذري، المصدر السابق، وص5/4، وللمقارنة بين ما جاءت به هذه المصادر، يراجع نص الصلح عند الضبي الذي يحمل بعض الإختلاف، المصدر السابق، ص235.

8- ابن حزم، التلخيص لوجوه التخليص، ص152.

وعبر عن ذلك قائلا: " أن المنطق الغالب الذي ساد في امتلاك الأراضي، هو منطق القوة والغلبة [1].

وإذا كان منطق القوة يعتبر لاغيا بالنسبة للمناطق والمدن التي فتحت صلحا، فكيف نسمي إذن عمل أبي الخطار الحسام بن ضرار الذي أنزل ووزع بتدمير وأقاليمها" جند مصر"[2]؟، وهكذا إذن نعود لنؤكد على ما أسلفنا ذكره وهو أن مكمن الداء الذي تفاقم عبر السنين، هو انتشار الشاميين في أراضي أهل الذمة والمستعربين، مع أن سؤالا ملحا يفرض نفسه، كما فرضه على بعض الباحثين والدارسين من قبل، وهو هل ذاق البربر طعم أعمال الوالي أبي الخطار الحسام بن ضرار، مثل الآخرين أم أنهم كانوا خارج سرب هؤلاء المتضررين؟[3].

بطبيعة الحال ستتغير الكثير من الموازين سواء الإجتماعية والإقتصادية، وبالأخص السياسية بوجود الشاميين بمنطقة جنوب الأندلس، لأن المتتبع للأحداث السياسية سيجد الكثير من الوقائع السياسية والإجتماعية التي تثبت تمركز العرب البلديين سواء القيسيين أو اليمنيين بهذه المنطقة، وحتى لا نخرج عن إطار الإمارة الأموية وهي محل دراستنا، نستهل الوقائع بذلك الصراع بين المضرية واليمنية زمن الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ)، والذي دام أكثر من سبع سنوات[4]، وقد قامت الفتنة بين الطرفين على دم وساق حتى "انتهى القتل فيهم إلى ثلاثة ألاف"[5]، في موقعة المصارة بالقرب من لورقة.

1- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص84.

2- العذري، المصدر نفسه، ص1/ ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص20/ ابن القوطية، المصدر السابق، ص44/ ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص61.

3- يؤكد الباحث عبد القادر بوباية على أن الشاميين بقيادة بلج بن بشر بعد دخولهم الأندلس طردوا البربر عند ثورتهم المعروفة، من المناطق الخصبة وألجؤوهم إلى المناطق الجبلية، وهو بدوره تساءل عن مصير البربر بهذه المناطق عند إنتشار الشاميين بها بعد ترتيبات أبي الخطار، المرجع السابق، ص84.

4- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص48/ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص81/ ابن حيان، السفر الثاني، ص411.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص154/ العذري، المصدر نفسه، ص5/ ابن حيان، المصدر السابق، ص 411.

وبالرغم من قوة هذه الفتنة التي ازدادت تفاقما، "حتى هلك فيها بين الفريقين أمم"[1]، نجد الكثير من المصادر تشير إلى سبب يكاد يكون باهتا يشبه في معانيه وأسبابه، حرب داحس والغبراء التي دامت أربعين سنة، والتي لم تكن سوى تحت سبب تافه، وهو رهان على سباق فرسين[2]، وهكذا فإن إنبعاث الفتنة في كورة تدمير، لم يكن سوى بسبب "ورقة دالية أخذها مضري من جنان يماني، فقتله اليماني"[3]، وإن كان هذا قد حصل، فنحن لا نعتبره سوى البيضة التي قصمت ظهر البعير، والفرصة التي كان ينتظرها الطرفان.

لأن الباعث الحقيقي أبعد وأعمق من ذلك بكثير، ولعل ما ذكره ابن القوطية يعتبر أقرب إلى الواقع التاريخي لتلك الفترة، حيث يذكر أن محرك الفتنة كان رجلا، وبالرغم من كونه لا يعطينا سوى لقبه، وهو "قعنب"[4]، والتي تعني هنا الثعلب الماكر[5]، فنتيجة عمل عمل هذا الأخير أنه استطاع أن يضرب "بين العرب والموالي، وبين البتر والبرانس"[6] وكان هذا أول الأمر بمورور، ليقوم بعدها بفتنة أخرى بمناطق ماردة، وهذا بعد فراره من مورور، وهذه المرة "بين البربر وبين المولدين"[7]، وإذا كانت المناطق التي أثار فيها هذا الداهية الذي درس جيدا الألحان التي ترقص على إيقاعها العناصر الأندلسية ليست خارج الإطار الجغرافي الذي يهمنا، بحكم أن مورور وأحوازها تقع في جنوب الأندلس، فهو بالتالي يتيح لنا بما لا يدعو إلى أي شك، أن الصراع سواء بين العناصر أو الأطراف الأندلسية المختلفة، أو داخل العنصر نفسه، من جهة كان الصبغة التي صبغت هذه الفترة، وأن بداياته كانت قبل فترة الأمير المنذر بن محمد وأخيه الأمير عبد الله من جهة أخرى.

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص419، العبارة التي يذكرها ابن حيان هنا تعود إلى ما يذكره ابن عذارى في حوادث سنة 208هـ-824م وهو يتناول الحرب بين اليمنيين والمضريين، إذ يقول:" وكانت بينهم وقعة بمرسية كوقعة يوم المصارة بلورقة، فني فيها من المسلمين أمم"، المصدر نفسه، ج2، ص82/ وقد ذكر العذري ذلك أيضا، المصدر نفسه، ص5.

2- "داحس والغبراء، فرسين كانت إحداهما وهي داحس لقيس، والأخرى وهي الغبراء لحذيفة بن بدر بن سيد فزارة، فأجرياهما وتشاحنا في الحكم بالسبق، فتشاجرا وتحاربا، وقتل قيس حذيفة، ودامت الحرب بين قبيلتي عبس وفزارة..."، ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 352/ يراجع، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج1، ص49/50.

3- ابن عذارى، المصدر السابق، ص82/ ابن حيان، المصدر نفسه، ص411/ العذري، المصدر نفسه، ص6.

4- ابن القوطية، المصدر السابق، ص 83.

5- الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص117.

6- ابن القوطية، المصدر نفسه، ص83.

7- نفسه، ص83.

مع العلم أن ما قام به العرب جعل الأمير عبد الرحمن الأوسط يقوم سنة 210هـ-825م ببناء مدينة مرسية[1]، وهدم معقل العرب الذي بدأت منه الفتنة[2]، وهذا بدون أن نتغافل عن أهمية الموقع الذي تقع فيه مرسية، والذي أكبر ما كان يتميز به، وفرة المجاري المائية[3]، حتى أننا نجد العرب الشاميين قد قطنوا جميع المناطق والمدن- التي سميت بالكور المجندة- ذات التماس أو الواقعة على "الوادي الكبير أو جنوبه، أو في مستواه"[4]، وما نذكره هنا في واقعه يفيدنا كثيرا في تتبع مسار الأحداث السياسية للبربر، وفهم علاقاتهم بمن يحيط بهم، ومدى درجة تأثيرهم أو تأثرهم بالفتنة وبخاصة عند أخذنا بعين الإعتبار تواجد البربر وتمركزهم تحت سبب أو آخر بالجبال[5].

من خلال هذه التوطئة، تبين لنا أن الصراع كان لا بد أن يكون صراعا عنصريا، أو عصبيا، بتوفر جميع شروط هذا الصراع، وقد كان ابن حيان أول من أشار إلى هذا مباشرة وبكل صراحة، فهو يصرح على سبيل المثال قالا: "وتفاقم في هذا الوقت ما بين العرب والمولدين والعجمة، واستعملوا العصبية، وتميزت أحزابهم بعضهم إلى بعض بكل جهة"[6]، ويضيف في مناسبة أخرى:" وتحزبت المسالمة مع المولدين، وتميزت إليهم نصارى الذمة، فصار جميعهم إلبا على العرب قائمين بدعوة عمر بن حفصون"[7].

1- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج2، ص82/ ابن حيان، المصدر السابق، ص420، تجمع المصادر على" أنها أتخذت دارا للعمال وقرارا للقواد"، الحميري، المصدر السابق، ص539، يراجع العذري، المصدر نفسه ص6.

2- يذكرالعذري أن ذلك كان سنة 210هـ/ 825م،المصدر السابق، ص6/ أما الحميري، فيذكر هذا سنة 216هـ/831م، المصدر نفسه، ص 538.

3- يراجع حول موقع مرسية وما تتمتع به من موارد طبيعية، عند ابن غالب، المصدر السابق، ص295، تاريخ الأندلس، ص135/136/ الحميري، المصدر نفسه، صص539/540/ مع العلم أن هذا يتيح لنا معرفة قيمة الماء في تأسيس الحواضر، وقد ذكرنا سابقا دراسة سعيد بن حمادة الموسومة بـ: الماء والإنسان في الأندلس، وبخصوص دراستنا لمنطقة الجنوب، فالباحث يخرج بنتيجة، وهو أن الماء كان أحد الأسباب الإقتصادية التي"جعلت الجماعات القروية، تنحصر في بيئة جغرافية ضيقة وقليلة الخصوبة في المناطق الجنوبية، ما بين الوادي الكبير والبحر الأبيض المتوسط"، ص79/80.

4- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، تعليق المحقق، هامش ص62.

5- ناقشت العديد من الدراسات موضوع إستقرارا البربر وإستطانهم بالأندلس، خاصة حول أسباب إستقرارهم بالجبال، ولقد ... في هذا، عبد القادر بوباية، المرجع السابق، صص69/79/ ذو النون طه، المرجع السابق، صص259/260/ محمد حقي، المرجع السابق، صص61/65.

6- ابن حيان، ملشور أنطونية، ص51.

7- نفسه، ص51.

من الممكن جدا أننا لا نجازف بالإدلاء على أن الذين خرجوا بمقاطعة أو كورة بير لم يكونوا من الخطورة بمكان، مقارنة مع الآخرين الذين كانوا بالموسطة، أو نوب الغربي وبخاصة بإشبيلية، باستثناء ديسم بن إسحق[1] الذي "غلب على مدينتي رقة ومرسية، وما يليها من كورة تدمير مظاهرا لأهل الخلاف"[2]، ومن الممكن جدا أن سم لم يكن من كبار الخارجين بمنطقة تدمير فقط، بل على مستوى الأندلس كلها، فقد ضعه ابن حيان في القائمة الأولى من المخالفين في عهد الأمير عبد الله بن محمد، ولعل يل على قوته هو "استكثاره من الرجال وشجعان الثغر وابتياع العبيد، حتى بلغ عددهم سة آلاف فارس سوى الرجال"[3]، ناهيك عن ذكر الشعراء له والخدمة في بلاطه من ل عبيد ياسين بن محمد الكاتب الجياني[4] والذي يذكره ابن سعيد المغربي بإسم سمنتاني[5].

ذيوع صيت ديسم بن إسحق، وكثرة أتباعه جعلته "مظاهرا لأهل الخلاف ممدا لهم حروبهم، وكانت له غزوات إلى من يخالفه"[6]، وبالرغم من أن السلطة لم تقم بغزوه ى مرة واحدة، وهذا سنة 283هـ- 896م[7]، فإن هذه السنة كانت إحدى أكبر السنوات نوات التي عرفت تهاطل الغزوات على أهل الخلاف، وقد أجمعت المصادر التي ولت الموضوع، أن ديسم بن إسحق قد هزم، وأن وجوده في تلك المواجهة كان بلورقة[8]

1- مع العلم أن العذري يذكره أحد أصحاب عمر بن حفصون، إذ يقول:" كان ديسم بن إسحق من فرسان عمر بن حفصون رى ببشتر"، المصدر السابق، ص11، فهل هذا يعني أن هذا الأخير قد خرج بعد ابن حفصون، وأنه تتلمذ وتكون إن صح ير في مدرسته، ثم ثار عند بروز الفتنة؟

2- ابن حيان، ملشور أنطونيا، ص9/ ابن عذارى، المصدر السابق، ص135

3- ابن القوطية، المصدر السابق، ص119/ يراجع ابن عذارى، المصدر نفسه، ص135/ ابن حيان، المصدر نفسه، ص9.

4- الحميدي، المصدر السابق، ص264/ الضبي، المصدر السابق، ص350

5- والسمنتاني، كما يذكر ابن سعيد، نسبة إلى جبل سمنتان والذي يعرّفه نقلا عن المسهب قائلا:" جبل سمنتان له حصون وقرى أعمال جيان، وإستولى عليه في إمارة عبد الله بن محمد المرواني، عبيد الله بن الشالية، واستفحل أمره"، المصدر السابق، ج2، 69، وربما احتلال هذا الأخير لقرى وحصون هذا الجبل هي التي جعلت الشاعر عبيد ياسين بن محمود يعمل عند ابن الشالية ، إضافة إلى مدحه له كشاعر.

6- ابن حيان، المصدر السابق، ص9.

7- ابن عذارى، المصدر السابق، ص138

رقة[1] التي حوصرت أياما من طرف جيش السلطة الذي كانت تقوده أسماء لامعة، وهي مد بن أبي عبدة[2]، وهشام بن عبد الرحمن بن الحكم[3].

بالرغم من أن ابن حيان لم يذكر هذه المواجهات بالتفصيل، إلا أنه وكعادته يتحفنا لمزيد من الأحداث والوقائع، وهو يذكر صائفة سنة 283هـ-896م، تحت إسم غزوة مير[4]، وكانت هذه الغزوة شديدة على أهل الخلاف حتى أنها دامت ثلاثة أشهر وواحد عشرين يوما من خروجها عن قرطبة،[5]، وفي هذه الغزوة بالذات ظهر أثر البربر بكورة ورة تدمير، إذ أن جيش السلطة الأموية في هذه المدة، وبعد أن استعاد توازنه مع هور قوة عمر بن حفصون وتأثيرها على ثورته، استطاع أن يخضع الثائر المولدي يد بن هذيل الذي كانت ثورته بكورة جيان، وبالتحديد بحصن المنتلون[6]، لينتقل العسكر سكر بعد ذلك إلى حريز بن هابل الذي كان حينها بحصن بختويرة، وبالرغم من ستفزازات من مثل حرق الأراضي الزراعية والأشجار المحيطة بالمنطقة، فإن حريز ن هابل لم يحرك ساكنا[7]، مما حدى بالعسكر أن ينتقل إلى الجهات الأخرى، وعند عودته وته ثانية إلى حريز بن هابل، لم يجد هذا الأخير بدا من الخروج من الحصن ومجابهة يش المنتشر وسط السهل مفسدا ومدمرا لكل ما يقف أمامه، وانتهى القتال بين الطرفين

- مدينة لورقة، "حديثة البناء، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، عذبة الماء، ولها عمل كثير"، تاريخ الأندلس، ص137، يف ابن سعيد عن قلعتها: "وأما منعة قلعتها، فمشهورة، معروفة، يضرب بها المثل في ذلك"، المصدر السابق، ج2، ص 2/ قدم لنا الحميري معلومات جد قيمة حول مرسية، ولكن ما أهمنا أكثر هو إدماجه لورقة ضمن" المعاقل السبعة التي عوهد يها تدمير"، المصدر السابق، ص512، إضافة إلى هذا فلورقة معروفة بمعادنها الكثيرة والمتنوعة، كوجود حجر اللازورد الجيد، من البلور، ابن غالب، المصدر السابق، ص308/ الأنصاري، مصدر سابق، ص245.
- حول تاريخ ودور أسرة ابن أبي عبدة في الأندلس ، يراجع، ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، صص245/ 252، ويراجع ك، ابن خاقان، المصدر السابق، ص95.
- لم يذكره ابن حزم في جمهرة أنساب العرب عند تناوله نسب بني أمية، إلا أن ابن الأبار، ذكر سيرته بما فيه الكفاية رغم شاره لذلك، حيث يقول حوله:" وكان من أهل العلم والفضل والبصر بالعربية، وأكثر من الرواية عن يحي بن يحي، وكان أبوه الرحمن قد نصبه في خلافته للصلاة على جنائز أهل قصره وأكابر رجاله"، المصدر السابق، ج1، ص126.
- ابن حيان، المصدر السابق، ص115.
- نفسه، المصدر نفسه، ص118.
- المنتلون، يذكره ابن حيان: "حصن المنتلون من كورة جيان"، المصدر السابق، ص 25، أما غير ذلك فلم نجد سوى ما ذكره كري الذي قال:" وبنواحي المنتلون يكون البرباريس" والذي أكد على هذا ابن غالب الأندلسي الذي يضيف قائلا نقلا عن سعودي:" ...البرباريس العجيب"، مع العلم أن دوزي قد ترجم البرباريس، بالتين الشوكي، البكري، المصدر السابق، ج2، 384/ ابن غالب، المصدر السابق، ص308/ أما صاحب تاريخ الأندلس فيصفه قائلا:" ويوجد في جبل المنتلون من جبال ندلس، المحلب الذي لا يعدل به غيره"، ص50/51.
- ابن حيان، المصدر نفسه، ص115.

زيمته ثم محاصرته، إلى أن طلب الصلح الذي أجيب إليه مع إعطائه رهائن مقابل ذلك، ضافة إلى غرم مقداره ألفين وخمسمئة دينار وثمن خيل الجند المعقورة في الحرب[1].

من بين ما تظهره لنا هذه الغزوة من أعمال البربر، وبالتالي مقامهم وموقعهم في ذه الفتنة، وجودهم ضمن جيش السلطة الأموية، وهذا من خلال أربعة مواقف، منها زل الجند "العرب والبربر"[2] بحصن اللقون بطرش[3]، بعد إخراج أنصار سعيد بن هذيل ه، وبالرغم من أن المصادر لم تفدنا بمعلومات ولو ضئيلة حتى نستمد ولو بصيصا من ضوء، نلقيه لاكتشاف- على الأقل- إلى أي فرع من البربر ينتمي هؤلاء، فإن صبيات قد زاد لهيب نيرانها، مما أدخل البربر في اللعبة السياسية، فالمولدين قد ثار هم العرب المضرية، والبربر البتر، أما العرب اليمنية فقد ساندهم البربر البرانس[4]، ستدل الأحداث القادمة كيف أثر هذا التقسيم العصبي في الأحداث السياسية.

أما الموقع الثاني، فهو مقتل كل من "ابني عمر بن ذي النون الشنتري"[5]، واللذان كانا نا من" وجوه القوم"[6] عند هجوم جيش السلطة الذي كانا من ضمن صفوفه على حصن وط الواقع على وادي طادروا، وهذا ما يتيح لنا فرصة معرفة مشاركة البربر في يوش السلطة وبالتالي موالاة هؤلاء لها، ولكن الأمر الذي يجعلنا نفتح قوسا هو موالاة بوه بني ذي النون الهواريين للسلطة ومشاركتهم في محاربة الخارجين عنها، مع العلم موقعا مهما للبربر يظهر كذلك في هذه الفترة ويضاف إلى ما ذكرناه سابقا، ويأتي

-نفسه، المصدر نفسه، ص115.

نفسه، ص116.

طرش، "جزء من أجزاء إلبيرة "، العذري، المصدر السابق، ص93.

يذكر ابن حيان مثلا في حوادث سنة 275هـ-888م، أن "ابتداء فتنة أهل الجزيرة وانبعاثها بالمعصية-كان- بين اليمانية ضرية فأطلق بعضهم على بعض الغارات وإستحلوا الحرمات"، ويذكر في أحداث إشبيلية قائلا: " وكانت دعوة كريب هذا من رب في يمن من قبل حضرموت ودعوة ابن عبد الملك الشذوني فيهم من لخم، فلما ظهر تألبهم في عروبتهم ناغاهم الموالي ولدين من أهل حاضرة إشبيلية بتوالدهم فحالفوا المضريين من العرب والبتر من البربر من أهل كورة مورور مضادين لكريب عثمان من فعله ودعوته اليمانية " المصدر السابق، ص52 وص69، وهذا ما يؤكده العذري في حوادث سنة 276هـ-889م ي يذكر فيها: "وخرج هؤلاء العرب من إشبيلية إلى مدينة قرمونة فضبطوها واستألفوا عرب تلك الناحية، واستمالوا البرانس كت شوكتهم وشنع أمرهم"، المصدر السابق، ص103.

ابن حيان، المصدر السابق، ص117.

نفسه، ص11.

ائما من بني ذي النون، وهو مشاركة عامر بن أبي جوشن بن ذي النون[1]، وخروجه في صائفة جيش الإمام عبد الله إلى "جهة تدمير"[2]، وبالرغم من أن صاحب ترصيع الأخبار وتنويع الأثار الذي انفرد بهذا الخبر لم يذكر سنة خروجه مع جيش الأمويين أو تاريخ الصائفة التي شارك فيها، والتي" كانت له – فيها– مقامات عظيمة"[3]، فإن المعطيات التي ذكرها، مع ربطها بما ذكرناه سابقا تجعلنا نستنتج أن الصائفة كانت تلك التي سميت بغزوة تدمير، والتي وقعت سنة 283هـ-896م.

ومن خلال هذا النسيج من المعطيات نستطيع تشكيل صورة دور البربر بجهة تدمير، وبالأخص في هذه الغزوة، إذ ما ذكرناه سابقا عن ابن حيان ومقتل إبني عمر بن ذي النون الشنتري أمام حصون ديسم بن إسحق، هو بالتحديد له علاقة وطيدة بمشاركة عامر بن أبي جوشن في هذه الصائفة، وهذا ما يجعلنا نجمع على أن بني ذي النون الهواريين شاركوا بكليتهم في هذه الغزوة، وحتى نؤكد على ما نقول، يكفينا أن أبا الفتح[4] الذي من الممكن جدا أنه كان رئيس عائلة بني ذي النون بشنت برية، وهو ابن عم ابن أبي جوشن، هو الذي شجع هذا الأخير، وأخرجه مع جيش الصائفة، وهو الذي بعثه مع أهل حصون بلنسية عاملا عليهم حين إستجاروه، وطلبوا تقديم عامل عليهم من عنده، "حتى أنه تغلب على شاطبة والجزيرة من كورة بلنسية ومدينة التراب"[5]، وهنا نجد أنفسنا أمام موقع جديد، جديد، والذي سنعبر عنه على شكل سؤال، وهو: هل يمكننا إعتبار هؤلاء الذين قدموا على بني ذي النون من البربر؟، أو على الأقل ممثلين عن مناطق ذات أغلبية بربرية؟، وإلا فما معنى استدعاء بربري ليسوسهم، والفترة كانت تعيش تحت وطأة العصبية والعنصرية ؟.

1- يذكر العذري نسبه قائلا: "عامر بن أبي جوشن بن ذي النون بن سليمان بن طوريل بن الهيثم بن إسماعيل بن السمح الهواري"، المصدر السابق، ص14.

2- نفسه، 14.

3- العذري، المصدر السابق ص14.

4- أبو الفتح هذا هو في الواقع الفتح بن موسى بن ذي النون، وتوصلنا إلى ذلك بعد العودة إلى نسب الأسرة الذي فصل فيه ابن حيان، الذي ذكر أن أبا الجوشن لم يلبث أن توفي سريعا بعد مهلك أبيه سنة 274هـ-887م، فولي مكانه أخوه موسى بن ذي النون الذي كان رهينة عند الأمير محمد"، ابن حيان، المصدر السابق، ص18.

5- العذري، المصدر السابق، ص14.

ومن خلال هذا نستنتج أن البربر على الأقل في سنة 283هـ- 896م، كانو موالين لطة، غزاة في صفوف جيشها ومحاربين للخارجين عنها، وهذا السبب من وجهة رنا هو ما لم يجعل المصادر تتناول بربر جهة ماردة، وتذكر أدوارهم السياسية في هذه رة، مع العلم أن إشكالية كبيرة طرحها الباحثون في تاريخ البربر، والذي توصل إلى نها أحد الكتاب المعاصرين وهي وجود كثافة بربرية مهمة في شرق الأندلس، "ولكنها ت مهيمنة"[1]، والباحث لو أنه تفطن إلى معادلة الموالاة والمعارضة، لاستطاع فهم ما صل إليه، لأن الهيمنة كانت ولا زالت تعني عند الكثيرين، هو ظهور البربر كثوار أو ردين، وهذا ما ينكره بحثنا هذا، لأن موالاة البربر وخروجهم في جيوش السلطة، أو رضتهم تحت راية أحد الثائرين كعمر بن حفصون أو غيره، وبالتالي تعديل الكفة أو جيحها لجانب طرف على آخر، في أغلب الأحيان كان يقوم به البربر، وهذا ما يعني الهيمنة البربرية من الناحية السياسية كانت موجوده، ولكن أشكالها فقط هي التي كانت تلف.

إن وجود البربر في منطقة تدمير وشرق الأندلس بصفة عامة وتوزعهم في نواحيها ن كبيرا، فالمصادر تجمع وتتفق على وجود هذه الكثافة السكانية، فاليعقوبي مثلا يذكر "بلنسية، وهو بلد واسع جليل، نزله قبائل البربر، ولم يعطوا بنو أمية الطاعة"[2]، وإذا ما لنا أن ما بين بلنسية وتدمير سوى مرحلة واحدة، فإننا سنعتبر هذا أحد العوامل التي ير إلى وجود كثافة سكانية معتبرة بمنطقة تدمير، ثم إن المصادر تمدنا بالكثير من معطيات حول هذا الموضوع، فهي تذكر وجود البربر البرانس من أوربة وكتامة وارة ومصمودة[3]، حتى أن هؤلاء البرانس كانت لهم بعض المواقع الجغرافية التي تصوا بها[4] وسميت باسمهم، كموقع الصنهاجين[1]، وإن كان هذا لا يعني أن البتر كطائفة طائفة بربرية كانت غائبة[2].

1- محمد حقي، المرجع السابق، ص75.

2- اليعقوبي، المصدر السابق، ص110.

3- ذنون طه، نقلا عن دوبلر، المرجع السابق، ص 275.

4- على سبيل المثال لا الحصر، ما ذكره العذري حول طلب بعض أهل حصون بلنسية من الفتح بن ذي النون عاملا عليهم، نا نتساءل أليس وجود كثافة سكانية بربرية بهذه المنطقة، هو السبب في طلب إستقدام عامل بربري؟، المصدر السابق، ص14.

خلاصة القول أن البربر لم يظهروا كثوار ومتمردين على السلطة الأموية لأنهم
كل بساطة كانوا تارة تحت راية المولدين، الذين تحزبوا واجتمعوا أكثر من أي فترة
لسية سواء سابقة أو لاحقة، وتارة أخرى تحت الموالي كابن وضاح مولى عبد الملك بن
روان الذي ثار هو الآخر بلورقة، و"ملكها وحارب العمال"[3]، أومع العرب المضريين
رة أخرى، والذين ظهر منهم في هذه المنطقة بالذات- أي بتدمير- محمد بن عبد
رحمن المعروف بالشيخ الأسلمي الخزاعي[4]، الذي كانت ثورته بالذات بحصن قليوشة[5]،
ا أن هذا لا ينسينا مشاركة البربر في جيوش الأموية والذي يعتبر عاملا آخر، في عدم
هور البربر كقوة قيادية أو صاحبة زعامة.

2- **البربر ودورهم في أحداث الموسطة على عهد الفتنة:** كانت الفتنة في عهد
أمير عبد الله بن محمد بالموسطة جد خطيرة، وهذا على جميع المستويات والأصعدة،
ع مساسها لجميع الفئات الأندلسية بدون استثناء، ولعل تشابك الأحداث واختلاط الحابل
نابل في هذه الفترة، وفي هذه المنطقة بالذات، يجعلنا نحتمي بتخطيط وبمنهجية دقيقة،
هذا ليس إلا لتبسيط العرض وتوضيح الأفكار، ولهذا قسمنا هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام:

تبدأ الفترة الأولى من سنة 275هـ إلى سنة 278هـ(888م-891م)، أي من سنة
تلاء الأمير عبد الله كرسي السلطة، إلى غاية فتحه لحصن بلاي[6] الذي اتخذه الثائر
مر بن حفصون معقلا له ولأصحابه، ثم المرحلة الثانية، والتي تمتد من سنة فتح حصن

3- يذكر الأنصاري: "وبكورة تدمير، حيز الصنهاجيين، ويوجد فيه حجر المغناطيس"، المصدر السابق، 245/ يراجع البكري، المصدر السابق، ج2، ص285.

4- ذنون طه، المرجع السابق، ص276.

5- العذري، المصدر السابق، ص12/ يراجع، ابن حيان، المصدر السابق، ص22.

- ابن حيان، المصدر السابق ، ص21، من بين القبائل العربية التي تركز استيطانها بمنطقة تدمير، نجد مثلا الأزد، الذين سكنوا حافظة مرسية، ولقد دام استقرارهم لعقود طويلة بعد الفتح، إضافة إلى قبيلة جذام، وبالأخص منهم البلديين، ومن العرب، هذيل، التي استوطنت أريولة في محافظة مرسية، ذنون طه، المرجع السابق، ص، 191، 196، 210، مع العلم أن هذيل كانت ضمن مضر، والمتتبع للقبائل العربية بتدمير، لا يجد قبائل اليمن، وهذا في حد ذاته يعتبر عاملا على ظهور المولدين أكثر من غيرهم من العناصر الأندلسية.

- قليوشة، " بالفتح ثم السكون، وضم الياء، وسكون الواو وشين معجمة، على ستة أميال من أوريولة بالأندلس" ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص396.

6- حصن بلاي هو حصن يقع على " نحو الميلين من نهر الفوشكة"، وهو "من كورة قبرة، ونزل فيه برجاله مطلا على قنبانية قرطبة، وهو في غاية التحصين"، المصدر السابق، ص91 وص94.

لاي إلى غاية سنة اعتناق عمر بن حفصون للنصرانية، والذي كان سنة 286هـ-899م، ثم المرحلة الثالثة، وهي الفترة التي انتعشت فيها السلطة نوعا ما، وهذا تحت سباب عدة أبرزها دور الموالي، الذين قاموا بمجهودات جبارة أثبتت ولاءهم ووفاءهم يت بني أمية، وإذا كان هذا بصفة عامة فإننا نستطيع على سبيل المثال لا الحصر ذكر د وجوه هؤلاء الموالي وهو القائد أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة[1] الذي قاد زوات وصوائف عديدة إلى أهل الخلاف، أما المرحلة الأخيرة، فتمتد من سنة 286هـ-899م، إلى غاية وفاة الأمير عبد الله في سنة 300-912م.

ولقد قمنا بتحديد هذه الفترات، لأن كلا منها يحوي على محطات غيرت من ملامح هد الأمير عبدالله وعلاقته مع الخارجين عليه، كما أنها- أي تحديد هذه الفترات- تسمح نا بتتبع دقيق للمسار السياسي للبربر، مع ملاحظة أدنى وأدق التفاصيل التي تكشف عن سباب أو عوامل تطور هذا المسار.

المرحلة الأولى (275-278هـ/888-891م): تميزت الفترة بإعطاء عمر بن فصون البيعة، وقيام الأمير عبد الله بتوليته على كورة رية مع مشاركة عبد الوهاب بن بد الرؤوف عاملا من قبله[2]، ولكن هذا العمل لم يدم طويلا، لأن عمر بن حفصون ما بل هذا المنصب إلا لأنه كان ممن ملكوا المقدرة على المناورة، بتحديد وقت المولاة مع سلطة، ووقت معارضتها كذلك، ومن الممكن أن العلاقات الجدلية التي كانت بين طرفين أي بين السلطة الأموية وابن حفصون لم تؤتي ثمارها، وبخاصة إذا كان هذا ثائر لم يكن ليساوم على مجرد منصب وال أو عامل.

نرى أنه من اللائق الإشارة إلى منطقة الموسطة التي كانت فيها الفتنة أشد مقارنة ع غيرها من المناطق، وبعد تصفحنا لصفحات هذه الفتنة بهذه المنطقة، وجدتنا نخرج كرتين واضحتين، الأولى أن عمر بن حفصون في هذه المنطقة كان هو المستحوذ على

---

[1] يذكر الضبي أن" بني عبدة ينتمون إلى كلب وكانوا مع مروان يوم المرج "، المصدر السابق، ص85، أما الذي تناول ما نقصد ولو أنه تحدث عن عائلة ابن أبي عبدة بصفة عامة، فهو الفتح بن خاقان الذي ذكرهم قائلا: " وأخمدوا نار الفتنة عند اتقادها ت عراها، وارتبطت أولاها وأخراها، فظهرت البيعة واتضحت، وأعلنت الطاعة وأفصحت"، المصدر السابق، ص95.

[2] ابن حيان، المصدر السابق، ص51.

داث والمتسبب فيها، حتى أنه "ضبط كورة رية، ومد يده إلى ما فيها من حصون
لاعة، ففتحها حصنا حصنا، فالتاث أمر الكورة وما جاورها جدا"[1]، أما الفكرة الثانية،
منطلقها، بل وحتى منتهاها، يكمن في العصبية التي عادت كالوباء الجارف الذي تأخذ
به في طريقها كل شيء، ولابأس من إعادة ما وصف به ابن حيان هذه الفترة وهو
وصف، حين صرح قائلا:" فقد اشرأبت نفوس الناس إلى الفتنة، وتفاقم في هذا الوقت
بين العرب والمولدين والعجمة، واستعملوا العصبية، وتميزت أحزابهم بعضهم إلى
ض بكل جهة، فتحزبت المسالمة وتميزت إليهم نصارى الذمة[2]، فصار جميعهم إلبا على
رب، قائمين بدعوة عمر بن حفصون"[3]، وهكذا نخرج بمعطيات جديدة، وهي أن عمر
حفصون كان صاحب دعوة المولدين، وإليه يعود الأمر، وكأنه كان مرجع هؤلاء ولام
لهم.

ولكن ما يهمنا أكثر وهو ما نعطيه أكبر اعتبار، أن البربر كانوا بشكل ما خارج
بية، وإذا ما ما طرحت أسئلة كثيرة حول تصريحنا هذا، فإنه يكفينا النص الذي ذكرناه،
و أقوى برهان وأوضح حجة، من أن العصبية أو الصراع كان بين العرب وبخاصة
شاميين والقوطيين بصفة عامة، أي مهما اختلفت عقائدهم، ومع المنهج الذي أخذنا على
تقنا العمل به، وهو القراءة المتأنية للنصوص، والعمل على تفكيكها وإعادة تركيبها، مع
ل كذلك على عدم تهميش حتى أبسط التفاصيل التي تحويها هذه النصوص.

إنتهينا إلى نتيجة إنصهار القوط بالرغم من اختلاف العقيدة في بوتقة العصبية، أو
سميناه نحن بثقافة العنصر، وهذا في الحقيقة يخدم نظرتنا التي اقتنعنا بها وأردنا
ازها، وهذا طبعا بعد القراءات المختلفة للأحداث ودراسة تطوراتها، وهي أن ثقافة

---

[1] نفسه، ص51.

[2] في الواقع ذكرتنا عبارة "فتحزبت المسالمة وتميزت إليهم نصارى الذمة " ما تناوله حسين مؤنس حول هذا الموضوع، فقد قائلا:" وكان هذان الفريقان: أهل الذمة والمسالمة، ثم ابناؤهم من المولدين، يكونون معظم سكان الأندلس، إبتداء من نهاية ة التي نتحدث عنها– وهي فترة الولاة–، وكان عدد أهل الذمة أكثر بكثير من المسالمة والمولدين أول الأمر، ثم لم يزل عدد ء الأخيرين يزيد حتى أصبحوا معظم سكان الأندلس"، المرجع السابق، ص464، الأخذ بهذا الحكم، يعتبر من الصعوبة بمكان ذ به، وخاصة في فترة الإمارة وبالضبط في هذه المحطة التاريخية منها، ولذا فنحن لا نستطع أن نأخذه كمسلمة.

[3] ابن حيان، المصدر السابق، ص51.

نصر أو الإثنية في أدق تفاصيلها، وتحت مختلف أشكالها[1] هي التي بنيت عليها الأندلس على أسسها قامت، والأحداث السياسية الدالة عليها بقيت على مدى تاريخ الأندلس اهدة، وهكذا نجد أنفسنا أمام أسئلة تفسح أمامنا فهم طبيعة حركات البربر السياسية وسط ه الفتنة الواقعة بين طرفين اثنين، وبالمعنى أية عوامل كانت محفزة لأعمال البربر سياسية، وهذا دائما وسط معادلة المعارضة والموالاة ؟، وهل كانت مواقع البربر سياسية، في هذه الحالة مثلما كانت عليه أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط وخليفته الأمير مد، أي وسط الصراع الذي كان بين أهل الطاعة وأهل الخلاف؟[2]، بدون أن ننسى أن حالفات وظاهرة الموالي[3] هي من كانت المتحكمة في خطوط سير البربر إتجاه سلطة؟.

وقبل الإجابة على مواقف البربر وتوجهاتهم، نرى من المناسب جدا، وحتى نكون خل الإطار الذي رسمناه، أن نجيب حول، لماذا كان العرب بالذات الذين هدف مولدين؟ وهذا مع عدم التغافل عما ذكرناه سابقا، وأن الصراع لم يكن في جوهره بين سلطة والقوط، بقدر ما كان بين هؤلاء والعرب، مع التذكير كذلك أنه لم العرب فقط هم ذين يمثلون على حسب ما سماه أحد الباحثين المستشرقين الأريستوقراطية الأندلسية، بل ان البربر كذلك ممن كونوا هذه الشريحة[4].

1- نقصد به ما كان حاصلا داخل العنصر الواحد، وحتى داخل العشيرة، وهذا فيما يمس العلاقات مع السلطة، وعلى سبيل المثال مكان وسط البربر البرانس الذين منهم من والى السلطة كبني ذي النون، والآخرين الذين تمردوا عليها كجنيد بن وهب زموني، على كل، سنذكر الأحداث الدالة على ذلك في الصفحات اللاحقة.

2- فكرتنا هذه يوضحها كثيرا ابن حيان، وهذا في العديد من المواضع، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يذكر:" لب بن محمد الذي ك بالطاعة"، "منذر بن محمد بن السليم، ولم يخرج في نبذ طاعة"، المصدر السابق، ص17، وص24.

3- ذكرنا سابقا وفي الكثير من المرات أن الموالي قاموا بأدوار جد حساسة في موالاتهم للسلطة، إلا أن بعض الموالي من إسبان، أو ذوي الأصول القوطية، قد خرجوا عن السلطة، وشاركوا بني عمومتهم ثورتهم، ولكن يبقى ذلك دائما ضد العرب، مع بنا على أصولهم القوطية أو الإسبانية بصفة عامة، لأن البربر الموالي لم يكن من خرج منهم، باستثناء بني الخليع وهم كما بر ابن القوطية وآخرين غيره موالي يزيد بن عبد الملك، المصدر السابق، ص48، مع العلم وأننا ننبه على أن بني الخليع كانوا ن مستهم نيران غضب كل من هشام وابنه الحكم الربضي ضد أهالي تاكرنا التي كانت مكان استيطان هذه القبيلة البربرية، أما نسبة للموالي الآخرين ، فقد ذكر منهم ابن حيان مثلا: ابن السليم بن أبي عكرمة بن يزيد بن عبد الله مولى سليمان بن عبد ك، والذي ثار بمدينة بني السليم، المصدر نفسه، ص24.

4- بيار غيشار– التاريخ الإجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين(من بداية القرن الثامن إلى بداية القرن ث عشر)– الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس– تحرير: سلمى خضراء الجيوسي–مركز دراسات الوحدة العربية، روت- لبنان– ط2– 1999، ج2، ص967.

إن وقوف القوط في وجه العرب، في الولقع لم يكن وليد ليلة وضحاها، لأن المتتبع
لمتقصي للأثار التي سبقت هذا الحدث، سيكتشف أن البداية كانت منذ مجيء الوالي أبو
خطار الحسام بن ضرار، وبالتالي ما عانته كورة تدمير، كان الأمر نفسه بالنسبة
موسطة، "فإلبيرة نزلها من كان قدم البلد من جند دمشق من مضر، وجلهم قيس، وأفناء
ئل العرب"[1]، أما "رية فنزلها جند الأردن وهم يمن كلهم، من سائر البطون"[2]، ليبقى
ر شذونة فيما بعد والتي "نزلها جند حمص، وأكثرهم يمن"[3].

ما قدمته لنا المصادر حول الأجناد الشاميين، وتوزعهم على المناطق والمدن
ندلسية الموجودة بالجنوب، يسمح لنا بطريقة يسيرة، تتبع الأحداث في المنطقة، وبشكل
ر إذا ربطناه بإستمرارية النص السياسي للبربر، المنبني على الموالاة والمعارضة، لأنه
ى في هذه الفترة الحرجة، لم نلمح أدنى اشارة تصور معنى الحياد السياسي بالنسبة لهذا
نصر، وتكمن بعض ملامح إستمرارية النسق السياسي عند البربر، في استمرارية
والاة البربر البتر بصفة عامة لبني أمية، وحتى للعرب المضريين[4]، والذي يعود إلى
ية عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومع هذا، فهل يمكننا اعتماد قاعدة أن البربر
كانت مواقفهم سوى ردات فعل أو نتيجة تحالفات تاريخية، أو بسبب وجودهم في
طقة ساخنة لا يتحركون فيها إلا من أجل الفرار من لهيبها ؟، على كل ستكون معالجة
ه الأسئلة على حسب المراحل السياسية التي رسمناها، وطبقا للحيز الجغرافي الذي
ساعدنا في معرفة توزيع البربر في المناطق المدروسة.

مواقف البربر السياسية بالموسطة: تعتبر إلبيرة الواقعة في الجنوب الشرقي من
رطبة، مدينة قديمة أزلية، وهي مدينة غنية بالمياه والأشجار المثمرة، ناهيك عن وجود

1- اليعقوبي، المصدر السابق، ص110/ ابن غالب الأندلسي، ص283/ ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص17.
2- اليعقوبي، المصدر نفسه، ص110.
3- نفسه، ص110.
4- في هذه الظاهرة، نستطيع تقديم عرض تاريخي كدليل على ما نقول، والذي يتمثل في ما قام به طالب بن المولود الثائر بكورة
ررر، والذي كما ذكر ابن احيان أن المولدين "استجاشوه بذمة الحلف، على أنه لم يمكن دعوة المولدين فعاقدوه على حرب
طان، فأرسل إليهم جيشا من فرسان العرب من دعوة مضر ومن حلفائهم من بتر البربر للحلف الذي كان بينهم قديما"، المصدر
بق، ص74، و لقد أخذنا هذه الرواية بعين الإعتبار وإعتمدنا عليها كثيرا في دراستنا هذه، لأنها تعبر بالفعل عما كان سائدا في
ة الأمير عبد الله.

عادن من "ذهب ورصاص ونحاس وحديد، فهي- بذلك- من أشرف الكور"[1]، مع العلم
إلبيرة التي يذكرها صاحب تقويم البلدان بحصن إلبيرة "كانت من قواعد الأندلس،
ربت في زمن الإسلام وصارت القاعدة غرناطة بدل إلبيرة"[2]، وهكذا نجد أن إلبيرة
كم قدمها وأوليتها، كانت موطن الإسبان القوط، بل قاعدة من قواعدهم، وهذا ما نلاحظه
جميع المدن التي إنتشر فيها الجند الشاميين، مع العلم أن هذا يعتبر أحد أكبر الأسباب
لعوامل التي أدت إلى ظهور الفتنة والصراع العنصري والعصبي، وبخاصة وأن
راف القوط من رؤساء وقسيسسين، لم يكونوا ليرضوا بمثل هذه الهيمنة مهما كان
كلها، وكيف يكون ذلك والجند الشاميين لم يكونوا مطالبين بالقيام بأية التزامات أخرى،
عدا الخدمة العسكرية والاستعداد للجهاد عند الحاجة، كما أنهم كانوا معفيين من أداء
عشور على الأراضي التي يسيطرون عليها، بل إن هؤلاء الشاميين قد استحوذوا على
تيازات حتى على حساب الموالي البلديين[3]، كما أن إلبيرة كانت ذات حيز جغرافي
سع، حتى أن العذري يذكر أن بها خمسة عشر إقليما، منها أقاليم خاصة بالعرب
دهم، مثل إقليم همدان وإقليم ربع اليمن وقنب قيس[4] وغيرها.

ظهر البربر في العديد من المواقع السياسية في هذه السنوات الأولى من الفتنة، ففي
ة 275هـ-888م، ومع تفاقم عصيان عمر بن حفصون، لم تبقى السلطة الأموية
كتوفة الأيدي، بل بعثت بعبد الله بن محمد بن الغمر بن أبي عبدة عامل جيان، إلى سعيد
عبد الله بن خنجر، وهو مخالف في أحد حصون جيان، إلا أن المجابهة لم تطل، لأن
داثا هامة بكثير طرأت على الساحة، مما حتم على قائد الجيش الشامي، التوجه إلى
كان الحدث الذي كان بحصن أربونة، وتناسبا مع حركة عودة هذا الأخير، رأى ابن
نجر أن الفرصة مناسبة للقضاء على أعدائه، وبالرغم من أنه قام بذلك الهجوم على حين

1- ابن غالب الأندلسي، المصدر السابق، ص283.

2- أبو الفداء، المصدر السابق، ص167/ الأنصاري، المصدر السابق، ص242.

3- حول هذا الموضوع ذكر ابن الخطيب قائلا: "ولم يكن الديوان والكتبة إلا في الشاميين خاصة، وكانوا أحرارا من العشر، بين للغزو، ولا يلزمهم إلا المقاطعة على أموال الروم التي كانت بأيديهم، وكان العرب من البلديين يؤدون العشر مع سائر أهل د"، المصدر السابق، ج1، ص21.

4- العذري، المصدر السابق، ص90/ يذكر ابن الخطيب العديد من أنساب العرب الساكنة في إقليم غرناطة، وهي بدورها تكشف العرب بالبيرة قبل أن تكون غرناطة عاصمة لهذا الإقليم، المصدر نفسه، ص37.

زة، وبشراسة شديدة، فإن الهزيمة كانت بانتظاره، مع احتمال كبير أن تكون قبيلة رتوتة البربرية[1] هي المسؤولة عن هذه الهزيمة، وبخاصة ونحن نعلم أنها شاركت مع قائد ابن أبي عبدة بوجوهها وأعلامها وفرسانها، الذين كان منهم محمد بن إسماعيل أخوه ثوابة[2].

وهكذا ومن خلال المصادر، نجد أن القبيلة تنتمي إلى البربر البتر، وهذا في واقعه بهنا، لأنه يلائم ويناسب قاعدة تحالف كل من البربر البتر مع العرب المضرية مع بقائهم ي الوقت نفسه موالين للسلطة، والبرانس مع العرب اليمنية التي اتضحت أكثر في هذه فترة، مع الإنتباه إلى ملاحظة مهمة، وأن الكثير من البربر الذين ظهرت أدوارهم وضوح في هذه الفترة كانوا من أهل الثغور مثل بني ذي النون الهواريين بشنت برية، قبيلة هرتوتة المذكورة بنواحي سرقسطة.

في هذه الفترة بالضبط، ظهر البربر أيضا وبصورة تعكس بعض سنن العناصر أندلسية التي كانت تحيا بها، ومنها الإبقاء والمحافظة على الثأر في داخل الصدور وججا مع الإعتماد على ضرب السلطة في أقرب فرصة سانحة، والذين مثلوا هذه السنن ي هذه الفترة من البربر، هم بنو الخليع حيث كان هذا في سنة 276هـ-889م، باستجة، ندما استطاع عمر بن حفصون أن يستألف "عوسجة من أهل الخليع التاكرني، وعاقده

1- المتفق عليه في المصادر ومن خلال بحثنا حول أصول هتروتة، أنها قبيلة بربرية، ولكن المختلف فيه، هو إسم القبيلة نفسه، و الشيء الذي حدا بنا إلى أخذ الحذر والحيطة، لأنه ومن الممكن جدا، أن حرفا واحدا قد يأخذنا إلى قبيلة أخرى، على كل، كر ابن حزم قائلا: " فولد أداس بن زجيك بن مادغس هذا: وشفانة، وأندارة، وهتروقة " فهو يذكر إسم القبيلة بالقاف وليس تاء، المصدر السابق، ص496، وهذا في حد ذاته غير ما يذكره ابن خلدون الذي يصرح نقلا عن ابن الحكم وهو يتحدث عن سرة المطغري الخارجي البربري قائلا: "هو من هتورة إحدى بطون زناتة، فقام بأمرهم"، والذي يضيف في مناسبة أخرى تروتة هي من شعوب البتر، وهم بنو مادغيس الأبتر"، ناهيك عما ذكره كذلك" أما بطون أراس بن زحيك بن مادغيس الأمراء ين دخلوا في هوارة فكثير ويذكر منهن هنزولة"، المصدر السابق، ج6، ص105، وص166، ولهذا فيمكن أن تكون هتروقة أو زولة، هي هتروتة التي ذكرها ابن حيان، خاصة وأن ابن خلدون يتفق مع ابن حيان أنها "من البتر الذين دخلوا مع هوارة، وهم البرانس"، الصفحة نفسها، وحتى نلم أكثر بما جاءت به المصادر، نذكر كذلك ما جاء به ابن حزم حين يقول "الأمراء أيضا.. و قنة: من هوتوتة" ومن خلال هذا النص الأخير، نستطيع أن نستشف حتى أماكن وجود هذه القبيلة لأن ابن حزم قبل هذا، ول:" كان الأمراء بالثغر، ثم بشنت برية ووادي الحجارة خاصة من البربر، بنوغزلون.. بنو قنة من هوتوتة"، ص499، بالمناسبة، فإن هرتوتة، ربما تصحفها النساخ، لأن ياقوت الحموي، يذكر هتروتة:" بالفتح ثم بالسكون، وراء وواو ونون، ناحية أندلس من بطن سرقسطة"، المصدر السابق، ج5، ص392، مما يعطي فرضية إنتساب هذا المكان لهذه القبيلة البربرية الكبيرة.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص52.

ومن معه من أهل تاكرنا"[1]، وهذا ما يعني أنهم عملوا في صفوفه وتحالفوا معه في حركته حركته ضد السلطة، وقد يبدو كل شيء عادي في هذه الفترة التى عرفت إنزلاقا كبيرا، إلا أن التوازنات الكبرى سواء السياسية أو تلك التي ترجمت إجتماعيا، كانت قد بقيت على ما هي عليه، وبالتالي هل القاعدة التي ذكرناها سابقا، تجعلنا متناقضين مع أنفسنا، لأنها لم يكن متعاملا بها هذه المرة؟.

الحقيقية أن القاعدة سيبقى مفعولها معمولا به وسائرا إلى غاية انتهاء عهدة الأمير عبد الله، لأن بني الخليع كانوا من مديونة[2]، أي من البربر البتر[3]، ولكن وكما ذكرنا سابقا، سابقا، فإن معرفة ما لاقاه بنو الخليع من البطش والشدة في فترتي الأمير هشام وابنه الحكم الربضي عند تمرد أهل تاكرنا ستجعل الأسئلة تزول، لأن النفي الذي تعرض له هؤلاء، وجعلهم يعيشون خارج حدود مسقط رؤوسهم، يحمل بالنسبة لهم ظلما بقي في الذاكرة على مر الأجيال، بل إن ما قامت به السلطة الأموية يعتبر عملا أقسى لأنها في ضرباتها المتوالية على أهالي تاكرنا، لم تفرق بين مواليها وأنصارها الذين كان منهم بنو الخليع وأعدائها، كما أن عمر بن حفصون يتقاسم هذه الذاكرة مع بني الخليع، لأن أجداده هم كذلك، كانوا ممن مسهم هذا النفي، وكأن القدر الذي جمع أجدادهم، جمعهم هم كذلك كهدف لرد الصاع صاعين للسلطة.

وهذا الذي نصرح به من خلال هذه الزاوية، هو ما يجعلنا نؤكد للمرة أن هناك معادلة واحدة استطاعت أن تجعل من العناصر الأندلسية التي رضعت ضرع العصبية العنصرية تنصهر وتندمج ولو إلى حين، وهي الحالة التي لم تتمكن تحقيقها أية معادلة أخرى، لا اجتماعية ولا حتى اقتصادية، لأن فكرة اندماج المجتمع الأندلسي أو وجود مجتمع أندلسي مندمج، لا تعتبر بالنسبة لنا سوى طوباوية لا تستند إلى أية قرائن واقعية أو ميدانية، أو على الأقل ليست سوى لخدمة إيديولوجية معينة تسيء لفكرة العمل

1- نفسه، ص54.

2- ابن حزم، المصدر السابق، ص500/يذكر صاحب مفاخر البربر أنهم من ولهاصة، ص188.

3- يذكرهم ابن خلدون، من "ولد فاتن بن تمصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر"، وهم بالنسبة له من "بني فاتن من ضريسة إحدى بطون البرابرة البتر"، المصدر السابق، ج6، ص139

تاريخي، الذي ينبنى على أن التاريخ واقعة إجتماعية تدرس من مناحي عدة، خاصة إذا ضحت هذه الواقعة الإجتماعية فيما بعد ظاهرة تعاش، وهذه المعادلة والتي نعود ونقول نا درسناها واعتمدناها كظاهرة، لأنها أصبحت متواترة خاصة من طرف البربر، هي ظاهرة المعارضة والموالاة السياسيتين .

من ناحية أخرى، نجد أن ما قام به بنو الخليع، يقودنا إلى إعادة التصريح أن الكثير ن الحركات السياسية للبربر كانت تحت تغطية حركات جماعات أخرى كالمولدين الذين ار في فلك حركتهم بنو الخليع مثلا، أو البربر البرانس الذين كانوا تحت ما كان يقوم به لعرب اليمنية بإشبيلية وضواحيها[1]، وهذا في الواقع ما يؤكد على مشاركة البربر في هذه لفتنة كما ذكرنا تحت أشكال مختلفة.

لم تشر المصادر التاريخية لا من بعيد ولا من قريب إلى البربر في المرحلة الثانية ن هذه الفترة، أي من سنة 278 إلى سنة 286هـ(891م-899م)، وهذا يعود إلى أنها كزت كثيرا على ما قام به العرب البرانس بإشبيلية وأقاليمها، أو القيسية بالموسطة، لكن وكعادتنا نتساءل، هل عدم ذكر المصادر للبربر يعني الغياب التام لأدنى حركة لهم ي هذه المرحلة؟ مع العلم أن البربر جاء ذكرهم فقط تبعا لسياق الحديث حول غزوة أو سائفة سنة 284هـ-897م[2]، إذ يقول ابن حيان قائلا: "وأقبل من البرانس أحمد بن محمد صحاب الميرة،[3] الذين يجلبونها إلى عسكر الخبيث عمر بن حفصون، فضربت قابهم"[4].

1- تعود بنا هذه الصورة إلى ما قام به البربر في عهد عبد الرحمن الداخل بتحركهم أو مجابهتهم للسلطة ضمن ثورات اليمنية لبربرية، يراجع هذا في الفصل الأول.

2- "هي الغزاة المعروفة بالجزيرة، وكان الفصول لها يوم السبت لإثني عشرة بقيت من جمادى الآخرة منها وذلك في أول شهر يل العجمي"، ابن حيان، المصدر السابق، ص120.

3- الميرة، بالكسر: جلب الطعام، مار عياله، يمير ميرا، وأمارهم، وامتار لهم، والميّار: جالب الميرة، الفيروزآبادي، المصدر سابق، ص431.

4- ابن حيان، المصدر نفسه، ص121.

لم نتمكن من معرفة أحمد بن محمد البرنسي هذا، ولكن ألا يمكننا ضمه إلى البرانس الهواريين، ونقصد بهم بنو ذي النون الذين عملوا كثيرا في صفوف الجيش الأموي[1]، وبخاصة أنه ومن الممكن جدا أن يكون هذا البربري من القادة الكبار وإلا ما ذكر اسمه، وهذه الرواية من ناحية أخرى تكرس معنى بقاء بعض العناصر البربرية وبخاصة منهم البلديين الذين أصبحت لهم رؤى أخرى، كبني ذي النون الذين عملوا على موالاة السلطة في أحلك ظروفها، والتي تعود في مجملها إلى الكثير من العوامل[2]، كما أنه وبدون إعادة ذكر قاعدة التحالف التي كان معمولا بها، فإن البربر من المحتمل جدا أنهم شاركوا قيسيين حروبهم ضد المولدين.

بالنسبة للفترة الثالثة والتي تمتد من سنة 286هـ-899م، وهي سنة إظهار عمر بن حفصون للنصرانية[3] إلى غاية 300هـ-912م، سيتمثل ظهور البربر بعودة عوسجة بن الخليع إلى الساحة من جديد ولكن إلى جانب من هذه المرة؟ ألِى جانب عمر بن حفصون المرتد عن الإسلام دين البربر، الذي اقتنعوا به دينا وطريق حياة، وحملوا رايته في الأندلس ومناطق غرب أوربا، أم سيسلكون طريقا آخر؟ في الواقع لا نجد في هذا المجال سوى أن نذكر رواية واحدة، وهي إن كانت تمس بني الخليع فإننا نراها كفيلة بالإجابة عن كل التساؤلات التي تتمحور حول علاقة البربر بصفة عامة في هذه الفترة مع عمر بن حفصون، وهذه الرواية هي تلك التي ذكرها ابن حيان قائلا: "فيها- أي سنة 286هـ-899م، أظهر اللعين عمر بن حفصون النصرانية، وباطن العجم نصارى الذمة، واستخلصهم بالكلمة وايدهم وفضلهم وتعصب على المسلمين، وأساء الظن بهم[4]، فنابذه

1- في هذه الحالة، وبعد بحث مكثف حول أسباب وعوامل هذه الموالاة بقي عندنا سؤال واحد معلق، وهو: هل كان بنو ذي النون موالي الإصطناع، أي أن محمد بن عبد الرحمن إصطنع جدهم ذي النون، ومن ثم بقوا على صلتهم بالسلطة الأموية ؟، أم أنهم وا كما ذكر لسان الدين ابن الخطيب وهو يتحدث عن أهل الأندلس ممّن "اغتبطوا، وارتبطوا، وتمهدوا، واستقروا، وتوالدوا، سوا أوطانهم، وألقوا أعطانهم"، المصدر السابق، ص5.

2- من بين العوامل مثلا، الصراع الذي كان بين الفتح بن ذي النون وعبد الله بن الشالية حول حصن ذمييه، والذي حاز عليه هذا خير- أي عبد الله بن الشالية- وهذا يعني أن المولدين كانوا ضد بني ذي النون، مما يجعل من هؤلاء يكثفون جهودهم مع سلطة الأموية، وكأنه كان فيه نوع من المصير المشترك الذي يجمع بين السلطة وبني ذي النون، ابن حيان، ص10.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص128.

4- هذه العبارة تدل على أن الإسلام كان يمثل أحد أهم نقط الإنعطاف، التي تؤثر على الحركة السياسية في الأندلس، وهذه عبارة مرة أخرى، تؤكد على أن المولدين كانوا هم الأخرين قد تشبثوا بالإسلام، كما تشبثوا بالهوية العرقية، وهذا ما جعل ابن

عند ذلك عوسجة بن الخليع التاكرني ظهيره، وانحرف عنه وأظهر الميل إلى الطاعة، وانتبذ إلى حصن قنيط[1]، فصار حربا لابن حفصون وإلبا عليه"[2].

من خلال هذا نجد أن اعتناق ابن حفصون للنصرانية، قد رسم زاوية انعطاف حقيقية، مثلت ذهنية البربري المسلم، الذي كان الدين بالنسبة إليه خطا أحمرا لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوزه أو حتى السير عليه، إضافة إلى هذا نجد أن المأزق الذي وضع ابن حفصون نفسه فيه، قد جعله يلعب آخر أوراقه، لأن كل من كاتبهم وبالأخص أمراء الإمارات والدويلات المغربية[3]، في واقع الأمر كانوا يعلمون طرق وأساليب أمثاله وبالتالي لم يجيبوه، ولهذا فنحن نعتقد أن تلك الورقة كانت خاسرة، وهي المتسببة في بداية ظهور عجزه أمام السلطة وأمام غيره من العناصر والفئات الأندلسية.

مع بداية أفول نجم عمر بن حفصون، انقشع الكثير من الضوء أمام أعين السلطة، حيث ما إن دخلت سنة 290هـ-902م، حتى كان "القائد أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة- يحاصر -حاضرة جيان وبها عمر بن مضم الهترولي"[4]، المعروف بالملاحي[5]،

حفصون يسيء الظن بهم، ومن الإنصاف التصريح بما جاء به ابن حيان الذي ذكر "وخرج عليه أيضا يحي بن أنتلة صاحبه الأثير عنده في جماعة من المسلمين"، المصدر نفسه، ص128.

1- يذكره العذري وهو يتحدث عن الطريق من قرطبة إلى بجانة إلى ألمرية على جيان قائلا: " من قرطبة إلى قنيط خمسة وعشرون ميلا"، ص89/ أما ابن حيان فيحدده قائلا:" حصن قنيط، من كورة تاكرنا"، ص142/ مع العلم أن ملاحظة مهمة إنتبهنا لها، وذلك من خلال ما ذكره ابن عذاري قائلا:" ونابذه عوسجة بن الخليع وبنى حصن قنيط"، وإذا ما أخذنا بهذه الرواية، فهذا يعني أن موجة من الحذر والخوف أصبح يواجهها هؤلاء البربر، كما أن ما يضيفه ابن عذاري قائلا:" وصار فيها مواليا للأمير عبد الله محاربا لابن حفصون"، تجعل من موقع البربر، شديد الحساسية، بمعنى، هل العودة إلى السلطة، بالرغم من الذاكرة التي جمعت بين الطرفين، في حد ذاته أهون، بل وأنجع من البقاء مع ابن حفصون المرتد؟، ونحن نذكر هذه الملاحظات لأنها تخدم معادلة المعارضة والموالاة السياسيتين، واستغلالها من طرف البربر، ومع هذا فإن الإيمان بما ذكره ابن عذاري يحملنا على الكثير من التحفظ، لأنه لا يمكن أن ينقلب البربر بين ليلة وضحاها من طرف إلى طرف مناقض تماما للأول من خلال حدث معين شكل مفاجئة للجميع، وتحفظنا هذا كان كذلك من خلال استعمالنا لمنهج المقارنة الذي اتبعناه كثيرا وإعتمدنا عليه، وعند مقارنتنا بين هذه الرواية ورواية ابن حيان، سنكتشف أن هذا الأخير اكتفى بقوله "فصار حربا لابن حفصون وإلبا عليه" بدون ذكر عودة بني الخليع إلى السلطة وموالاتهم لها، وهذا في الحقيقة ما نأخذ به، ونعتمد عليه، يراجع، ابن عذاري، ج2، ص139.

2- ابن حيان، المصدر نفسه، ص128.

3- إضافة إلى ما ذكرناه سابقا، حول مكاتبته للأغالبة، فإن ابن حزم يضيف على أن عمر بن حفصون كان يخطب للأدارسة وفي هذا يقول:" ومنهم: إبراهيم بن القاسم بن إدريس بن إدريس، صاحب البصرة، وكان عمر بن حفصون يخطب له" المصدر السابق، ص50.

4- ابن حيان، المصدر السابق، ص139.

5- نفسه، المصدر نفسه، ص25.

نسبة إلى قرية الملاحة[1]، وقد أظهر خروج هذا المتمرد البربري صورة أخرى عبّرت عن دور البربر السياسيي في هذه الفترة، وبالرغم من أن ابن حيان يذكر أن هذا الأخير لم يكن في بداية أمره سوى "جنديا متدونا عند العامل بحاضرتها فوثب عليه وغدره وضبط القصبة، وظافر سعيد بن هذيل المنتزي بحصن المنتلون قربه"[2]، فإنه إتضح أنه علينا طرح السؤال التالي: أمن الممكن أن يكون هذا الملاحي البربري مجرد جندي متدون، أي من الحشم ؟، ثم إن النص نفسه عند البحث في ثناياه ومن خلال معطياته، نجده يحمل الكثير من الحقائق التي نود الوصول إليها، حيث أنه أول ما قفز إلى ذهننا ونحن نحاول معرفة أصل هذا البربري، قبيلة هتروتة أو هترولة– وهو الاسم الأصح– التي تناولنا نسبها واقتفينا آثار مواطنها، والتي قامت بجهد كبير في مواجهتها للثائر ابن خنجر، لأن ابن حيان ينسبه قائلا: "عمر بن مضم الهترولي" أي نسبة لهذه القبيلة والتي من المحتمل جدا، أنها كانت تحترف الجندية[3].

وبربطنا ما ذكرناه سابقا، مع ما قام به عمر بن مضم في هذه الفترة، ومن خلال المعطيات التي ذكرتها المصادر، يمكننا فهم الكثير من الأحداث، وملخصها أن القبيلة البربرية التي ساندت السلطة وقت المحنة، من الممكن أنها لم تأخذ حصتها الأليق بها مقابل خدماتها، أو أن السلطة خاصة بعد إنسحاب أنصار إبن حفصون عند تنصره، قد أدارت ظهرها لمن والاها وساندها من البربر، وكأنها لم تعد بحاجة إليهم، لأن عمر بن مضم ما قام بعصيانه داخل جيان إلا سنة 290هـ–902م، أي بعد أن فقد ابن حفصون

1- لم يحدد ابن حيان موقع الملاحة، فهو يذكر قائلا:" عمر بن مضم الهترولي المعروف بالملاحي كان من البرابرة من قرية الملاحة من كورة جيان"، المصدر نفسه، ص25، والشيء نفسه قام به ابن سعيد المغربي الذي يكتفي قائلا:" أنها من قرى غرناطة"، المصدر السابق، ج2، ص126، ومع ذلك نستطيع تحديد موقعها بأنه جنوب غربي غرناطة على مقربة من قرية ?دان، يراجع، مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، دار الكتب العلمية، بيروت، ومكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ط1، 1414هـ/ 1994م، ص71.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص25.

3- في هذا المعنى نحن لا نقصد الطنجيين الذين كان يؤتى بهم من العدوة المغربية، مع العلم أننا نخالف تمام الإختلاف كل الكتابات التي جعلت من الطنجيين المرتزقة، بربرا مساهمين في الحركة السياسية بالأندلس، أو ضمهم إلى المساهمات البربرية في مجال الأحداث السياسية، لأن هؤلاء لم تكن لهم موازين أو معايير يتعاملون بها عكس البربر الداخلين إلى الأندلس منذ أجيال، لهذا فنحن لن نتطرق لهم أبدا في دراستنا هذه، لأن الظاهرة السياسية التي نتناولها في دراستنا هذه تخضع لدراسة البربر سياسيا وفق معيار إجتماعي كذلك، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هذه الدراسة مسلطة سوى على البربري الساكن والمستقر، لأن الطنجي لم يكن ممن كون أو شكل المجتمع الأندلسي حتى نخضعه للدراسة.

توازنه داخل حلبة المعارضة بالأندلس، ومع هذا نجدنا لا نكتفي بهذه الفرضية فحسب، لأن النص وما يحمله، يرمي بنا- بعد تفكيك أجزائه وإعادة تركيبه- إلى أبعد من ذلك بكثير، لأن ظاهرة المعارضة والموالاة كانت قد أدمجت في قوانين لعبة هذه الفتنة، وأن البربر بقوا على هذا النهج متمسكين، وحتى نفهم جيدا، نحاول أخذ النص ومراجعته مرة أخرى.

سنجد أن عمر بن مضم قد تحالف أو "ظافر سعيد بن هذيل المنتزي بحصن المنتلون من جيان"، مما قد يعني أن المولدين المحافظين على دينهم والمتغيرين على ابن حفصون، والذين كان منهم على أقل تقدير سعيد بن هذيل هذا، قد حاولوا إدماج البربر في حركتهم هذه، بعد أن أفسد عليهم ابن حفصون كل الفرص، وعند متابعتنا لنص ابن حيان نجده يضيف أن القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة قد إستعمل سياسية بني أمية التي توارثوها أبا عن جد، وهي سياسة فرق تسد[1]، حيث عمل هذا القائد على الضرب بين الطرفين، حتى تمكن من استئلاف ابن هذيل الذي استعمل حيلة البربر التي توارثوها، وهي الفرار من المعركة عندما يحمى وطيسها لينهزم بذلك ابن مضم الهترولي[2]، الذي لم يتمكن من الصمود في قصبة الحاضرة أكثر من شهر[3]، ليكون مصيره الذهاب به إلى قرطبة، بعد أن طلب الأمان.

لم تنته فترة الأمير عبد الله بن محمد حتى ظهر من جديد بنو الخليع الذين كانوا قد استقروا بقنيط، بعد أن تخلوا عن عمر بن حفصون، وكانوا ممن مستهم غزوات القائد المحنك أحمد بن محمد بن أبي عبدة، الذي دخل حصنهم" فملكه وأدخل فيه الحشم، وولاه عاملا من قبل السلطان"[4]، وهذا يعني أن ما اعتقدناه سابقا وآمنا به، من أن بني الخليع لم يوالوا السلطة، ولم يحاربوا في صفوفها، كان واقعا، وإلا فما سبب إخراجهم من الحصن، إلى درجة إستبدالهم بالحشم؟، وهذا ما يعطي لنا صورة أخرى كذلك، هي أن الحصن

1- ابن حيان، ملشور انطونية، ص25.
2- نفسه، ص25.
3- نفسه، ص139.
4- نفسه، ص142.

الذي- على حسب ابن عذاري- بناه بنو الخليع كان ذا موقع إستراتيجي جد هام، ولم يكن من المنتظر إذن من السلطة أن تفرط فيه، ولقد رأينا أنه من واجبنا قبل طي ملف بني الخليع، أن نجيب على سؤال من الأكيد أنه يطرح على المستويين النظري والميداني، وهو لماذا اهتمت المصادر ببني الخليع؟ وهل فقط لأنهم ممن ساهموا في تأسيس الإمارة الأموية؟.

ما نعتقده ربما يكون أبعد بكثير، وهو أن بني الخليع كانوا من القبائل إن صح تعبير المجندة، مثلها مثل الشاميين مع إختلاف الرتب والمكانة، وحتى الفوائد، كما أنها كانت مثلها مثل زناتة وبخاصة وأن كليهما ينتميان إلى البربر البتر الذي عرفوا بمشاركاتهم الميدانية منذ الفتوحات الأولى بالمغرب ثم بالأندلس وإلى غاية فترة بعيدة، حتى أن عبد الله بن بلكين يذكر وهو يتناول فترة إمارته على غرناطة أن "زناتة كانوا أجناد الحضرة"[1] ويضيف كذلك: "أنهم كانوا على الحقيقة خير جند الأندلس، والموثوق بهم في الشجاعة والنجدة، وكان الصنّف كثيرا، لا يعدم ضمهم من له مال"[2]، وهذا التصريح من أمير بربري عايش الأوضاع في الأندلس في فترة أشد حرجا وهي فترة ملوك الطوائف، لا يمكننا أخذه سوى شهادة حية عن حقيقة هذه القبائل البربرية المحترفة للجندية ودورها في تاريخ الأندلس عبر مختلف مراحله ومحطاته.

مواقف البربر في الجنوب الغربي للأندلس: كانت إشبيلية ولبلة الديار التي تناولتها كثير من المصادر وهي تسرد وقائع هذه الفتنة التي أتت على الأخضر واليابس، وما ناله هذه الأحداث من حبر يعود في أساسه إلى عوامل عدة، منها طبيعة هذه الجهة من الأندلس تاريخيا وهذا حتى ما قبل فتح المسلمين لها، إضافة إلى طبيعتها الإستراتيجية، وما حوته من ثروات ومعادن ووفرة المياه، فإشبيلية التي تقع غربا من غرناطة كانت تعتبر "قاعدة من القواعد،- بل- اتخذت دار مملكة دهرا"[3]، لأن "الملوك النصارى

1- عبدالله بن بلكين، كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، حرره: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1427هـ- 2006م، ص165.

2- نفسه، المصدر نفسه، ص166.

3- العذري، المصدر السابق، ص95.

ختاروها مكانا لإقامتهم"[1] ولقد بقيت على هذا الحال حتى البدايات الأولى من عصر الولاة[2]، وهي غنية بالموارد المائية لوجودها على الوادي الكبير الذي يسميه العذري بالنهر العظيم"[3]، ولعل ما عرفت به إشبيلية هو إقليم الشرف الذي كان عند الأندلسيين" شرف بقعة وأكرم تربة"[4]، كما أن عاملا مهما أضفى على إشبيلية هالة وقيمة إقتصادية واستراتيجية، وهو وجودها قرب البحر المحيط[5] حتى أنها كانت تملك "أحسن موانئ إسبانيا، أين يمكن أن ترسو أكبر السفن"[6].

أما عند عودتنا إلى العامل البشري بهذه المنطقة، وبخاصة إذا وسّعنا من الدائرة الجغرافية، وأدرجنا ضمنها لبلة وقرمونة، فإننا نكتشف منطقة آهلة وعامرة بالسكان، دون أن ننسى أن المنطقة "كانت تستقبل زوارها وتجارها برا وبحرا"[7]، وأخيرا وقبل تطرقنا إلى الأدوار والمواقف السياسية للبربر، لا بد من التذكير أن إشبيلية ولبلة قد سكنها وتوزع في أقاليمها جند حمص، وهذا يعني أن الأسباب التي أشعلت نار العصبية العنصرية في كل من منطقة موسطة الأندلس وشرقها هي نفسها التي كانت في منطقة الجنوب الغربي للاندلس بحكم أن المنطقة غنية وأولية، والإسبان الذين سكنوها قد وجدوا أنفسهم فيما بعد أمام الشاميين الذين استحوذوا على الكثير من الإمتيازات على حسابهم.

حمل وجه البربر عند ظهورهم هذه المرة، وفي هذه المنطقة بالذات، كل ملامح المعارضة والتمرد ضد السلطة، ويعتبر جنيد بن وهب القرموني أول علم من أعلام البربر الذين نكتشفهم، وتعتبر محالفته للعرب اليمنية، وبالتحديد لكريب بن عثمان بن خلدون الذي كان "أول من أظهر الخلعان بها واثنى بأهل المعصية وسعى في تفريق الكلمة"[8]، داخلة ضمن قاعدة التحالفات التي سارت عليها العناصر الأندلسية، لأن كريب

1- levi Provençal-P 93.

2- أبو الفداء، المصدر السابق، ص167/ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، 61.

3- العذري، المصدر نفسه، ص95/ تاريخ الأندلس، ص113.

4- ابن غالب، المصدر السابق، ص292.

5- تاريخ الأندلس، ص112.

6- Levi Provençal- Opcit- P93.

7- Ibid-P93 .

8- ابن حيان، المصدر السابق، ص68.

ن عثمان قد حالف في الوقت نفسه، كلا من سليمان بن محمد بن عبد الملك الثائر بكورة ذونة وهو من عرب لخم[1]، وعثمن بن عمرون الثائر بكورة لبلة من خشين[2]، وهذ تحالف هو الذي ولّد تحالفا مضادا حيث "ظهر تألبهم في عروبتهم فناغاهم الموالي المولدين من أهل حاضرة إشبيلية بتوالدهم، فحالفوا المضريين من العرب والبتر من لبربر من أهل كورة مورور مضادين لكريب بن عثمان ودعوته اليمانية"[3].

بدأ دور جنيد بن وهب القرموني[4] عندما توسط لكريب بن عثمان لدى بربر ماردة مدلين، وهذا بهدف استمالتهم للهجوم على إشبيلية، وقبل أن إتمام تحليل هذه الأحداث، رتأينا مناقشة ما جاء به ابن حيان الذي قال: "دس كريب بن عثمان وخليفته جنيد بن هب البرنسي رسوليهما إلى بربر ماردة ومدلين، يستدعيانهم للغارة على كورة إشبيلية يشهيانهم بكثرة غنائمها وقلة المدافعين عنها، يريدان بذلك تشتيت أمر السلطان وتبغيضه ى رعيته"[5]، من خلال النص وما يحويه من معطيات نجد أن البربر الذين هاجموا شبيلية هم بربر ماردة ومدلين، فهل كان هذا لمجرد غنى إشبيلية؟ أم أن هناك ما هو لف الواجهة؟ في الواقع هناك الكثير من الأسباب، والعوامل وحتى الأهداف التي حركت ورها العديد من الأحداث السياسية التي كانت خلف الواجهة، وحتى نعرضها، وجب لينا العودة إلى الأحداث السابقة لهذا الحدث.

أولا نجد أنفسنا رافضين لأحد الأسباب التي ذكرها ابن حيان كهدف جرى وراءه بر ماردة ومادلين، لأن السبب الإقتصادي من الممكن جدا وهذا ما نؤمن به كان آخر ف فكر فيه هؤلاء البربر، ونستطيع الإستدلال على ما نقول من خلال حجة بسيطة، ي أن ماردة وأقاليمها، كانت كذلك غنية[6]، كوجود الرخام الذي قل نظيره بالأندلس

ابن حيان– المصدر السابق، ص69.
نفسه، ص69.
نفسه، ص68.
القرموني نسبة إلى قرمونة، مع العلم أن هذه الأخيرة ليست بالبعيدة عن إشبيلية إذ" تتصل بأحوازها، وهي شرق منها وغرب ب من قرطبة"، ابن غالب، المصدر السابق، ص292/ ويذكر الحميري أن بين إشبيلية وقرمونة،"عشرون ميلا"، ص461.
ابن حيان، المصدر السابق، ص69.
الحميري، المصدر السابق، صLevi Prinvençal- P84/519/ تاريخ الأندلس، صص106/105.

أوربا قاطبة، وهذا الغنى الطبيعي هو الذي سمح للملوك الإسبان باستيطانها، وجعلها قاعدة من قواعد الأندلس[1].

وقولنا أنه كان أخر ما فكر فيه بربر ماردة، يعود إلى أنه قبل هذا، علينا أن لا ننسى أن أهالي ماردة ما تذوقوه مما أطعمتهم به السلطة الأموية يكاد يكون أكبر بكثير عند مقارنته بذلك الذي ذاقه أهل تاكرنا، فالضربات المتوالية التي تلقتها المدينة من طرف عبد الرحمن الأوسط وابنه من بعده محمد وقادة جيوشهم، قد وصلت إلى حد هدم المدينة وتخريبها في فترة الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ)، حتى أن صاحب تاريخ الأندلس يصرح قائلا: "وفي أيامه خربت مدينة ماردة وهدمت، ولم يبقى لها أي أثر"[2]، وبالتالي فإن مصير أهل هذه المدينة وبخاصة منهم البربر الذين ناهضوا السلطة بزعامة عبد الجبار بن محمود الماردي، كان مصيرهم بطريقة أو بأخرى، المصير نفسه الذي مس أهل تاكرنا، أي النفي والتفريق في أرجاء الأندلس، لنقول في الأخير أن العواطف التي كانت تلتهم صدور بربر تاكرنا، قد تقاسمها معهم بربر ماردة.

في هذا الصدد نجد أن هدف بربر ماردة كان الإنتقام والثأر من أمراء بني أمية وزبانيتهم، أما مدلين[3] فلا يسعنا سوى التذكير، بما لاقاه بربرها[4] من المولدين تارة ومن الأمويين تارة أخرى، فعبد الرحمن بن مروان الجليقي كان قد قدم بربر المنطقة الكثير من التعسف والظلم، الذي لا بد وأن يعيده له البربر في أحد الأيام، ولم يكن ذلك أحسن من أيام الفتنة، ثم كيف نتغافل وبربر مادلين قد إستغاثوا من كثرة ما أصابهم من طرف الجليقي وحتى بالوزير هاشم بن عبد العزيز، الذي لم يكن هو الآخر أكثر حنانا من ابن

1- نفسه، المصدر نفسه، ص518/ البكري، المصدر السابق، ج2، ص393/ ابن غالب، المصدر السابق، ص290/ تاريخ الأندلس، ص104.

2- تاريخ الأندلس، ص193.

3- مدلين: "بفتح أوله وثانيه، وكسر اللام، وياء مثناة من تحت، ونون: حصن من أعمال ماردة بالأندلس"، ياقوت الحموي، ج5، ص77/ ويذكرها ابن سعيد المغربي كذلك من أنها حصن، حيث يقول: "من حصون بطليوس"، المصدر السابق، ج1، ص372، وبما أن ماردة هدمت، فإنه من الممكن جدا أنها أصبحت فيما بعد تابعة لبطليوس التي بناها عبد الرحمن بن مروان الجليقي.

4- من خلال ما أتحفنا به ابن حزم، نكتشف أن مدلين كان بها بيوتات بربية كبيرة وذات جاه وثروة فهو يذكرهم ضمن أمراء البربر:" بنو فرفرين: من ماردة، ومدلين"، ويضيف في موضع آخر ذاكرا إياهم ضمن بربر هوارة قائلا:" ومنهم- أي من هوارة - بنو فرفرين، ولاة مدلين، وكان لهم ثروة وعدد، منهم خطار بن سعد بن فرفرين، وأبو عمرو بن هاشم بن فرفرين، وعمهما خير بن فرفرين، وكلهم ولى مدلين"، المصدر السابق، 499/500/ أما صاحب مفاخر البربر، فيضيف إضافات ذات أهمية بالغة، إذ يقول:" بنو فرفرين، كان فيهم أمراء وفقهاء، وكانت لهم عدد ثروة "، ص188.

مروان الجليقي[1]، والذي إضافة إلى ما فعله مع البربر لا نستطيع التغافل عن ذلك الصراع الذي كان بينه وبين ابن تاجيت المصمودي.

وبالتالي وإلى غاية هنا، ألا يمكننا اعتبار رد الصاع صاعين، هي المحفز والمحرك الرئيس، الذي حرك البربر ضد المولدين والسلطة معا، وعليه نخلص إلى أن البربر ما كانت حركاتهم إرتجالية، كما أنها لم تكن تحت غطاء فئة ما كما هو الحال هنا أي تحت العرب اليمنية، سوى لأنها تحمل أهدافا واضحة، أو على الأقل كانت تحت ظروف وعوامل تاريخية وسياسية متعددة.

إن استجابة بربر ماردة ومدلين لنداء جنيد بن وهب وحليفه كريب بن عثمان، لم تكن بالأمر الهين عند سكان المنطقة من المولدين والعجم ومن دخل دائرتهم، إضافة إلى أن الهدف من هذا الأمر هو "تشتيت أمر السلطان وتعسيفه إلى رعيته"، لذا فما وقعت أسماع موسى بن أبي العاص عامل الأمير على إشبيلية حتى "استنفر جميع الناس من أهل الكورة، وأخرجهم مع نفسه، وعمل على ملاقاة البربر بقرية طلياطة[2] من إقليم البصل[3]"، وبالرغم من أن البربر كانوا قد سبقوا عامل الأمير وأتباعه، حتى أنهم على حسب ابن حيان، استباحوا أرواح وأموال أهالي القرية،[4] فإن هذا العامل أصر على ملاقاة البربر ومجابهتهم، وهذا ما أنتج تداعيات أخرى، والتي تمثلت في هزيمة هذا الأخير وأتباعه، حيث تراسل كل من كريب بن خلدون وحليفه جنيد بن وهب القرموني مع بربر ماردة ومدلين واتفقوا على أنهم سينهزمون أثناء المعركة، بمعنى يفرون منها عند اشتعالها، وكأنهم بهذه الطريقة يعيدون الوسيلة التي يستعملها البربر كثيرا أمام أعدائهم أو أثناء تغيير وجهة نظرهم من طرف إلى آخر، وهذا ما حصل بالفعل، إلى حد جعل من العامل

1- يعاد مراجعة ابن حيان، محمود علي مكي، ص 364 وص369.

2- طلياطة: "بالأندلس بينها وبين إشبيلية محلة من عشرين ميلا، ومن طلياطة إلى لبلة محلة مثلها"، الحميري، المصدر السابق، ص395/ يراجع العذري، المصدر السابق، ص110/ أما ياقوت الحموي، فيقول حولها: "طلياطة: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم ياء مثناة من تحت، وبعد الألف طاء أخرى: ناحية بالأندلس، من أعمال إستجة قريبة من قرطبة"، وإن كان هذا لا يجعله أن يضم إقليم البصل الذي تنتمي إليها طلياطة إلى أقاليم إشبيلية، المصدر السابق، ج4، ص39، وج1، ص244.

3- تجمع المصادر الجغرافية على أن إقليم البصل، هو أحد أقاليم إشبيلية، يراجع: العذري، المصدر نفسه، ص109/ البكري، المصدر السابق، ج2، ص392/ ابن غالب، المصدر السابق، ص293.

4- ابن حيان، المصدر السابق، ص69.

وأنصاره يفرون من البربر فاسحين لهم المجال بالبقاء أياما بطلياطة "يشنون الغارات في جميع جهات الكورة ولا أحد يعترضهم"[1].

لم ينته مسلسل أحداث كريب بن عثمان وخليفته جنيد بن وهب القرموني البربري، لأن السلطة الأموية وما تحمله في رصيدها من تجارب سياسية، جعلها هي الأخرى تستعمل- أمام ما تراه وتشاهده من متانة التحالف بين العرب اليمنية والبربر البرانس وما أنتجه من أحداث مست سمعتها أمام رعيتها- أحد أكبر أساليبها السياسية، والتي تتمثل في الضرب بين الطرفين المتحالفين، أي الإعتماد على سياسة فرق تسد، ومن الممكن جدا أن الفكرة خامرت عقل أمية بن عبد الغافر، عندما دخل كل من الثائرين المتحالفين كريب وجنيد بن وهب مدينة قرمونة وضبطوها[2]، بعد أن أخرجوا منها عاملها محمد بن عبد الله بن بزيغ.

في هذه الفترة بالذات جرت أحداث هامة بين المولدين والعرب حتمت على السلطة التدخل بينهما، وكان هذا بسبب أحد المولدين وهو محمد بن غالب[3] الذي استألف الكثير من الأهالي بهدف محاربته لأحد البربر المسمى طماشكة المنتمي بدوره لقرمونة والذي ظهر "في الطريق بين قرطبة وإشبيلية"[4]، وهذه الأحداث جعلت من السلطة تتحذ اجراءات أكثر صرامة، لأن العرب أحدثوا الكثير من المؤامرات ضدها، واشترطوا عليها مقابل ذلك شروطا، تحمل من الخطورة الشيء العظيم، منها مطالبتهم للأمير عبد الله القصاص من محمد بن غالب المولدي الذي أراد القضاء على الطماشكة[5]، مع العلم أن هذا الأخير من غير المعقول أن يكون ممن "يقطع الطريق ويفسد في الأرض"، لأنه لم يكن سوى أحد أعوان العرب اليمنية وحلفائهم من البربر البرانس، الذين كل ما فعلوه وقاموا به ضد محمد بن غالب لم يدخل إلا في مجال الإستحواذ على المنطقة وطرقها، والإعتماد في هذه

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص69.

2- نفسه، ص72/ العذري، المصدر السابق، ص103.

3- يسميه العذري، عبد الله ابن غالب، المصدر نفسه، ص103.

4- ابن حيان، المصدر نفسه، ص70.

5- نفسه، صص70/71.

لة لا بد وأن يكون من الأطراف المتحالفة كالطماشكة هذا البربري القرموني، وليس خارجها.

وأمام تشابك الأحداث "عمل أمية بن عبد الغافر خلال ذلك على المكايدة، فسعى تضريب بين عبد الله بن حجاج وبين ابن وهب القرموني"[1]، وعند التساؤل لماذا بين ابن ج وابن وهب القرموني وليس بين هذا الأخير وصاحبه كريب بن عثمان بن خلدون، شف أن الإجابة بسيطة جدا، وهي أن هذين الأخيرين كانا متقاسمين لمدينة قرمونة إذ إبن حيان أن ابن وهب القرموني "كان له من أبوابها الباب المسمى باب قرطبة"[2]، ح في الاخير خطة أمية بن عبد الغافر إذ "وثب إبن وهب على عبد الله بن حجاج هب ماله وسبا أهله وأرسل برأسه إلى أمية بن عبد الغافر"[3].

هكذا إذن كانت نهاية التحالف الذي جمع بين بربر قرمونة والعرب اليمانية، وإن الأحداث فيما بعد حتى فيما بين العرب اليمنية أنفسهم قد أخذت منعرجا خطيرا، طموح رؤسائها وزعمائها الذي استغلته السلطة، مستعملة- دائما- الطريقة والسياسة ا التي استعملتها في ضرب ابن وهب وابن حجاج، ومع ذلك نجد أنفسنا مضطرين، بغية الإنصاف وبلوغ الحقيقة، أن نطرح سؤالا ملحا، لأنه يدخل تماما ضمن سوع دراستنا، وهو معارضة البربر وموالاتهم اتجاه السلطة والعوامل المتحكمة فيه، د إعادة نص ابن حيان قراءة وتفكيكا ثم تركيبا من جديد، نلاحظ أن الذي وثب على ر، وانتهب ماله وسبا أهله هو ابن وهب القرموني الذي يكتفي بذلك بل أرسل برأس مه إلى أمية بن عبد الغافر سرا ومن هنا نتساءل، لماذا كانت المراسلات بين ابن ب وعامل الأمويين؟، هل يعود هذا إلى طبيعة البربر غير الثابتة سياسيا؟ أم أن العرب ية وبالتحديد آل بني حجاج كانوا يريدون الإستحواذ على مدينة قرمونة كاملة، مما بابن وهب إلى معاجلة صاحبه قبل أن يباغته[4]؟ ثم إذا سمحنا لأنفسنا بالمضي قدما في

سه، ص76.

ن حيان، المصدر السابق ص76.

سه، ص76.

ي هذا الصدد نريد توضيح رؤية جد مهمة، وهي أنه من الممكن والمحتمل أن يكون بنو حجاج هم المسؤولون عما وقع، لأن ره ابن خلدون فيما بعد حول ما وقع بين بني خلدون وبني حجاج يثير الكثير من التساؤل إذ يقول: " ثم دس- أي إبراهيم بن

تحري حول عوامل هذا النزاع، فهل يستطيع أي أحد اعتبار إرسال ابن وهب برأس إبن حجاج دليلا على عودته إلى أحضان السلطة ؟ وبالتالي اعتباره دليل موالاة ؟.

لا أحد يستطيع التكهن بما حصل وبخاصة وأن المصادر تطفئ الضوء تماما أمام أي ذكر لجنيد بن وهب القرموني بعد قتله لابن حجاج، فلا نعلم بالتحديد، هل كان مصيره الإنضمام إلى مصاف الحشم بقرطبة بعد أن قدم هذه الخدمة للسلطة ؟ وهذا ما نراه بعيدا كل البعد، لأن العمل بين الطرفين كان في الخفاء- حتى أن العامل أمية بن عبد الغافر قد تنفى في الظاهر "من المشايعة على قتل عبد الله أو الإدهان فيه واعتذر فيما أتهم منه إلى أخيه إبراهيم وعلى جميع العرب"[1]، أم تراه توجه إلى الثغر أين يقطن الكثير من البربر البرانس ؟.

ارتأينا أن نقدم إضافة على كل ما ذكرناه، نموذجا نأخذه كمقياس وهذا فقط حتى نؤكد على بعض الأحكام التي أطلقناها أو تلك التحليلات التاريخية التي قمنا بها، من خلال المعطيات التي أتيح لنا الحصول عليها عبر المصادر، ونحن نأخذ هذا النموذج كمقياس فقط لأخذه كمقارنات مع تلك التي وقعت في أحداث إشبيلية وقرمونة، وما قام به بالتحديد بربر ماردة ومدلين، وهذا النموذج كان قد وقع بالجزيرة الخضراء أين تتمركز نسبة كبيرة من البربر، "مع أخلاط من العرب قليل"[2]، ولابأس حتى نستدل بالنسبة الكبيرة للبربر بالمنطقة أن نذكّر بما أسلفنا ذكره من قبل، من وجود وجوه البربر وبيوتاتهم بها، يحي بن يحي المصمودي، الذي كان أبوه وال على الجزيرة الخضراء وشذونة، ثم عباس بن ناصح الجزيري المصمودي كذلك، الذي تولى قضاء الجزيرة الخضراء هو وأبناءه بعده، مع ذكرنا في الوقت نفسه لأولئك الثوار الذين خرجوا بهذه المنطقة، طوريل ويحي الجزيري زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وحبيب البرنسي قبلهما وغيرهم.

حجاج- للأمير عبد الله بطلب الولاية ليشتد بكتابه على كريب بن خلدون"، ومن هذا المنطلق كان تساؤلنا، هل أحس ابن وهب القرموني ببعض تحركات عبد الله بن حجاج السياسية والرامية للإستقلال بقرمونة، فأدار له ظهره وقام بالإنتقام منه؟، يراجع ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص164.

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص76.

2- اليعقوبي، المصدر السابق، ص110.

ولكن القضية هذه المرة كانت أوسع لأنها مست صراعا بين العناصر الأندلسية فيما [بي]نها والسلطة معا، مع ملاحظة جد مهمة، وهي أن البربر- وقد حدث هذا من قبل- لم [يك]ونوا في صف واحد حتى لو كانوا في منطقة جغرافية واحدة[1]، فسنجد في منطقة [الج]زيرة الخضراء مثلا أن أبا حرب بن شاكر البرنسي الذي قتله عمر بن حفصون [بح]صن البلاط[2]، كان "من عمال الأمير بهذا الحصن، ومن أحسن الناس تمسكا بالطاعة"[3]، [فقت]له من طرف ابن حفصون الذي استطاع أن يدخل هذا الحصن، الذي على ما يبدو [ك]انت به نسبة سكانية من البربر كبيرة، يعتبر دليلا قويا على موالاة هذا الرجل وعشيرته [للس]لطة الأموية، ومقابل هذا وفي الوقت نفسه، أي سنة 276هـ- 889م، ثار أهالي [الج]زيرة الخضراء وهذا بعد أن حاربهم عمر بن حفصون الذي صدمه سور المدينة وشدة [ع]املها إبراهيم بن خالد.

وما يهمنا أكثر في هذا التمرد ليس التمرد بعينه، لأن الإستقلال بالمدن وأقاليمها كان [قد] شكل عدوى داخل الأندلس[4]، وإنما ما قام به البربر المجاورين لهذه المدينة اتجاه [أه]اليها المتمردين، حيث ما انصرفوا عن محاربتهم إلا بجزية[5]، وهنا وجدنا أنفسنا أمام [س]ؤال ملح وهو ما أسباب هذا الفعل الذي قام به البربر؟ ومن هذا المنطلق وجدتنا نعود [بذ]اكرتنا إلى ما سبق هذه الفترة، علنا نكتشف أحد العوامل التاريخية المتسببة فيه، وبالفعل [ن]تذكر ما فعله الأمير الأموي الحكم الربضي بسكان المنطقة الذين أدرجتهم المصادر [ض]من الخوارج[6] حين كان عباس بن ناصح الجزيري قاضيا على المنطقة، والذي كان [إض]افة إلى ذلك، وكما أسلفنا الذكر من أكبر المحرضين عليهم، مع العلم أن ما فعله الأمير

---

[1] مع العلم أن الغالبية العظمى من ساكني الجزيرة الخضراء كانوا من مصمودة أي من البرانس، ذنون طه، المرجع السابق، [ص]261.

[2] يذكر العذري: " إقليم البلاط "، كإقليم ضمن أقاليم إلبيرة، المصدر نفسه، ص90.

[3] ابن حيان، المصدر السابق، ص89.

[4] حول هذه الظاهرة يذكر ابن حيان قائلا:" وذهبوا إلى ملك أنفسهم حسب ما فعله غيرهم فضبطوا مدينتهم.." المصدر نفسه، [ص]90.

[5] نفسه، ص90.

[6] يراجع ابن القوطية، المصدر السابق، ص67.

الحكم كان عنيفا جدا، حتى أن ابن القوطية يذكر أن تدخله على الجزيرة كان مفاجئا وشديدا، حاملا في الوقت نفسه "السيف على أكثر أهلها"[1].

وهذا ما يدل على أن الطائفة البربرية بمنطقة الجزيرة الخضراء، ربما بقي الكثير منها محافظا على خارجيته أو إباضيته، مع إبقائه ومحافظته على حقده اتجاه السلطة وحتى على من جاوره من المولدين وأهل الذمة والعجم، والذين كما نعتقد من خلال قراءة النصوص قراءة ثانية متأنية وحذرة، كانوا يعتبرون في نظر هذه الطائفة ممن يستحقون دفع الجزية[2]، وإلا كيف لا ينصرفون عنهم إلا بعد أخذهم لها؟، أفلا يدل هذا على نمط من التفكير الديني عند هذه الطائفة من البربر ؟ ثم ألا يؤكد هذا على أن هؤلاء كانوا من البربر الخوارج أو الإباضية الذين حارب الحكم أجدادهم، والذين بقوا محافظين على عقليتهم الدينية حتى في التعامل مع أهل الذمة[3] وممن سموا فيما بعد بالمستعربين؟.

بنو ذي النون ودورهم السياسي على عهد الأمير عبد الله: "كان أبو الحسن يحي بن إسماعيل قد ملك من بلاد الأندلس أزيد من ثلاثمئة مسور، إتسع ملكه، وتسمى بالمأمون، ولم يكن في ملوك الطوائف أقوى من مملكته، ولا أعظم قدرا منه"[4]، هكذا وصف صاحب صاحب تاريخ الأندلس أبا الحسن يحي بن إسماعيل بن ذي النون وقوة ملكه زمن ملوك الطوائف، أما ابن سعيد فيصفه قائلا: "لم يكن فيهم أعظم قدرا، ولا أشهر ذكرا منه، ولم يجتمع عند ملك من ملوك الأندلس، ما اجتمع عنده من الوزراء والكتاب الجلة"[5]، بل إن صاحب المعجب يذهب أبعد من ذلك حين يقول عنه:" وأبو الحسن هذا، أقدم ملوك الأندلس رياسة، وأشرفهم بيتا وأحقهم بالتقدم"[6]، هذا ما تحدثت عنه المصادر حول أحد

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص68.

2- يعرف ابن قيم الجوزية الجزية فيقول إنها: "الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالا وإصغارا، والمعنى: حتى يعطوا الخراج عن رقابهم"، أحكام أهل الذمة، ضبط نصه وخرج أحاديثه وإعتنى به: محمد رياض الأحمد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1426هـ/ 2006م، ص23، للمزيد من التفاصيل حول الجزية وأحكامها، يراجع المصدر نفسه، صص 22/71/ الماوردي، المصدر السابق، ص251.

3- حول أهل الذمة بشكل عام، يراجع: أحكام اهل الذمة لابن قيم الجوزية.

4- تاريخ الأندلس، ص259.

5- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص12.

6- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص60.

أمراء دولة بنو ذي النون البربرية، الذين حكموا طليطلة، والذي ما أخذناه كنموذج إلا لنقيس من خلاله مدى العمل المتواصل لهذه الأسرة البربرية.

ولنصرح كذلك أن ما وصلت إليه هذه الأسرة، لم يكن محض صدفة، أو وليد ليلة وضحاها، وإنما ثمرة جهود عظيمة متواصلة، بذلها جل أفراد هذه الأسرة، الطموحين دائما إلى الرتب الرفيعة، الإجتماعية والسياسية على حد سواء، وهذا الأمر هو الذي يجعلنا نصرح أن بدايات هذا الطموح لم تكن زمن فترة الأمير محمد بن عبد الرحمن[1]، وإنما كانت أبعد[2]، لأن الأسرة وعراقتها في الأندلس ونباهة أفرادها، قد تجعلنا لا نبالغ إذا ما صرحنا، أن البدايات كانت منذ دخول جدهم السمح بن ورد إلى الأندلس مع جيش طارق بن زياد[3]، بدون أن نتغافل أن من سمّوا بأمراء الثغر، والذين كانت أغلبيتهم من البربر، إنما كانوا من الداخلين الأوائل إلى الأندلس، وقد سنحت لهم الكثير من الظروف حتى يثبتوا أقدامهم، ويسيروا قدما نحو تحقيق غاياتهم الإجتماعية والسياسية، ومن بين هذه الظروف، جهادهم للنصارى وإيقافهم عند حدودهم، بحكم وجودهم في الثغور، وما نذكره هنا هو ما أراد إبرازه وتوضيحه فيما نعتقد صاحب المعجب عند تناوله لأبي الحسن وأسلافه حين يقول: "وأشرفهم بيتا وأحقهم بالرياسة".

تجمع المصادر على أن جذور بني ذي النون تعود إلى هوارة، حيث تبدأ بذكر نسب هذا البيت بدء من ذي النون الذي كان وجه قومه زمن فترة محمد بن عبد الرحمن الأوسط، حيث نجدها تصرح بأنه: "ذو النون بن سليمان بن طوريل بن الهيثم بن إسماعيل بن السمح بن ورد حيقن الهواري الحميري حليف لهم"[4]، وبالرغم من أن المصادر تتفق

1- في هذا الباب لم نجد سوى ابن عذاري، الذي يتغافل عن ذكر ما وقع لذي النون مع الامير محمد، والأكثر من ذلك، نجده حتى يتخطى ما وقع بينهم وبين الأمير الناصر فهو يذكر قائلا:" ولم يكن لهؤلاء القوم نباهة قديما ولا ذكرا، إلا في دولة ابن أبي عامر، فإنهم تقدموا في دولته وإشتهروا "، المصدر السابق، ج3، ص276.

2- يذكر صاحب مفاخر البربر قائلا: " ذكر جماعة أنهم- أي بني ذي النون- كانوا يخدمون بجزيرة الأندلس قديما"، ص133، وبالرغم من ذلك فإن حمدي عبد المنعم محمد حسين ينقل عن ابن عذاري دون تمحيص ولا تحقيق، حيث يقول في كتابه: " ولم يحظى بنوه وذراريه في أي نشاط سياسي، إلى أن ظهر ذو النون بن سليمان"، ونعتقد أن هذا يعود إلى أن هذه الدراسات ترى أن النشاط السياسي للبربر، لم يكن يحمل سوى وجه الثورة والتمرد لا غير، يراجع، المرجع السابق، ص55.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص18.

4- نفسه، المصدر نفسه، ص18/ يراجع هذا النسب عند العذري، ص14، حول الحميري حليف لهم، لم تسعفنا المصادر ماذا يقصد به بالضبط، ولكن من الممكن جدا أنهم كانوا من موالي الحلف، مع ملاحظة مهمة يذكرها البكري تدور حول هذه النقطة

على أن بني ذي النون من قبيلة هوارة البرنسية[1]، فإنها لا تمنحنا معطيات حول أي فخذ من أفخاذ هذه القبيلة هم ينتمون، مع العلم أن ابن حزم يذكر الكثير من بيوتات البربر الهواريين المنتشرين في أرجاء الأندلس[2].

قبل أن نتمم وجدنا ملاحظة من المهم إبرازها لأنها ستفيدنا إضافة إلى معرفة سبب عدم ذكر المصادر لأفخاذ قبيلة هوارة، في فهم علاقة البربر كهوية مع الأطراف الأندلسية وحتى مع السلطة، وهذه الملاحظة هي أن المصادر لا تذكر أصول البربر قبل فتح الأندلس، حيث أن المصادر التي تناولت أنساب البربر بالأندلس، لا تتعدى نسب الداخل من هؤلاء لهذه العدوة، وبالتالي فهي تغض الطرف عن الأصل القديم للقبيلة ببلاد العدوة المغربية.

سنجد مثلا أن عدم ذكر المصادر لأفخاذ قبيلة هوارة وهذا حتى نعرف بالتحديد أصل بني ذي النون، يعود ربما إلى الإنتشار الواسع لأفخاذ القبيلة بمنطقة العدوة المغربية، والتي يصعب على أصحاب المصادر تتبع مواقعها، لأن هوارة كانت منتشرة في مناطق متعددة من بلاد المغرب، فهي قد نزلت ببلاد أطرابلس المغرب[3]، وبالمسيلة[4]، وجبل أوراس[5]، وكذلك بتيهرت[6]، وكان لها مواضع بسبتة[7] وغيرها، أما عدم تعدي النسابة للفرد الداخل إلى الأندلس، وهو يعتبر بالنسبة لنا، عاملا مهما في معرفة علاقة البربر القادمين من المغرب مع البربر البلديين بالأندلس، فإن السبب سيلخصه لنا ابن الخطيب في قوله: "وعبرت سيوف الدعوة العربية البحر إلى الأندلس، ونظروا إلى ما وراء البحر في خطتها من بلاد طيبة، وبركات صيبة، اغتبطوا، وارتبطوا، وتمهدوا،

في قوله: "والبربر كلهم يزعمون أنهم العرب، وهوارة تزعم أنها من عاملة، ناقلة من الشام" المصدر السابق، ج1، ص44، أما صاحب مفاخر البربر فيقول: " وقد قيل إنهم من غطفان"، ص133.

1- الذي يؤكد ذلك ويعتبر القول الفصل فيه، هو ماجاء به ابن حزم، خاصة وأنه يعتبر أكبر من أخذت عنه المصادر الذي جاءت بعده ومنهم ابن خلدون، وصاحب مفاخر البربر، يراجع، المصدر السابق، ص495.

2- ابن حزم، المصدر نفسه، ص496.

3- البكري، المصدر السابق، ج1، ص249/ الحميري، المصدر السابق، ص329.

4- البكري، المصدرنفسه،ج1، ص239.

5- الحميري، المصدر نفسه ، ص76.

6- البكري، المصدر نفسه، ج2، ص249/ الحميري، المصدر نفسه، 126.

7- نفسه، ص330.

واستقروا، وتوالدوا، ونسوا أوطانهم، وألقوا أعطانهم"[1]، وبالتالي فإن البربري الأندلسي الداخل إلى الأندلس منذ الفتح الأول لها، أصبح بدوره لا ينظر إلى ما وراء الأندلس كموطن، مع احتفاظه دائما بالعصبية القبلية التي إجتازت الأندلس برفقته ورفقة العربي الأندلسي كذلك، لنقول في الأخير هل كان بنو ذي النون يمثلون هذا النمط من البربر؟

استوطن بنو ذي النون أول ما استوطنوا قرية أقاقلة من كورة شنتبرية[2] الواقعة شرق قرطبة[3]، وهي كورة "جامعة لكل الخيرات، لأنها تملك الكثير من المراعي والأراضي الزراعية، والأشجار المثمرة"[4]، وهذا ما نعتقده السبب وراء اختيار بني ذي النون لسكن هذه الكورة، ولعل استيطان هذه الأسرة البربرية المبكر لهذه المنطقة الغنية، هو ما يسمح لنا بالتصريح أن أفرادها كانوا من أوائل أمراء الثغر بالأندلس مع توارث هذه الرتبة جيلا بعد جيل[5].

ملخص ظهور هذه الأسرة البربرية كما تزعم الكثير من المصادر، أن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط اجتاز في طريق عودته من الثغور إلى قرطبة بعد صائفة 259هـ-872م على شنت برية، أين كان عليه أن يضع خصيا من أكبر خصيانه بعد أن ألم به مرض وهو بالطريق عند ذي النون الهواري، الذي كان "وجه قومه"[6]، وتنتهي المصادر هذه الرواية وبكل بساطة بالقول إن ذي النون بن سليمان الهواري لم يكتفي بأن تفرغ للخصي حتى شفي، بل كان معه عند عودته إلى قرطبة مرافقا له، ومكافأة على ما قام به، "أجزل الأمير محمد صلته، وأسجل له على ناحيته وإرتهن منه موسى ولده"[7]، ليصبح في نهاية المطاف أحد أتباع الأمير محمد ومواليه، وإن لم نعثر على أي سند تاريخي في المصادر حول نمط هذه الموالاة، إلا أنه وبنوع من الإحتمال يمكن تقديره

1- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص5.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص18.

3- يذكرها ابن غالب قائلا:" شنتبرية، شرق من قرطبة ولها حصون كثيرة "، المصدر السابق، ص288.

4- Levi Provinçal, P36.

5- هذا ما يؤكده ابن حزم قائلا:" بنو ذي النون بوبذة "، ثم يذكرهم في مناسبة أخرى "بنو ذي النون: أمراء أقليش ووبذة "، ص ص499/500.

6- ابن حيان، المصدر نفسه، ص18.

7- نفسه، ص18.

بموالاة الإصطناع، وبالأخص وأن الأمير محمد عرف باصطناعه للموالي، مثله مثل أبيه الأمير عبد الرحمن الوسط.

في الواقع نحن لا نجاري ما أتتنا به المصادر، لأنه وإلى غاية كتابة هذه الاسطر مرت معنا الكثير من الشخصيات البربرية المهمة التي قدمت للسلطة الأموية خدمات جليلة، ولكن أسباب وجودها في مراتب هذه السلطة، والتي جاءتنا بها المصادر كانت في مجملها باهتة، بل لا تكاد تبين، لكونها لا تستند إلى أي منطق تاريخي، وعند تدرجنا سنجد أن ذو النون الهواري، ما كان ارتقاءه كزعيم موال للسلطة بأقاليم الثغر سوى جزاء تلقاه من الأمير محمد لقاء اعتناءه بالخصي[1]، وكأن ذو النون هذا ما كان من رجالات الثغر ولا من رؤساء بربر شنت برية[2]، الآهلة بالبربر البرانس[3]، والذين يمكن للسلطة الأموية عند إستمالتهم، تجنيدهم في الثغور ضد النصارى، وحتى ضد المخالفين من أمراء الشمال كالمولدين مثلا، ثم نجد أن محمد بن سعيد الزجالي، ما وضع في منصب الكتابة العليا سوى لأنه تذكر شطر بيت بقي عالقا في رأس الأمير، والأدهى والأمر أنه وقع ما يشبه استنفار داخل المعسكر من أجل البحث عمن يستطيع أن ينفس عن عقل الأمير، والذي لم يكن حينها سوى الزجالي، الذي ذكر الشطر نظرا لقوة حفظه[4]، وكأن هذه المصادر مرة أخرى لاتعلم أن السلطة الأموية لا يمكنها التغافل عن بيت، مثل بيت بني الزجالي الذين كان أفراداه من ذوي النباهة والعلا.

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص18/ ابن حيان، محمود علي مكي، ص241/242، ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص89/ ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص11.

2- على حسب ما ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، حول أمراء ورؤساء البربر بشنت برية، نستطيع تقديم وعرض بيوتات هؤلاء الأمراء بهذه الكورة:

أ –"ملزوزة: منهم عوسجة، الذي ينسب إليه بلاط عوسجة بشنت برية"، ص498.

ب–"ملزوزة، منهم بنو تيه، الامراء بشنت برية، وبنو أبي الأخطل الأمراء بها، وآل عامر بن وهب"، ص500.

ج – "من زناتة، بنو عزون، الأمراء بشنت برية"، ص499.

د – " وبنو نعمان بشنت برية"، 500.

3- يذكر ابن حزم:" كان الأمراء بالثغر، ثم بشنت برية ووادي الحجارة خاصة، من البربر"، المصدر السابق، ص499.

4- ابن حيان، محمود علي مكي، ص34.

ومن ذلك سبب وجود سفيان بن عبد ربه المصمودي في أكبر مناصب الدولة وهي الحجابة،[1] وسيكون الوقع على المسامع أكبر عندما ندرك أن ذلك الوجود ما كان إلا بفضل قرعة ضربت بين رجالات السلطة من وزراء وكتاب وغيرهم[2]، وكم كان محظوظا هذا المصمودي، التي تناست المصادر، أنه كان "أول من إستخزن بالأندلس"[3]، بمعنى أنه تدرج في مناصب السلطة، ولولا الكفاءة التي أبداها في المهام التي أنيطت به سابقا،لما سمح له بتولي منصب الحجابة، ويكفينا إضافة مثال آخر يدخل ضمن التصور نفسه، وهو ما وقع لسابق بن مالك بن يزيد الذي ردف عبد الرحمن الداخل عند تحركه لملاقاة يوسف بن عبد الرحمن الفهري، حيث يذكر إبن القوطية قائلا:"..ثم إلتفت إلى غلام رفعت عينه عليه، فقال له من تكون يا فتى؟، فقال له سابق بن مالك بن يزيد، فقال عبد الرحمن: سابق، سبقنا، ومالك، ملكنا، ويزيد، زدنا، هات يدك، أنت رديفي"[4].

ومن هنا أيعقل أن يكون رديف أمير الأندلس الجديد، رجلا مغمورا وغير معروف، ثم إن قراءة ما بين سطور رواية ابن القوطية نفسه حين يتممها قائلا:" فعقبه بمورور، يقال لهم بنو سابق الرديف، وهم من البرانس، ومن ولده كان أبو مروان الظريف..إلخ"[5]، تفسح لنا المجال أمام قراءة أخرى، وأن سابق هذا لا بد وأن يكون ممن كلفوا بمرافقة عبد الرحمن الداخل وحراسته، وإن كان ابن القوطية لم يذكر بالتحديد أي عشيرة أو أي قبيلة من البرانس هو، فمن المحتمل أن يكون أحد أفراد أكبر العشائر البرنسية التي ساندت عبد الرحمن الداخل في تأسيس إمارته، ومن هنا نجد أن أمر تولي البربر للوظائف في السلطة قد تناولته المصادر بطريقة نكاد نلمس معها الكثير من الخلفيات الإيديولوجية التي كانت تحكم كأداة في سير الكتابة عند هؤلاء، وهذا ما وجب علينا تفاديه والحذر من الدنو منه، بعد توضيحه ونقده.

1- نفسه، ص25.
2-ابن القوطية، المصدر السابق، ص78.
3-ابن حيان، المصدر نفسه، ص25.
4- ابن القوطية، المصدر السابق، ص50/49.
5- نفسه، المصدر نفسه، ص50.

"بقي ابن ذي النون على طاعة الإمام محمد وابنه المنذر إلى غاية وفاته سنة274"–887م[1]، ليستخلفه في حكم الأسرة وزعامة بربر شنت برية ابنه أبو الجوشن، الذي لم يطل به المقام، لأنه "ما لبث أن توفي سريعا"[2]، ليكون أخيرا أخوه موسى بن ذي النون الذي كان رهينة عند الأمير محمد هو خليفته، والذي ستحمل أعماله الكثير من الجدل.

يذكر ابن حيان أن موسى بن ذي النون" لم يلبث أن نكث العهد، ونبذ الطاعة، وأغرته الفتنة المستشرية بأرض الأندلس لدن قيام الأمير عبد الله"[3]، وابن حيان يطلق هذا الحكم فيما نعتقد جزافا، لأن ما قام به موسى بن ذي النون في محاربته لأهالي طليطلة وأقاليمها لم يكن في جوهره ضد السلطة أو الأمير الأموي، ولكن بالعكس تماما، كان في خدمة السلطة وأميرها، إذ أن ما حدث لم يكن إلا نتيجة موالاة بني ذي النون للسلطة الأموية بل وبمشاركتها، وحتى نستدل على تصريحاتنا، يمكن فقط تتبع التدرج التاريخي للأعمال التي قام بها أفراد هذه الأسرة البربرية.

أولا نجد أن موسى بن ذي النون ما كانت بداياته السياسية التي ظهرت على شكل مجابهات عسكرية مع غيره سنة 274هـ–887م[4]، إنما كانت البدايات الأولى سنة 260هـ–873م[5]، فالبرغم من أن ابن حيان لم يوضح حقيقة ما أراد قوله من خلال الرواية التي أدلى بها، فلا بأس من إعادتها، لأن دراسة النص الذي صرح به دراسة ثانية تجعلنا نربط ما لم يذكره أو تغافل عنه بما جاء به ابن حزم من طريق آخر، وبخاصة وأن روايته ستكشف عن تناقضاته، بل من الممكن الكشف عما أراد التغافل عنه وتجاهله عمدا، يقول ابن حيان: "وولي مكانه أخوه موسى، وقد نجم النفاق، وكثر الخلاف على السلطان، فأوضع موسى في الفتنة، ونبذ في الطاعة"، ثم يضيف "وأغرته الفتنة المستشرية بأرض الأندلس.."[6].

1- ابن حيان، المصدر السابق، ص18.

2-نفسه، ص18/ حول ما قام به ابن أبي الجوشن، يراجع العذري، ص14.

3- نفسه، ص18/ ابن حيان، محمود علي مكي، ص342.

4- ابن حيان، محمود علي مكي، ص342.

5- نفسه، ص341.

6- نفسه، ص342.

تعتبر عبارة "ولي مكانه أخوه موسى" مربط الفرس في حل ما وقع فيه ابن حيان، فهذه العبارة تعني أن موسى تزعم أسرته في فترة الأمير المنذر بن محمد، وهي الفترة التي نجم فيها النفاق، وكثر فيها الخلاف على السلطان، ومن هنا ربط ابن حيان ما قام به موسى بن ذي النون بالجو العام الذي كان سائدا في تلك الفترة، وهذا هو عين الخطأ الذي وقع فيه، والسبب الذي جعله يدرج موسى بن ذي النون ضمن الثوار أو المتمردين.

وحتى نوضح أكثر ما نريد قوله من أن محاربة ابن ذي النون لأهالي طليطلة ما كانت خروجا عن السلطة، ولا نبذا للطاعة، نذكر حدثا آخر وهو الذي انفرد به ابن حزم وأدرجه ابن حيان من بعده كشاهد شحن به روايته بالرغم من عدم تفصيله ولا حتى ذكره لهذا الحدث حيث يقول: "وفيها- أي سنة 260هـ-873م- خالف موسى بن ذي النون بن سليمان في الطاعة والولاية والرعاية"[1]، وهذا الحدث الذي اعتبره ابن حيان خلافا ضد السلطة هو ذلك الذي تمثل كما جاء عند ابن حزم في قتل موسى بن ذي النون" لعامر بن وهب، الذي كان صاحب وبذة وأعمالها"[2]، حيث يذكر ابن حزم بصيغة مباشرة:" فثار عليه موسى بن ذي النون، فقتله، وضبط البلد"[3]، وهكذا إذن نجد أن ابن حيان قاس من خلال هذا الفعل الذي قام به موسى بن ذي النون كل الأعمال التي قام بها هذا الأخير، لنخرج في نهاية المطاف أن ما قام به موسى بن ذي النون ضد عامر بن وهب كان بفعل الطموح السياسي لرجالات الثغر الذي كان يترجم إلى صراعات ومجابهات عسكرية، ولم يكن البتة ضد السلطة الأموية.

بعد هذا التوضيح، نعود إلى الإستدلال على ما صرحنا به سالفا، وهو أن ما قام به موسى بن ذي النون كان بمشاركة السلطة، ولنقول في الوقت ذاته، أن بني ذي النون في فترة الفتنة التي عرفتها الأندلس عهدي الأمير المنذر وأخيه الأمير عبد الله فيما بعد،

1- ابن حيان، المصدر نفسه، ص341.

2- ابن حزم، المصدر السابق، ص500.

3- نفسه، المصدر نفسه، ص501/ نجد أن ابن الأثير قد وقع في وهم كبير عندما أخلط بين هذا الذي وقع في سنة 260هـ-873م، وما قام به موسى بن ذي النون سنة 274هـ-887م، ويعود هذا لأن ابن حيان أولا لم يصرح بالحدث الذي من خلاله جعل من موسى بن ذي النون مخالفا للسلطة، كما أنه حشر ما قام به هذا الأخير في سنة 274هـ، ضمن أحداث سنة 260هـ، يراجع: ابن الأثير، ج5، ص248.

كانوا من أشد الموالين للسلطة الأموية، وقد تكلمنا سابقا عن مشاركة بني ذي النون في جيوش السلطة الأموية، حيث ذكرنا موت أبناء هذه الأسرة في مواجهة العديد من المخالفين خدمة للسلطة، وذكرنا كذلك ما قام به عامر بن أبي جوشن الذي شارك قادة جيوش السلطة بتشجيع من ابن عمه الفتح[1]، مع العلم أن ذو النون الجد أو مؤسس البيت على زعم المصادر لم يمت إلا على فراش طاعة الأمويين سنة 274هـ/887م.

إضافة إلى هذا التدرج التاريخي الذي يثبت موالاة بيت بني ذي النون للسلطة الأموية، لابأس كذلك أن نعود إلى نص ابن حيان الذي يقول فيه أن موسى بن ذي النون "غزا أهل طليطلة في نحو عشرين ألفا"[2]، وإذا كان أمر غزوة أو حرب موسى لأهل طليطلة لا يبدو حدثا غريبا، فإن المثير للتساؤل هو هذا العدد الضخم للعناصر المشاركة في هذه الحرب؟، وعليه فهل يعقل أن بني ذي النون وحدهم كانوا يبلغون هذا العدد؟، وإذا كان الجواب بطبيعة الحال سيكون بالنفي، فممن كان يتكون إذن هذا الجيش؟.

من المفروض أن عناصر هذا الجيش ستكون وهذا قبل أن نعلم إلى أية طائفة تنتمي، من الذين يملكون تاريخا مليء بالمجابهات مع أهل طليطلة، وبالتالي سنكون أمام حالة سابقة متجددة، وهي تمثل ذلك الصراع بين أهل الخلاف وأهل الطاعة، والذي سيذكرنا بمرحلة الأميرين عبد الرحمن الأوسط وابنه محمد من بعده، لأن هذا العدد الهائل لا بد وأنه يحتوي على عناصر ذات جبهة واحدة حتى وإن إختلفت إنتماءات وعصبيات هذه العناصر، ثم إن الهجوم والمجابهة ستكون ضد طليطلة موطن الخلاف الذي لم يهدأ منذ إمارة عبد الرحمن الداخل، فهل ستكون المجابهة إذن ضد المولدين وأهل الذمة أي المستعربين والنصارى الذين كان رمزهم عمر بن حفصون زعيم الخارجين والثوار في هذه الفترة، وبالتالي سنصل أن هؤلاء الذين مثلوا طليطلة سيقاومون كجبهة جامعة لأهل الخلاف، جبهة أخرى تامة وموحدة ممثلة لأهل الطاعة، ولم تكن في حقيقتها سوى تلك

1- يعاد مراجعة العذري، المصدر السابق، ص14.
2- ابن حيان، المصدر السابق، ص18.

التي تزعمها موسى بن ذي النون، الذي كان والده من أكبر الموالين للسلطة، والذي من الممكن جدا أنه كان حيا إبان هذه الواقعة.

لنصرح أخيرا بعد هذه التوطئة، أن الجيش الذي هاجم طليطلة كان جيشا ممثلا للسلطة هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن قاعدة سياسة موالاة السلطة التي عليها أن تترجم على أرض الواقع كانت لا تزال حاضرة، وحتى نعطي للأمور نصابها، نرى أنه من الواجب بل والمحتم علينا إبراز رواية ابن عذاري التي يذكرها ضمن حوادث سنة 273هـ-886م[1]، حيث يقول: "وفيها كانت الوقيعة على طليطلة، وكانوا قد جيشوا البربر المنفيين من ترجيلة، فقتل منهم ألوف"[2]، بالرغم من أن النص واضح فإننا نعتقد أنه هو الآخر بحاجة إلى تفكيك، لأن إضافته مع النص الأول لابن حيان يمكننا من تركيب نص شامل يوصل إلى الإقتناع بما نقول.

يوضح النص أنه كانت هناك وقيعة حقا على أهل طليطلة، ولكن ما ينقصه هو عدم ذكر زعيم هذه الجماعة، وهو موسى بن ذي النون الهواري، ثم عدد أفراد هذه الجماعة وهو عشرون ألف رجل، كما أن ما ينقص رواية ابن حيان أن ابن عذاري يضيف معطيات في غاية الأهمية تتمثل في قوله: "وكانوا- أي أهل طليطلة- قد جيشوا البربر المنفيين"، وهو ما يوضح لنا أن أهل طليطلة قد استعانوا ببربر يحملون صفة المنفيين، وبالتالي فلا يسعنا في هذا المقام سوى ذكر أولئك البربر الذين نفتهم السلطة، وعند تذكرنا أنهم لم يكونوا سوى أهالي تاكرنا بصفة عامة، وبربرها بصفة خاصة، فإن العقدة تكاد تحل تماما.

وبما أننا وكما أسلفنا الذكر بأن هؤلاء كانت نهاية نفيهم ترجيلة، مع تأكيد ابن عذاري في روايته أن أهل طليطلة "قد جيشوا البربر المنفيين، من ترجيلة"، فإننا سنصل إلى أن أهالي طليطلة كانوا هم الخارجين عن السلطة[3]، وستكون مشاركة بربر تاكرنا

1- يلاحظ أن ابن عذاري يختلف عن ابن حيان في سنة الوقيعة على أهل طليطلة، مع العلم أن ابن عذاري لا يذكر بني ذي النون لا من بعيد ولا من قريب، المصدر السابق، ج2، ص16.

2- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص

3- لم نجد أحسن من استغل نص ابن عذاري من خلال تعدد قراءتنا للمراجع المعاصرة، سوى ليفي بروفنسال حيث ذكر قائلا:" وفي عام 875م-(259هـ)، أصبح الأمير محمد الأول مضطرا لأن يخرج إليهم بنفسه، لكي يعيدهم إلى صوابهم، فطالبهم بتقديم

الذين استقروا بترجيلة –والذين ربما كان منهم بنو الخليع– هي أكبر دليل على ما نقول، وأن بني ذي النون الهواريون قد بقوا على موالاتهم وتمثيلهم لأمراء بني أمية في هذه الفترة، وهم من قادوا، بحكم كونهم ممثلي السلطة، الهجوم على طليطلة، هذا وبدون أن نتغافل كون بني ذي النون، كانت أعينهم دائما جد مفتحة نحو هذه المدينة، والتي استولوا عليها عقب هذا الهجوم، وبقوا فيها إلى غاية سنة 283هـ– 896م[1].

بعد احتلال موسى بن ذي النون لطليطلة، قويت شوكته، وبالرغم من خروج سلطة طليطلة من يده بسبب غير معلوم على يد محمد بن لب[2]، فمن الممكن جدا أنه أصبح من جديد أحد المقربين من طليطلة التي إستعادها لب بن طربيشة من يد ألفونسو الثالث، الذي كان أهل طليطلة يقدمون له الجزية بعد أن أخذها هو الآخر من يد بني قسي، وفي هذا الوقت بالذات كان أبناء موسى بن ذي النون يزدادون قوة وتمكينا في أرض شنت برية، لأن طموح التمكن وزعامة هذه المنطقة وأقاليمها بما فيها طليطلة، كان طموح أسرة بأكملها وليس طموح فرد واحد، وليس أدل على ذلك من تشييد المدن والقرى وبناء المعالم داخلها من طرف هؤلاء الأبناء، وهم الفتح ومطرف ويحي.

ذكرنا سابقا أن الفتح بن موسى بن ذي النون، كان قد بعث بابن عمه عامر بن أبي الجوشن مع جيوش السلطة إلى محاربة المخالفين عليها، وما قام به كان يعبر بدون شك عن موالاته للسلطة الأموية، مع العلم أن الفتح هذا قد قام بحرب ضد عبيد الله بن أمية بن الشالية من أجل حصن ذمييه[3]، وبالرغم من أن الفتح لم يحز هذا الحصن، فإن ما يعنينا هو استغلال بني ذي النون لظروف الفتنة من أجل تحقيق طموحهم الذي لم ينتهي إلى حد

الرهائن ودفع التعويضات، ثم نصب ابنه المطرف حاكما عليهم، وعليه فما قامت لهم قائمة، إلا بعد مرور ثلاثة عشر عاما، حين تولى المنذر الحكم، ولكنه تمكن من السيطرة عليهم في أسرع وقت بواسطة بربر شنت برية "، المرجع السابق، ص240.

1- يقول ليفي بروفنسال" ملك زمام أمورها، أحد أفراد عائلة بن قسي الأرجوانية، في أوائل سنة 897م/(ذو الحجة283هـ)، أصبح محمد بن لوب بن موسى صاحب المدينة، مع العلم أن ليفي بروفنسال لم يذكر مصدر هذا الخبر، المرجع السابق، ص298.

2- حول محمد بن لب، يراجع: العذري، المصدر السابق، ص36.

3- ابن حيان، المصدر السابق، ص10.

الصراع مع المولدين أو أهل الذمة وغيرهم من أجل حصن أو إقليم، بل كان ينتهي إلى بناء المدن وتعميرها كما فعل الفتح مع إقليش[1] التي عمرها وبنى قصبتها.

وهذا العمل في حد ذاته يعبر على تحضر هذه العائلة، فبناء المدينة يعبر حقيقة على تفوق فهم هذه العائلة السياسي والإجتماعي، فهي تعلم من خلال العمل أن هذا سيزيد من مواردها الإقتصادية ومكانتها الإجتماعية، بل إنها ستكسب موال لها وشيعة يدافعون عن وجودها، بل لا نبالغ إذا قلنا أن ما قامت به هذه العائلة البربرية كان له بعد سياسيى أعمق بكثير مما نعتقد، أي وكأنها كانت تنتظر ما ستؤول إليه الأندلس ذات يوم من إستقلال جماعات معينة بمناطق محددة بعيدة عن السلطة، لذا سندرك أن موالاتها كانت دائما تسير نحو تحقيق هذا الهدف، لأن العمل على موالاة السلطة كان يتيح لها الكثير من الفرص لتحقيق غاياتها وسط هدوء تام، بعيد عن أي تخطيط من جانب الأمويين الدهاة الذين كانوا من العارفين جدا بمنطق الأمور بالاندلس، والعارفين كيف يقضون على خصومهم، ولعل ما قاموا به مع أعدائهم السابقين قد ستفاد منه بنو ذي النون وأخذوه عبرة، وفهموا أن في موالاة السلطة الفائدة أكثر من معارضتها.

لم يذكر ابن حيان أية وقعة قام بها الفتح ضد السلطة في هذه الفترة، وإلى غاية موته سنة 303هـ/915م، بل نجده يكتفي بقوله: "وإمتنع بها وفاتن أهل طليطلة"[2]، أما أخوه يحي فقد كان حقيقة "من أنكر آل ذي النون"[3]، لأنه كان ممن يستعمل الأساليب السياسية نفسها التي كانت تستعملها السلطة الأموية، فقد كان يحسن فن المراوغة وضبط وقت المعارضة ووقت الموالاة، فهو مثلا قد ظافر أحد المنتزين عن السلطة، ولكن عند معايشته لما أصبحت عليه الأندلس في البدايات الأولى لعهد عبد الرحمن الناصر، ما كان عليه سوى أن أدار ظهره تجاه هذا المخالف ثم قتله والإرسال برأسه إلى الناصر، لإظهار موالاته له وبقائه على تبعيته.

1- بعد مقارنة النصوص، نقول: إقليش مدينة محدثة البناء في الأندلس والذي بناها هو موسى بن ذي النون، ولكن الذي طورها وعمرها وبنى قصبتها فهو ابنه الفتح، يراجع: ابن حيان، المصدر السابق، ص18/ تاريخ الأندلس، ص108/ ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص11/ الحميري، المصدر السابق، ص52.

2- ابن حيان، المصدر السابق، ص18.

3- نفسه، المصدر نفسه، ص19.

أما المطرف بن موسى بن ذي النون فقد كانت علاقته مع السلطة أطيب علاقة وهذا منذ وجوده على مسرح الساحة السسياسية، وقد بقي كذلك إلى غاية وفاته سنة 333هـ/944م[1]، بعد أن أسجل له الناصر على مدينة الفرج مقابل الخدمات الجليلة التي قدمها للإمارة والخلافة فيما بعد، ومع هذا فقد قام المطرف بأعمال حضارية تشبه ما قام به أخوه الفتح من قبل، وبخاصة تعميره لحصن وبذة الذي "أقطعه إياه أبوه حيث بناه وحصنه، وكان فيه مسكنه"[2]، لنقول في الأخير أن بني ذي النون قد قاموا بعمل كبير في الشمال من أجل السلطة، والتي نرى بدون مبالغة أنه من خلالهم وأمثالهم من أمراء الثغر البربر، إستطاعت أن تبقي على مراكزها وبخاصة مع خروج مولدي الثغور ضدها، ومجاراة ألد أعدائها عمر بن حفصون.

الموالاة البربرية في فترة الفتنة: بقيت موالاة البربر ظاهرة وواضحة خلال فترة الفتنة عبر ما مارسته البيوت البربرية من الموالي خاصة، من مهام إدارية وسياسية وحتى عسكرية، وأول بيت بقيت موالاته واضحة هو بيت بني الزجالي الذين عمل منهم عبد الله بن محمد الزجالي ككاتب عند الأمير عبد الله[3]، ثم تولى الوزارة إضافة ربما إلى احتفاظه بمنصب الكتابة[4]، وقد تمكن من تولي المدينة[5]، مع العلم أنه بقي وزيرا إلى غاية وفاة الأمير عبد الله[6].

وهكذا اتصلت أيام بيت بني الزجالي على الموالاة وخدمة السلطة الأموية، وقد مثل عبد الله بن محمد الزجالي هذ البيت خير تمثيل، إذ لم يمت إلا وهو على طاعة وموالاة الأمويين على عهد عبد الرحمن الناصر سنة 301هـ-913م[7]، ولم تنته موالاة هذا البيت

1- نفسه، ص19.

2- يضيف الحميري أن وبذة " حصن على واد بقرب إقليش، وعلى وادي وبذة عدة كثيرة من الأرحاء ويجري النهر على عدة كثيرة من القرى"، وهذا ما يعني أن المطرف الذي سكنها سنين طويلة، هو من مدّنها وعمّرها، المصدر السابق، ص500.

3- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص1321/ ابن حيان، المصدر نفسه، ص6.

4- نفسه، المصدر نفسه، ج2، ص152/ يقول ابن القوطية: "واستوزر عبد الله بن محمد الزجالي، وصرف إليه الكتابة"، المصدر السابق، ص116.

5- ابن حيان، المصدر نفسه، ص6

6- نفسه، ص6.

7- ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2 ص165.

إذ قام الأمير بتولية محمد بن عبد الله بن محمد الزجالي خزانة المال سنة 307هـ-919م[1]، وتولية أخيه عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي خطة العرض[2]، وكان محمد بن عبد الله الزجالي أكبر من تولى المناصب المهمة حيث شغل منصب الوزارة، وكان توليه لهذا المنصب سنة 314هـ-926م[3]، ومن الممكن جدا أن محمد هذا بقي في الوزارة إلى غاية وفاته سنة 315هـ- 927م، ولم تنته مهام وأعمال أفراد هذا البيت إلى بعده، إذ تولى عبيد الله بن عبد الله الزجالي المواريث[4]، ثم خطة الخيل[5].

وخلاصة القول أن البيوت البربرية الكبيرة الموالية للأمويين بقيت محافظة لهذا الولاء، وبالمقابل لم تبخل السلطة الأموية عن مواليها المهام الرفيعة أو الرتبة العالية، مما يعني أن البربر شاركوا في جميع المراتب والمناصب السياسية والإدارية بدون إستثناء.

أما الوجه الآخر الذي ظهر بقوة في هذه الفترة وبالتحديد في فترة الأمير عبد الله، فقد كان سليمان بن وانسوس الذي عرفت عنه عزة النفس وقوة الشكيمة[6]، ويعرفه إبن الأبار قائلا: "هو سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبد الله المكناسي مولى سليمان بن عبد الله، أصله من البربر، وله فيهم بيت شرف بالأندلس"[7]، وبيت الشرف هذا الذي يقصده إبن إبن الأبار يعود بنا إلى ما ذكرناه آنفا، حول ثورة أصبغ بن عبد الله بن وانسوس جد هذا الأخير الذي ثار بماردة أن تزعم عليها، زمن الأمير الحكم الربضي.

وقبل أن نتناول سليمان بن وانسوس كوزير، علينا أن نعلم أن هذا الأخير كان من أهل العلم والأدب والشعر المطبوع، إذ يضيف ابن الأبار وهو يسرد سيرة سليمان قائلا

1- ابن عذاري- المصدر السابق، ص175.

2- نفسه، ص180.

3- نفسه، ص192.

4- نفسه، ص195.

5- نفسه، ج2، ص199.

6- الحميدي، المصدر السابق، ص198/ الضبي، المصدر السابق، ص260، وقد فصّل المؤلفان ما وقع بين الوزير سليمان بن وانسوس والأمير عبد الله، حين خاطب هذا الأخير وزيره قائلا: " يا بريبري"، وهذا بعد أبيات إرتجلها تعليقا على لحيته التي كانت كبيرة، مع العلم أن رد سليمان كان بليغا جدا دل على قوة شخصيته وعزة نفسه، عكس كما ذكرنا سابقا موقف حامد الزجالي، الحميدي، المصدر نفسه، ص199، الضبي، المصدر نفسه، صص260/261.

7- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص160.

أنه كان "أديبا متفننا، وشاعرا مطبوعا[1]، حسن البيان، بليغا حصيفا، داهيا"[2]، وهذا ما جعله "أثيرا عند الأمير عبد الله"[3].

إضافة إلى هذا، فإن سليمان قبل أن يتولى منصب الوزارة، وهذا ما نريد في الحقيقة أن نصل إليه، كان قد "علق بحبال الخدمة، فتصرف للسلطان في أعمال كثيرة، إلى أن ارتقى الذروة من خطة الوزارة للأمير عبد الله"[4]، وهذا يعني أن ارتقاء البربر إلى المناصب الرفيعة لم يكن يخضع للصدفة أو لعوامل ودوافع ليس لها أي أساس من الصحة، وهذا ما يسمح لنا بإعادة نقد المصادر التي ذهبت أبعد من اللازم في تحديدها لأسباب تولي البربر لهذه المناصب، إذ أن الإتصاف بشروط المنصب من علم وأدب وغيره، ثم الخدمة لمدة كافية، هما الشرطان الرئيسان في تولي المناصب، نجد أنهما قد توفرا وأكثر عند سليمان بن وانسوس، وهكذا تولى سليمان بن وانسوس الوزارة، والتي من الممكن أنه توفي وهو متربع على عرشها، حيث يذكر ابن عذاري أنه توفي سنة 292هـ-904م[5].

أخيرا ومن خلال ما ذكرناه من معطيات، يمكننا الخروج بعدة نتائج أو استنتاجات ومنها:

1- إحتكار بيوت البربر الموالي للمراتب الرفيعة وسط أفرادها، وقد ذكرنا بما فيه الكافية أن هذه كانت سياسة السلطة الأموية بإبقائها للمناصب الرفيعة وسط مواليها.

2- أن البربر كانت عندهم نخبة من الأدباء والبلغاء ومن أهل الحل والعقد وهو الشيء الذي سمح لهم بالعمل السياسي والإداري داخل السلطة الأموية.

3- أن البربر قد عرفوا حقيقة بعزة النفس، وقد ذكر هذا بصريح العبارة لسان الدين بن الخطيب الذي يقول وهو يذكر سبب كثرة الثوار: "والثاني: علو الهمم، وشموخ

1- يراجع شعره عند ابن الأبار، المصدر نفسه، ص161.

2- نفسه، المصدر نفسه، ج1، ص160.

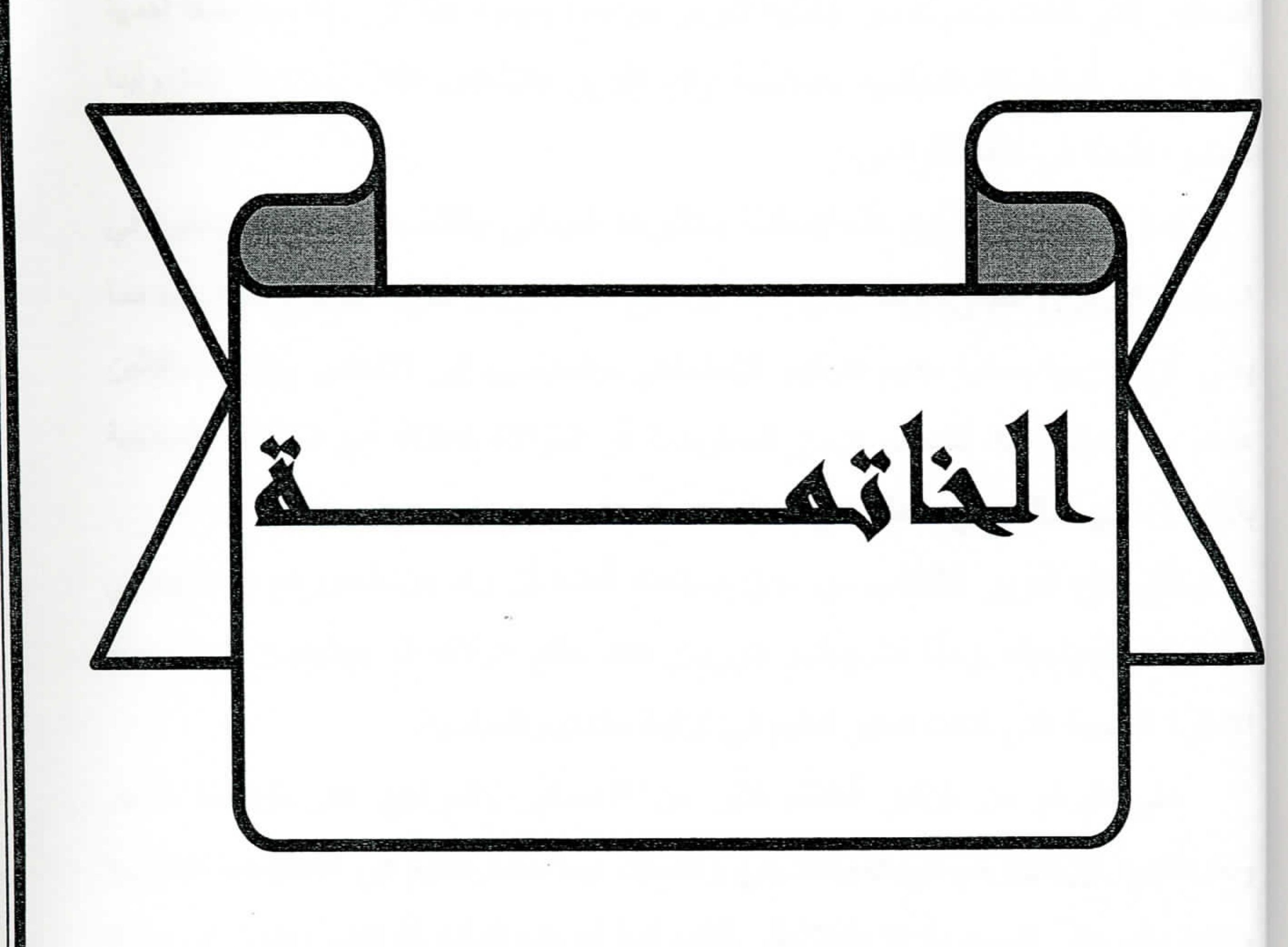
3- الحميدي، المصدر نفسه، ص199/ الضبي، المصدر نفسه، ص269.

4- ابن الابار، المصدر السابق، ج1، ص160.

5- ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص142.

الأنوف، وقلة الإحتمال لثقل الطاعة، إذ كان من يحصّل بالأندلس من العرب والبربر أشرافا يأنف بعضهم من الإذعان لبعض"[1]، ولكن هل يعني هذا، إضافة على ما جرى ما بين سليمان بن وانسوس والأمير عبد الله، أنه أحد الأسباب والعوامل التي جعلت البربر لا يتولون المناصب مهما كان نوعها؟ الجواب بالنسبة لنا سيكون بالنفي أي أن عزة النفس كان عاملا دافعا وليس معرقلا، في مضي البربر قدما نحو تولي المناصب وقيادة الجيوش أو بصفة أعم المشاركة السياسية النشطة في كل المجالات، لنؤكد كذلك وفي الوقت نفسه، أن البربر كانوا وبدون أدنى مبالغة من أكبر العناصر الأندلسية مشاركة في العمل السياسي سواء في المعارضة أو المعادلة.

1- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص36.



الخاتمة

الخاتمة: إتضح لنا بعد هذه الدراسة أن معادلة المعارضة والموالاة، كانت أحد أهم المحاور التي كانت يتحرك من خلالها البربر سياسيا، ويعود هذا إلى دوافع عديدة، أهمها الرغبة في المشاركة السياسية وبخاصة وأن البربر بالأندلس كانوا يمثلون دائما وأبدا عنصرا نشطا في كافة النواحي.

كما أن المتتبع لتاريخ هذه المعادلة وتأثيرها الميداني يكتشف أنها كانت متجذرة في المجتمع البربري القبلي، وهذا ليس فقط قبل فتح الأندلس بل حتى قبل فتح المغرب، مما يعني أن البربر حملوا معهم تراثهم الإجتماعي والسياسي إلى الأندلس وبقوا محافظين عليه، ومن بينه هذا التحرك ضمن المعارضة أو الموالاة كعلاقة مع السلطة الإسلامية بالأندلس التي تمثلت في سلطة بني أمية.

كان فتح البربر للأندلس من دون مساعدة أحد، أن زاد من شعورهم بأحقيتهم في المشاركة السياسية، وهذا ما جعلهم يثورون ضد حكم الولاة، ثم يجتهدون في تأسيس الإمارة الأموية التي كانت تعتبر أملهم في ترقية مكانتهم السياسية.

على الرغم من تركيز اهتمام كثير من المصادر والمراجع على ثورات البربر وتمرداتهم؛ فإن دورهم في الموالاة بقي واضحا، وما مشاركاتهم في المناصب السياسية والإدارية وحتى العسكرية إلا دليلا على ذلك، كما أن هذه المشاركة تنفي وبدون أدنى شك ما صرحت به بعض المراجع المعاصرة من عزلة البربر وإبائهم المشاركة السياسية خاصة في الفترات الأولى من عهد الإمارة.

إذا كانت المعارضة أو الموالاة البربريتين في العهود الأولى من عصر الإمارة تحكمت فيها دوافع المصلحة السياسية أو الإجتماعية، فإنها تحولت في فترة الإزدهار إلى نوع من الإنتماء الذي فرق بين البربر أنفسهم أكثر من ذي قبل، وهذا سياسيا وإجتماعيا، وأظهر بوضوح معنى بيوتات الموالي التي كان البربر أحد أكبر من مثّلها، مما يعني أن البربر الموالي كانوا يتميزون عن البربر الآخرين بالكثير من الإمتيازات، ومنها احتكار بعض هذه البيوتات البربرية للكثير من المناصب السياسية والادارية، وتوارث أفرادها لهذه المناصب.

ربما كانت العلاقة السياسية للبربر مع السلطة الأموية على عهد الإمارة، من خلال المعارضة والموالاة وتطور ذهنيتهم السياسة هو ما أنتج قوة البربر بعد سقوط الدولة الأموية، لذا فنحن نعتبر هذه الفترة ومشاركة البربر السياسية فيها عتبة ظهور الدويلات أو الممالك البربرية.

وأخيرا تمنحنا هذه الدراسة في الحقيقة الجرأة على تبني تصريحين اثنين يحملان من الأهمية الشيئ الكثير:

أولا: إعتمد قيام الأندلس سياسيا واجتماعيا على عامل العنصر، ودراسة البربر أوضحت لنا أن تصور الإندماج في الأندلس يحتاج إلى كثير من التعديل لأن ما كان حاصلا لم يكن سوى تعايشا عنصريا قام على الإثنية أولا وأخيرا، وبالرغم مما أفرزه التطور السياسي والإجتماعي من ظاهرات مست أكثر الانتماء الذي نعتبره مع تغير أشكاله أخطر عامل تحكم في تاريخ الأندلس، فإنه وبشكل آخر، كانت الهوية باستنادها على ثقافة العنصر، وما أنتجته من علاقات سياسية واجتماعية، العامل المحرك لتاريخ الأندلس على عهد الأمويين بصفة عامة، وفي عصر الإمارة بصفة خاصة، وبما أن العنصر هو الأساس الذي استندت إليه الإمارة الأموية، فعلينا أن لا ننسى أنه كان سببا في سقوطها.

ثانيا: أردنا من خلال طرحنا لإشكاليات موضوع الدراسة، وبشكل أخص حول كل ما يدور ويتعلق باندماج العناصر الأندلسية فيما بينها، أن كل الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع- سواء خرجوا بنتيجة أو طرحوا تساؤلات تفتح باب المناقشة من جديد- تغافلوا عن قاعدة واحدة ووحيدة كانت تجمع هذه العناصر الأندلسية عربها وبربرها، مولديها ومستعربيها: إنها قاعدة المعارضة التي جمعت مثلا العرب اليمانية والبربر البرانس ضد المولدين الإسبان الذين تحالفوا مع البربر البتر والعرب المضرية، وقد ظهر ذلك بأوضح ما يكون في فترة الفتنة التي شملت عهد الأميرين المنذر وعبد الله، أو الموالاة التي توازي ما يقابلها من حيث تركيبها ومعناها، أما ما عدا ذلك فلم تستطع العناصر الأندلسية في أي شكل من الأشكال أن تندمج أو تنصهر،

مما يقودنا إلى القول بأن العامل السياسي كان أقوى ميدان اندمجت في رحابه هذه العناصر التي لم تستطع حتى تكوين مجتمح بالمفهوم العلمي لمصطلح مجتمع.

وأخيرا نقول إن التاريخ لا بد عند دراسته من اكتشاف الظاهرات سواء السياسية والإجتماعية وكذلك الثقافية، وهذا في حقيقته ما ينقص المراجع التاريخية الإسلامية، وينطبق هذا أساسا على الدراسات الأندلسية التي تبقى في الكثير من مضاميرها التاريخية تبحث عن الدارسين الذين سيكون لهم شرف الغوص في مثل هذه الأبحاث، والوصول إلى حقيقة أوضاع المجتمعات الإسلامية، والتي لن تكون سوى بإعادة النظر في ثقافة وسوسيولوجية العناصر الأندلسية، وتبيين دورها في كل المجالات الحياتية، لنكتشف في الأخير أسباب ودوافع الأحداث التي قاموا بها، والتي ستكون نتيجتها اكتشاف بعض السنن التي تبنتها هذه العناصر وتعايشت من خلالها، والتي نعتناها نحن بالظاهرات.

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع:

1.ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي(ت سنة 658هـ/1260م): إعتاب الكتاب- تحقيق صالح الأشتر- مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق- ط1-1830هـ/1961م.

2.ابن الأبار- الحلة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط2- 1985م.

3.أبو زكريا يحي بن أبي بكر(ت سنة 471هـ/ 1243م)- كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا- تحقيق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- ط3 -1984م.

4.ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي (ت سنة 741هـ/1340م)- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط - 1972م.

5.ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني(ت سنة630هـ/1232م): - الكامل في التاريخ- تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي- دار الكتب العلمية - بيروت- ط2 - 1415هـ/1997م.

6.ابن تغرى بردي أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي (ت سنة874هـ/1382م)- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- تحقيق محمد حسين شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1-1413هـ/ 1992م.

7.ابن تميم أبو العرب محمد بن أسد القيرواني (ت سنة 333هـ/944م)- طبقات علماء إفريقية وتونس- تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي- الدار التونسية للنشر- تونس- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- ط2 - 1985م.

8.الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي الحسني (ت سنة 560هـ/1165م)- نزهة المشتاق في إختراق الأفاق- عالم الكتب- بيروت- ط1- 1409هـ/1989م.

9.الإصطخري إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت سنة 346هـ/957م)- كتاب الأقاليم- 1839م.

10.الإصطخري- المسالك والممالك- تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار القلم- 1385هـ/1961م.

11.الأصفهاني أبو الفرج (ت سنة 356هـ/966م)- مقاتل الطالبيين- شرح وتحقيق السيد أحمد صقر- مطبوعات إسماعيليان- القاهرة- ط2 - 1970م.

12.ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني (ت سنة 542هـ/1147م)- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق سالم مصطفى البدري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419هـ/1998م.

13.البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت سنة 487هـ/1094م)- المسالك والممالك- تحقيق جمال طلبة- دار الكتاب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ/2003م.

14.البلاذري أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر (ت سنة 271هـ/884م)- فتوح البلدان- تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع- مؤسسة المعارف للطباعة والنشر- بيروت- 1407هـ/1987م.

15.ابن بلقين عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس (ت سنة 483هـ/1090م)- كتاب التبيان- تحقيق علي عمر- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط1- 1427هـ/2006م.

16.التنسي أبو عبد الله (ت سنة 899هـ/1493م)- تاريخ دولة الادارسة من كتاب نظم الدر والعقيان- تحقيق عبد الحميد حاجيات- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984م.

17.الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت سنة 255هـ/ 868م)- تحقيق موفق شهاب الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط2 – 1424هت/2003م.

18.ابن حبيب عبد الملك بن سليمان بن هارون السلمي العباسي الأندلسي (ت 238هـ/852م)- كتاب التاريخ- اعتنى به عبد الغني مستو- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1429هـ/2008م.

19.ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد (ت سنة 456هـ/1063م) – جمهرة أنساب العرب – مراجعة وضبط لجنة من العلماء بإشراف الناشر – دار الكتب العلمية – بيروت- ط1 – 1403هـ/ 1983م.

20.ابن حزم –نقط العروس في تواريخ الخلفاء – نشر C.F.Seybold in Revista Del Centro De Estudios Histtoricos De Granada y Su Reino – Granada – 1911.

21.ابن حزم – الفصل في الملل والأهواء والنحل – تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن سعد – دار ابن الهيثم – القاهرة- ط1 – 1426هـ/2005.

22.ابن حزم- طوق الحمامة في الألفة والآلاف- اعتنى به وقدم له عبد الرحمن المصطاوي- دار المعرفة- بيروت – ط2- 1425هـ/2004.

23.ابن حزم- التلخيص لوجوه التخليص- حققه وعلق عليه وقدم له عبد الحق التركماني- دار ابن حزم- بيروت- 1423هـ/2003م.

24. ابن الأحمر- إسماعيل- بيوتات فاس الكبرى- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط- 1972م.

25.الحميدي- أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي (ت سنة 488هـ/1095م)- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1417هـ/1997م.

26.الحميري- أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت سنة 727هـ1326م)- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس- مكتبة لبنان- ط2- 1984.

27.الحنبلي شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت سنة 482هـ/ 1089م) – تحقيق عبد القادر الأرناؤوط– دار ابن كثير– دمشق – بيروت – ط1 – 1406هـ/1986م.

28.ابن حوقل أبو القاسم (ت 380هـ/990م) – كتاب صورة الأرض– دار الكتاب الإسلامي– القاهرة – د.ت.

29.ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت سنة 469هـ/1086م) – السفر الثاني من كتاب المقتبس – تحقيق محمود علي مكي – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض – د.ت.

30.ابن حيان – المقتبس من أنباء أهل الأندلس – دار الكتاب العربي – بيروت – 1393هـ/1973م.

31.ابن حيان – المقتبس في تاريخ رجال الأندلس – نشر الأب ملشور م. أنطونية – بولس كتنر الكتبي – باريس – 1937م.

32.ابن حيان– المقتبس– الجزء الخامس– نشر وتحقيق ب شالميتا وف. كورنيطي وم. صبح وغيرهم– المعهد الإسباني العربي للثقافة – كلية الآداب بالرباط – مدريد – 1979م.

33.ابن حيان– المقتبس في أخبار بلاد الأندلس– تحقيق عبد الرحمن علي الحجي– دار الثقافة – بيروت– لبنان –1983م.

34.ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد الإشبيلي (ت 528هـ/1134م) – كتاب تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس المعروف بـ: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس – تحقيق– مديحة الشرقاوي – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ط1– 1422هـ/2001.

35.ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت سنة 300هـ/ 912م) – المسالك والممالك – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – د.ت.

36.الخشني أبو عبد الله محمد بن الحارث (ت سنة 361هـ/971م) – قضاة قرطبة – تحقيق إبراهيم الأبياري – دار الكتاب المصري– القاهرة– دار الكتاب اللبناني– بيروت – ط2 – 1410هـ/1989م.

37.ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت سنة 776هـ/1374م) – الإحاطة في أخبار غرناطة – تحقيق يوسف علي طويل – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1423هـ/ 2003م.

38.ابن الخطيب – أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية – تحقيق ليفي بروفنسال – دار مكشوف – بيروت – 1956م.

39.ابن الخطيب – أعمال الأعلام أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط – تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني – دار الكتاب – الدار البيضاء – 1964م.

40.ابن الخطيب- الإشارة إلى أدب الوزارة- دراسة وتحقيق محمد كمال شبانة- مكتبة الثقافة الدينية - ط1 - 1424هـ/2004م.

41.ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت سنة 808هـ/1405م) - تاريخ ابن خلدون والمسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- دار الكتب العلمية - بيروت - ط2 - 1424هـ/ 2003م.

42.ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت سنة 808هـ/1282) - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت - 1977/1978م.

43.ابن الدلائي أو العباس أحمد بن عمر العذري (المتوفى سنة 478هـ/1085م)- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك- عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - 1965م.

44.الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود (ت سنة 282هـ/ 895م)- تحقيق عبد المنعم عامر مع مراجعة جمال الدين الشيال- دار المسيرة- بيروت- .د.ت.

45.الدينوري ابن قتيبة- الإمامة والسياسة- مطبعة مصطفى الباجي وأولاده- مصر- د.ت.

46.الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (ت سنة 748هـ/ 1348م)- العبر في أخبار من غبر- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- تحقيق محمد عبد السلام التدمري- دار الكتاب العربي- بيروت- ط2 - 1414هـ/1993م.

47.الذهبي- العبر في أخبار من غبر- تحقيق محمد السعيد زغلول- دار الكنب العلمية- بيروت- د.ت.

48.الرقيق أبو اسحق إبراهيم بن القاسم- تاريخ إفريقية والمغرب- تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى- دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط1 - 1990م.

49.الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي- طبقات النحويين واللغويين - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف - القاهرة - ط2 - 1984م.

50.ابن سعيد أبو الحسن نور الدين علي بن موسى المغربي (ت سنة 685هـ/1286م)- كتاب الجغرافيا- تحقيق إسماعيل العربي- منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- 1970م.

51.ابن سعيد المغربي- المغرب في حلي المغرب- تحقيق شوقي ضيف -دار المعارف - القاهرة - ط2 - 1964م.

52.السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت سنة 911هـ/1505م)- تاريخ الخلفاء - تحقيق جمال محمود مصطفى- دار الفجر للتراث- القاهرة - ط2 - 1425هـ/2004م.

53.ابن شاكر محمد الكتبي الدمشقي (ت سنة 764هـ/1362م)- فوات الوفيات والذيل عليها- تحقيق إحسان عباس- دار صادر- بيروت - 1974م.

54.شيخ الربوة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت سنة 727هـ/1328م)- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر- مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية - بطرسبرغ - 1865م.

55.صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت سنة 464هـ/1070م) - طبقات الأمم - تحقيق حسين مؤنس - دار المعارف - القاهرة - د.ت.

56.ابن الصغير- من أهل القرن الثالث - أخبار الأئمة الرستميين - تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 1406هـ/1986م.

57.الضبي- أبو جعفر احمد بن يحي بن عميرة (ت 599هـ/1202م) - بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي- دار الكتب العلمية - بيروت - بيروت - ط1 - 1417هـ/1997م.

58.الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت سنة310هـ/922م)- تاريخ الطبري أو تاريخ الأمم والملوك- دار الكتب العلمية- بيروت - ط3 - 1426هـ/2005م.

59.ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله (ت سنة 257هـ/ 870م)- فتوح مصر والمغرب - تحقيق علي محمد عمر- مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - 1415هـ/1995م.

60.ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت سنة 739هـ/1338م) - مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق علي محمد البجاوي- دار إحياء الكتب العربية- ط1- 1374هـ/1955م.

61.ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد (ت سنة 328هـ/940م)- العقد الفريد - تحقيق عبد المجيد الترحيني- دار الكتب العلمية - بيروت - 1417هـ/1997م.

62.ابن عبد ربه- ديوان ابن عبد ربه- جمعه وصحح نصوصه وقدم لقصائده وشرح معانيه محمد رضوان الداية- دار الفكر - دمشق - ط3 - 1424هـ/2003م.

63.ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله القرطبي- (ت سنة 242هـ/ 856م)- آداب الحسبة والمحتسب- تحقيق فاطمة الإدريسي- دار ابن حزم - بيروت - ط1 - 1425هـ/2005.

64.ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي وآخرون- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب – تحقيق ليفي بروفنسال- المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية- القاهرة – 1955م.

65.ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي كان حيا سنة 712هـ/1312م – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- الأجزاء- الأولى والثانية والثالثة من تحقيق ج.س. كولان و ليفي بروفنسال- دار الثقافة – بيروت – ط2 – 1400هـ/1980م.

66.ابن عذارى- قسم الموحدين – تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة – دار الثقافة للنشر والتوزيع – الدار البيضاء- دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط1 – 1985/1406م.

67.ابن العربي أبي بكر الإشبيلي (المتوفى سنة 543هـ-1148م)- العواصم من القواصم- تحقيق عمار طالبي- مكتبة التراث- القاهرة- ط1- 1417هـ- 1997م.

68.ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت سنة 1089هـ/1678م)- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط- دار ابن كثير- دمشق- بيروت – ط1 – 1406هـ/1986م.

69.ابن عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م)- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك- تحقيق محمد سالم هاشم- دار الكتب العلمية- بيروت – 1418هـ/1998م.

70.ابن غالب الأندلسي محمد بن أيوب الغرناطي من أهل القرن السادس- فرحة الأنفس- تحقيق لطفي عبد البديع- مجلة معهد المخطوطات العربية- القاهرة – 1375هـ/1955م.

71.الغرناطي أبو حامد الأندلسي (ت سنة 565هـ/ 1169م)- تحفة الألباب ونخبة الإعجاب- تحقيق إسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر – 1989م.

72.أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماه (ت سنة 732هـ/ 1331م)- تقويم البلدان- تحقيق م. رينود- ماك كوكين دي سلان- الطباعة السلطانية- مكتبة المثنى ببغداد والخانجي بمصر- باريس- 1830م.

73.ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي (ت سنة 799هـ/1396م)- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- محمد الأحمدي أبو النور- مكتبة دار التراث- القاهرة- ط2- 1426هـ/2005م.

74.ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي -(ت سنة 403هـ/ 1012م) – تاريخ علماء الأندلس- تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1417هـ/1997م.

75.الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت سنة 817هـ/ 1414م)- القاموس المحيط - ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي بإشراف مكتب البحوث والدراسات- دار الفكر - بيروت- 1425هـ/2005م.

76.القزويني زكريا بن محمد (ت سنة 682هـ/1283م)- آثار البلاد وأخبار العباد - دار صادر- بيروت - د.ت.

77.القفطي أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت سنة 624هـ/ 1226م)- إنباه الرواة على أنباء النحاة- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية- صيدا - بيروت- 1424هـ/2004م.

78.ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر الأندلسي (ت سنة 367هـ/ 977م) - تاريخ إفتتاح الأندلس - تحقيق إبراهيم الأبياري- دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت - ط2- 1410هـ/1989م.

79.ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت سنة 751هـ/1350م) - أحكام أهل الذمة- المكتبة العصرية- ضبط نصه وخرج أحاديثه وإعتنى به محمد بن رياض الأحمد - المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1، 1426هـ-2006م.

80.ابن كثير الحافظ أبو الفداء (ت سنة774هـ/ 1372م)- البداية والنهاية- مكتبة المعارف - بيروت - ط3 - 1413هـ/1993م.

81.ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك بن قاسم (ت سنة 575هـ/ 1179م)- تاريخ الأندلس من كتاب الإكتفاء في أخبار الخلفاء- تحقيق أحمد مختار العبادي- معهد الدراسات الإسلامية- مدريد - 1968/1967م.

82.الماوردي أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي (ت سنة 450 هـ/ 1058م) - دار الكتاب العربي- خرج أحاديثه وعلق عليه خالد عبد اللطيف السبع العلمي- دار الكتاب العربي - بيروت - ط3 - 1420هـ/1999م.

83.مجهول - أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها - تحقيق إبراهيم الأبياري - دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت - ط2 - 1410هـ1989م.

84.مجهول (كان حيا سنة 712هـ/1312م)- مفاخر البربر- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية - دار أبي رقراق للطباعة والنشر - الرباط - ط1 - 2005م.

85.مجهول- تاريخ الأندلس (من أهل القرن التاسع)- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1 - 1428هـ/2007م.

86.مجهول – كتاب ذكر سبب فتح الأندلس وأمرائها – دراسة وتحقيق لويس مولينا – المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي – مدريد – 1994م.

87.مجهول – الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية (لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري) – تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة – نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء – 1399هـ/ 1979م.

88.المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البيشاري (ت سنة 380هـ/ 990م)– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم– تحقيق محمد مخزوم– دار إحياء التراث الإسلامي– بيروت– 1408–1987م.

89.المراكشي أبو محمد عبد الواحد محي الدين بن علي التميمي المالكي (ت سنة 647هـ/1250م) – المعجب في تلخيص أخبار المغرب– شرحه وإعتنى به صلاح الدين الهواري– المكتبة العصرية – صيدا– بيروت – ط1 – 1426هـ/2006م.

90.المسعودي– أبو الحسن علي بن الحسين علي المسعودي (ت سنة 346هـ/ 957م) – مروج الذهب ومعادن الجوهر– تحقيق مصطفى السيد– المكتبة التوفيقية – القاهرة – د.ت.

91.المسعودي– التنبيه والإشراف – دار التراث– بيروت – لبنان – 1388هـ/ 1968م.

92.المقري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت سنة 1041هـ/1631م)– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي– دار الفكر– بيروت – ط1 – 1419هـ/1998م.

93.الناصري أبو العباس أحمد بن خالد (ت سنة 1315هـ/1898م) – الإستقصا لدول المغرب الأقصى – تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري – دار الكتاب – الدار البيضاء –1418هـ/ 1997م.

94.النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي (ت سنة792هـ/1390م) – تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا – تحقيق صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا– بيروت – ط1 – 1426هـ/2006م.

95.النويري أحمد بن عبد الوهاب (ت سنة 732هـ/1332م) – تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب – تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد – دار النشر المغربية – الدار البيضاء – د.ت.

96.ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت المتوفى سنة 626هـ/ 1229م)– معجم البلدان – دار صادر – بيروت – ط3 – 2007م.

97.اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت سنة 768هـ/1366م) – مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان – منشورات الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ط2 – 1390هـ/1970م.

98.اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت سنة 284هـ897م)– تاريخ اليعقوبي –دار صادر – بيروت – لبنان – د.ت.

99.اليعقوبي– كتاب البلدان– دار إحياء التراث الإسلامي– بيروت– ط1– 1408هـ/ 1988م.

المراجع العربية والمعربة:

100.أحمد أمين – ضحى الإسلام – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1427هـ/2006م.

102.أحمد أمين – ظهر الإسلام – المكتبة العصرية – صيد – بيروت – ط1 – 1427هـ/2006م.

103.أرسلان شكيب – تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر الأبيض – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – 1995م.

104.بالنثيا أنخل قنثالث – تاريخ الفكر الأندلسي – ترجمة حسين مؤنس – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – د.ت.

105.بروفنسال ليفي – حضارة العرب في الأندلس – ترجمة ذوقان قرقوط – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – د.ت

106.بروفنسال ليفي – الإسلام في المغرب والأندلس – ترجمة محمود عبد العزيز وعبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين علي – راجعه لطفي عبد البديع– مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية – 1990م.

107.بروفنسال ليفي – تاريخ إسبانيا الإسلامية – ترجمة – علي عبد الرؤوف البمبي، علي إبراهيم المنوفي، السيد عبد الظاهر عبد الله – مراجعة: صلاح فضل – المجلس الأعلى للثقافة القاهرة – ط3 – 2000م.

108.بلغيث محمد الأمين – النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1989م.

109.بروكلمان كارل– تاريخ الشعوب الإسلامية – ترجمة: أمين فارس ومنير البعلبكي –دار العلم للملايين – بيروت – ط1 – أفريل 1998.
110.بنحمادة سعيد – الماء والإنسان في الأندلس – دار الطليعة – بيروت – ط1 – 2007م.
111.بن عميرة محمد – دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984م.
112.بيضون إبراهيم – الدولة العربية في إسبانية – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ط3 –1406هـ/1986م.
113.الحريري محمد عيسى – الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي – دار القلم للنشر والتوزيع – الكويت – ط3 – 1408هـ/1987م.
114.حسن إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام – دار الجيل – بيروت – ط15 – 1422هـ/2001م.
115.حسين مؤنس – فتح العرب للمغرب – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – د.ت.
116.حسين مؤنس – فجر الأندلس – الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة – ط1 – 1959م
117.حقي محمد – البربر في الأندلس – شركة النشر والتوزيع المدارس – الدار البيضاء- ط1 – 1422هـ/2001م.
118.حمدي عبد المنعم – ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية – مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية .د ت.
119.الحنيطي سعد خلف – الفقيه والسلطان – دار البيارق – بيروت – لبنان – ط1 – 1420هـ/1999م.
120.الخالدي محمد – البيعة في الفكر السياسي الإسلامي – شركة الشهاب – الجزائر – 1989م.
121.ذنون طه عبد الواحد – الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس – المدار الإسلامي – بيروت – ط1 – جوان، 2004م.
122.ذنون عبد الواحد طه بمشاركة خليل إبراهيم السامرائي وناطق صالح مطلوب – تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس– المدار الإسلامي – بيروت – ط1 – جوان، 2004م.
123.ذنون عبد الواحد طه بمشاركة خليل إبراهيم السامرائي وناطق صالح مطلوب – تاريخ المغرب العربي – المدار الإسلامي – بيروت – ط1– جوان، 2004م.
124.ذنون عبد الواحد طه – الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق – المدار الإسلامي – بيروت – جانفي، 2004م.

125.ذنون عبد الواحد طه – دراسات في التاريخ الأندلسي – المدار الإسلامي – بيروت – ط1 – 2004م.

126.ذنون عبد الواحد طه – أصول البحث التاريخي – المدار الإسلامي – بيروت – سبتمبر 2004م.

127.الرافعي مصطفى صادق – تاريخ آداب العرب – دار الكتب العربية – بيروت- ط1- 1421هـ/2000م.

128.فلهوزن يوليوس – تاريخ الدولة العربية – ترجمة وتعليق – محمد عبد الهادي أبو ريدة بمراجعة حسين مؤنس – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – 1958م.

129.الفيومي محمد إبراهيم – تاريخ الفلسفة الإسلامية – دار الجيل – بيروت – 1417هـ/1997م.

130.الفيلالي عبد العزيز – العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس المغرب – دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر – 2007م.

131.الكيلاني مناظر أحسن – تاريخ تدوين الحديث – ترجمة عبد الرزاق إسكندر – بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – ط1 – 2004م.

132.زبيب نجيب – الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس – دار الأمير للثقافة والعلوم – بيروت – ط1 – 1415هـ/1995م.

133.زيدان جرجي – تاريخ التمدن الإسلامي – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – د.ت.

134.سالم السيد عبد العزيز – تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس- دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – 1408هـ/1988م.

135.سعدون عباس نصر الله- تاريخ العرب السياسي في الأندلس- دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ط1 – 1998م.

136.سعدون عباس نصر الله- دولة الأدارسة في المغرب- دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ط1 – 1408هـ/1987م.

137.الشطشاط حسين- تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – ليبيا- 2001م.

138.الصلابي علي محمد- الدولة الأموية- دار اليقين للنشر والتوزيع- المنصورة- ط1- 1427هـ/2006م.

139.ضيف شوقي- تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول- دار المعارف- القاهرة – ط6 – د.ت.

140.ضيف شوقي – تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الثاني – دار المعارف القاهرة – ط2 – 1975م.

141.طقوش محمد سهيل – تاريخ المسلمين في الأندلس – دار النفائس – بيروت – 1426هـ/2005م.

142.العبادي أحمد مختار – في تاريخ المغرب والأندلس – دار النهضة العربية للطباعة والنشر– بيروت – 1978م.

143.العربي دحو – مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم– دار الشهاب– باتنة– 1406هـ/1986م.

144.عنان محمد عبد الله – دولة الإسلام في الأندلس– من الفتح إلى بداية عهد الناصر– مكتبة الخانجي – القاهرة – ط4 – 1389هـ/1969م.

145.لغزيوي علي– أدب السياسة والحرب في الأندلس– مكتبة المعارف للنشر والتوزيع– الرباط – 1987م.

146.لقبال موسى– تاريخ المغرب الإسلامي – دار هومة – الجزائر – 2002م.

147.ماجون باجوت غلوب– الفتوحات العربية الكبرى – تعريب خيري حمادة – منشورات مكتبة المثنى – بغداد – د.ت.

148.مكي محمود علي– التشيع في الأندلس– مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة– ط1– 1424هـ/2004م.

149.محمود إسماعيل– الخوارج في المغرب الإسلامي– دار العودة– بيروت– القاهرة– 1986/05/1م.

150.الممّي حسين– أهل الذمة في الحضارة الإسلامية– دار الغرب الإسلامية– بيروت– ط1– 1989م.

151.مونتغمري وات– في تاريخ إسبانيا الإسلامية– ترجمة محمد رضا المصري– شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت – ط2 – 1998م.

152.مهدي جاسم الشمري– دراسات في النظم الإسلامية – مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع– سيدي بلعباس – الجزائر – ط1– 1424هـ/2002م.

153.نعنعي عبد المجيد– تاريخ الدولة الأموية في الأندلس – دار النهضة العربية – بيروت – د. ت.

154.نعنعي عبد المجيد– الإسلام في طليطلة – دار النهضة العربية للطباعة والنشر– بيروت – د.ت.

155.نوري موفق سالم– العامة والسلطة– دار الكتاب– الأردن – 1426هـ/ 2005م.

156.النعيمي نزار محمد قادر– الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية – منذ تأسيسها وحتى سقوط بغداد– دار الكتاب الثقافي– الأردن– 1426هـ/ 2005م.

المجلات والدوريات العربية:

157.بيير غيشار – التاريخ الإجتماعي لإسبانيا المسلمة(من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين)– الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس – تحرير سلمى الخظراء الجيوشي– مركز دراسات الوحدة العربية – ط2 – بيروت– 1999م.

158.دومينيك إيرفوا– علماء الأندلس– الحضارة العربية الإسلامية– تحرير سلمى الخظراء الجيوشي– مركز دراسات الوحدة العربية – ط2– بيروت – 1999م.

الرسائل والأطروحات:

159.عبد القادر بوباية– البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري– رسالة دكتوراة غير منشورة – قسم التاريخ وعلم الأثار– جامعة وهران– الجزائر– 1423هـ/2002م.

المراجع الأجنبية:

160.Albornoz – Claudio Sanchez –L'espagne Musulmane – Trad: Claude Faraggi – OPU – Puplisud – 1985.

161. Julien CHarle Andre – Histoire De L'Afrique Du nord – Payot – Paris – 1931.

162.Conde Joseph – Hlstoire De Domination Des Arabes et Des Maures En Espagne et en Portugal – Alexis Emery Libraire – Paris – 1825.

163.Gautier. E-F-Les Siecles obscures de L'Afrique du Nord – Payot – paris – 1927.

164.Gaid Mouloud – Les Berbères Dans L'Histoire En Espagne Musulmane - Edition Mimouni – Alger – 2008.

165.Guichard Pierre – Structures Sociales Orientales et Occidentales dans L'Espagne Musulmane – Mouton – Paris – Lahaye – 1977.

166.De Felipe Helena - Identidad y onomastica De Los Bereberes De Al-Andalus-Consejo Superior De Investigationes Cientifias – Madrid – 1997.

167.Sénac Philippe – Al Mansûr – Perrin –Paris – 2006.

فهرس محتويات المذكرة